

السنة الثامنة عشرة

العدد التاسع والستون/ج ٢

مجلة

مركز دراسات الكوفة

مجلة فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

اقرأ في هذا العدد

دور الجودة الشاملة في فاعلية السيادة الاستراتيجية

أثر كفاءة مراقب الحسابات على ممارسة التدقيق السحابي

تلوث الهواء بالغازات خلال مدة الحظر الصحي لجائحة كورونا



مجلة مركز دراسات الكوفة

ISSN :1993-7016 التقييم الدولي

ISSN : 2708 - 728X التقييم الالكتروني

رقم الايداع في دار الكتب ببغداد (١١١٣) لسنة (٢٠٠٨)

DOI prefix: 10.36322 ,Frequency: 4 Issues Per year

العدد ٦٩ / ج ٢ السنة الثامنة عشرة ٢٠٢٣

العنوان البريدي: مركز دراسات الكوفة ، جامعة الكوفة ،

ص.ب ٢١ ، الكوفة ، محافظة النجف ، العراق

المراسلات

Website: www.ksc.uokufa.edu.iq

Email: kscjournal@uokufa.edu.iq

Mobile: 07819377794

جميع الحقوق محفوظة © مركز دراسات الكوفة



أعضاء هيئة التحرير

أ.د. جمال الدين بن عبد الجليل / جامعة لودفيغسبورغ / ألمانيا

أ.د. مهدي محمد القصاص / جامعة المنصورة / مصر

أ.د. إسماعيل نوري الربيعي / الجامعة الأهلية / البحرين

أ.د. محمد علي أدرشپ / مركز الحوار الفارسي / إيران

أ.د. خالد طحطاح / جامعة محمد الخامس / المغرب

أ.د. خليل حسين / الجامعة اللبنانية / لبنان

أ.د. إسماعيل طه الجابري / بيت الحكمة / بغداد

أ.د. حسن لطيف الزبيدي / جامعة الكوفة

أ.د. فاضل محسن الميالي / جامعة الكوفة

أ.د. إياد خلف العنبر / جامعة بغداد

أ.م.د. أنمار عبد الإله فاضل / جامعة بغداد

أ.م.د. قاسم فليح حسن / جامعة البصرة

أ.م.د. أحمد جعفر الأنصاري / جامعة الكوفة

أ.م.د. حسن هادي مهدي / جامعة الكوفة

رئيس التحرير:

أ.د. مجيد حميد الحدراوي

مدير التحرير:

أ.د. عقيل جاسم دهش

مسؤول الحسابات

السيدة ولاء فيصل محسن

الإخراج الفني:

المهندس أسامة عادل الشماع

تعليمات

١. أن لا يكون البحث قد نشر أو قبل للنشر في مجلة أخرى.
٢. قبل البحوث المكتوبة باللغة العربية فقط.
٣. يشترط في البحث المقدم للنشر أن يكون مراعيًا لقواعد البحث العلمي وأن يكون مرتبًا على النحو الآتي: عنوان البحث-لسم الباحث-درجته العلمية-خلاصة البحث باللغتين العربية والانجليزية -المقدمة-من البحث-الخاتمة والنتائج قائمة الهوامش-المصادر والمراجع.
٤. يرفق مع البحث السيرة الذاتية الموجزة للباحث التي تتضمن ما يأتي حصراً: لسم الباحث ومكان عمله، واختصاصه العلمي ونتاجاته البحثية وأهم مشاركاته العلمية ووسيلة الاتصال به.
٥. يلزم ألا تزيد عدد صفحات البحث عن ٢٠ صفحة، وإذا زاد عدد الصفحات عن ذلك يستحصل مبلغ قدره ٣٠٠٠ دينار عن كل صفحة إضافية.
٦. يخضع البحث للتحكيم السري من الخبراء المختصين لتحديد صلاحيته للنشر ولا يعاد البحث إلى صاحبه سواء قبل للنشر أم لم يقبل، ولهية التحرير صلاحية نشر البحوث على وفق الترتيب الذي تراه منسباً.
٧. تقدم البحوث مطبوعة باستخدام برنامج (Microsoft Word) بخط (Arabic Transparent) للغة العربية بحجم (١٦) للعنوان الرئيس و(١٤) للبحث و(١٢) للهوامش، وبخط (Time New Roman) للغة الانكليزية.
٨. تكون فقرة المسافات البادئة والتباعد قبل النص وبعده صفراً وتباعد الأسطر يكون (واحد ونصف).
٩. تنسق الأبيات الشعرية باستخدام الجداول.
١٠. تترك مسافة بمقدار (٢٠٥) على الجوانب الأربعة للصفحة.
١١. تقدم البحوث مطبوعة بنسختين على ورق قياس (A4) مع قرص صلب (CD) مسجل عليه البحث على وفق المطلبات.

محتويات العدد ٦٩ ج ٢

١	جهود رشيد بيضون النيابية في ميدان التربية والتعليم ١٩٣٧/ ١٩٦٤- دراسة تاريخية	١
٢٣	الباحث منتظر فائز عباس	
٢	السياسة الاقتصادية الجديدة في الاتحاد السوفيتي (١٩٢١-١٩٢٨)	٢
٦١	أ.د. عماد هادي الحليمي	
٣	القواعد العسكرية في المملكة العربية السعودية ١٩٩١-٢٠٠٥	٣
٨١	الباحثة راده هادي حمزة	
٤	سبل الإقناع في خطاب الأنبياء	٤
١١١	أ.د. رحيم خريط عطية	
١٣٥	أ.د. عهود حسين جبر	٥
	الإمام علي "ع" وسياسته مع معارضيه	
	أ.م.د. باسل محسن مهنا	٦
	الباحث منتظر عبد المنعم حسناوي	
١٤٩	أ.م.د. آمال حسين علوان	٧
	المنهجية التحليلية لمعرفة أسانيد الروايات عند الإمامية-دراسة تطبيقية	
١٧١	أ.م.د. طالب حسين كطافة	٨
	اشتقاق المصطلح المنطقي عند الفارابي - دراسة في دوره الريادي في علم المصطلح	
١٩٩	أ.م.د. زينب عبد الرزاق التغلبي	٩
	التباين الجغرافي لنسب تلوث الهواء بالغازات خلال مدة الحظر الصحي لجائحة كورونا	
٢٢٥	أ.م.د. باسم محمد حبيب	١٠
	أثر العوامل المناخية والبيئية في التغيرات السياسية لبلاد الرافدين في الألف الثالث ق.م	
٢٥١	م. كرار محمد مدلول	١١
	دور تطبيق أبعاد الجودة الشاملة في فاعلية السيادة الاستراتيجية	

محتويات العدد ٦٩ ج ٢

٢٨٧	م. أحمد حسين مجي	١٢	أثر كفاءة مراقب الحسابات على ممارسة التدقيق السحابي
٣١٩	م. د. تيسير جواد كاظم	١٣	الإعجاز القرآني في الآيات المسبحات- دراسة لغوية بيانية
٣٦٣	م. د. حسام مهند جمال الدين	١٤	دلالة النهمي على فساد المعاملة شرعاً
٣٨٧	م. د. علي أمين الجبوري	١٥	جماليات الاختزال اللوني في رسوم الطبيعة
٤١٧	م. م. أنوار عبد الأمير الخاقاني	١٦	العقدة وآلياتها في بعض من قصص (ما قاله يوسف) لصباح عباس عنوز
٤٤١	أ.م.د. حسن عبد الزهرة الابراهيمى	١٧	المرجعيات الأسطورية في ديوان فراديس نانا للشاعر يحيى السماوي
٤٦١	م. د. وفاء حسين الحيدري	١٨	دور الدعاوى القضائية في حل النزاعات التعويضية
٤٨٥	م. م. تحسين عبد الإله سالم	١٩	صراع الأحزاب السياسية العراقية على قيادة الحركة الطلابية (تشرين الأول ١٩٥٩- آذار ١٩٦١)
٥١٣	م. م. حسن عبد الزهرة محمد	٢٠	الخصائص المناخية وأثرها في تربية الدواجن في ناحية الحيرة

جهود رشيد بيضون النيابية في ميدان التربية والتعليم ١٩٣٧ / ١٩٦٤ - دراسة تاريخية

أ.د. مجيد حميد الحدراوي

مدير مركز دراسات الكوفة

الباحث منتظر فائز عباس

كلية الآداب / جامعة الكوفة

المقدمة:

تعد المدرسة الاساس في بناء الاجيال وهي النواة الاولى لتربية الاطفال بعد العائلة، وقد ادرك رشيد بيضون تلك الاهمية، وسلط الانظار اليها بعد انتخابه نائبا في مجلس النواب اللبناني سنة ١٩٣٧ م ، فقد ناقش في جلسات المجلس القضايا التربوية والمشاكل التي يتعرض لها الطلبة والمعلمين، وخص بذلك الجنوب اللبناني .

يعد رشيد بيضون (١٨٨٩ - ١٩٧١) سياسي ووزير وتربوي من مواليد دمشق درس وتعلم في بيروت وله دور كبير في تطور التعليم في لبنان، فقد كان احد مؤسسي الجمعية الخيرية الاسلامية في بيروت التي تأسست في عام ١٩٢٣ وتولى ادارتها سنة ١٩٢٥ وانشأ العديد من المدارس للذكور والإناث، كما انه فاز بعضوية مجلس النواب مرات عدة في دورات نيابية مختلفة، وكذلك شغل مناصب وزارية مثل وزارة الدفاع الوطني في سنة ١٩٥١ ووزارة الصحة والبريد والبرق سنة ١٩٥٣ ووزارة الدفاع الوطني مرة ثانية سنة ١٩٥٨ ووزارة العدل والبريد والهاتف سنة ١٩٦٨ وامتاز بعلاقاته الواسعة على الصعيد السياسي والاجتماعي والديني .

انقسم البحث الذي الى مقدمة وثلاثة مباحث ،جاء في المبحث الاول (جهود رشيد بيضون في القضاء على الامية) والذي كرس رشيد بيضون جهوده على زيادة عدد المدارس في لبنان وخاصة في الجنوب، اما المبحث الثاني (جهود رشيد بيضون في استقلال التعليم) الذي طالب فيه توحيد المناهج التربوية

وتعيين اكبر عدد ممكن من الخرجين التربويين في سلك التعليم وجاء في المبحث الثالث (جهوده تربوي اخرى من بين السنوات ١٩٥٢/١٩٦٤) الذي ناقش فيها قضايا متعددة منها مطالباته في اقرار مشروع التدريب العسكري للطلاب ودعم الجمعيات التي تعلم الطلاب بشكل مجاني .

اعتمد الباحث على جملة من المصادر والمراجع ومن اهمها محاضر مجلس النواب اللبناني، التي وثقت جهود رشيد بيضون في ميدان التربية والتعليم فضلا عن مصادر ومراجع أخرى تم الإشارة إليها في هوامش البحث ومصادره .

المبحث الاول: جهود رشيد بيضون في المطالبة ببناء المدارس:

عاش رشيد بيضون في بيئة محبة للعلم والمعرفة ، فقد كان والده مهتماً بالتعليم ولديه مساهمات في انشاء المدارس ومن اهمها المدرسة اليوسفية للبنات في دمشق ، وكما ان رشيد كان معلماً في احدى المدارس في بيروت ، ومن ثم تسلم منصب ادارة الجمعية الخيرية الاسلامية العاملة في بيروت منذ سنة ١٩٢٥ ، فأن هذه الامور المجتمعة أعلاه جعلت رشيد بيضون يكرس جهوده للمطالبة في مجلس النواب منذ دخوله في عام ١٩٣٧ بتحسين الجانب التربوي والعلمي في لبنان ، وقد تجسد ذلك منذ الجلسات الاولى لدخوله مجلس النواب بخطاباته المتكررة، فقد كانت مطالبه التي ابتدأها بجلسة المجلس المنعقدة بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٩٣٧ واستمر يطالب من اجل النهوض بواقع علمي يليق بلبنان، فقد تحدث عن الانصاف في مجال التعليم ، حيث ذكر ان نسبة المنح الدراسية التي تعطى لجنوب لبنان غير كافية قياساً بعدد سكان الجنوب ، بل انها لا تتجاوز نسبة ٦٪ وان هذه النسبة جدا قليلة خاصة وان ابناء الجنوب بحاجة ماسة الى العلم ، كذلك شدد على المساواة في العلم والمعرفة بين كافة طوائف لبنان، من اجل توفير مستلزمات النهوض بالدولة اللبنانية وجعلها كيان ذات قوة محترمة عن طريق العلم والمعرفة، وقد اظهر عتبه على وزير التربية الوطنية جورج تابت^(١) الذي طالبه بفتح المدارس وتشجيع الاولاد للذهاب الى المدارس باستخدام كافة الوسائل المناسبة من اجل استقطاب الطلبة ، "لكي نزرع فيهم روح العلم والمعرفة"^(٢) .

وضمن سعيه لنشر التعليم في لبنان ، أشاد رشيد بيضون بمقترح النائب محي الدين النصولي^(٣) ، عندما كان مقرر لجنة التربية الوطنية في دراسة مشروع الموازنة للتربية الوطنية في الجلسة المنعقدة بتاريخ ٢١ كانون الاول ١٩٣٨ ، فقد ابدى رشيد بيضون موافقته التامة حول ما تفضل به المقرر والذي شخص سبب تردي الواقع التعليمي في لبنان وهو الحكومات السابقة ، من خلال اهمالها قطاع التربية والتعليم وعدم توفيرها الموازنات الكافية التي يستحقها ، وبسبب ذلك الاهمال بلغت نسبة الامية في مدن متفرقة من لبنان أكثر من ٧٠٪ ، وهذه النسبة عالية جدا ، ولذلك استغل رشيد الفرصة لإعادة ما تكلم به سابقاً عن اوضاع جبل عامل التي يمثلها ، فقد تحدث عنها بأنها تعاني من الجهل وهي بأمس الحاجة الى التعلم والمعرفة ، من خلال توفير مدارس كافية لأبناء جبل عامل وبيروت ، ويعود السبب في ذلك الى اهمال الحكومات المتعاقبة في لبنان فتح المدارس فيها ، وقد اصبحت هذه المدن تعج بالمدارس الخاصة والتي بطبيعة الحال لا يستطيع ابناء الفقراء الدراسة فيها ، اما المدارس الحكومية التي توجد بهذه المدن فهي بعيدة عن القرى التي يسكنها الطلاب وتكون طرقها غير معبدة ، وبذلك يصعب عليهم الذهاب اليها ، ولهذا طالب رشيد الحكومة بالواجبات التي لابد من القيام بها ، والتي يكون اولها توفير الطرق المعبدة والعمل على التقسيم العادل للأموال التي تنفق على المشاريع ومنها المدارس ، كما اشار الى ان هناك مدن في لبنان لا تحتاج الى مدارس بسبب كثرة المدارس فيها ، في حين كان جبل عامل بأشد الحاجة الى تلك المدارس والعمل على عدم التقسيم الطبقي في المستوى العلمي والثقافي بين ابناء لبنان ، لكونه يهدد كيان لبنان ويكون عار على حكوماتها حسب تعبيره ، وقد طالب من الحكومة بالسماح الى الجمعيات وتشجيعها على فتح المدارس ، وقد اجاب وزير التربية الوطنية روكز ابو ناضر^(٤) على ما تقدم به رشيد بيضون في الخطاب اعلاه بأنه توجد في جبل عامل (٥٩) مدرسة ، وفي مداخلة اخرى لرشيد بيضون في الجلسة نفسها ذكر بأن الحكومة قدمت وعود بأنها تضع مدة زمنية لبناء المدارس الى الاهالي ، منتقداً عدم وفاء الحكومة بما وعدت به ، لذلك طلب من الحكومة السماح الى الأهالي باستيراد الحديد وعدم

احتساب ضريبة جمركية عليه لكي يقوم الاهالي ببناء المدارس ، وكانت اجابة الوزير بان الحكومة تسعى الى اعفاء الاهالي من الضريبة الجمركية ^(٥) .

كان لرشيد بيضون جهود بفتح عدد من المدارس في قرى متفرقة، وهي: كل من قرية البازورية ^(٦) وقرية طير زبنا ^(٧) وقرية دير قانون ^(٨) وقرية رأس العين ^(٩) وكيفون ^(١٠) وعين بعال ^(١١) وزغدرايا ^(١٢) وعنقون ^(١٣) وحبوش ^(١٤) وتمنين الفوقا ^(١٥) والنبي شيث ^(١٦) وكوثرية السياد ^(١٧) وكفردونين والطيرة وجنتا وغيرها من القرى ، والتي اوكل مهامها الى الجمعية الخيرية الاسلامية العاملة في بيروت ^(١٨) .

انتقد رشيد بيضون في جلسة مجلس النواب المنعقدة بتاريخ ٣٠ ايار ١٩٤٤ ، البيان الوزاري لحكومة رياض الصلح الثانية (١٩٤٤ - ١٩٤٥) ^(١٩) التي جاء فيها بانها تسعى للقضاء على الامية بتوفير كل جهودها في هذا المجال، الا ان رشيد بيضون لاحظ في موازنة التربية الوطنية والتي جاء في تقرير لجننتها بانها تهدف الى انشاء ١٠٠ مدرسة ، وبذلك قدم رشيد تساؤلا الى الحكومة مستغرباً من قناعتها بان ١٠٠ مدرسة تقضي على الامية ، وقد اجاب على تساؤله بان ذلك محال ، وقد اوضح نسبة سكان الجنوب الذي بلغ عددهم ٢٠٠ ألف نسمة مقسمين على ٨٤ مدرسة، وبحسب تقسيم رشيد الذي طرحه في المجلس بان كل مدرسة تحتوي على ١٥٠٠ طالب ، وبذلك ناشد وزير التربية الوطنية بان تأتي بمشروع يهدف الى نشر الثقافة والعلم لكي تبني جيل مثقف ومتعلم تعليم صحيح ^(٢٠) ، وفي مداخلة اخرى لرشيد بيضون تتعلق بالمدارس خلال الجلسة المنعقدة بتاريخ ٢٨ كانون الاول ١٩٤٤ ، وضح بان وزارة المالية التي تمثلت بشخص وزيرها حميد فرنجيه ترفض اضافة اعتماد يتعلق بفتح المدارس ضمن الموازنة القادمة ، برغم ان الحكومة اصدرت مرسوم منذ وقت سابق بفتح (١٤٠) مدرسة والتي فتح منها قسم معين وأجل القسم الاخر الى موازنة ١٩٤٤ ، وبذلك طلب من الوزير ان يكون اولى اهتمامات وزارة المالية هو توفير اعتماد يسمح بفتح القسم الاخر من المدارس لسببين ، الاول ان لا يكون اصدار المراسيم حبر على ورق والثاني من اجل بناء جيل متعلم تعليماً صحيحاً ^(٢١) .

المبحث الثاني: جهود رشيد بيضون في استقلال التعليم:

ولغرض دعم قطاع التعليم فقد انتقد رشيد بيضون الموظفين الذين يتقاضون رواتب دون تقديم خدمات جاء ذلك خلال مناقشة الموازنة العامة لسنة ١٩٤٥ في الجلسة الحادية عشرة والتي كانت بتاريخ ١٧ ايار ١٩٤٥، فقد شدد على ضرورة محاسبتهم وطردهم ، والعمل على توظيف عدد من المعلمين ، خاصة ان الحكومة فتحت عدد معين من المدارس وهي بحاجة الى معلمين ، وحبذا ان يكونوا من حملة الشهادات العليا لكونهم يمتلكون ثقافة عالية، كما ان رشيد اصر بان تعمل الحكومة على توحيد المناهج الدراسية وتقوم بالأشراف عليها بنفسها ، لكون بعض المدارس تعلم النشء الجديد على افكار مسمومة وخطرة بحسب تعبيره، لذلك اوجب على الحكومة الحذر منها والاشراف عليها ^(٢٢) . وكان رشيد يؤكد على الحكومة الالتزام بمواعيدها لفتح المدارس، وفي ذات مرة انه قرأ من احدى الجرائد بان الحكومة عازمة على تأخير فتح المدارس لشهر او أكثر مما اثارت دهشته وتقدم بسؤال طرحه في المجلس على الحكومة خلال الجلسة المنعقدة بتاريخ ٧ تشرين الاول ١٩٤٧ عن نية الحكومة، إلا ان رئيس الوزراء رياض الصلح ^(٢٣) طمأنه بان ما سمعه من اخبار غير صحيحه ومكذوبة من قبل الصحف ^(٢٤).

لم يترك رشيد بيضون فرصة تمر إلا واستغلها للتأكيد على أهمية التعليم وضرورة الاهتمام به ، وفي هذا الصدد اعرب عن استياءه من الحكومات اللبنانية التي كانت تضع وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة موضع ثانوي تابع لوزارات اخرى مثل وزارة الداخلية أو الخارجية أو الدفاع الوطني ، جاء ذلك في الجلسة الاستثنائية الثالثة والمخصصة لمناقشة الموازنة العامة بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٥١ ، و اضاف ان وزارة التربية لم تكن مستقلة أو لها وزير مستقل عن الوزارات ذات السيادة التي تعد من اولويات الحكومة، وبذلك لم يستطع الوزير الذي يكلف بمهام الداخلية ان يدير معها وزارة التربية الوطنية او الفنون الجميلة ، لكن رشيد بيضون وصف وزارة رياض الصلح السادسة التي استمرت من (تشرين الاول ١٩٤٩ الى شباط ١٩٥١) ^(٢٥) بانها اختارت الرجل المناسب لمنصب وزير التربية الوطنية التي تجسدت بشخص

رئيس ابي المم (٢٦) فقد اثنى رشيد بيضون على الوزير من خلال الجهود التي استطاع تقديمها بوقت قياسي ومنها فتح اكثر من ١٠٠ مدرسة ابتدائية ، وكذلك نجح في اصدار قانون للمعلمين في المدارس الرسمية فاق بذلك على قانون المدارس الخاصة فقد نجح الوزير ان ينقل وزارته نحو الافضل والذي يعود الفضل الى الاستقلال الذي منحه الحكومة الى الوزارة ، لكن ليس هذا ما يريده رشيد بيضون فحسب بل كان يطالب بتقديم المزيد ، فقد كان يريد ان تكون لبنان مركز الإشعاع الفكري والثقافي ، الذي يتحقق عندما يعلم كل من في الحكومة والمجلس عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه ، فكان رشيد يصف ابناء لبنان بانهم: (اولادنا و فلذات اكبادنا) فكان يريد ان تكون نشأتهم صحيحة ، كما انه عبر عن دهشته بقبول وزير التربية الوطنية تسعة مليون ونيف من الموازنة التي بلغت ٨٥ مليون ليرة ، وقد قدر هذا المبلغ بانه لا يتجاوز ١١٪ من مجموع الموازنة مطالبا بزيادة نسبة التعليم في الموازنة(٢٧).

تابع رشيد خطابه بمقارنة الحكومات المجاورة والقريبة من لبنان، والتي كان على اطلاع على اخبارها مثل سوريا ومصر، فقد اخبر المجلس بان موازنة سوريا بلغت ١٣٣ مليون ليرة اعطت لوزارة التربية ٢٥ مليون ليرة ، اي ٢٠٪ من الموازنة ، اما مصر التي بلغت ميزانيتها ٢٠٦ مليون جنيه اعطت لوزارة التربية ٣٦ مليون جنيه اي ١٨٪ من مجموع الموازنة ، كما ان حكومة مصر فرضت التعليم في الابتدائية والثانوية، وجعلته تعليم اجباري وعلاوة على ذلك انها فتحت العديد من الكليات والجامعات، مما جعل رشيد يقدم الاسئلة واحداً تلو الاخر عسى ان يحصل على اجوبة بل كان هو من يجيب على اسئلته بنفسه، والتي كان منها لماذا لم تقدم الحكومة على انشاء جامعات او لماذا لم تقدم على انشاء مدارس ثانوية التي لم يكن للبنان شيء منها سوى المدارس والجامعات الخاصة التي لولاها لكانت لبنان لا تذكر على المستوى الثقافي والفكري، لذلك صرح باسمه ودعا المجلس للموافقة على اي مبلغ تريد الحكومة اضافته الى كل من وزارة التربية الوطنية ووزارة الفنون الجميلة، وكان يهدف من ذلك الى القضاء على الجهل والامية التي كانت موجودة في الكثير من مدن وقرى لبنان، كما انه طالب بتوفير جامعات حكومية بدل من الكليات

والجامعات الاجنبية التي وصفها بانها لا تستطيع الاحسان في تربية ابناء لبنان، وفي سياق متصل قارن رشيد بيضون بين المدارس الخاصة المحلية والاجنبية مع المدارس الحكومية الرسمية، من حيث اعداد الطلاب لكلا الجنسين واعداد المدارس لكلاهما ، فقد بلغ عدد المدارس الخاصة المحلية (٨٠٨) مدرسة، يدرس فيها (٧٥) الف طالب بين ذكر وانثى ، كما توجد ٢٧٩ مدرسة اجنبية خاصة وبلغ عدد طلابها ٥٣ الف طالب، وان مجموع المدارس الخاصة في لبنان بلغ (١٠٨٧) ويوجد فيها ١٣٠ الف طالب وطالبة ، بينما نجد المدارس الحكومية وصل عددها الى (٩٢٠) مدرسة فقط ، ويوجد فيها من الطلاب ما لا يقل عن (٨٠) الف طالب، فقد وصف رشيد بيضون بعد الاحصاء الذي طرحه اعلاه بان هذه الفوارق بين المتعلمين في المدارس الخاصة والمدارس الرسمية لها تأثير في نشأتهم الوطنية التي تهدف الى زراعتها بين الطلاب في برنامج متصل يبدأ منذ الصغر كما هو الحال في جميع حكومات العالم ، وان هذا لا يصعب على الحكومة التي استطاعت انشاء معالم كبرى في لبنان مثل المطار والأونيسكو^(٢٨) ان تجعل وزارة التربية الوطنية ووزارة الفنون الجميلة بمرتبة عليا تتناسب مع اسم لبنان في المحيط العالمي ، لكي تكون لبنان بلد يعرف بالثقافة والحرية والعلم ، فمن الواجب على الحكومة ان تبدأ بالتأسيس من خلال افهام الشعب اللبناني بان يحافظ على ثروات البلد ، وهذا الامر يتحقق بالإرشاد الثقافي، ومن اجل ذلك دعا بيضون الى بذل كافة الجهود لتحقيق الاهداف الوطنية المتمثلة ببناء جيل جديد يكون صالح صاحب مسؤولية ويطبق الواجبات التي تقع على عاتقه ، لكي يقود لبنان الى بر الامان ، وفي حال تحقق ذلك " نطمئن على مستقبل لبنان ونستطيع النوم ونحن قريري الاعين"^(٢٩) على حد وصفه، وفي جلسة اخرى وفي السياق نفسه تحقق ما يصبوا اليه رشيد بيضون وما طالب به بفتح جامعات ومدارس في لبنان ، فقد ناقش المجلس في جلسته التي كانت بتاريخ ١٣ شباط ١٩٥١ ، مشروع اعتماد اضافي قدره نصف مليون ليرة لغرض انشاء الجامعة اللبنانية بحسب المرسوم المرقم (٤١٨١)، وطرح للمناقشة فاختلعت الآراء بين النواب فمنهم من اشاد بالمدارس والكليات الخاصة واعترض على المشروع، فكان

رشيد بيضون من بين النواب الذين طرحوا رأيهم ، فكانت كلمته عبارة عن امتنان وعرفان الى الحكومة التي قدمت هذا المشروع للدراسة في المجلس، وعدها بادرة لبناء لبنان الجديد الذي يمتاز بالتقدم الثقافي والعلمي، كما انه اشاد بالمدارس الخاصة وعدها ذات فضل على لبنان، لكونها تقوم بواجبها تجاه الطلبة الدارسين فيها ، لكن ذلك لا يعني عدم السماح لبناء جامعات لبنانية وطنية، فأنها المغذي الاساس لبناء الجيل الذي نطمح اليه ، وان هذا الاعتماد جاء لطموحات الشعب اللبناني ، وأضاف بأنه وزملائه النواب يسعون لتحقيق هذه الطموحات ويعلمون ان هذا الاعتماد هو قليل القليل معبراً عن سعيه مستقبلاً لزيادته عن طريق اضافة اعتمادات اخرى والموافقة عليها بكل رحب وسعادة من اجل الوصول الى الهدف الذي يسعى الشعب اليه ^(٣٠)، ويبدو ان المطالب التي نادى بها رشيد بيضون نالت استحسان كبير من الحكومة، مما جعلها تقدم الى مشروع انشاء الجامعة اللبنانية ويعود الفضل الى ما حصلت عليه وزارة التربية الوطنية من استقلال ، بعدما كانت ملحقة بوزارات اخرى .

تلا مقرر لجنة التربية الوطنية والفنون الجميلة رشيد بيضون على المجلس تقرير مفصل حول قانون معلمي المدارس الخاصة الذي يحمل المرسوم المرقم (٣٨٢٩) في جلسة مجلس النواب المنعقدة بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٥١، حيث تناول التقرير ما قامت به اللجنة من جلسات متعددة مع كل من نقابة المعلمين واصحاب المدارس الخاصة ، وتبين لها ان معلمي المدارس الخاصة يعانون من ضغوطات كبيرة.

كما ان بعض المدارس الخاصة مرت بأزمة اقتصادية خاصة بعد الاحصاء الذي قامت به اللجنة اذ وجدت بما يزيد عن (١٣٥) الف طالب وطالبة يدرسون في المدارس الخاصة ، فكان مطلب معلمي المدارس الخاصة ان يكون عليهم ولهم كما لمعلمي المدارس الرسمية ، مثل الترقية وغلاء المعيشة والتعيين ، وبذلك وضعت اللجنة القانون بعد ان اجرت عليه بعض التعديلات الطفيفة ، وقد تجاوزت عدد مواد القانون ٢٥ مادة ، وبعد ان فتح باب النقاش من اجل مناقشة القانون اعلاه ، كان لرشيد بيضون خطاب مطول عاود به شكره وامتنانه للحكومة على ما بذلته من اهتمام حقيقي بوزارة التربية الوطنية

والفنون الجميلة ، ومن اهم ما قامت به الحكومة من دعم مشروع قانون معلمي المدارس الخاصة الذي هو بين يدي المجلس ، كما انه ذكر ما دعاه لإلقاء هذا الخطاب انه سمع همساً من احد النواب بان رشيد كان معترضاً على هذا القانون ، وبذلك برر موقفه من رفضه سابقاً لهذا القانون لكون الحكومة جاءت به غامضاً في مواده ، فانه فسر المادة السابعة عشر التي نصت بما يلي: ((تؤلف بمرسوم خاص لجنة من ممثلين عن الحكومة وعن اصحاب المدارس الخاصة))^(٣١) ، فقد وصفه انه جاء لمصلحة اصحاب المدارس الخاصة الذين يجمعون ثروات طائلة ، لا لأجل المعلمين وحقوقهم وهذا الأمر دعاه للاعتراض عليه ، كما انه ذكر بان لجنة من نقابة المعلمين قصدت اليه وطلبت منه تفسير رفضه لهذا القانون سابقاً ، الذي وصفته اللجنة بان القانون جاء لمصلحة المعلم والمدرسة الخاصة على حد سواء ، لكنه اعلمهم بوجود مدارس خاصة تقبل الطلبة بشكل مجاني ، وهذه المدارس يجب ان يعامل معلموها بحسب القانون الوارد ، لكونها لا تستطيع ان تتحمل تكاليف المعلمين، وقد اوضح للمجلس بان في لبنان يوجد ثلاث انواع للمدارس الخاصة:

أولها: تقبض من طلابها اجوراً عالية وتكون هذه الفئة من المدارس تجني ارباحاً كبيرة في نهاية كل موسم دراسي.

اما الثانية: فيكون اجرها من الطلبة متوسط او مقبول وتكون ارباحها في نهاية كل موسم دراسي معتدل الدخل.

والثالثة: تأخذ من طلبتها رسوم رمزية تكاد ان تكون مجانية وهذه النوعية من المدارس تابعة لجمعيات خيرية وبطبيعة الحال تمر هذه المدارس في نهاية كل موسم دراسي بعجز مالي كبير ، وان هذه المدارس ينتسب لها اعداد كبيرة من الطلاب الفقراء ، وهي لا تستطيع تحمل تكاليف الترقيات وغيرها من غلاء المعيشة والتعويضات.

وعندما علمت الحكومة بما تمر به مدارس الفئة الثالثة قررت مساعدتهم بصرف مبالغ تقدر ب(٤٠٠) الف ليرة لكل موسم دراسي ، وهكذا بين رشيد بيضون موقفه من الاعتراض واقترح ايضاً توفير صندوق يوضع في وزارة التربية الوطنية يحفظ فيه المبالغ الى المعلمين تكون لهم تعويضات عن الخدمة والتقاعد، ويكون ذلك ضماناً للمعلم حسب وجهة نظره.

وقد تابع الامر بنفسه مع وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة وتمكنوا من استحداث مؤسسة اطلق عليها دائرة التعويضات لمعلمي المدارس الخاصة، وان تتفق الحكومة لهذه الدائرة سنوياً ٣٠٠ الف ليرة ، وبهذا اصبح للمعلمين صندوق خاص يضمن حقوقهم ، وقد ذكر ان كل ما ورد اعلاه مفصلاً عمل به سابقاً ، ثم تابع القول حول هذا القانون الذي قامت اللجنة بالتعديل البسيط عليه وانها لم تغير شيئاً من جوهره ، فقد رجا المجلس الموافقة عليه بعد التعديل الذي اجرتة اللجنة، خاصة ان اهم مادتين بالمشروع لم يجري عليها التعديل، التي هي كل من المساعدات المالية والصندوق الخاص ، وقد ذكر الحضور بان المعلم بحاجة ماسة لهذا القانون مستشهداً ببيت من الشعر جاء فيه:

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينفعان إذا هما لم يُكرما

ولاقى خطاب رشيد الترحيب الكبير من نواب المجلس، حيث قام الحاضرون في المجلس بالتصفيق له عند انتهائه من خطابه (٣٢) .

المبحث الثالث: جهوده تربوي اخرى من (١٩٥٢-١٩٦٤):

أجرى مجلس النواب مناقشة مشروع قانون حسب المرسوم المرقم (١١٣) والذي نص على فتح اعتماد اضافي لوزارة التربية الوطنية من موازنة سنة ١٩٥٢ وقدره (١١٨٣٥٠) ليرة، لأجل تعيين ٣٠٠ معلم ومدرس، وكان ذلك خلال الجلسة الثالثة ليوم الثلاثاء الموافق ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٢، وكان لهذا المشروع الكثير من المداخلات من النواب منهم الراض له ومنهم من طالب ببعض التعديلات ومنهم من وافق على الاعتماد، ومن بين هؤلاء النواب رشيد بيضون الذي تحمس جداً لهذا المشروع وصرح بانه

يوافق على اي اعتماد من وزارة التربية دون تردد قائلاً: ((من يفتح مدرسة اغلق سجنًا))، ثم اشار على الحكومة وفي الاخص وزارة التربية ان تقدم مشروع تفرض به التعليم في لبنان ، فانه يسعى ان يكون التعليم في لبنان إلزامياً واجبارياً ، وكذلك طالب وزارة التربية ان تنفذ برنامجها قبل بداية اي موسم دراسي لكونها تؤخر السنة الدراسية اكثر من شهر بسبب التنقلات بين المعلمين من مدرسة الى اخرى، وعقب النائب صبري حمادة على ما تقدم به رشيد بيضون بانه ضم صوته الى صوت رشيد وطالب المجلس الاسراع بالتصديق على تعيين ٣٠٠ معلم (٣٣).

ادرك رشيد بيضون اهمية التعليم وانه السبيل الوحيد في بناء جيل جديد يكون خالي من النعرات الطائفية في لبنان سواء على الصعيد السياسي او الاجتماعي الذي تمثل بوجود تكتلات اسلامية في مواجهة التكتلات المسيحية ، فان العمل على الغاء الطائفية يجب ان يكون من المراحل الابتدائية من خلال تعليم الاجيال تعليماً صحيحاً بعيد عن الاسلوب الطائفي.

كما انه طلب من الحكومة مواجهة المدارس الاجنبية متهماً اياها بأثارة الطائفية بشكل دائم (٣٤) ، وفي سياق متصل ناقش المجلس مشروع قانون اضافة اعتماد لتعيين ٥٠٠ معلم ومدرس في جلسته المؤرخة بتاريخ ١٥ كانون الاول ١٩٥٢ ، فقد اجمع المجلس بالسماح بتعيين ٣٠٠ معلم ومدرس ، وبهذا كانت لرشيد مداخله طلب بها من المجلس اضافة عدد ٢٠٠ اخرين ليصبح العدد ٥٠٠ بحسب طلب وزير التربية الوطنية سليم حيدر (٣٥) كما انه لفت نظر المجلس بوجود مدارس في القرى ما زالت تفتقر الى وجود معلمين ، لذلك طالب من المجلس الاسراع بالمصادقة على اقرار القانون بالكامل (٣٦).

اقترح بعض النواب على الحكومة ،مشروع اعتماد اضافي لوزارة التربية من الموازنة العامة لسنة ١٩٥٨ ، في جلسة مجلس النواب بتاريخ ٤ كانون الاول ١٩٥٨ ، وكان سبب طرح المشروع لما تعرضت له المدارس الرسمية من اقبال كبير من الطلبة للتسجيل فيها ، وان المدارس لا تستطيع استيعاب هذه الاعداد لكونها لا تملك ابنية كافية تضم المسجلين الجدد ولا تملك المال الكافي لاستئجار الابنية، مما

اضطرها الى تأجيلهم لسنة اخرى ريثما تحصل على ابنية، وقد وافق رئيس المجلس عادل عسيران على طرح الامر على حكومة رشيد كرامي الثالثة (١٤ تشرين الاول ١٩٥٨ الى ١٤ ايار ١٩٦٠)، التي وافقت على المشروع ، وبذلك صوت المجلس لصالح المشروع بأكثرية، وفتح باب النقاش على المشروع في الجلسة ذاتها ، وكانت لرشيد بيضون كلمة القاها على مسامع النواب، بدأها بالثناء الى من تقدم بالمشروع ، والى الحكومة التي وافقت عليه، رغم ان موافقتها كانت متأخرة إلا انها مقبولة بحد قوله، ثم اشار على الحكومة بوجوب تشدها على المعلمين الذين يتهاونون بتقديم خدماتهم في المدارس الرسمية معللاً بانهم سبب التفاوت بين المدارس الخاصة التي ترعاها الجمعيات الخيرية ، والتي تقدم نجاحات كبرى على المستوى العملي ، والمدارس الرسمية التي وصفها بتراجع متزايد، وتابع خطابه بتكرار ما تقدم به مسبقاً بوجوب فرض التعليم الاجباري في المدارس، ووجوب المتابعة والتشدد من قبل الحكومة على المدارس، من اجل انشاء جيل متعلم وناضج (٣٧) .

أما عن موقف رشيد بيضون من التعليم المهني، فقد ادرك اهميته وأنشأ مؤسسة مهنية خاصة ، أخذت على عاتقها تعليم المهن مثل النجارة وغيرها ، جاء ذلك اثناء مداخلة رشيد بيضون في مجلس النواب المنعقدة بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩٦٤، والتي ناقش فيها المجلس قضية التعليم الخاص في المدارس المهنية ، ثم اوضح رشيد بيضون انه عندما كان في لجنة التربية الوطنية عمل على هذه المشروع واجرى اتصالات مع المؤسسات الصناعية لكي تقبل من تخرج من هذه المدارس ، ومن ثم قدم رشيد بيضون امتنانه الى حكومة حسين العويني (ايلول - ١٩٦٤/تشرين الثاني- ١٩٦٤) (٣٨) والى وزير التربية الوطنية ادمون كسبار (٣٩) وكذلك الى القائمين والساعين لهذا المشروع.

وقد فسر ملخص المشروع بان تجعل من طلبة المدارس المهنية الخاصة مثلهم كمثّل طلبة العلوم الوطنية الرسمية، كما انه طلب من المجلس تعديل جملة وردت في المشروع في احدى فقرات الاسباب الموجبة للقانون التي نصت:

((واخيراً تقع على عاتق الدولة مسؤولية المحافظة على حق الطالب والسهر ما أمكن لتمكينه من اكتساب المعرفة في ممارسة مهنته))، واقترح ان تكون بدلها ما نصه:
((مع اكتساب المعرفة لممارسة مهنته التي تقوم بها المؤسسات الخاصة للتعليم المهني))^(٤٠). اراد رشيد من اجراء تعديل على النص اعلاه، بان يكون القانون واضح الى اصحاب المدارس المهنية الخاصة، خاصة ان المشروع يتعلق بها، وكذلك اعطاءها مساحة تستطيع من خلالها تقديم نجاحات أكثر.
الخاتمة:

وفي ختام البحث توصل الى الباحثين الى جملة من النتائج جاء في مقدمتها ان تأثير البيئة الاسرية المحبة للعلم والمعرفة كان لها اثر ايجابي في توجهات رشيد بيضون وجهوده المستمرة للمطالبة بدعم وتطوير قطاع التربية والتعليم في لبنان، وقد اثمرت تلك الجهود من خلال وجوده في البرلمان اللبناني بافتتاح عدد كبير من المدارس في قرى ومدن متعددة من لبنان وخاصة جبل عامل، كما اتضح مما تقدم ان رشيد بيضون بذل جهودا كبيرة لتطوير التعليم الوطني، لإدراكه اهمية التعليم في تقدم لبنان وازدهاره، فطالب باستمرار جعل التعليم اجباري ، وتحسين مستوى التعليم في المدارس الرسمية، وكذلك مطالبته بانه يكون للتعليم منهج موحد في جميع مدارس لبنان الرسمية والخاصة لما لذلك من أهمية قصوى في تحقيق الوحدة الوطنية اللبنانية، كما طالب بدعم التعليم المهني الخاص .

واستغل رشيد بيضون دوره التشريعي في اعداد ومناقشة وإصدار العديد من القوانين التي ساهمت بتطور التعليم في لبنان ولعل أبرزها قانون تأسيس الجامعة اللبنانية الذي عده مكسبا وطنيا كبيرا وخطوة مهمة باتجاه استقلال التعليم في لبنان، كما أصر من خلال مداخلته في المجلس النيابي على ضرورة الاهتمام باستقلال وزارة التربية الوطنية واعطاءها الاهتمام الذي تستحقه لأهمية دورها في بناء مستقبل الأجيال اللبنانية وعدم جعلها وزارة ثانوية ملحقه بوزارات أخرى. وشملت جهود رشيد بيضون الاهتمام بالتعليم المهني لأهميته الكبيرة في التنمية الوطنية في لبنان.

الهوامش:

- ١ (جورج تابت: (١٨٩٠-١٩٦٦)، هو سياسي لبناني ولد في بيروت وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة الالباء اليسوعيين، انتقل الى سويسرا وعرف عنه بتقديم المعونات الخيرية وترأس الجمعية الخيرية المارونية في بيروت ١٩٤٢ ودخل السياسة في انتخابات ١٩٢٥ و ١٩٢٩ و ١٩٣٧ وعين بوزارة الداخلية ١٩٢٧ والتربية الوطنية ١٩٣٧، للمزيد ينظر: عدنان محسن ظاهر ورياض غنام، المعجم الوزاري اللبناني سير وتراجم وزراء لبنان ١٩٢٢-٢٠٠٨، (بيروت: دار بلال للطباعة والنشر، ٢٠٠٨)، ص ٧٧.
- ٢ (محاضر مجلس النواب، الدور التشريعي الرابع، العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الخامسة، الجمعة، ١٧ كانون الاول ١٩٣٧.
- ٣ (محي الدين النصولي: (١٨٩٨ - ١٩٦١)، هو محرر صحفي وتاجر وسياسي ولد في بيروت وتلقى علومه في مدارسها، ونال شهادة M.A في الاقتصاد والتربية وبعدها عمل بالتجارة كما اسس جريدة (بيروت) سنة ١٩٣٦، انتخب نائباً عن بيروت، سنة ١٩٣٧، كما عين وزيراً للعدلية والانباء ١٩٥٣ و للمالية ١٩٥٥، وكان له نشاط واسع في القضية الفلسطينية، للمزيد ينظر: عدنان محسن ظاهر و رياض غنام، المعجم الوزاري اللبناني، المصدر السابق، ص ١٨١.
- ٤ (روكز ابو ناضر: (١٨٨٥ - ١٩٥٤) هو سياسي لبناني ولد في غزير وتلقى علومه بمدرسة الالباء اليسوعيين وتعلم الفقه ودخل الحياة السياسية سنة ١٩٢٥ عندما انتخب نائب عن جبل لبنان وشغل مناصب في لجان نيابية متعددة كما شغل مناصب وزارية وعلى رأسها وزارة التربية الوطنية، للمزيد ينظر: عدنان محسن ظاهر ورياض غنام، المعجم الوزاري اللبناني، المصدر السابق، ص ٢٤ - ٢٥.
- ٥ (محاضر مجلس النواب، الدور التشريعي الرابع، العقد العادي الثاني، محضر الجلسة التاسعة، الاربعاء، ٢١ كانون الاول ١٩٣٨.
- ٦ (البازوية: هي مدينة ذات طابع زراعي وتكثر بها زراعة الحمضيات، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي ١٥٠ م، وتقع هذه المدينة عند قضاء صور، كما انها تبعد عن مدينة بيروت العاصمة بمسافة ٨٩ كيلو متر، للمزيد ينظر: طوني مفرج، موسوعة قرى ومدن لبنان، (بيروت: دار نوبليس، بلا)، ص ٢٢٠.
- ٧ (طير زبنا: وهي من القرى الكبرى في جبل عامل حيث تبلغ مساحتها ٢٠٥ هكتاراً ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر

حوالي ٤٥٠ متر وتمتاز بزراعة الحبوب والتبغ لما فيها من ينابيع وعيون، كما انها غنية بمعالم الاثرية وسميت بالشهابية نسبة الى الرئيس فواد شهاب ١٩٥٨-١٩٦٤، للمزيد ينظر: سليمان ظاهر، معجم وقرى جبل عامل، (لبنان: دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٦)، ج ٢، ص ٦٤.

٨ (دير قانون: هي قرية تابعة الى مدينة صور وتبعد عنها ٨ كيلو متر وترتفع عن سطح البحر ١٠٠ متر وبلغ عدد سكانها ٣٠٠ نسمة في احصاء سنة ١٩٣٠، وان أصل التسمية يعود الى السريانية ويعني النظام والقانون وفي العربية يعني المسطرة، وتمتاز هذه القرية بكثرة القطع الفخارية الاثرية وكذلك النقوش الصخرية، للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٦-٣١٧.

٩ (رأس العين: وهي قرية تقع في بعلبك وتبعد عن بيروت ٨٥ كيلومتر وبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر حوالي ١١٥٥ متر ويوجد فيها العديد من الخرائب الاثرية ويوجد فيها خرائب الكنائس ومساجد، وتعرف في لبنان بانها فينيقيا لبنان، للمزيد ينظر: حسن نعمة، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٦.

١٠ (كيفون: وهي قرية تقع في جنوب لبنان عند قضاء عالية في محافظة جنوب جبل لبنان وتبعد عن بيروت بمسافة ٢٥ كليو متر وترتفع عن سطح البحر بعلو بلغ ٨٥٠ متر، ومعنى كيفون اسم حجري او صخري، للمزيد ينظر، المصدر نفسه، ص ٣١٧.

١١ (عين بعال: تعني الرب او السيد في اللغة السريانية وفي العربية تعني العالي او مرتفع وهي تابعة لقضاء صور وتبلغ مساحتها ٦٣٥ هكتارات وترتفع ١٣٠ متر عن مستوى سطح البحر وتمتاز بزراعة الحمضيات والحبوب والزيتون وتكون مصادر مياهها على الابار الارتوازية ومشروع راس العين ، للمزيد ينظر : سليمان ظاهر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٤.

١٢ (زغدرايا :هي قرية تابعة ادارياً الى مدينة صيدا حيث تبعد عنها حوالي ٩ كليو متر ويكون سكانها من الشيعية وقليل من المسحيين ، وترتفع عن سطح البحر ٩٠ متر وتكون مساحة ارضيها ١٣٨ هكتارات وامتازت بزراعة الحمضيات والزيتون والموز والعنب حيث يوجد ينابيع قريبة منها ، للمزيد ينظر: المصدر نفسه ، ج ١، ص ٣٥٦-٣٥٧.

١٣ (عنقون : هي قرية تابعة ادارياً الى مدينة صور وتبعد عنها بمسافة ١١ كيلو متر وبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ٣٥٠ متر وبلغت مساحة اراضيها ٨٣٠ هكتار، وان تسميتها تعني بالصنم او التمثال او اللون الازرق الارجواني

عند اللغة السريانية ، ويسكن هذه القرية الغالبية من الشيعة ، وامتازت بزراعة الحبوب والعنب والزيتون والتبغ ، وكذلك توجد فيها الكثير من الصخور المنقوشة الاثرية ، وتعتمد على الينابيع القريبة منها لسد حاجاتها من المياه ، للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ج٢، ص١٠٧ .

١٤ (حبوش : تقع في قضاء النبطية وتبعد عن مدينة بيروت بمسافة ٦٩ كيلو متر وترتفع عن سطح البحر بحوالي ٤٠٥ متر ، وتبلغ مساحة ارضيها بحوالي ٩٠٠٠ هكتار ، للمزيد ينظر : طوني مفرج ، المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٧٢ .

١٥ (تمنين الفوقا : وهي قرية تابعة ادارياً الى بعلبك وتبعد عن بيروت ٦٢ كيلو متر ويبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ١١٦٠ متر ، ويسكن هذه القرية بعض العائلات السنية والشيوعية ، للمزيد ينظر : حسن نعمة ، الموسوعة اللبنانية المدن ، البلديات ، القرى والاماكن ، (بيروت : دار الرافدين ، ٢٠١٦) ج ٢ ، ص ١٤١ .

١٦ (النبي شيت : وهي قرية تابعة ادارياً الى بعلبك تبعد عن بيروت ٧١ كيلو متر وترتفع عن مستوى سطح البحر ١٢٢٠ متر ، سميت بهذه التسمية نسبة الى نبي الله شيت الابن الثالث لأدم ، وتسكن هذه القرية العائلات الشيعية ، للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

١٧ (كوثرية السياد ، هي قرية تقع في اقليم الشومر التابع لجبل عامل ، وسميت بالسياد لكثرة وجود العوائل التي يرجع نسبها الى الرسول الاعظم محمد (ص) ويعني اسمها بالسريانية المسيح او المورق وفي العبرية تعني رأس العمود ، تقع على مسافة ٢٤ كيلو متر عن صيدا وترتفع عن سطح البحر ٣٠٠ متر وتبلغ مساحة ارضيها ٦٧٦ هكتارات ، وامتازت القرية بكثرة المغارات و كثرة القطع الفخارية الاثرية وكذلك يوجد فيها مقبرة قديمة ومدرسة يعود تاريخها الى القرن التاسع الميلادي ، تشتهر هذه القرية بزراعة التبغ والخضروات والحبوب والزيتون والعنب ويوجد فيها حي يسمى المعصرة لكثرة الزيتون فيها ، للمزيد ينظر : سليمان ظاهر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٠-٢٣١ .

١٨ (طوني مفرج ، موسوعة قرى ومدن لبنان ، (بيروت : دار نوبليس ، بلا) ، ج ٦ ، ص ١٣٦ .

١٩ (للاطلاع على البيان الوزاري يمكن مراجعة ، جان ملحه ، المصدر السابق ، ص ٢٤ - ٢٨ .

٢٠ (محاضر مجلس النواب، الدور التشريعي الخامس، العقد العادي الاول، محضر الجلسة الثانية عشرة ، الثلاثاء ، ٣٠ ايار ١٩٤٤ .

- ٢١ (محاضر مجلس النواب ، لدور التشريعي الخامس ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة التاسعة ، الخميس ، ٢٨ كانون الاول ١٩٤٤ .
- ٢٢ (محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي الخامس ، العقد العادي الاول ، محضر الجلسة الحادية عشرة ، الخميس ، ١٧ ايار ١٩٤٥ .
- ٢٣ (الحكومة الثالثة لرياض الصلح واستمرت من ١٤ كانون الاول ١٩٤٦ الى ٦ حزيران ١٩٤٧ ، للمزيد ينظر : جان ملحه ، الوزارات اللبنانية وبياناتها مع وثيقة الوفاق الوطني في مدينة الطائف (١٩٤٣ - ١٩٩٤) ، ط٢ (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٩٥) ، ص ٣٦ .
- ٢٤ (الدور التشريعي السادس ، الدورة الثانية ، العقد الاستثنائي الاول ، محضر الجلسة الخامسة ، ٧ تشرين الاول ١٩٤٧ .
- ٢٥ (تم عليها بعض التعديلات ومنها استحداث وزارة الانباء ، بموجب مرسوم رقم ١٠ بتاريخ ٦ تشرين الاول ١٩٤٩ والذي كلف بمهام الوزارة شارل الحلو الذي لم يستمر بها طويلاً فقد قدم استقالته بتاريخ ١٥ كانون الاول ١٩٤٩ ، لمزيد ينظر : ماجد خليل ماجد ، تاريخ حكومات لبنان ١٩٢٦ - ١٩٩٦ التاليف - الثقة - الاستقالة ، (بيروت : د.م ، ١٩٩٧) ، ص ٧٣ .
- ٢٦ (رفيف ابي اللمع ، (١٨٩٧ - ١٩٨٠) هو سياسي لبناني ولد في لبنان وتعلم في بيروت و درس الطب في باريس وعين ضابط في الجيش العثماني خلال الحرب العالمية الاولى ، وقد دخل الحياة السياسية اول مرة عند انتخاب نائب لبيروت سنة ١٩٤٧ ، وقد لعب دور سياسي بارز في لبنان كما ان ساهم في خدمة الجامعة العربية وله عدة اوسمة ، للمزيد ينظر : عدنان محسن ظاهر و رياض غنام ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .
- ٢٧ (محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السادس ، العقد الاستثنائي الثاني ، محضر الجلسة الثالثة ، الخميس ، ١٨ كانون الثاني ١٩٥١ .
- ٢٨ (الأونيسكو : هو قصر شيدته الحكومة اللبنانية سنة ١٩٤٨ في بيروت من اجل استضافة المؤتمر العام الثالث لمنظمة اليونيسكو التابعة للأمم المتحدة وكانت مساحته ٢٥٠٠ متر ، للمزيد ينظر ، طوني مفرج ، ج ٦ ، المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

- ٢٩ (محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السادس ، العقد الاستثنائي الثاني ، محضر الجلسة الثالثة ، الخميس ، ١٨ كانون الثاني ١٩٥١ .
- ٣٠ (محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السادس ، العقد الاستثنائي الثاني ، محضر الجلسة التاسعة ، الثلاثاء ، ١٣ شباط ١٩٥١ .
- ٣١ (محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السادس ، العقد الاستثنائي الثاني ، محضر الجلسة الثالثة عشرة ، الثلاثاء ، ٢٧ شباط ١٩٥١ .
- ٣٢ (المصدر نفسه .
- ٣٣ (محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السابع ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة الثالثة ، الثلاثاء ، ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٢ .
- ٣٤ (محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السابع ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة الثالثة عشرة ، ١١ كانون الاول ١٩٥٣ .
- ٣٥ (سليم حيدر : (١٩١١ - ١٩٨٠) هو قاضي وسياسي لبناني ولد في بعلبك وتلقى علومه الاولى في مدارسها ومن ثم سافر الى فرنسا ودرس الحقوق ونال الدكتوراه وعاد الى لبنان وعمل في سلك القضاء حيث شغل منصب المدعي العام ومن ثم عين قاضي واشتغل في السلك الخارجي عن طريق تعيينه سفيراً للبنان في ايران وافغانستان وغيرها من البلدان ودخل انتخابات سنة ١٩٥٣ وعين وزيراً للتربية الوطنية والزراعة وغيرها من الوزارات وله عدة مؤلفات ، للمزيد ينظر : عدنان محسن ظاهر ، المعجم الوزاري اللبناني ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .
- ٣٦ (محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السابع ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة الرابعة عشرة ، الاثنين ١٥ كانون الاول ١٩٥٢ .
- ٣٧ (محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي التاسع ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة السادسة ، الخميس ، ٤ كانون الاول ١٩٥٨ .
- ٣٨ (حسين العويني : (١٩٠٠ - ١٩٧١) هو سياسي لبناني ولد في بيروت تلقى علومه الابتدائية فيها وبسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى توقف عن الدراسة وانصرف الى النضال ضد الانتداب الفرنسي وحكم عليه بالسجن ومن ثم عدل

الى النفي وشارك في انتخابات ١٩٤٧ عن بيروت وعين في مناصب وزارية عدة كما كلف بتشكيل حكومة سنة ١٩٦٤ ، للمزيد ينظر: عدنان محسن ظاهر و رياض غنام ، المعجم الوزاري اللبناني ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

٣٩) ادمون كسبار : (١٩٠٣ - ١٩٨٩) هو محامي وسياسي وكاتب لبناني ولد في جديدة المتن وتلقى علومه الابتدائية في بيروت حتى حصل على شهادة الحقوق وعمل في مكتب والده الذي كان محامي وقاضي وانتخب عضواً في نقابة المحامين وفي سنة ١٩٤٤ انتخب نقيباً للمحامين وشارك في الوفد اللبناني في مؤتمر المصطلحات القانونية في جامعة الدول العربية ومن ثم عين وزير للداخلية سنة ١٩٦٠ والتربية الوطنية سنة ١٩٦٤ وله عدة مقالات ، للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ص ٣٢٥ .

٤٠) محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي الحادي عشر ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة الرابعة ، الثلاثاء ، ٣ تشرين الثاني ١٩٦٤ .

المراجع:

أولاً : الوثائق المنشورة:

أ- محاضر مجلس النواب

١- محاضر مجلس النواب، الدور التشريعي الرابع ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة الخامسة ، الجمعة ، ١٧ كانون الاول ١٩٣٧ .

٢- محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي الرابع ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة التاسعة ، الاربعاء ، ٢١ كانون الاول ١٩٣٨ .

٣- محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السادس ، العقد الاستثنائي الثاني ، محضر الجلسة الثالثة ، الخميس ، ١٨ كانون الثاني ١٩٥١ .

٤- محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السادس ، العقد الاستثنائي الثاني ، محضر الجلسة التاسعة ، الثلاثاء ، ١٣ شباط ١٩٥١ .

٥- محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السادس ، العقد الاستثنائي الثاني ، محضر الجلسة الثالثة عشرة ، الثلاثاء ، ٢٧ شباط ١٩٥١ .

- ٦- محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السابع ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة الثالثة ، الثلاثاء ، ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٢ .
 - ٧- محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السابع ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة الرابعة عشرة ، الاثنين ١٥ كانون الاول ١٩٥٢ .
 - ٨- محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السابع ، الدورة الثانية ، العقد الاستثنائي الثاني ، محضر الجلسة السادسة ، الخميس ٦ اذار ١٩٥٢ .
 - ٩- محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي السابع ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة الثالثة عشرة ، ١١ كانون الاول ١٩٥٣ .
 - ١٠- محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي الخامس ، العقد العادي الاول ، محضر الجلسة الثانية عشرة ، الثلاثاء ، ٣٠ ايار ١٩٤٤ .
 - ١١- محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي التاسع ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة السادسة ، الخميس ، ٤ كانون الاول ١٩٥٨ .
 - ١٢- محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي الرابع ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة التاسعة ، الاربعاء ، ٢١ كانون الاول ١٩٣٨ .
 - ١٣- محاضر مجلس النواب ، الدور التشريعي الحادي عشر ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة الرابعة ، الثلاثاء ، ٣ تشرين الثاني ١٩٦٤ .
- ثانياً: الكتب العربية
- ١- جان ملحه ، الوزارات اللبنانية وبياناتها مع وثيقة الوفاق الوطني في مدينة الطائف (١٩٤٣- ١٩٩٤)، ط٢ (بيروت: مكتبة لبنان ، ١٩٩٥).
 - ٢- حسن نعمة ، الموسوعة اللبنانية المدن ، البلديات ، القرى والاماكن ، (بيروت : دار الرافدين ، ٢٠١٦) ج ٢.
 - ٣- سليمان ظاهر ، معجم وقرى جبل عامل ، (لبنان : دار التعارف للمطبوعات ، ٢٠٠٦).
 - ٤- طوني مفرج ، موسوعة قرى ومدن لبنان ، (بيروت : دار نوبليس ، بلا) .

- ٥- عدنان محسن ظاهر و رياض غنام ، المعجم الوزاري اللبناني سير وتراجم وزراء لبنان ١٩٢٢-٢٠٠٨،(بيروت: دار بلال للطباعة والنشر ، ٢٠٠٨).
- ٦- ماجد خليل ماجد ، تاريخ حكومات لبنان ١٩٢٦-١٩٩٦ التاليف- الثقة - الاستقالة ، (بيروت : دم ، ١٩٩٧).

السياسة الاقتصادية الجديدة في الاتحاد السوفيتي (١٩٢١ - ١٩٢٨)

أ.د. عماد هادي الحجي

كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

الباحث ماهر فليح تومان

المديرية العامة للتربية/ النجف

المقدمة:

هدفت الاساليب والتكتيكات الاساسية التي استخدمها رجال الثورة الاشتراكية عام ١٩١٧ في روسيا بمراحلها المختلفة الى تحقيق اهدافها الجزئية في خدمة الهدف الاستراتيجي العام، فالتكتيك العام يتعلق بأساليب النضال وأشكاله ومناهجه ووسائله المختلفة، اذ ان رجال الثورة حددوا المناهج والوسائل لتحقيق الاهداف والمهام المعينة في ظروف مادية محددة، لهذا فأن شكل الاجراء الاقتصادي وطبيعته وتوقيته تعد عنصراً اساسياً من اسباب نجاح الاجراء وهو الدافع الاول لاختيار الموضوع، فيما شكل التنظيم السياسي للثورة الاشتراكية الدافع الثاني لاختيار الموضوع، اذ ان وجود التنظيم السياسي القادر والفعال والذي استطاع بلورة الحوافز الثورية للجماهير لاحتياجاتها ساعد في ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات وبالتالي توافر عنصرين اساسيين لهذا التنظيم هما:

- ١- الاتجاه الرئيسي الواحد لهذه المجموعة، فالانفاق في الاهداف رغم بعض الاختلاف في الاساليب كان عاملاً من عوامل النجاح في الثورة الاشتراكية ومن ثم خطواتها السياسية والاقتصادية.
- ٢- القاعدة التنظيمية التي يترابطون على أساسها، والواقع ان اهمية المبادئ والبرامج السياسية في التنظيم السياسي، والقواعد التنظيمية نفسها زادت من اهمية البرامج والمبادئ وفعاليتها، ولهذا فان التنظيم السياسي اقتضى جهداً كبيراً في اجراءات الحكومة السوفيتية الاقتصادية في مراحلها المختلفة كما ان قواعد التنظيم متعدد الانماط شمل:

أ- التنظيم السياسي الذي تم حول شخص واحد قائداً وزعيماً.

ب- التنظيم السياسي الذي نشأ حول الأيديولوجية الاشتراكية وأهدافها البعيدة المدى، ومن المسلم به ان وحده المبادئ والاهداف والمصلحة مع الجماعات القيادية وتسلسل المسؤوليات وتبلور الرؤى، والذي شكل دافعاً ثانياً في اختيار الموضوع كما ان عملية التثقيف الاساسية التي عمل عليها رجال ثورة أكتوبر في تثقيف جماهير الشعب تثقيفاً سياسياً واقتصادياً ورفع مستواهم الفكري والعلمي باتجاه تحقيق الاهداف المرجوة وعمل الاجهزة الحكومية في تقديم المشكلات وعرضها ومناقشتها بطريقة عملية واستخدام الاسلوب العلمي والموضوعي ومن ثم الدعائي في تثقيف الشعب سياسياً، ومن ثم تحديد السياسات ومراقبة تنفيذها وذلك بمحاسبة الحاكمين محاسبة سياسية على تصرفاتهم وكان هذا دافعاً ثالثاً في اختيار الموضوع.

طرحنا الدراسة جملة من الإشكاليات والتساؤلات والتي سعت الى الإجابة عنها في متن الدراسة وأهمها ما هو التفسير الاقتصادي للإجراءات الثورية التي قامت بها ثورة أكتوبر الاشتراكية في القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال وما هو الهدف من مواجهة موارد الثروة لخدمة الصالح العام، كما طرحنا الدراسة تساؤلاً هاماً تمثل في الخطوات التي اعتمدتها الثورة الاشتراكية للسيطرة على الاقتصاد الروسي الزراعي والمتمثلة في اجراءات احصائية دقيقة قادت الى عملية التخطيط التي اعتمدتها الحكومة السوفيتية، وقادوا عملية الاحصاء الاقتصادي الحديث فضلاً عن عملية تحليل الدخل القومي واستخدامها للتنسيق من اجل وضع القرارات الخاصة بالسياسة الاقتصادية التي وضعت من اجل التغلب على المشكلات الاقتصادية خلال تلك المدة، كما طرحنا الدراسة تساؤلاً حول دور الاستثمار في الاجراءات الاشتراكية التي قامت بها في المرحلة الثانية من خطواتها الاقتصادية لمعالجة المشكلات الاقتصادية في روسيا وما هي حوافز الاستثمار في النظام الجديد، وما هو الاستثمار الذي تتولاه الدولة الذي اتبع في معالجة المشكلات الاقتصادية في روسيا، كما طرحنا الدراسة تساؤلاً هاماً حول جدوى وعدالة اجراءات

التأميم في المراحل المختلفة التي اتخذتها الحكومة السوفيتية، والذي تمثل بنقل ممتلكات الافراد والشركات الخاصة الى ملكية (الامة) الدولة او الملكية العامة، وهل التأميم بلا تعويض يتناقض مع العدالة الاجتماعية، وطرحت الدراسة تساؤلاً عميقاً حول الاجراءات التي حولت روسيا من بلد زراعي متخلف الى دولة صناعية متطورة في غضون مدة قصيرة.

اعتمدت الدراسة على وثائق الارشيف السوفيتي المنشورة باللغة الروسية (Советские архивные документы, опубликованные на русском языке) والتي تضمنت مجموعة المراسيم والوامر التي أصدرتها الحكومة السوفيتية الخاصة بمعظم الاجراءات الاقتصادية التي اتخذتها الحكومة خلال مدة تطبيق سياسة رأسمالية الدولة، فضلاً عن إجراءاتها خلال تطبيق سياسة شيوعية الحرب، والتي أتمت بمحاولة الدولة عن طريق مراسيمها استعادت السلطة في ظروف تدخل عسكري خارجي من جانب العديد من الدول الاوربية مما أدى الى قيام وضع اقتصادي جديد بالغ الخطورة تجلى في قلة المواد الغذائية الضرورية للشعب السوفيتي فضلاً عن إجراءات معالجة عدم انتظام التجارة الداخلية وانخفاض قيمة العملة وهبوط الانتاج الصناعي، وكذلك اعتمدت الدراسة على وثائق السياسة الخارجية السوفيتية المنشورة باللغة الإنكليزية (Soviet Foreign Policy Documents) والتي تضمنت إجراءات وقرارات الحكومة السوفيتية الخارجية لتعزيز أمنها الاقتصادي ومحاولتها تأمين علاقاتها الخارجية بما يؤمن الاقتصاد السوفيتي لاسيما ما يتعلق بالجوانب الاقتصادية في المعاهدات التي عقدتها الحكومة السوفيتية كمعاهدة رابالو (Rapallo) وكذلك المعاهدات الاقتصادية مع الحكومة البريطانية والالمانية في مختلف سنوات الدراسة وهي مكونة من عدة مجلدات، تسرد مراسلات وبرقيات المسؤولين السوفييت وتصريحاتهم داخل روسيا وخارجها، اذ احتوت هذه المجلدات على وثائق عديدة اشارت الى مفاصل وتطور الاجراءات الاقتصادية التي اتخذتها الحكومة السوفيتية وأثرها على الدول الاجنبية، والمحفوظة في مكتبة معهد الخدمة الخارجية بوزارة الخارجية العراقية.

شكلت المصادر الروسية جزءاً حيوياً في الدراسة لاسيما كتاب المؤلفين ليفاندوفسكي أندري أناتوليفيتش ويوري الكسندروفيتش (Юрий Левандовский Андрей Анатольевич и Александрович) المعنون (روسيا في القرن العشرين) (РОССИЯ В XX ВЕКЕ) والذي قدم دراسة وافية عن الجوانب الاقتصادية في المدة ما بين الحربين وقد ركز الباحث في الخطط الاقتصادية السوفيتية وأمتاز بمعلوماته الدقيقة كون الباحث أطلع على المصادر الرئيسية لاسيما أرشيف الحكومة السوفيتية.

المبحث الأول: السياسة الاقتصادية الجديدة في الاتحاد السوفيتي (١٩٢١-١٩٢٥) السياسة الاقتصادية الجديدة (النيب):

خرجت الحكومة السوفيتية من الحرب الاهلية ظافرة، حتى انها نجحت في تجميع البلاد الخاضعة لسلطتها في اتحاد فدرالي سمي اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، وبلغ عدد نفوسها ١٣٣ مليون نسمة مع العلم ان روسيا فقدت بولندا وجمهوريات بحر البلطيق^(١) (Baltic)، وبساربيا^(٢) (Bsarbia)، ومن ثم نجحت الحكومة السوفيتية الجديدة في اجتياز محنة الحرب الاهلية، لكنها سرعان ما دخلت في ازمة جديدة تمثلت في المشكلة الاقتصادية^(٣).

مثلت سنوات مطلع عقد الثلاثينات سنوات حاسمة في تاريخ الدولة السوفيتية، اذ تمكن الثوار الشيوعيون^(٤) (Communists)، من القضاء على الثورة المضادة وانصارها، وطرد الاغلبية الساحقة من القوات الاجنبية المحتلة للأراضي الروسية، فأثرت هذه السنوات تأثيراً حاداً في الانتاج الصناعي تمثل في انخفاض حاد مجمل الانتاج الصناعي^(٥)، اذ انخفض بمعدل ٨٦٪ عن عام ما قبل الحرب العالمية الاولى فيما هبط الانتاج الزراعي بمعدل الضعف تقريباً، ومما لاشك فيه كون ذلك كان معقولاً ومتوقعاً لأسباب كثيرة في مقدمتها الانتكاسات التي عانت منها السياسة الروسية في عهد القيصر نيقولا الثاني

والهزائم العسكرية التي منيت بها القوات الروسية في الحرب العالمية الاولى وتأثيرها على الاقتصاد الروسي, اذ كانت مفاصل الدولة ضعيفة ومفككة عانى الاقتصاد فيها من الضعف الشديد^(٦).
التزمت الحكومة السوفيتية سياسة إقتصادية جديدة عُرِفَت بالنيب التي إتخذت في الأول من آذار عام ١٩٢١ في الإتحاد السوفيتي تحت إشراف لينين خلال المدة الإنتقالية من الرأسمالية الى الإشتراكية, بعد إنهاء مشاكل التدخل الدولي والقضاء على الحرب الأهلية التي تسببت في إنخفاض الناتج الصناعي السوفيتي بنسبة ٨٦٪ عام ١٩٢٠, مقارنة بعام ١٩١٣, وهبوط مستوى الإنتاج الزراعي بمقدار ٥٠٪^(٧), إذ أن هذه النتيجة كانت متوقعة بسبب السياسة القيصيرية ومساويء الحرب العالمية الأولى من جهة, والثورات الداخلية والتدخل الخارجي من جهة أخرى, التي خلفت عواقبها خسائر إقتصادية كبيرة, بلغت قيمتها ٣٩ مليار روبل, ذهبي, في حين أوردت البيانات الأكثر دقة بأن الخسائر الإجمالية بما فيها ممتلكات السكان حوالي ٥٠ مليار روبل ذهبي, الأمر الذي دمر مفاصل مهمة من الإقتصاد السوفيتي في ميادين الصناعة والزراعة والسياسة المالية والنقدية, مما شجّع لينين والبلاشفة على تبني سياسة إقتصادية جديدة^(٨).

وُضِعَت الحكومة البلشفية الجديدة امام خياران لا ثالث لهما وهما:

١. التمسك بالمبادئ والافكار الماركسية التي اكدها وساندها تروتسكي ذا الافكار المتمتزة والمتمسكة بجزيئات الافكار والمبادئ الماركسية كافة من دون التنازل عن ذلك^(٩).
٢. اللجوء الى جهتين لإنقاذ وانتشال الاقتصاد الروسي المنهار واعادة الحياة له وتمثل الاولى: في القطاع الخاص (Private Sector), الجهة الثانية: تتمثل في القطاع العام (Foright Sector)^(١٠).
مثلت هذه الافكار تناقضاً واضحاً مع التوجهات الماركسية وواجهت معارضة شديدة من قبل بعض الزعماء الاشتراكيين وفي مقدمتهم ليون تروتسكي الذي عد ذلك تراجعاً عن الفكر الثوري الماركسي بل وخيانة له^(١١).

بدأت السياسة التي إستبدلت مصادرة فائض المحصول أو الطعام بأجراءات أخرى بعد المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي^(١٢) (Tenth Congress of the Communist Party)، ضمنت إستخدام ضريبة عينية أو نوعية يستطيع الفلاح أن يبيع ما يفيض عن حاجته في السوق بحرية، ويتم دفع الضريبة بمقدار ثابت^(١٣).

إتسعت هذه السياسة بأنماط مختلفة بالجوانب الإجتماعية والإقتصادية، لأنها اقترنت بالدمج بين النمط الإشتراكي والنمط الرأسمالي المكون من رأسمالية الدولة ورأسمالية القطاع الخاص لإدراك البلاشفة صعوبة تطبيق الإشتراكية في بلد متخلف والقضاء على الرأسمالية، فقد ارتأت منح الرأسمالية مدة مضافة تحت سيطرة الحكومة السوفيتية لتحقيق تقدم إقتصادي^(١٤)، إذ أن وضع خطة إقتصادية لتثبيت أسس الإشتراكية تقنياً ومادياً، كان يعتمد في المراحل الأولى على تأهيل التصنيع الثقيل، لكن صعوبة تحقيق هذه الرغبة بشكل سريع في ظروف صعبة عانت فيها الدولة من قلة الوقود وعدم وجود إحتياطي كافٍ من المواد الأولية، لذلك تقرر ربط عجلة التصنيع الثقيل ببناء ومنح الإستثمارات الفلاحية في الزراعة، لكي يساهم القطاع الزراعي في عملية إعادة الصناعة بما هو ضروري من المواد الأساسية الغذائية والخامات الطبيعية^(١٥)، وفي الوقت ذاته، فإن صناعة الآلات الزراعية والأسمدة المطلوبة في إدامة المزارع تقدم للفلاحين من القطاع الصناعي، لأن قاعدة التحالف الإقتصادي بين الفلاحين والطبقة العاملة أسست لبناء مهام الإشتراكية^(١٦)، إذ أن الإجراءات التي أٌخذت بتشجيع نشاط العمل الحر والإنفتاح على الرأسمال الأجنبي، وعدم التصرف بفائض إنتاج الفلاحين عن طريق الإلتزام بنظام ضريبي جديد، وفي كانون الأول من عام ١٩٢١ قال لينين: "لقد شعر الفلاح بضمان أكبر لنفسه في ظل الضريبة العينية، وارتفع عنده الحافز الإقتصادي"^(١٧).

أرتبطت أساسيات تنفيذ السياسة الإقتصادية الجديدة، بالتعاون في مسألة التجارة والإتجار لاختصار ما يُعرف بـ (رأسمالية الدولة - State capitalism)^(١٨)، إذ أن الرأسمالية القديمة للدولة عنت التسامح مع

الصناعيين الكبار، أما المفهوم الجديد للرأسمالية فيعني تحمل الفلاحين الزراعيين الصغار الذين يقدمون ترشيحاً في جميع الضرورات القاسية، لأنه شكل الانتقال للتقدم نحو الاشتراكية^(١٩).

مثل عام ١٩٢١ مرحلة حرجية على النظام السوفيتي، إذ أدركت الحكومة السوفيتية أنها لا تستطيع الحفاظ على التجربة الشيوعية بأكملها، فقد وصلت القيادة السوفيتية إلى قناعة مفادها أن الاقتصاد السوفيتي لن يعود إلى سابق عهد قبل الحرب العالمية الأولى ولن تثبت فيه الحياة من جديد ما لم يتم التعامل بشكل مرّن مع واقع هذا الاقتصاد وبغض النظر عن التطبيقات الماركسية المتنامية والتي نصت على تملك الدولة لوسائل الإنتاج وعدم فسخ المجال للقطاعين الأجنبي والخاص لما يشكلان من خطر على الاقتصاد السوفيتي^(٢٠)، أذ صرح لينين في ٥ آذار ١٩٢١ في مؤتمر الحزب الشيوعي بقوله تبرهن التجربة على أن الانتقال المباشر إلى الاشتراكية الصرفة يتجاوز قوانا ... أن قوى الإنتاج الرئيسية في حالة عوز وخراب ونفاذ، ولذا يجب إلحاق كل شيء مؤقتاً بهذه الضرورة الأساسية: وهي "أن تزداد كمية منتجاتنا مهما كلف الأمر"، وعلى هذا فإن لينين أعلن عن انطواء استراتيجي يجب العودة فيه إلى توطيد (حافز المصالح الفردية)، لاجتتاب انتكاسة اقتصادية كبيرة، ومن ثم إجراء تسوية مع الأصول إلى الرأسمالية، بمعنى اتباع سياسة اقتصادية جديدة (النيب) ومما لاشك فيه أن السياسة الاقتصادية الجديدة انتهجت^(٢١):

أ- عودة حرية المبادلات

ب- استخدام رأسمال الأفراد (لحقة مؤقتة) مكاناً في الاقتصاد القومي

ج- المحافظة على التنظيم الاشتراكي للإنتاج حيث أمكنها ذلك، ويمكن القول إن السياسة الاقتصادية الجديدة قبلت بوجود قطاع "اشتراكي"، وقطاع "فردى" معاً^(٢٢).

أصدرت الدولة مرسوم ٢١ آذار عام ١٩٢١ الذي اختص بتشكيل هيئة تخطيطية عملت على وضع خطط تنظيمية إقتصادية قصيرة المدى، ومراقبة تنفيذها كخطة عامة للسنوات (١٩٢١-١٩٢٢) وعام (١٩٢٢-١٩٢٣) اللتين أسهمتا في بناء تطوير الصناعة والزراعة وتشجيع التعاونيات الزراعية التي

وصل عددها في عام ١٩٢٥ إلى حوالي ٥٥ ألف تعاونية زراعية بعد أن كانت ٢٢ ألف في عام ١٩٢٢.^(٢٣)

منح القطاع "الخاص والاجنبي" ضمانات لكي يعمل بجد في محاولة لرصد الحيوية للدولة السوفيتية من خلال الموائمة بين القطاعين الخاص والعام، رغم الخشية الكبيرة من ان تؤدي هذه السياسة الى ظهور طبقات وشرائح اجتماعية مترفة في البلاد، في حين حرصت الدولة السوفيتية على ان تكون الدولة الجديدة خالية من أي صراع طبقي أو طبقات تتحكم بالاقتصاد السوفيتي، ورغم ذلك برز عدد غير قليل من التجار والمقاولين والوكلاء والسماسرة، اضافة الى ظهور طبقة من المجتمع الريفي عرفت باسم "برجوازية الريف" أو طبقة الكولاك أو الفلاحين الاثرياء، فضلاً عن الإسهامات الصناعية التي دعت الدولة بالتوجه عام ١٩٢١ نحو إنشاء محطات كهربائية في عموم البلاد للأغراض الزراعية، والتي وصل عددها إلى ٩٥٩ محطة كهربائية^(٢٤)، وبدأ العمل بخطة غويلر^(٢٥) (Keller plan).

قدمت حكومة لينين عند انطلاق السياسة الجديدة تنازلات للأجانب الرأسماليين، كان السعي من ورائها لجذب الغرب وتسهيل إنتعاش الإقتصاد الروسي عن طريق التجارة في أعقاب ظروف سيئة في روسيا لخلق سياسة ترفض الصراع المسلح، وتقبل التعايش السلمي^(٢٦)، إذ أن النتائج الإيجابية للسياسة الإقتصادية تمكنت من زيادة الإنتاج الزراعي واتساع مساحة الأرض المزروعة، وتحسّن محصول الفلاحين بنسبة ٤٠٪ في عام ١٩٢٢، مقارنة بالعام السابق، ونمو التجارة في المدن، فضلاً عن عودة الصناعات الحرفية واليدوية وتنشيط الصناعات الخفيفة^(٢٧).

سهل انتهاء الحصار امكانية اعادة بناء ما خربته الحرب الاهلية وحرب التدخل وانتعاش التجارة الخارجية، فباشرت الدولة بتصدير المواد الاولية بالمقابل استوردت ما كانت تحتاج اليه من الات ومعدات تقنية ومتطورة من الدول الاوربية المتطورة صناعياً^(٢٨)، أذ أن استخدام رأس المال الخاص الواقع تحت سيطرة الدولة، والذي عمل على إنعاش الحياة الاقتصادية وحركة السوق، وساعد الدولة في الأشهر الأولى من

حياة النيب في تطوير الأشكال المختلفة من التعاون التجاري والإئتمان، وكذلك العرض والإستهلاك، وبحلول عام ١٩٢٨ أصبحت أعداد الداخلون في العمل الإنتاجي التعاوني حوالي ٢٨ مليون شخص، أو ثلاثة عشر مرة أكثر مما كان عليه العمل التعاوني عام ١٩١٣ قبل الثورة^(٢٩).

اتخذ الحزب الشيوعي في مؤتمره العاشر الذي عقد في شهر اذار ١٩٢١ قراراً بالتخلي عن سياسة شيوعية الحرب والانتقال الى انتهاج السياسة الاقتصادية الجديدة^(٣٠)، اذ ان المبرر لانتهاج هذه السياسة هو كينونة الاقتصاد المتعدد الانماط وانشاء الانتاج السلعي الصغير في المرحلة الانتقالية وعلى الاخص الاستثمارات الزراعية الصغيرة، فكان من المتعذر على الطبقة العاملة بناء الاشتراكية لوحدها وبدون التحالف مع الفلاحين، فالسياسة الاقتصادية الجديدة ورمت الى وضع قاعدة تحالف اقتصادي وسياسي من الطبقة العاملة والفلاحين لا نجاز مهام البناء الاشتراكي^(٣١) عن طريق:

أ- دمج الصناعات الكبيرة مع الاقتصاد الفلاحي على اساس استخدام العلاقات السلعية النقدية والسوق والغاء الضريبة العينية واحلال النقدية محلها^(٣٢).

ب- استخدام الاجراءات الاقتصادية الاخرى كالعمل على تشجيع العلاقات الرأسمالية في الحياة الاقتصادية، لكن تحت ضوابط محددة وبصورة مؤقتة للإفادة من هذه العلاقات في انعاش النشاط الانتاجي لصالح القطاع الاشتراكي^(٣٣).

استغرق إعادة اصلاح الهيكل الصناعي وقتاً طويلاً، وكان المستوى الإنتاجي الصناعي في عام ١٩٢٣ أقل بكثير من عام ١٩١٣ وأسوأ مما كانت عليه الزراعة، فقد تأخرت الصناعة بسبب رأسمالها الرئيسي المنخفض، وعدم توفير عمالة جيدة وإدارة صناعية كفوءة، ونقص في قطع الغيار وقلة الوقود، فضلاً عن فوضى النقل ورداءة الوسائل المستخدمة^(٣٤).

انخفضت أعداد العمال بشكل كبير خلال المدة (١٩٢١-١٩٢٢) إلى مستوى النصف، خصوصاً في الصناعة، إلا أن التغييرات الاقتصادية التي أجرتها سياسة النيب لم تكن بخطوات ميسورة للعمال، بل

كانت أصعب بسبب إلغاء بعض الحصص المجانية والخدمات واضطرار العمال لشراء بعض الإحتياجات التي كانت تخصص مجاناً، وانخفاض مستوى مرتبات العمال بشكل كبير عن مدة ما قبل الثورة^(٣٥)، إذ أن العمال كانوا يحصلون على أجورهم في الربع الأول من عام ١٩٢١ على شكل أموال نقدية بنسبة ٦,٨٪ من الأجور، وأما المتبقي فيعطى للعامل على شكل سلع وخدمات، وفي النصف الثاني من عام ١٩٢٢ حصل العمال على أكثر من نصف أجورهم على شكل أموال نقدية، والمتبقي منها ظل على شكل خدمات وبضائع، وقد حصل العمال على ٨٠٪ من أجورهم على شكل أموال نقدية خلال الربع الأول من عام ١٩٢٣ و ٢٠٪ قدمت على شكل سلع وخدمات^(٣٦).

أكدت توجيهات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي عام ١٩٢٢ للنشاط الإقتصادي في برقياتها المرسلة لتركستان بأن المسائل الإقتصادية من أولويات السلطة لغرض تنظيم التجارة وزيادة الأراضي الزراعية، وإدامة شبكات الري وتحسين تربية الحيوانات من المواشي، والحفاظ على تثبيت مركزية الدولة في مجال التجارة الخاصة^(٣٧)، أما نقطة إنطلاق السياسة الإقتصادية، فقد بدأت بتحقيق القيود المفروضة على الفلاحين، فقد تراجعت نسبة الذين لا يملكون أراضي من الفلاحين بشكل كبير إثر تزايد الإستثمارات الفلاحية من عام ١٩١٧ حتى عام ١٩٢٧ بمقدار ٨ ملايين روبل، وعاد مجتمع الفلاحين يتصف بالمساواة أكثر منه في أي وقت مضى، وخصوصاً في ذروة سياسة النيب للفترة (١٩٢٤-١٩٢٥) التي مرت بأفضل فترة عرفتها الطبقة الفلاحية في الإتحاد السوفيتي، إلا أن ذلك لم يكن يخلو من ظهور تمايز إجتماعي مع بروز فئة جديدة من الفلاحين الأثرياء في الريف، وقد قابلت هذه في المدن ظهور طبقة جديدة عُرِفَت برجال النيب^(٣٨) (NEP Mens) نسبة لتسمية السياسة الاقتصادية الجديدة بالنيب، فقد تميزوا بعملهم المربح لمشاركتهم في الإستثمار الخاص في التجارة والصناعة، كون السياسة الاقتصادية باعدت في تحول ٧٥٪ من تجارة المفرد للقطاع الخاص، وقد كان غالبيتهم من اليهود، ولديهم رؤوس أموال كبيرة^(٣٩)، إذ أن الحكومة أدخلت إجراءات معينة لتغيير طبقة رجال النيب في المدة (١٩٢٤-

(١٩٢٥)، وفي عام ١٩٢٧ كانت هنالك إجراءات مماثلة لتحديد نشاط طبقة الكولاك في مرحلة الانتقال لبناء الاشتراكية، فقد تمثلت بمصادرة أموال هذه الطبقات، وأخذ أعداداً كبيرة منهم لمعسكرات العمل الإجباري، وقد تضرر اليهود من هذه الأوامر لوجود ١,١٢٠,٠٠٠ يهودياً أُجبروا على ترك أو إغلاق تجارتهم الصغيرة^(٤٠)، وفي أواخر عام ١٩٢٩ إتخذت الحكومة إجراءات تصفية قاسية للكولاك^(٤١).

أُتت ثمار السياسة الاقتصادية الجديدة نتائج إيجابية بعد الإرتباكات المرتبطة بالسياسة النقدية وإعادة السوق وحصول الاختلالات في التوازنات الأساسية، إلا أنه في نهاية الأمر تم اجتياز المشكلات الاقتصادية بدرجة كافية من السرعة، فقد تم جني حوالي ٢,٢ مليار بود من الحبوب في عام ١٩٢٢، أي ما يقارب ٥٠٪ زيادة عن نسبة العام السابق^(٤٢)، وبحصول تحسن في نوعية الزراعة اذ تم خفض المساحات المزروعة لبعض المحاصيل، إلا أن إنتاجها غطى حاجة الدولة، كزراعة القطن التي انخفضت من ٦٨٨,٠٠٠ هكتار في عام ١٩١٣ إلى حوالي ٧٠,٠٠٠ هكتار في عام ١٩٢٢^(٤٣).

أولت السلطة السوفيتية اهتماماً استثنائياً بالتصنيع الثقيل باعتباره القاعدة المادية التقنية للمجتمع الجديد إلا ان تحقيق هذا الهدف تطلب وضع خطة واسعة لكهربة البلاد، ومنذ تلك المدة بدأ الاهتمام يتزايد بكهربة كل فروع الاقتصاد الوطني وعموم البلاد واحتلت هذه المسألة موقعاً بارزاً في الاجراءات الاقتصادية الشاملة وجرى تنفيذها من اجل تصفية مظاهر التخلف وإعادة بناء ما خربته الحرب الاهلية^(٤٤)، اذ انخفض الانتاج الصناعي في عام ١٩٢٠ بالمقارنة مع المدة التي سبقت قيام الحرب الى ٧ مرات وانخفض استخراج الفحم ٣ مرات واستخراج النفط ٢,٥ مرة وانخفض انتاج القماش القطني ٢٠ مرة^(٤٥).

تطورت القطاعات الصناعية بعد تنفيذ الخطة الجديدة حيث ازداد صهر الحديد في نهاية العام الاول من تنفيذ الخطة ٦ مرات، كما ازداد انتاج الفحم بنسبة تزيد على ٢٠٠٪ وتم اصلاح العديد من خطوط السكك الحديدية والتي تضررت في سنوات الحرب^(٤٦).

بلغ حجم الإنتاج الصناعي في عام ١٩٢٢ حوالي خمس مستوى إنتاج عام ١٩١٣، إلا أنه كان مرتفعاً بنسبة ٤٢٪ مقارنة بالعام ١٩٢١، فقد كانت هنالك ستة معامل للأنسجة القطنية في النصف الأول من عام ١٩٢١، في حين ارتفعت إلى ٤٤ معملاً في شهر كانون الأول من العام ذاته، أذ وصل إجمالي إنتاج الأنسجة القطنية عام ١٩٢٢ إلى ٢٤٤٪، وأما الأنسجة الكتانية، فكان يقدر بـ ٢٧٣٪ مقارنة بالعام السابق الذي عادل ثلث إنتاج عام ١٩٢٢^(٤٧).

أما ما يتعلق بإصلاح وسائل النقل، فقد تشكلت حملات تطوعية من الطبقة العاملة لتحقيق إنجازات هامة في مراحل النمو الإقتصادي، والتي بدأت حملاتها من دون مقابل في مختلف أنحاء البلاد، أذ قامت جماعات من طبقة العمال الشيوعية لإصلاح السكك الحديدية والقاطرات والمشاركة في تأهيل مناجم الفحم والمصانع والمعامل بأعداد هائلة أدت إلى نمو إنتاجية العمل التي وصلت في عام ١٩٢٢ إلى حوالي ٥١,٥٪ من مستوى عام ١٩١٣، في حين كانت هذه النسبة عام ١٩٢١ حوالي ٢٩,١٪، لاسيما وإن بعض المصانع المنفردة قد وصلت أعداد العاملين فيها إلى مستوى ما قبل الحرب بشكل تقريبي^(٤٨)، بالرغم من أن نسبة العمال الصناعيين بين السكان كان أكثر بقليل من ١٪ خلال السنة الأولى من عمر السياسة الاقتصادية الجديدة^(٤٩).

أظهرت الخطة الصناعية في النصف الأول من سنوات النيب صورة غير منتظمة في التبادل التجاري بين القرية والمدينة، لأنها لم تكن تزود الفلاحين بالمنتجات الرديئة فحسب، بل تنوعت سلعها غير الضرورية للفلاح، لاسيما وإن بعض المنشآت الصناعية لم تكن قادرة على الإستمرار إلا من خلال الإعتماد على صرف رأسمالها الخاص^(٥٠)، إذ أن المستثمرين في بناء المؤسسات الصناعية لم يحصلوا على ضمان حقيقي، ولم يرغبوا في المخاطرة بأموالهم، لأنهم كانوا غير متأكدين من سياسة الحكومة، فضلاً عن أن الصحافة روجت بصورة علنية أنه في حال أنتج الرأسمال الأساس اللازم للعمل، فإن الحكومة ستضع وسائل السيطرة على هذه الأموال لصالح الدولة^(٥١).

قدمت الحكومة دعوة للمتخصصين القدماء عام ١٩٢٤ من أجل زيادة كفاءة العمل الحكومي وزيادة خبرتها من أجل زيادة إنتاجية التخطيط الصحيح^(٥٢)، أذ ساهمت خطة النيب في النصف الأول من عمرها في زيادة مساحة الأرض المزروعة بمقدار ١٢ مليون هكتار عام ١٩٢٣، قياساً بعام ١٩٢٢، إلا أن ذلك لم يكن في مصلحة المنتجات الزراعية بالقدر المطلوب إثر انخفاض أسعارها وارتفاع أسعار البضائع الصناعية، نتيجة حصول التباين في الأسعار والتي عرفت بـ(أزمة المقص)^(٥٣)، أذ أدت الى حصول (أزمة التصريف) في السلع الصناعية المخصصة للقطاع الزراعي بسبب ضعف المردود المالي للمنتجات الزراعية والذي سبب ضعف القدرة الشرائية للألات الزراعية وتصريف ٢٥٪ فقط من إجمالي المكائن الزراعية التي وصل إنتاج مصانعها الى مراحل بلغت خمس مستوى إنتاج عام ١٩١٣^(٥٤)، إذ لم يكن إنتاج المكائن الزراعية قد حقق ما هو مثمر لصالح النمو الإقتصادي^(٥٥).

ساهمت عوامل عديدة قوضت من عمل سياسة النيب، تعود لأسباب تتعلق بأجراءات النظام الإقتصادي والتنسيق بين فروع الإقتصاد الوطني في مجال الزراعة، والتي أنتجت حوالي ٥٠٪ من الكمية المقرر الحصول عليها من الحبوب عن طريق الضريبة الجديدة، التي عملت في ظل نظام معقد ضمن عدداً من الجداول المختلفة، أذ أثرت بشكل سلبي في عدم جمع الضرائب الزراعية بصورة تامة، وأخفاء الناتج الحقيقي الذي فرضت عليه الضريبة^(٥٦).

أدى تحسن الإنتاج الزراعي والصناعي في النصف الأول من زمن سياسة النيب، الى كثرة موارد التجارة الداخلية وارتفاع رأس المال الذي شحّ في عهد سياسة (شيوعية الحرب)، لذلك أصبح متسع من التفكير في العمل الإنشائي على نطاق واسع في الدولة، وتمتعت البلاد بحرية إقتصادية لمدة ثلاث إلى أربع سنوات، أظهرت شبه ما يُعرف بالنظام الرأسمالي القديم^(٥٧).

المبحث الثاني: الاجراءات الاقتصادية في الاتحاد السوفيتي (١٩٢٥ - ١٩٢٨):

اتخذت الدولة السوفيتية إجراءات صارمة منذ عام ١٩٢٥، خوفاً من عودة الرأسمالية بشكل واضح، فقد أدت إجراءات الحكومة إلى التقيد في وجود الشركات الخاصة وحرية العمل للمبادرات الفردية الخاصة^(٥٨)، وأما بخصوص مستوى التجارة الخارجية، فقد تحسنت منذ بداية النيب، وانتعشت حركة النقل في السكك الحديدية بشكل غير مسبوق، حتى تجاوزت حركة النقل والمرور في عام ١٩٢٦ مستوى الحركة في عام ١٩١٣^(٥٩)، أذ تمكنت السياسة الاقتصادية من إنقاذ البلاد من الخراب والتدمير في الحياة الاقتصادية، على الرغم من الهيكل الإقتصادي المتدهور الموجود في الاتحاد السوفيتي^(٦٠)، ويمكن أجمال الاجراءات الاقتصادية الاساسية خلال تلك المدة بالاتي:

١. إلغاء ضريبة الطعام:

اهتمت سياسة النيب بالجانب الزراعي، عندما قرر المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي في ١٧ اذار ١٩٢١ التوقف عن مصادرة الحبوب واستبدالها بضريبة تدفع عيناً وتتناسب مع المحصول، وترك بين يدي الفلاح المنتج نسبة مئوية من منتجاته، لا تخضع للمصادرة ولا لتحديد الاسعار^(٦١)، اذ أوجدت السياسة الاقتصادية الجديدة في الإقتصاد السوفيتي حداً لإنهاء قوانين سابقة في الضريبة العينية وذلك عن طريق مجموعة من الاجراءات اهمها التي أظهرت إستياءاً جماهيرياً كبيراً، أما عن طريق المعارضة المسلحة، أو المقاومة السلمية الأكثر إعاقة، ليتم استبدالها بحصة محددة من الضريبة، تُقدّر عيناً، وتُجَبى من الحبوب في باديء الأمر، وتغيرت فيما بعد لتصبح ضريبة نقدية منذ عام ١٩٢٢، ومُنح الفلاحون الحق في التصرف فيما يشاؤون بفائض الإنتاج وبيعه في السوق الحرة المفتوحة^(٦٢)، إذ جاء إعتماد هذه السياسة الاقتصادية التي تناولت إستبدال التوسع بالضريبة مع مراعاة مصالح الفلاحين واستعادة النشاط الإقتصادي وزيادة الإنتاج وإيجاد تحفيز لضريبة القيمة الغذائية، وإبقاء فائض الإنتاج بحوزة الفلاح بعد خصم ضرائب من جميع المنتجات، والتي أدت إلى منح فرصة جديدة للفلاحين في زيادة الإنتاج، وحل الجيوش العمالية المكونة لمجموعات شيوعية الحرب، أذ ابتعدت هذه السياسة عن الممارسات التي جرت

خلال مدة الحرب الأهلية بطرق مختلفة، منها استخدام ضريبة ثابتة بدل طلبات الحبوب من الفلاحين^(٦٣).

وضح مرسوم اللجنة التنفيذية لعموم الاتحاد السوفيتي في أيار عام ١٩٢١ كيفية إستبدال المواد الخام والمواد الغذائية بضريبة عينية، وقد دخلت قوانين مماثلة أخرى لتحديد حجم الضريبة العينية وما يتعلق بكل مزرعة للفلاحين^(٦٤)، إذ أن وضع ضريبة المواد الغذائية التي تؤخذ من صافي الإنتاج، أخذت بعين الإعتبار الحالة المعيشية لكل عائلة وعدد أفرادها وحجم المحصول^(٦٥).

حددت الحكومة السوفيتية نسبة ضريبة الحبوب لعام (١٩٢١-١٩٢٢) بمقدار ٥٧٪ من ضريبة عام ١٩٢٠^(٦٦)، إذ أن قيمة الضريبة المضافة كانت ٢٠٪ من صافي المحصول، ثم خفضت إلى نسبة ١٠٪ من المحصول، وأما في العام (١٩٢٣-١٩٢٤) تم وضع ضريبة موحدة للمحاصيل الزراعية لتحل محل الضرائب العينية، والتي تم وضعها بعد الإصلاح النقدي، حيث اتخذت شكلاً مالياً حصرياً^(٦٧).

ألغت الدولة عملية إحتكار الخبز الحكومي والسماح بعملية التجارة الحرة في جميع المنتجات الزراعية الأخرى، وبيع المنتجات المتبقية بقيمة أعلى من المحاصيل المعروضة عليها نسب من الضرائب في السوق الحرة أو إلى الدولة، بقيمة أعلى، وقد أدى هذا العامل إلى تطوير الإنتاج وتحفيز الفلاحين على التوسع في الزراعة، وكذلك السماح بتوظيف العمال وتأجير الأراضي^(٦٨)، إذ أصدر لينين مرسوماً في آب عام ١٩٢١ تضمن السماح للأشخاص البالغين ممارسة التجارة الخاصة وتنظيم الأعمال التجارية بطريقة قانونية^(٦٩).

فرضت الإجراءات الاقتصادية ضريبة عينية على الناتج الزراعي للفلاحين، بدل مصادرة المنتجات الزراعية بطريقة تعسفية وسمح للفلاحين بالتصرف بمنتجاتهم الزراعية وفق ما يرغبون به من بيع بحرية في السوق^(٧٠)، إذ أن الإجراءات المتخذة في السياسات الجديدة تضمنت وضع ضريبة غذائية بعد الحصص المحددة للحبوب، والإعتراف بمبدأ الأجر الذي يعوض عن العمل والخدمات المقدمة للدولة من

أجل عودة الأسعار والضرائب النقدية^(٧١)، كما أن مرسوم استبدال الضريبة العينية فتح الطريق لإحداث تغيير شامل في النظام الإقتصادي بعد استعادة حق بيع الحبوب للفلاح^(٧٢).

بقيت الضريبة العينية التي حلت محل الإجراءات التعسفية ثقيلة في مقدارها المحدد لعام (١٩٢١-١٩٢٢)، أي أدنى بمرتين من المصادرات المنصوص عليها في العام السابق (١٩٢٠-١٩٢١)، ولكنه أكثر بقليل من المصادرات الفعلية للعام ١٩٢١، وإن مسألة التصرف بالفائض لم تكن مستخدمة منذ بدايات خطة العمل الاقتصادية لأن البيع كان إلزاماً للدولة بأسعار منخفضة لمعالجة التضخم، وإيجاد نوع من التبادل المحلي للمنتجات الصناعية والمنتجات الزراعية أشبه بالمقايضة^(٧٣)، إذ دخلت مرحلة التنفيذ الفعلية للتصرف بالمنتجات عن طريق البيع نقداً في السوق الحرة منذ عام ١٩٢٢، وأصبحت الضريبة التي تم إدخالها لنظام الزراعة وفرضها على الفلاحين ثابتة المقدار^(٧٤).

عملت الدولة على تنشيط الحركة التجارية من أجل خلق سوق تجاري حر سمح للفلاح بالتصرف في الفائض من الإنتاج، وإعادة الصناعة الأهلية بعد أن عجزت الصناعة المؤممة من تلبية حاجات الفلاحين، لذلك أخذت عملية التبادل تعتمد النقود^(٧٥)، إذ أن إعادة الأجور النقدية، بعد أن كانت الضرائب والقروض تسود بعد تحديدها الحبوب أو الذهب على أساس أن المعادل المالي للنقود محسوباً على قيمة الروبل الورقي، إلا أن عملية تثبيت النقود تمت بعد كانون الثاني ١٩٢٢، وبذل السلع الاستهلاكية في السوق ما عدا خدمات الماء والكهرباء والبريد والسكن، فكانت مجانية، واستكملت إستبدال الضريبة النقدية بدل الرسوم العينية على الفلاحين في عام ١٩٢٤ لإعادة النقد بصورة جدية^(٧٦)، إذ أن أجور العمال بدأت تتغير منذ مرسوم نيسان ١٩٢١ المتضمن مسألة المكافآت الطبيعية وزيادة المزايا العينية بشكل تدريجي للعمال المنتجة، وفي صيف عام ١٩٢١ بدأت العلاقة تتوثق بين جودة العمل ونسبة الأجور ليعود مرة أخرى إستخدام أنظمة الأجور بالقطعة على نطاق واسع وأعتاد نظام الدولة في التحول إلى الأمور النقدية وخفض الجزء العيني من مستحقات العاملين بعد أن كان الجزء النقدي لمتوسط الأجر الشهري

للعامل في المصنع عام ١٩٢٠ يقدر بحوالي ٧,٤٪، والعيني حوالي ٩٢,٦٪، ثم تغير الجزء النقدي لمتوسط الأجر وبدأ بالارتفاع حتى وصل في نهاية عام ١٩٢٠ إلى ١٩,٣٪، وفي عام ١٩٢٢ وصل الأجر النقدي إلى حوالي ٣٢٪ في النصف الأول من العام، وأما النصف الثاني من نفس العام، فقد بلغ متوسط الأجر النقدي حوالي ٦١,٨٪، وفي بداية عام ١٩٢٣ وصل الأجر النقدي إلى نسبة ٨٠٪ من الأجر الكلي للعامل^(٧٧).

ويبدو ان الغاء ضريبة الطعام واعتماد النقد بدل الضرائب العينية قد زاد من الثقة في المعاملة الاقتصادية بالنسبة للفلاحين والعمال والتجار والتي بدأت تتحول من الاساليب البدائية المعتمدة على الضريبة العينية الى الاسلوب الحديث بالمعاملة بالأساليب النقدية لما وفرت من سهولة الحصول على الضرائب وجنيها بطريقة اكثر يسر دون الحاجة الى الوسطاء الذين كانوا عاملاً مؤثراً في عملية جني الضرائب خلال تلك المدة.

٢. حرية التجارة:

أدخلت الحكومة السوفيتية نظام حرية التجارة الداخلية بعد أن سمحت للفلاح بالتصرف بفائض الإنتاج، إذ أصدرت في ٢٩ تموز ١٩٢١ مرسوماً يجيز التعامل الحر أو العمل التجاري في قطاع التجارة الداخلية، بالرغم من أن التجارة الخارجية كانت محتكرة للدولة، فقد تم وضع إجراءات في الصناعة مماثلة لما تم اتخاذه في الزراعة، وإيجاد نظام جديد يستبدل النظام الإشتراكي الإنتاجي برأسمالية الدولة^(٧٨)، إذ فسحت الإدارة الصناعية المركزية المجال لظهور نظام التقنين الذي تحتفظ من خلاله الدولة بالسيطرة على الإنتاج بشكل واسع، لكنها تسمح للوحدات الإنتاجية الصغيرة بالعودة إلى الأفراد بصورة جزئية في مساحة محدودة من العمل^(٧٩)، إذ أن السماح باستثمار رأس المال الأجنبي عن طريق إدخال نظام الإمتيازات مع إيقاف خطة التوريد للمواد الخام من دون مقابل من المصانع، وجعل كل معمل أو مصنع عائد للقطاع

الخاص أو الدولة يجب عليها دفع مقابل ما تستخدمه من مستلزمات صناعية، وبالتالي أرجعت هذه الإجراءات إدخال العملة في طريقة التعامل مع المؤسسات الصناعية^(٨٠).

هيأت سنوات النيب الأولى لإحياء التجارة الخاصة في المدن الكبرى، مما ساعد على إيجاد نمو تجاري بنشاط ملحوظ في أوساط المجتمع^(٨١)، إذ أن السياسة الإقتصادية للمدة من عام ١٩٢١ إلى عام ١٩٢٤ تضمنت إدخال التجارة الخاصة، وإعطاء هذا النشاط حرية تامة بالعمل وفسح المجال لعمل جمعيات المستهلكين والمنتجين التعاونيين، وإزالة المخاوف الصناعية مع بدء النظام المصرفي والمالي بالعمل وتشجيع المبادرات الخاصة، حتى أصبح تأثير هذه الإجراءات واضحاً للغاية^(٨٢)، إذ أن فسخ المجال أمام السكان من قبل الدولة كان على نطاق صغير في العمل التجاري، ولذلك عملت المدن والقرى في الريف على إقامة تنظيمات إقتصادية خاصة بشكل قانوني للتعايش مع المتاجر والمصانع التي تديرها الدولة^(٨٣).

ويبدو مما تقدم ان باستطاعة الفلاحين بيع فائض منتجاتهم، اذ وافقت الحكومة السوفيتية على اعادة تأسيس الزارع الفردية الصغيرة مع احتفاظها بالمبدأ القائل (الارض ملك الدولة) وإن عودة المشاريع الصناعية الصغيرة المؤممة إلى أصحابها أظهرت زيادة في الإنتاج، مما ساعد على التبادل التجاري للبضائع بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي، واتساع التبادل السلعي بين الريف والمدينة، وتصريف المنتجات الزراعية في المدن، ومن ثم فإن عملية التجارة الحرة أدت لإنعاش المستوى الإقتصادي للفلاحين وأصحاب الأعمال الصغيرة، ودفع إقتصاد الدولة للتقدم ببطء في ظل السياسة الجديدة للإقتصاد^(٨٤).

اعتمدت الحكومة في تنظيم التجارة على ثلاثة أطراف تمثلت بالتجار الخاصين والتعاونيات وأجهزة الدولة، إذ كانت هذه الأطراف في حالة من المنافسة الشديدة فيما بينها، فقد كانت التعاونيات تمارس نشاطاً مشتركاً في الجمع بين تجارة الجملة والمفرد، في حين أن الدولة مارست نشاط الجملة فقط، لاسيما وإن التجار الخاصين مارسوا نشاط تجارة المفرد، وفي بعض الأحيان تجارة الجملة^(٨٥)، إذ أن تحسن أوضاع

العمال وتزايد أعدادهم، بفعل التطورات السياسية للنيب بعيداً عن رؤى الشيوعية الحزبية والمساواة التي طمحت إليها سابقاً، التي يصعب التوفيق فيها مع البلشفية، والذي تمثل بكثرة الإستهلاك المفرط من قبل بعض الأثرياء ورجال الأعمال الجدد في المكون خلال المدة (١٩٢١-١٩٢٤)، لكثرة استخدام الجوانب الترفيهية^(٨٦).

تفوقت التجارة التعاونية وتجارة الدولة على التجارة الفردية للمدة (١٩٢٤-١٩٢٦) نتيجة التغيرات الاقتصادية بسبب تقديم قروض تعاونية وإعانات ودعم تجارة الدولة، وفرض إجراءات جباية الضرائب على التجارة الخاصة، فضلاً عن ضعف الإقتصاد، وقد وصلت عائدات الضرائب من التجارة حوالي ٨٠٪ في بداية عام ١٩٢٥، على الرغم من أن نسبة ما مثله التجار من دافعي الضرائب حوالي ١/٦، وقد انخفضت عائدات الضرائب تدريجياً إلى ٧٨٪ نتيجة فوائد البيع واستخدام ضريبة معدلة للحد من الإجراءات التعسفي للضرائب^(٨٧)، إذ أن حصة القطاع الخاص في تجارة الجملة بلغت حوالي ١٨٪ في السنة المالية (١٩٢٣-١٩٢٤)، مما أكد على أنها وقعت تحت تصرف الدولة، وأما تجارة التجزئة، أي المفردة، فقد بلغت نسبة مبيعات القطاع العام فيها ٢٠٪ للمدة ذاتها، وبلغت حصة القطاع الخاص ٨٠٪^(٨٨).

شجعت الدولة التداول والتبادل التجاري في ظل السياسة الاقتصادية الجديدة إلا أن الفرصة الحقيقية لإيجاد جهاز قائم على التداول المعرفي والمبيعات لم تكن تستغل من قبل الدولة، لعجز بعض جوانب التخطيط الإقتصادي، ولأن قيمة العملة لم تستقر، والأسعار آخذة بالارتفاع، وإن معدلات الضرائب لم تتمكن من إدخال إيرادات كثيرة، مما سبب في عرقلة الإزدهار الإقتصادي، فضلاً عن وجود رقابة صارمة على أنشطة الفرد وقوة عمل محدودة^(٨٩).

ويتضح مما تقدم أن إنهاء الحصار على الدولة السوفيتية سهل مهمة إعادة بناء ما خربت الحرب مما ساهم في أنتعاش التجارة الداخلية والخارجية فباشرت الدولة بتصدير المواد الأولية وبالمقابل أستوردت ما كانت تحتاج الية من الآلات والمعدات التقنية المتطورة من الدول الأوروبية المتفوقة صناعياً.

٣- قانون الأرض:

أ. مزارع فردية:

كانت مسألة الحرص على إنتاج المواد الغذائية ومنع توسعة الملكية العقارية الخاصة، من الأهداف الأساسية للسياسة الزراعية الجديدة في الاتحاد السوفيتي، فضلاً عن التراجع الحكومي في المزارع الجماعية التي شكلت تراجعاً زمنياً في عهد النيب بخطوة واحدة إلى الخلف في مسيرة الإقتصاد السوفييتي لمضاعفتها بخطوتين إلى الأمام، وفسح المجال للعمل بالقدرات الفردية، وتشغيل الفلاحين بالأجور بشكل محدد، وإيجاد طريقة إيجار للأراضي الزراعية بقيود قانونية من أجل إتساع مساحة الأرض المزروعة وزيادة الإنتاج الزراعي^(٩٠).

شرعت سياسة النيب طبقاً لمرسوم عام ١٩٢٢ الخاص بالأرض، والعمل بحذر من تمليك المزارع الفردية، وجعل الأراضي أملاكاً عامة عائدة للدولة يحق للفلاح إستغلالها والسماح بزراعتها بصورة فردية أو جماعية، مع حظر شراء الأراضي أو بيعها أو رهنها، أو توريثها أو إهدائها، حسب ما جاء في الباب السابع والعشرين من القانون، وفسحت الحكومة السوفيتية للفلاح بترك الكومونة القديمة^(٩١) (The Old Commune)، كونها لم تكن ملتزمة بدعمها، وأعطت الحرية للفلاح بأن يصبح مستأجراً بطريقة فردية، واستمرار الرأسمالية الفردية تسيطر على الأراضي الزراعية حتى عام ١٩٢٨^(٩٢).

فسحت السياسة الجديدة للفلاحين بامتلاكهم الأراضي للإستفادة منها واستغلالها من خلال عودة الملكية الفردية للوجود، إثر المساواة بين الرأسمالية والإشتراكية، رغم بقاء الموقع الإشتراكي متفوقاً على الرأسمالية وضمور عملية الربح الفردي^(٩٣)، إذ أن السياسة الإقتصادية قُسمت إلى جزأين، رأسمالي وإشتراكي، فالجانب الإشتراكي أراد به البلاشفة السيطرة على البلاد وإضعاف الرأسمالية، وإن مرحلة القبول بالرأسمالية في السياسة الجديدة هي مرحلة إستسلام جزئي، بغية إعادة الإنتاج على نطاق واسع^(٩٤).

ب. تأجير الأراضي:

منحت الحكومة السوفيتية فرصة للفلاحين من خلال إيجاد مسألة تأجير الأراضي ووضع بعض المؤسسات أو الشركات الصغيرة الصناعية وجزء من المتوسطة ليتم تأجيرها لأفراد أو تعاونيات خاصة، والسماح لعودة الملكية ورأس المال الأجنبي، وامتياز الشركات أي المؤجرة للأجانب، ولكن بكميات محدودة^(٩٥).

فوضت الدولة في تموز من عام ١٩٢١ المجلس الاقتصادي الأعلى والهيئات العائدة له في الأقاليم سلطة الحق بإقامة المشروعات الصغيرة، والسماح لها بالاندماج مع المنظمات التعاونية، أو تركها تحت سلطة السوفيات المحلية، إذا كانت ملتزمة بها، مما مكن من زيادة إيراداتها عن طريق نظام التأجير لإنعاش الصناعات الكبيرة^(٩٦).

عمل إقتصاد البلاد المختلط بشكل نشط في مدة سياسة النيب على الرغم من وجود مراكز القيادة في يد الدولة، كالنظام المالي والموارد الطبيعية والسلطة السياسية والصناعات الثقيلة والنقل، مع سيطرة الدولة على التجارة الخارجية، أما الصناعات الصغيرة والتجارة، فسيطر عليها رأس المال الخاص^(٩٧)، إذ أن مسألة تأجير الأراضي والعمل المأجور إتخذت من قبل الدولة للفلاحين لإعطائهم حرية في تطوير مزارعهم الشخصية والتخلص من القيود الحكومية المفروضة على الفلاح بعد الانتقال إلى فرض الضريبة النقدية على الفلاحين، والحقيقة أن السياسة التي فرضتها الحكومة كانت واضحة بإنعاش القطاع الزراعي وإحداث تغيير إجتماعي، ودعم مزارع الفلاحين الفقراء العاجزين إقتصادياً عن إدامة تلك المزارع^(٩٨).

تضمنت الطريقة التي أمكن من خلالها تقديم تسهيلات وخدمة واضحة للفلاحين، منح قروض للفلاحين الفقراء، والعمل على إلغاء أو تخفيض الضرائب، وتزويدهم بالبذور اللازمة لزراعة الأرض وتوفير لهم الماشية والأدوات المستخدمة في الزراعة، لكن هذه الإجراءات لم تكن تقدم إلا القليل في مساعدة الأسر العاملة في الزراعة، وذلك لاستخدام الكثير منها، البذور المقدمة والماشية، كغذاء تكميلي لمعيشتهم، والتي كانت حصتها تقدر بحوالي ٥٪^(٩٩).

تضمنت خطة العمل الوطنية للمدة ١٩٢٤-١٩٢٥ لغرض بناء الاشتراكية، تأجير الأراضي للفلاحين بطريقة سهلة، وإعطاء صفة الشرعية لتعيين العمال الزراعيين، وتقليل نسبة الضراب الزراعية، وخفض أسعار السلع التصنيع^(١٠٠)، إذ أنعشت سياسة النيب الوضع الإقتصادي للفلاحين المتوسطين، رغم أن عامة البلاد إلتهمت فائدتها، وفي الوقت ذاته فرضت الحكومة قيوداً على مزارع الفلاحين الكبيرة والمزدهرة العائدة للكولاك، والعمل على إزالة فائض الأراضي منهم من أجل إعادة توزيعها لمعادلة حصص الأراضي الزراعية للفلاحين، وفي عام ١٩٢٦ كانت الأدوات المستخدمة في الزراعة، كالمحاريث الخشبية، وغيرها تشكل نسبة ٤٠٪، وكانت حوالي ثلث المزارع لم تكن تمتلك الخيول، مما حدد من مستوى الإنتاج الزراعي، أذ إن السياسة المعلنة للدولة عملت على حظر تشكيل مزارع الكولاك لقيود كبيرة، وفي السنة المالية للعام ١٩٢٦-١٩٢٧ إنخفضت حصة المنتجات الزراعية المرسلة للبيع من قبل الفلاحين وذلك لاستهلاكهم حوالي ٨٥٪ من منتجاتهم، مما أكد على إعادة زراعة الكفاف^(١٠١) (Subsistence farming)، لسد حاجة الفلاحين من الاطعمة الزراعية^(١٠٢).

مثل منح الفلاحين فرصة لاستئجار الأرض لمدة لا تزيد عن عامين فقط، وتوظيف ما يصل لثلث العمال في عام ١٩٢٥، وإن التوفيق بين هذه السياسة والانتقال إلى علاقات السوق خلال المدة (١٩٢١-١٩٢٤) للتحول من الرأسمالية إلى الاشتراكية، أحدث إصلاحات في الإدارة الحكومية والصناعة من خلال تعزيز القطاع الاشتراكي في الصناعة، ونجاح مهمة الدولة في إيجاد صناعة مملوكة لصالحها^(١٠٣).

ج. منح الأفراد رخصاً للقيام بمشروعات خاصة:

سمحت الحكومة السوفيتية للجانب الصناعي في تموز ١٩٢١ بإقامة المشاريع الفردية، و تخلت عن تأمين المشاريع التي وظفت أقل من ٢٠ عاملاً، كما حولت الشركات الاجنبية امتياز استثمار المناجم^(١٠٤).

فسحت الحكومة المجال أمام رأس المال الخاص بصورة محدودة، بسبب النقص الكبير في الإنتاج الزراعي والسلع الصناعية، وقد بادرت الدولة إلى إلغاء التأميم بصورة جزئية عن المنشآت والمشاريع الصغيرة، وبذلك أخذت هذه المبادرة تنهض بإقتصاد البلاد من التدهور الذي أصابه، والبدء بتزايد الإنتاج، وكثرة تصريف البضائع، ونتيجة لشعور الخاصة بضعف الأداء الإنتاجي أمام المؤسسات الكبيرة التي عملت على تمويل السوق بالسلع، ولذلك فقد أخذت المؤسسات ذات المشاريع الخاصة الصغيرة بالتحول لمشاريع جماعية، مما أكد أن المؤسسات العائدة للدولة في المجال الإقتصادي أثبتت تفوقها، قياساً بالمؤسسات الخاصة^(١٠٥)، إذ أن جانبي الزراعة والصناعة كان عليهما مهمة تحسين حياة الإنسان في المجتمع الإشتراكي، وتهيئة الظروف الملائمة والضرورية لتحول البلاد إلى دولة صناعية من الطراز الأول، بعد أن كانت متخلفة إقتصادياً^(١٠٦).

أوقفت السياسة الحكومية التي جاءت بعد عام ١٩٢١ التحديث الزراعي القائم على أسس قديمة، لنزول الإستثمارات الكبيرة الخاصة بالكولاك وغيرهم من طبقتي النبلاء والبرجوازية التي وفرت في عام ١٩١٣ ما يقارب ثلاثة أرباع الإنتاج المسوق، في حين أن كولاك النيب قد وفرت فائضاً محدوداً بنسبة لا تتجاوز ٢٠٪ أثر الإستهلاك العائلي والإستثمارات التي أصبحت متواضعة نتيجة إدخال المساواة في المجال الزراعي من أجل مراعاة الطبقات الفلاحية الأخرى^(١٠٧).

أوضحت البيانات الحكومية أن القوة النسبية لإنتاج القطاع العام شغلت الجزء الأكبر في الإنتاج رغم فسح المجال للقطاع الخاص وإشراكه في مجالات مختلفة، فقد بلغ الإنتاج الحكومي في الجانب الصناعي للمدة (١٩٢٣-١٩٢٤) مليارين وأربعمائة مليون روبل ذهبي، فيما بلغ الإنتاج الخاص للقطاع الصناعي بما فيه الإستثمار الأجنبي بنسبة ١/٣ الإنتاج العام الحكومي، وفي العامين التاليين وصلت قيمة الإنتاج الصناعي للدولة خمس مليارات وثلاثمائة وثلاث وثلاثين مليار روبل، في حين بلغت قيمة الإنتاج في القطاع الخاص حوالي الربع من نسبة الإنتاج الحكومي^(١٠٨).

ويمكن القول ان الحكومة السوفيتية لم تستطع الحياة والاستمرار على وفق مبادئها سوى لسنة واحدة وسرعان ما تخلت عن جزء برنامجها الاجتماعي، ويبدو ان التخلي عن جزء من مبادئ الثورة الاشتراكية لا يعني التجرد عن المبادئ الاشتراكية الاساسية، اذ لم يكن هناك أمام الساسة السوفييت عن الاستعانة بهذا الاسلوب الجديد للتخفيف من اعباء الدولة والازمة الاقتصادية السوفيتية، لاسيما بعد ان خلقت هذه السياسة طبقات جديدة من "اثرياء المزارع الفردية".

شكلت المدة (١٩٢٤-١٩٢٥) مرحلة الإنتعاش الإقتصادي لفعاليات النيب، وهي أفضل مرحلة عرفتتها الطبقة الفلاحية في الإتحاد السوفيتي إثر تزايد الحصول على الأراضي الزراعية، وقلة الأفراد الذين لا يمتلكون أراضٍ صالحة للزراعة من الفلاحين، فضلاً عن تزايد الإستثمارات بين عامي (١٩٢١-١٩٢٧) بمقدار ٨ ملايين روبل^(١٠٩)، إذ أن وفرة المحصول الزراعي في عام ١٩٢٦ دفع الحكومة إلى تخفيض أسعار الشراء للحبوب بنسبة ٢٦٪، مع اتخاذها إجراءات ضغط على المنتجين لإجبارهم على البيع للدولة، مما أدى الى زيادة في الإستهلاك وكثرة في التخزين، فضلاً عن الانتقال لإنتاجات أقل أهمية، وقد أدت هذه الإجراءات إلى مضايقة الكولاك الذين عملوا على تقليص العمل المأجور وتخفيض عمليات البذار ودفع قسماً منهم إلى تصفية مواشيه، حتى سجلت الدولة نتيجة هذه الظروف هبوطاً واضحاً في المنتجات الزراعية^(١١٠).

ويبدو ان السبب المبرر لاتخاذ السياسة الاقتصادية الجديدة والتخلي عن سياسة "شيوعية الحرب" والانتقال الى انتهاج السياسة الاقتصادية الجديدة تمثل في كينونة الاقتصاد المتعدد الانماط وانتشار الانتاج السلعي الصغير في المرحلة الانتقالية لاسيما الاستثمارات الزراعية الصغيرة، فكان من المتعذر على الطبقة العاملة بناء الاشتراكية دون التحالف مع الفلاحين، فالسياسة الاقتصادية الجديدة رمت الى وضع قاعدة تحالف اقتصادي وسياسي من بين الطبقة العاملة والفلاحين إنجاز مهام البناء الاشتراكي وذلك بدمج الصناعات الكبيرة مع الاقتصاد الفلاحي على اساس استخدام العلاقات السلعية الثقيلة والسوق والغاء

الضريبة العينية واحلال النقدية محلها، الى جانب استخدام الاجراءات الاقتصادية الاخرى، كما استهدفت السياسة الاقتصادية الجديدة العمل على تشجيع العلاقات الرأسمالية في الحياة الاقتصادية ولكن تحت ضوابط محددة وبصورة مؤقتة للاستفادة من هذه العلاقات في انعاش النشاط الانتاجي لصالح القطاع الاشتراكي وقطع الطريق امام امكانية تطور هذه العلاقات في الوقت المناسب.

الخاتمة:

١. ان الحكومة السوفيتية لم تستطع الحياة والاستمرار على وفق مبادئها سوى لسنة واحدة وسرعان ما تخلت عن جزء برنامجها الاجتماعي، ويبدو ان التخلي عن جزء من مبادئ الثورة الاشتراكية لا يعني التجرد عن المبادئ الاشتراكية الاساسية، اذ لم يكن هناك بعد أمام الساسة السوفييت عن الاستعانة بهذا الاسلوب الجديد للتخفيف من اعباء الدولة والازمة الاقتصادية السوفيتية، لاسيما بعد ان خلقت هذه السياسة طبقات جديدة من "اثرياء المزارع الفردية".

٢. رمت السياسة الاقتصادية الجديدة الى وضع قاعدة تحالف اقتصادي وسياسي من بين الطبقة العاملة والفلاحين إنجاز مهام البناء الاشتراكي وذلك بدمج الصناعات الكبيرة مع الاقتصاد الفلاحي على اساس استخدام العلاقات السلعية الثقيلة والسوق والغاء الضريبة العينية واحلال النقدية محلها، الى جانب استخدام الاجراءات الاقتصادية الاخرى، كما استهدفت السياسة الاقتصادية الجديدة العمل على تشجيع العلاقات الرأسمالية في الحياة الاقتصادية ولكن تحت ضوابط محددة وبصورة مؤقتة للاستفادة من هذه العلاقات في انعاش النشاط الانتاجي لصالح القطاع الاشتراكي وقطع الطريق امام امكانية تطور هذه العلاقات في الوقت المناسب.

٣. ساهمت سياسة النيب في قلة الأفراد الذين لا يمتلكون أراضي صالحة للزراعة من الفلاحين، فضلاً عن تزايد الإستثمارات بين عامي (١٩٢١-١٩٢٧) بمقدار ٨ ملايين روبل، إذ أن وفرة المحصول الزراعي في عام ١٩٢٦ دفع الحكومة إلى تخفيض أسعار الشراء للحبوب بنسبة ٢٦٪، مع اتخاذها إجراءات ضغط

على المنتجين لإجبارهم على البيع للدولة، مما أدى الى زيادة في الإستهلاك وكثرة في التخزين، فضلاً عن الإنتقال لإنتاجات أقل أهمية، وقد أدت هذه الإجراءات إلى مضايقة الكولاك الذين عملوا على تقليص العمل المأجور وتخفيض عمليات البذار ودفع قسماً منهم إلى تصفية مواشيه، حتى سجلت الدولة نتيجة هذه الظروف هبوطاً واضحاً في المنتجات الزراعية.

٤. مثلت سياسة النيب أنعطافاً هاماً في حياة الشعب الروسي، أذ أنها نظمت العلاقات الاقتصادية بين الصناعة الاشتراكية والانتاج الفلاحي الصغير القائم على الملكية الخاصة وضبطت العلاقات الاقتصادية على أساس التجارة التي كانت الحلقة الاساسية في مهام البناء الاقتصادي، وقد أعار مؤتمر الحزب الشيوعي عام ١٩٢٢ اهتماماً كبيراً للعلاقات التجارية الخارجية في ظل اهتمام الدول الرأسمالية بأعادة علاقاتها التجارية مع السوفييت فكان حضور الاتحاد السوفيتي الاول في المجال الاقتصادي الاوربي في مؤتمر جنوى الاقتصادي.

٥. ساهم أتباع السياسة الاقتصادية الجديدة في تعزيز العلاقات السوفيتية مع الدول الرأسمالية وأبرزها بريطانيا التي كانت رائدة في التعامل مع الحكومة السوفيتية والتي شجعت العلاقات الاقتصادية مع روسيا السوفيتية حتى تجاوزت صادرات بريطانيا الى الاتحاد السوفيتي ملايين الدولارات التي ساهمت في أنعاش التجارة الداخلية السوفيتية والذي بدوره ساعد في أنعاش الاقتصاد السوفيتي بشكل مؤثر، أذ شملت الصادرات البريطانية للسوفييت المواد الصناعية المتطورة لأسيما ما تحتاجه الزراعة والصناعة الروسية من آلات ومكائن متطورة، فضلاً عن القروض البريطانية الواسعة التي منحتها الحكومة البريطانية للاتحاد السوفيتي والتي ساهمت في تحسين الاوضاع الاقتصادية في روسيا.

الهوامش:

(١) بحر البلطيق: يعرف باسم بحر البلطيق في اللغات السلافية والبلطيقية والانكليزية واللاتينية، يعد أكبر مسطح مائي ذو مياه موسمية بين المالحة والعذبة في العالم، يصل طوله حوالي ١٦١٠ كم وعرضه ١٩٣ كم وأقصى عمق له هو ٤٦٠ م

فقط ويوجد قرب الاراضي السويدية مساحته تضاهي ٣٧٧ ألف كم مربع, ويصل طول شواطئه لما يزيد عن ٨٠٠٠ كم, ينظر: هاني عبد القادر عمارة , الماء بين العلم والايمان , ط١, دار زهران للتوزيع والنشر, عمان - الأردن, ٢٠١١, ص٢٤٣.

(٢) بيساربيا: هي منطقة جغرافية تقع في اوربا الشرقية يحدها من الشرق نهر الدينستر (Danier) ومن الغرب نهر بروث (pruth), كان هذا المصطلح يشير الى ما سمته الامبراطورية الروسية شرق مولدافيا التي استولت عليها بعد معاهدة بوخارست بعد الحرب الروسية العثمانية ١٨٠٦-١٨١٢ , ينظر:

Prothero Gee, Bessarabia, Library of congress, for the historical section, Ministry of foreign Affairs, Great Britain, 1920,P.106.

(3) Lestevs amuel Eckman, Soviet policy towards Jews and Israel 1917-1974, U.S.A, 1974, P.39.

(٤) الشيوعيون: هم افراد يؤمنون بان المجتمع بلا طبقات تكون فيه جميع وسائل الانتاج ملكا للشعب إذ سادت المساواة الاجتماعية مع التطور المتناسق للبشرية وتتمو القوى المنتجة بفضل العلم والتقنية الجديدة وكل هذه الامور نظمت في برنامج للحزب الشيوعي في المؤتمر الثاني والعشرين وعرفت هذه الوثيقة بالشيوعية, ينظر: بونوماريوف, القاموس السياسي, ترجمة:عبد الرزاق الصافي, د.ط, دار الفارابي, بيروت, د.ت, ص١٤٦.

(5) Хуторской В.Я., История России Советская эпоха (1917- 1993), 2-е изд., ФАЗИС, Москва, 1995, С.7

(٦) بيير رونوفن, تاريخ القرن العشرين, تعريب: نور الدين حاطوم, دار الفكر الحديث, لبنان, ١٩٦٩, ص٢٠٤-٢٠٥.

(7) Ronald Grigor Suny, The Cambridge History of Russia the twentieth Century, Volume there, first Edition, Cambridge University press, 2006, P.170.

(8) Ратковский С.Л. Худяков, История Советской России. СПб.: Издательство Лань, 2001, С.47.

(9) Lestevs amuel Eckman, Op.Cit, P.39.

(10) Ronald Griger Suny, Op.Cit, P.171.

- (١١) بيير رونوفن، المصدر السابق، ص ٢٠٤.
- (١٢) المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي: هو المؤتمر الذي عقد من (٨-١٦) آذار من عام ١٩٢١، والذي شرع من خلاله لينين في صياغة السياسة الاقتصادية الجديدة التي عرفت بالنيب (NEP) والاستعاضة عن المصادرة بالضريبة العينية، بعد أن أوضح لينين في حديثه للمؤتمر "أن كل شيء يجب أن يدخر لزيادة الانتاج" وقد شكلت جهود هذا المؤتمر لتذليل العقبات الاقتصادية واختيار السياسة التي تمكن الدولة من إعادة نشاطها الاقتصادي بسهولة، فضلاً عن ذلك أتخذ المؤتمر قراراً بمهام الحزب ومسألة القوميات، ينظر: لينين، ضد الجمود العقائدي والانعزالية في الحركة العمالية_مجموعة من المقالات والخطب، دار التقدم، موسكو، ١٩٦٩، ص ٢٢٤.
- (١٣) ج. آ. س. غرنفيل، الموسوعة التاريخية الكبرى لأحداث القرن العشرين، ترجمة ومراجعة: علي مقلد، مج ١، ط ١، الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان، ٢٠١٢، ص ٢٧٤.
- (14) Ратковский С.Л., Ходяков, там же, С.48.
- (15) Юрчио Валерия Сергеевна, Новая экономическая политика в Советском Союзе (1921-1925), кандидатская диссертация, Тюменский университет, 2018, С.19.
- (16) Riasanovsky, Nicolas V. A., History of Russia, New York, Oxford, 1963, P.457.
- (١٧) مقتبس من: أبرام مينشليغنش خافين، موجز تاريخ التصنيع في الاتحاد السوفيتي، دار التقدم، موسكو، ص ٢٧.
- (١٨) رأسمالية الدولة: هو مصطلح يدل في الوقت نفسه على رأسمالية تشرف عليها الدولة وتوجهها وعلى رأس المال الخاص تكون الدولة فيها المالك الرئيسي لهذه الاموال، مع تخلي السلطة السوفيتية عن تطبيق الاشتراكية والمروور بمرحلة اقتصادية تحضيرية انتقالية الى الاشتراكية عن طريق المروور بالرأسمالية، ينظر: توني كليف، رأسمالية الدولة في روسيا، ترجمة: عمر الشافعي، د.ط، مركز الدراسات الاشتراكية للنشر، مصر، ١٩٩٨، ص ٩٣.
- (19) Martin malia, the soviet tragedy- A History of socialism in Russia 1917-1991, printed in the United states of America, New York, 1996, P.116.
- (20) Хуторской В.Я., там же, С.9.
- (21) Lestevs amuel Eckman, Op.Cit, P.40.

(22) Martin malia, Op.Cit,P.117.

(23) Lestevs amuel Eckman, Op.Cit, P.42.

(24) Lestevs amuel Eckman, Op.Cit, P.43.

(٢٥) خطة غويلر: هي أول خطة لتطوير الكهرباء في روسيا وإنارتها بالكامل عن طريق مد الأسلاك وبناء محطات فولخوف وشاتورا - بكرة، والتي أقرت عام ١٩٢٠ من قبل مؤتمر السوفيات الثامن، وتم العمل فيها عام ١٩٢١ على شكل مراحل لغرض إنجازها والتي أتمت خلال الخطة الخمسية الأولى في عام ١٩٣٢، يُنظر: الكسييف، كارتسوف ترويتسكي، موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٤، ص ١٢٥؛ غوسيف ونعوموف، الاتحاد السوفيتي لمحطة تاريخية موجزة، ترجمة: دار التقدم، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٧، ص ١٨٤.

(٢٦) التعايش السلمي: أحد المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية السوفيتية الذي يعمل على خلق توازن بين نظامي الاشتراكية والرأسمالية وتثبيت حسنات النظامين، ليس بواسطة النزاع المسلح، وإنما بواسطة التنافس في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في إطار تعاون الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة، يُنظر:

Park, Jimmy Dwain, Culture, Conflict and Coexistence American-Soviet Cultural Relations

1917-1958, The University of Oklahoma, Doctor A Dissertation, 1980, P.12.

(27) Riasanovsky, Nicolas V. A., Op.Cit, P.459.

(28) Alec Nove, An Economic History of the Usse 1917-1991, Third edition, Printed in England by Clays Ltd, st Ives Pic, 1992, P.97.

(29) Ibid, P.98.

(30) Lestevs amuel Eckman, Op.Cit, P.43.

(31) A. B. Чевардин, Россия в эпоху гражданской войны (1917-1922),
Екатеринбург, Москва, С.64.

(32) Ronald Grigor Suny, Op.Cit, P.178.

(33) Lestevs amuel Eckman, Op.Cit, P.44.

(34) Alexander Baykov, The Development of the Soviet Economic System: An Essay on the Experience of planning in the U.S.S.R, Vol.5, Cambridge, 1947, P.56.

(35) Хуторской В.Я., там же, С.11.

(36) Alec Nove, Op, cit, P.110.

(٣٧) إيفان غروشيف, المسألة القومية في الإتحاد السوفيتي - تجارب وحلول، تعريب: فارس غصوب، د.ط، دار الفارابي، بيروت، د.ت، ص ٩٦.

(٣٨) رجال النيب: هي التسمية تطلق على الأشخاص الذين يعملون في استثمار القطاع الخاص التجاري والصناعي في الاتحاد السوفيتي خلال مدة السياسة الاقتصادية الجديدة (النيب)، ينظر:

Ryam James simon, in the Golden land. Acentury of immigration Russian and soviet Jews in America, Praeger,1997, P.48-49

(39) Riasanovsky, Nicolas V. A.,Op.Cit, P.39.

(٤٠) نجدة فتحي صفوة، بيروبيجان: التجربة السوفيتية لإنشاء وطن قومي لليهود، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٣، ص ٤٠.

(٤١) جان شارل أسلان، التاريخ الاقتصادي للقرن العشرين - صعود الدولة (١٩١٤-١٩٣٩)، ترجمة: أنطون حمصي، ج١، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٨، ص ٣٧.

(42) Harry W. Laidler, History of Socialism: An Historical Comparative syudy of Socialism Communism, Vtopia, Oxford, 2000, P.395.

(43) Alec Nove, Op.Cit, P.97.

(٤٤) أيات عبد الحميد مجيد، اليهود في الاتحاد السوفيتي للمدة ١٩٢٢-١٩٣٩، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، ٢٠١٥، ص ٩٢.

(45) Lestevs amuel Eckman, Op.Cit, P.49.

(46) Хуторской В.Я., там же, С.12.

(47) Harry W. Laidler, Op, cit, P.396.

- (48) A.C. БАРСЕНКОВ, ИСТОРИЯ РОССИИ 1917–2009, Издание третье, Аспект Пресс, Москва, 2010, С.112.
- (49) J.M. Roberts, Europe (1880–1945) General History of Europe, New York, 2013, P.279.
- (50) Ibid, P.281.
- (51) Turin S.P., The U.S.S.R. AN Economic and Social Survey, first edition, London, 1944, P.158.
- (52) Юрчио Валерия Сергеевна, там же, С. 18.
- (٥٣) أزمة المقص: هي أزمة التباين في أسعار المنتجات الزراعية والبضائع الصناعية التي حصلت في أواخر عام ١٩٢٣، إثر تحديد أسعار منخفضة ومحددة للمحاصيل الزراعية، رغم وفرة المحصول، وتحديد أسعار مرتفعة للسلع الصناعية لدعم التصنيع، مما جعل الفلاحين غير قادرين على توفير حاجاتهم من السلع الصناعية، وتأخير القرية في دفع الضريبة للدولة، لذلك اضطرت الحكومة بتخفيض أسعار السلع الصناعية بنسبة ٢٦٪ في عام ١٩٢٤ من أجل استئناف الإنتاج بشكل عام، يُنظر:
- Alexander Baykov, Op.Cit, Vol. 5, P. 57–58.
- (54) Lestevs amuel Eckman, Op.Cit, P.63.
- (55) Martin Malia, Op.Cit, P.119.
- (56) Д.А.С., письмо От святейшего патриарха Тихона Совету Народные комиссары 13 октября 1918 г.
- (57) Harry W. Laidler, Op.Cit, P.398.
- (58) A.C. БАРСЕНКОВ, там же, С.113.
- (59) Ronald Grigor Suny. Op.Cit, P.179.
- (60) Turin S.P., Op.Cit, P.163.

(٦١) آيات عبد الحميد مجيد، المصدر السابق، ص ٩١.

(62) Зариповар. К Валиолин КБ, К., История России XX века, Часть 2, 2002, С.61.

(63) Ronald Grigor Suny, Op.Cit, P.180.

(64) Lestevs amuel Eckman, Op.Cit, P.65.

(65) Тимучинати, Экономическая история России, изд 15, 2009, с. 222.

(66) Ronald Grigor Suny. Op.Cit, P.181.

(67) Тимошенати, там же, с. 223.

(68) Alan M. Ball, Russyas Last Capitalists: The Nepmen (1921–1929), California, 1990, P.21.

(٦٩) آيات عبد الحميد مجيد, المصدر السابق، ص ٩٤.

(70) Alex F. Dowlah and John E. Elliott, the life and times of Soviet socialism Connecticut, 1997, P.394.

(71) Ibid, P.395.

(72) Turin S.P., Op.Cit, P.166.

(73) Хуторской В.Я., там же, С.10.

(74) В.А. Потатуров, ОТЕЧЕСТВЕННАЯ ИСТОРИЯ, Московский институт экономики, менеджмента и права, Москва, 2004, С.68.

(٧٥) فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة، التاريخ الاوربي الحديث ١٨١٥ - ١٩٣٩، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٢، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(76) Alex F. Dowlah and John E. Elliott, Op.Cit, P.394.

(77) Ратковский С.Л. Ходяков, История Советской России. СПб.: Издательство Лань, 2001, С.61.

(78) George Vernadsky, Op.Cit, P.338.

(79) Alan M. Ball, Op.Cit, P.24.

(80) Ibid, P.25.

(٨١) آيات عبد الحميد مجيد, المصدر السابق، ص ٩٥.

(82) Хуторской В.Я., там же, С.13.

(83) Ronald Grigor Suny. Op.Cit, P.180.

(84) Левандовский Андрей Анатольевич и Юрий Александрович, там же, С.238.

(85) Alexander Baykov, Op.Cit, Vol. 5, P.171.

(86) Ronald Grigor Suny, Op.Cit, P.181.

(٨٧) آيات عبد الحميد مجيد, المصدر السابق، ص ٩٧.

(88) Ратковский С.Л. Ходяков, там же, С.61.

(89) Turin S.P., Op.Cit, P.169.

(٩٠) نجدة فتحي صفوة, المصدر السابق، ص ٣٨.

(٩١) الكومونة القديمة: تعبير يطلق على اصغر وحدة في التقسيم الاداري, وهي عبارة عن استثمار زراعي جماعي تضم عدا من الفلاحين وتقوم على الملكية المشتركة, لتوفير الاحتياجات والخدمات على نحو مشترك للعاملين فيها وان الدولة لم تكن ملتزمة فيها بل تحت اشراف كبار الفلاحين, وقد الفيت بعد ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ في روسيا, ينظر: George vernadsky, Op.Cit, P.343

(٩٢) توني كليف, المصدر السابق، ص ٣١.

(93) George Vernadsky. Op.Cit, P.343.

(٩٤) ج. آ. س غرنفيل, المصدر السابق، ص ١٥٧.

(95) Зариповар. К Валиолин КБ, там же, С.61.

(٩٦) لجنة من أساتذة المعهد المالي بموسكو، النظام المالي السوفيتي، ترجمة: أحمد فؤاد بليغ، دار الشروق، القاهرة، ص ٧٥-٧٦.

(97) Тимошенати, там же, С. 239.

(98) Alan M. Ball, Op.Cit, P.24.

(99) Тимучинати, там же, с. 239.

(100) Зариповар К. Валиолин, там же, С.49.

(١٠١) زراعة الكفاف: هي الزراعة التي تعتمد على الاكتفاء الذاتي ويركز فيها المزارعون على زراعة الاطعمة التي تكفيهم لاطعام انفسهم وعائلاتهم وتشتمل هذه المزرعة على مجموعة من المحاصيل والحيوانات التي تحتاجها الاسرة لاطعام واكساء نفسها خلال العام وتكون قرارات الزراعة مع اخذ النظر بما تحتاجه الاسرة خلال السنة في المرتبة الاولى واما اسعار السوق فتكون في المرتبة الثانية, ينظر: جورج فرنادسكي, تاريخ روسيا, ترجمة: سالم الزلينتي, ط١, دار الكتب الوطنية, بنغازي - ليبيا, ٢٠٠٧, ص ٣٢٢.

(١٠٢) فيليب برافيس, موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي, ترجمة: جليل قطو, ط١, مطبعة النجوم, ١٩٦١, ص ١١٩-١٢٠.

(103) B.A. Потатуров, там же, С.71.

(١٠٤) أفرام لوكشين, كيف تم تأميم الاقتصاد في الاتحاد السوفيتي, مطبعة النجاح, د.ت, ص ٢٥-٢٦.

(105) Хуторской В.Я., там же, С.12.

(106) Тимучинати, там же, С. 239.

(١٠٧) جان شارل أسلان, المصدر السابق, ص ٤٤-٤٥.

(108) Alexander Baykov, Op.Cit, Vol. 5. P.59.

(١٠٩) جان شارل أسلان, المصدر السابق, ص ٤٦.

(110) Ronald Griger Suny. Op.Cit, P.170.

المراجع:

أولاً. الوثائق:

1. Д.А.С., письмо От святейшего патриарха Тихона Совету Народные комиссары 13 октября 1918 г.
2. S.D.F.P, Appeal From the Council of People's Commissars to the toiling masses of England, America, France, Italy and Japan on Allied Intervention in Russia, 1 August 1918, Kluchnikov & Sabanin, ii.

ثانياً. المراجع العربية والمعرّبة :

١. أبرام مينشليغنش خافين, موجز تاريخ التصنيع في الاتحاد السوفيتي, دار التقدم, موسكو.
٢. أفرام لوكشين, كيف تم تأميم الإقتصاد في الاتحاد السوفيتي, مطبعة النجاح, د.ت.
٣. آيات عبد الحميد مجيد, اليهود في الاتحاد السوفيتي للمدة ١٩٢٢-١٩٣٩, رسالة ماجستير, كلية التربية للبنات, جامعة البصرة, ٢٠١٥.
٤. إيفان غروشييف, المسألة القومية في الاتحاد السوفيتي - تجارب وحلول, تعريب: فارس غصوب, د.ط, دار الفارابي, بيروت, د.ت.
٥. بيبير رونوف, تاريخ القرن العشرين, تعريب: نور الدين حاطوم, دار الفكر الحديث, لبنان, ١٩٦٩.
٦. ج. آ. س. غرنفيل, الموسوعة التاريخية الكبرى لأحداث القرن العشرين, ترجمة ومراجعة: علي مقلد, مج ١, ط ١, الدار العربية للموسوعات, بيروت - لبنان, ٢٠١٢.
٧. جان شارل أسلان, التاريخ الاقتصادي للقرن العشرين - صعود الدولة (١٩١٤-١٩٣٩), ترجمة: أنطون حمصي, ج ١, منشورات وزارة الثقافة السورية, دمشق, ١٩٩٨.
٨. جورج فرنادسكي, تاريخ روسيا, ترجمة: سالم الزليتي, ط ١, دار الكتب الوطنية, بنغازي - ليبيا, ٢٠٠٧.
٩. بونوماريوف, القاموس السياسي, ترجمة: عبدالرزاق الصافي, د.ط, دار الفارابي, بيروت, د.ت.
١٠. توني كليف, رأسمالية الدولة في روسيا, ترجمة: عمر الشافعي, د.ط, مركز الدراسات الاشتراكية للنشر, مصر, ١٩٩٨.
١١. فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة, التاريخ الاوربي الحديث ١٨١٥ - ١٩٣٩, ط ١, دار الكتب للطباعة والنشر, الموصل, ١٩٨٢.
١٢. فيليب برافيس, موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي, ترجمة : جليل قطو, ط ١, مطبعة النجوم, ١٩٦١.
١٣. الكسييف, كارتسوف ترويتسكي, موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي, دار التقدم, موسكو, ١٩٧٤.
١٤. غوسيف ونعوموف, الاتحاد السوفيتي لمحّة تاريخية موجزة, ترجمة: دار التقدم, دار التقدم, موسكو, ١٩٧٧.
١٥. لجنة من أساتذة المعهد المالي بموسكو, النظام المالي السوفيتي, ترجمة: أحمد فؤاد بليغ, دار الشروق, القاهرة.

١٦. لينين، ضد الجمود العقائدي والانعزالية في الحركة العمالية_مجموعة من المقالات والخطب، دار التقدم، موسكو، ١٩٦٩.

١٧. نجدة فتحي صفوة، بيروبيجان: التجربة السوفيتية لإنشاء وطن قومي لليهود، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٣.

١٨. هاني عبد القادر عمارة ، الماء بين العلم والايمان ، ط١، دار زهران للتوزيع والنشر، عمان - الأردن، ٢٠١١.
ثالثاً. المراجع الانكليزية :

1. Alan M. Ball, Russyas Last Capitalists: The Nepmen (1921-1929), California, 1990.
2. Alec Nove, An Economic History of the Usser 1917-1991, Third edition, Printed in England by Clays Ltd, st Ives Pic, 1992.
3. Alex F. Dowlah and John E. Elliott, the life and times of Soviet socialism
Alexander Baykov, The Development of the Soviet Economic System: An Essay on the Experience of planning in the U.S.S.R, Vol.5, Cambridge, 1947.
4. Harry W. Laidler, History of Socialism: An Historical Comparative syudy of Socialism Communism, Vtopia, Oxford, 2000.
5. J.M. Roberts, Europe (1880-1945) General History of Europe, New York, 2013.
6. Lestevs amuel Eckman, Soviet policy towards Jews and Israel 1917-1974, U.S.A, 1974.
7. Martin malia, the sovit tragedy- A History of socialism in Russia 1917-1991,printed in the United states of America, Newyork, 1996.
8. Park, Jimmy Dwain,Culture,Conflict and Coexistence American-Soviet Cultural Relations 1917-1958, The University of Oklahoma, Doctor A Dissertation, 1980.
9. Prothero Gee, Bessarabia, Library of congress, for the historical section, Ministry of foreign Affairs, Great Britain, 1920.
10. Ronald Grigor Suny, The Cambridge History of Russia the twentieth Century, Volume there, first Edition, Cambridge University press, 2006.

11. Ryam James simon, in the Golden land. Acentury of immigration Russian and soviet Jews in America, Praeger,1997.

12. Turin S.P., The U.S.S.R. AN Economic and Soclal Survey, first edition, London, 1944.

رابعاً. المراجع الروسية:

1. А. В. Чевардин, Россия в эпоху гражданской войны (1917–1922), Екатеринбург, Москва.

2. А.С. БАРСЕНКОВ, ИСТОРИЯ РОССИИ 1917–2009, Издание третье, Аспект Пресс, Москва, 2010.

3. В.А. Потатуров, ОТЕЧЕСТВЕННАЯ ИСТОРИЯ, Московский институт экономики, менеджмента и права, Москва, 2004.

4. Зариповар. К Валиолин КБ, К., История России XX века, Часть 2, 2002.

5. Левандовский Андрей Анатольевич и Юрий Александрович, РОССИЯ В XX ВЕКЕ, 3–е изд., Московский университет, Москва, 1999.

6. Ратковский С.Л. Ходяков, История Советской России. СПб .: Издательство Лань, 2001.

7. Тимучинати, Экономическая история России, изд 15, 2009.

8. Хуторской В.Я., История России Советская эпоха (1917– 1993), 2–е изд., ФАЗИС, Москва, 1995.

9. Юрчико Валерия Сергеевна, Новая экономическая политика в Советском Союзе (1921–1925), кандидатская диссертация, Тюменский университет, 2018,

С.19. Riasanovsky, Nicolas V. A., History of Russia, New York, Oxford, 1963.

الإمام علي "ع" وسياسته مع معارضيه

أ.د. عهود حسين جبر

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

يؤمن الامام (ع) بحريّة الإنسان وكرامته وينطلق من مبدأ اسلامي انساني فيما يخصّ الإنسان وحقوقه ، فهو يؤمن بحق الانسان في العيش بسلام وحرية ومن هذا الاطار نجد الامام (ع) يحترم الرأي الآخر ويقر بمبدأ الحوار ، ومن أبعاد هذه الحرية لديه ، الحرية السياسية وتلحق بها حرية المعارضة ، وقد وضع الامام (ع) شروطا لهذه المعارضة حتى تكون في الاطار الصحيح .

إن الحديث عن المعارضة السياسية تعني الحديث عن معارضة المنهج الذي تسير عليه الحكومات في ممارسة السلطة والتوجهات السياسية التي تستند اليها .

ولكن هل كانت المعارضة التي ظهرت كالأخطبوط عند تسلم الامام علي (ع) السلطة منطلقة من معارضة واقع سياسي غير قويم؟

في حقيقة الامر ان كل الاطراف التي ظهرت معارضة الامام (ع) لم تعترض على منهج اتبعه الامام (ع) عند تولي السلطة وإنما كانت لها اهداف مصلحة وطمع في الاستحواذ على مقاليد الامور ، إذ لم يكن الامام (ع) الا إماما عادلا تقيا يراعي مصلحة رعاياه من المسلمين وغير المسلمين من أهل الذمة .

ناهيك عن المدة القصيرة التي تولى فيها الامام (ع) زمام الامور ، فلم يمض منها الا خمسة اشهر وكانت حرب الجمل ومن بعدها حرب صفين .

وقد اتبع الامام (ع) المبدأ الاسلامي في كل افعاله واقواله قبل ان يتولى السلطة وبعد توليها ، ولم يهادن في الحق قيد انملة ، هذه الحدية وعدم المهادنة بالحق كلفت الإمام (ع) الكثير في حياته ، واصبح له

معارضون ، عملوا في السر والعلن لتقويض خلافته ، طمعا للأموال والسلطة وحباً بهما بل وصل الامر أن تكون حياته ثمنا لهذه المواقف .

وكان الإمام ع -على الرغم من امتلاكه السلطة والقوة- كان صبورا على اعدائه ومعارضيه الى ابعد الحدود، ولم يترك سبيلا لإقناعهم حتى يعودوا الى رشدهم ، من خلال الحوار البناء الذي يحترم فيه الامام قيمهم وقناعاتهم .ولكنه في نهاية الامر ،اضطر (ع) لخوض ثلاثة حروب ضد معارضيه عندما وجد أن هؤلاء يهددون أمن البلاد ويستبيحون دماء المسلمين .

فكانت حربان ضد قريش ومن انضوى تحت لوائها هما الجمل وصفين، اما الحرب الثالثة فكانت ضد الخوارج الذين خرجوا عن طاعة الامام وشكلوا حزبا لمعاداته، فكانت معركة النهروان .

وركّز البحث على الاسباب التي اوجدت المعارضة، والاشخاص الأبرز في معارضة الإمام علي (ع) ، وكيف تعامل معهم ، الى جانب ما وجه به اصحابه وجماعته في التعامل مع الطرف الآخر .

ولم تتوقف معارضة أعداء الإمام (ع) على حياته ح بل استمر هذا العداء حتى بعد مماته والى يومنا هذا.

التمهيد: المعارضة السياسية وموقف الامام علي (ع):

إن أمير المؤمنين (ع) قد اعطى للناس حقوقا ومنها حق المعارضة لحكوماتهم، مثلما ذكرنا سابقا وقد وضع ضوابط واسس لهذه المعارضة، وقبل ان نتطرق الى نظرة الإمام للمعارضة لابد ان نعرّف بالمعارضة حتى يكون منطلقا لمعرفة هذا الحق عند الامام (ع) ، فالمعارضة هي: (معارضة للنهج الذي

تتبعه الحكومة في ممارسة السلطة وللتوجهات السياسية التي تعتمدها) (١)

وقد كان الامام علي (ع) يؤمن ايمانا مطلقا بحق المعارضة السياسية ويضفي عليها الشرعية من خلال اقواله وافعاله.

وكان منطلق الامام (ع) (ينبع من رؤية اسلامية وفهم عميق لها من جهة من جهة ورؤية سياسية ناضجة لأهمية المعارضة كأداة لتقييم وتقويم وتغيير السلطة الحاكمة من جهة أخرى) (٢) وقد عدّ الامام (ع) تلك المعارضة ركيزة نحو التغيير إذا اقتضت الضرورة للتغيير أو تكون للمعارضة سلوكاً يوقف صاحب السلطة عن ممارسة الانحراف .

وقد حدد الامام (ع) المعارضة بجملة ضوابط حتى يكون الحاكم مستحقاً للخروج عليه اذا انطبقت عليه منها: المساس بالشريعة الاسلامية إذ يذهب الامام (ع) الى عزل الخليفة إذا أحدث حدثاً ،والحدث هو ابتداء البدع التي لم تذكر في الكتاب والسنة النبوية ، ومن هذه الضوابط ايضاً ،الضعف السياسي والاداري ،والخيانة المالية وإشاعة الفقر في المجتمع ،وكذلك الاستبداد والظلم من قبل الحاكم ،وقد اعطى الناس الحق في الخروج على الحاكم الظالم وقد ذكر ذلك في معرض حديثه عن الخوارج عندما ذكروا عنده فقال : (إن خرجوا على أمام عادل فقاتلوهم وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم) (٣).

ولابد للمعارض ان يمتلك من السمات الشخصية التي تؤهله أن يكون معارضاً ف (ادعاء الثورية ورفع الشعارات ليست هي الجوهر الحقيقي للمطالبة بالحق بكل حالاتها وظروفها فنجدته يقول عن احد شعارات الخوارج (لا حكم الا لله) (٤) بأنه (كلمة حق يراد بها باطل) (٥) .

ويجب لمن يتبنى خط المعارضة السلطة بحالة من الوعي الفكري من جهة ، ونمط من التهيئة العقائدية والنفسية من جهة اخرى . (٦).

وعندما تسلم الامام (ع) السلطة ، ظهرت جهات عدة وقفت معارضة حكم الامام ، وقد اعطى الامام (ع) الحق لهؤلاء في معارضة سياسته وحكمه وقد كان يحترم وجهة النظر الاخرى المعارضة لوجوده في السلطة وقد (تجسد هذا النوع من المعارضة بجهة طلحة والزبير ومن معهما وجهة معاوية وكذلك حركة الخوارج فيما بعد) (٧).

وقد اتبع الامام علي (ع) اسلوب الحجاج في حوارهِ مع هؤلاء، ومن ذلك حوارهِ مع طلحة والزبير الرؤوس الابرز في معارضته، سائلا اياهما عن سبب معارضتهما لحكمه قائلاً: (أفوق حكم او حق لأحد من المسلمين فجهلته او ضعفت عنه؟ قالوا: معاذ الله) (٨)

وبذلك (عدّ الامام (ع) معارضيه فاقدين لشرعية الخروج عليه كونه حاكماً للامة لم يقصر او يضعف في اداء المهمات الملقاة على عاتقه) (٩)

المبحث الأول: أسباب معارضة الامام (ع):

اختلفت الامور بعد وفاة الرسول (ص) ولاسيما بعد تسلم عثمان الخلافة واصبحت الامور تبتعد عن النظام الذي أقره الاسلام ، فقد قرّب عثمان اقرباءه من بني امية واخذ يوزع عليهم المناصب والاموال من دون عدالة واستحقاق ، وقد كان الامام علي (ع) غير راض عن هذا الواقع الفاسد ، ولكنه كان لا يملك السلطة لتغيير الامور ورد الحق الى نصابه ، وبعد مقتل عثمان ، اتجهت الانظار الى الامام (ع) ولم يقبل في بادئ الامر لاختلاط الامور وتعقيدها اذ قال: (دعوني و التمسوا غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب و لا تثبت عليه العقول) (١٠)

ولكنه نزل بعد ذلك عند الحكم ، وكان من اسباب قبوله، حتى يكون في المكان الذي يستطيع فيه أن يعيد الامور الى نصابها ويصلح ما اعوج منها .

ويبدو ان الامور كانت مضطربة ومختلطة قبل مقتل عثمان وبعد مقتله، وقد استلم الامام الحكم في هذه الظروف الصعبة وقد تضععت اركان الدولة الاسلامية وتصدعت، وما لبثت الامور ان تدهورت اكثر وتقسّمت الدولة بعد ذلك الى شيع وجماعات وقفوا بالصد من الامام وخلافته .. (وكانت مهمة شاقة بانتظار علي (ع) الذي كان عليه ترميم الدولة والتسريع بوضع حلول لوقف الانهيار فيها .. محاولاً إنقاذ

الوضع وإعادة اللحمة للجماعة التي اصببت بالصميم ، وأهم من ذلك وأد (الفتنة) التي اتسعت دائرتها وتشعبت أطرافها) (١١)

وما ان تسنم الامام (ع) السلطة حتى تغيرت الامور ، وكان من اولوياته تغيير الواقع الاجتماعي الجديد والرجوع الى ما أقره النبي الكريم في المساواة بين ابناء المجتمع من المسلمين وغير المسلمين الذين يعدّون رعايا الدولة .

وقد حرص الامام (ع) عندما تولى الخلافة على المساواة بين المسلمين في العطاء ولم يفضل احدا على احد لأي سبب ، وقد اتبع الامام (ع) مبدأ المساواة في العطاء من دون النظر الى أية ميزات بين أبناء المجتمع الواحد حتى أنه الغى إعطاء المجاهدين مع الرسول أكثر من غيرهم إذ (رأى إن التقوى والسابقة في الاسلام والجهاد والصحة للرسول لا تمنح أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا وإنما لتلك المزايا ثوابها في الآخرة) (١٢)

ومن كلام للإمام (ع) لما عوتب على مساواته الناس في العطاء من غير مراعاة لأصحاب السابقات في الاسلام قال: (أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيْتُ عَلَيْهِ وَ اللَّهُ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَمَا أَمْ نَجَمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا وَ لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ) (١٣)

وكان أول عمل قام به الامام (ع) بعد توليه الخلافة هو عزل ولاية الخليفة السابق عثمان بن عفان .. بما فيهم والي الشام معاوية بن سفيان . رأس الفتنة في الإسلام . واستبدلهم بآخرين ، وهنا بدأت معركته علانية مع معاوية . والوالي اللئيم المتستر وراء خلافة عثمان الأموي .

(معاوية - المعزول عن ولايته . رفع قميص عثمان لأسباب سياسية، تتلخص بمحاولته البقاء في السلطة وتحدي الظروف الجديدة بأية وسيلة كانت) (١٤). ويبدو ان معاوية كان يريد الحكم لنفسه، ولم يترك سبيلا

لتقويض حكم الامام علي الا سلكه، و قد كَوّن جبهة انضم اليها كل من اراد ان يعارض الامام علي (ع) الى جانب ذلك اعتماده تلك الاساليب القذرة لإغراء الناس للانضمام الى معسكره المعارض .

وقد نجح المعارضون في تحريض الجنود ليطالبوا بأمور مادية ، فإن لم يستجب الامام ، فمعاوية موجود يحقق لهم ما أرادوا، لذلك نجد جماعة منهم قد هددوا بالالتحاق بمعاوية ان لم يُستجب لمطالبهم ، وهي مطالب مادية بطبيعة الحال ، لكن الامام (ع) لم يستجب لهم لأنه يعرف ما تتطوي عليه نفوسهم من طمع. إن هذا الإصرار على الحق والعدالة في سياسة الامام علي (ع) والتطبيق الصارم لأحكام الشريعة، والمساواة بين الناس في العطاء ،لم يعجب الكثيرين منهم وهو الذي أثار سخطهم ، فتآمروا لا زاحته، فانقسم الناس في ذلك الوقت الى فريقين بين مؤيد لحكم الامام ومعارض له ، ولكن الامام لم يجبر أحدا لالتحاق به ، وبذلك يكون الامام من اوائل المطبقين للديمقراطية في سياسته ، (فلم يلجأ الى قهر مادي أو معنوي فالقهر مناف لأصول النظرة العلوية الى الحرية) ^(١٥) وهو في الحقيقة إنما كان يعرف معرفة دقيقة بأخلاق من تخلف عنه ويدرك ما انطوت عليه قلوبهم من طمع وتهافت على الدنيا وإقبال عليها ، فلما كتب اليه عامله على المدينة سهل بن حنيف الانصاري بأن قوما من أهلها لحقوا بمعاوية كتب علي (ع) اليه (أما بعد فقد بلغني أنّ رجالا من قبلك يتسللون الى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم فإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها ومسرعون، قد عَرَفُوا العدل وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَعَلِمُوا أَنَّ الناس عندنا في الحق اسوة فهربوا الى الآثرة فبعدا لهم وسحقا والله إنهم لم يَفَرُّوا من جَوْر ولم يَلْحَقُوا بَعْدِل) ^(١٦)

المبحث الثاني: المعارضون للإمام (ع):

واجه الامام علي (ع) معارضة شديدة من قريش ولم يكن ذلك بالجديد فقد لاقى النبي (ص) من قبل ضراوة هذه المعارضة وذاق مرارتها، ولكن هؤلاء لم يجرؤا على معاداته جهارا بعد دخولهم الاسلام، لأسباب كثيرة .

وكان الامر مختلفا مع الامام علي إذ شكلوا (جبهة توحدت في أهدافها) لحربه كان من أبرز رؤوسها معاوية وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وعائشة والزبير وسعد بن أبي وقاص وغيرهم ممن جاهر بعدواته للإمام علي (ع).

وقد أصبح معاوية يشكل خطرا كبيرا لأنه استغل عدم تماسك الجبهة الحجازية مخترقا إياها وبذلك تركت هذه الجبهة فراغا من حول الامام (ع)، وخلقت نوعا من التشكيك في شرعيته، لأنه افتقد الغطاء القرشي بعد ان نكث البيعة اثنان من كبار المهاجرين وهما طلحة والزبير. (١٧).

ولم يمتلك هؤلاء المبررات الكافية لمعارضة الامام ، وكانت من ابرز ما تحدثوا به دعوى الثأر لدم عثمان الذي كان الامام (ع) بريئا منه (وقد ظل شعار الثأر لعثمان العنوان الرئيس للحركة وطغى على خطابها) (١٨).

الى جانب ذلك كانت هناك أسباب تتصل بشخصية الامام (ع)، التي كانت غير مهادنة في الحق ، فقد كان للإمام علي (ع) مبادئ وقيم يلتزم بها، هي مبادئ الدين الاسلامي الحنيف ولم يتزعزع عنها قيد انملة، ولم يغير سلوكه في جميع الظروف، فالإمام لا يخاف في الحق لومة لائم، هذه الشخصية وتلك الصفات كانت لا تلائم البعض إذ كانوا يخشون على مصالحهم وأطماعهم، ولذا كان لهؤلاء السبق في الانضمام الى صفوف المعارضة حالما تولى الامام (ع) الخلافة .

ولابد من التنويه ان هناك جماعات لم تتابع الامام علي (ع) لأسباب أخرى شخصية، فهناك من كان يطلب الثأر وقد ذكر المسعودي ذلك في كتابه (مروج الذهب) في معرض حديثه عن جماعة من بني أمية تخلفوا عن بيعة الامام (ع) فقال تحت عنوان (بنو أمية عند علي): (وأتابه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني أمية: منهم سعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، فجرى بينه وبينهم خطب طويل، وقال له الوليد: أنا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك، ولكننا قوم وترنا الناس،

وخفنا على نفوسنا، فعذرنا فيما نقول واضح، أما أنا فقتلت أبي صبرا، وضربتني حدا، وقال سعيد بن العاص كلاما كثيرا، وقال له الوليد: أما سعيد فقتلت أباه (١٩).

عموما أظهرت قريش وبنو امية معاداتها للإمام (ع) وقد تبين ذلك من خلال نصوص كثيرة من كلام أمير المؤمنين ذكر فيها شكواه من قريش قال الامام (ع): (اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم ، فإنهم قد قطعوا رحمي وأكفأوا إنائي ، وأجمعوا على منازعتي) (٢٠).

وقد كان معاوية جبهة ضمت كل من أراد الانضمام لمعارضة الامام (ع) (وكان المجتمع الكوفي يضم طائفة كبيرة منهم الاشعث بن قيس وعمرو بن حريث وأمثالهم من الذين ضربت مصالحهم في عهد الامام (ع) فاتصلوا بحكومة دمشق ، وقاموا بدور العمالة لها فراحوا يعقدون المؤامرات لإفساد جيش الامام (ع) مستهدفين الاطاحة بحكومته (٢١)

ولم تكن معارضة الامام علي (ع) بعد توليه الحكم بالأمر المفاجئ وانما كانت هناك ظروف سبقت تولي الامام الخلافة تنبئ بما ستكون عليه الاوضاع ومن اهمها (تخلف معاوية وأهل الشام ونفر من الخواص عنبيعة الامام (ع)) (٢٢)

وكانت المعارضة نواة لبدء تشكيل جبهة من قريش ضد الامام علي (ع) غايتها اسقاط الحكم الجديد بحد السلاح، (وقد اتخذ هذا القرار بعد ان اجتمعوا بمنزل عائشة، واجتمع رأيهم على ان يسيروا الى البصرة والكوفة لقتال الامام (ع)). (٢٣)، بدعوى المطالبة بدم عثمان الذي لم يكن الا ستارا لدوافع أخرى ولم تكن غاية لذاتها .، لان أغلب اقطاب هذه الدعوة لم يكونوا على وفاق مع عثمان ، وكانوا رافضين لوجوده بالسلطة على الرغم من استفادتهم منه الى ابعد الحدود (٢٤). وقد قرّر الأمام (ع) ان يوجه الضربات القاصمة لقريش بعد خلعوا الطاعة وظهروا البغي يقول (ع) : (مالي ولقريش ،والله لقد قاتلتهم كافرين ، ولأقاتلنهم مفتونين ... والله ما تنقم منا قريش الا ان الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا) (٢٥).

وقال الامام علي (ع) في قريش ايضا: (فدع عنك قريش وتركاضهم في الضلال وتجوالمهم في الشقاق وجماحهم في التيه ، فإنهم قد اجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله قبلي) (٢٦). ومن الامور الصادمة حقا ان قريش كانت رافضة لدعوة النبي (ص) منذ البداية ، لأمور تتصل بمصالحهم المادية ومكانتهم، ولم يدخلوا الاسلام عن قناعة وإنما اجبروا على دخوله بعد ان اشتدت شوكة النبي (ص) واصبحت قوته امر لا يستهان به و واقع حال فرض عليهم ، وما لبثوا بعد ذلك ان استردوا وجودهم شيئا فشيئا في عهد ابي بكر وعمر وبلغ الامر نروته في عهد عثمان الذي فتح الباب على مصراعيه لبني اميه بصورة خاصة ولقريش بصورة عامة لنهب ثروات المسلمين وأموالهم من دون وجه حق ، فلا نعجب بعد ذلك من موقف قريش الذي خذل الامام (ع) وذلك (لانعدام التوافق على النهج ، مؤثرة النهج الآخر الذي ارسى جذوره عهد عثمان) (٢٧) .

المبحث الثالث: موقف الامام علي (ع) من معارضيه:

لقد كانت مواقف الامام (ع) من معارضيه مشرفة، هي أكبر من تلك النظرة الضيقة للأعداء، فقد قدم الرحمة بالناس ومصالح الامة على احساسه وما تسبب له هؤلاء من ألم، وقد تجرد من مشاعره اتجاههم (ولوانه أراد تأديب العصاة ما أعوزته الوسائل ولا أقعدته عنهم) (٢٨)

وكان الامام (ع) أميل الى السلام والصلح والالفة بين الناس قال الإمام: (إن في الصلح أمنا للبلاد) (٢٩) وكان الامام (ع) مثالا للفارس النبيل في حروبه، ومواقفه المشرفة لاتعد و لا تحصى مع أعدائه ، وكان يحمل في جنبه قلبا رؤوفا رحيمًا متسامحا الى ابعد الحدود ، فكان يعامل اعداءه بنبل شديد عندما يظفر بهم .

قال جورج جرادق في كتاب (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية) في وصف أمير المؤمنين (ع) : (ومروءة الإمام أندر من أن يكون لها مثل في التاريخ، و حوادث المروءة في سيرته أكثر من أن تعد.

منها: أنه أبقى على جنده . و هم في حال من النعمة و السخط . أن يقتلوا عدوا تراجع، و أن يتركوا عدوا جريحا فلا يسعفه، كما أبقى عليهم أن يكشفوا سترا أو أن يأخذوا مالا.

و منها: أنه صلى في وقعة الجمل على القتلى من أعدائه و سأل لهم الغفران ، و أنه حين ظفر بألد أعدائه الذين يتحنون الفرص للتخلص منه ، و هم : عبد الله بن الزبير، و مروان بن الحكم، و سعيد بن العاص ، عفا عنهم و أحسن إليهم ، و أبقى على أنصاره أن يتعقبوهم بسوء و هم على ذلك قادرون ، و من حوادث المروءة أن عليا (ع) ظفر بعمر بن العاص . و هو لا يقل خطرا عليه من معاوية بن أبي سفيان . فأعرض عنه و تركه ينجو بحياته و يستمر في مؤامراته ضده، لأن عمرا هذا رجاه على أسلوب خاص أن يعفو عنه، و قد أصبح ذوالفقار فوق هامته، و لو قضى علي (ع) على عمرو آنذاك لكان قضى على المكر و الدهاء) (٣٠)

وفي معركة صفين حاول معاوية و جماعته أن يميئوا عليا عطشا، فحالوا بينه و بين الماء زمنا و هم يقولون له: لا قطرة حتى تموت عطشا، و لكن ما كان من أمره و أمر جيش معاوية بعد ذلك، كان أن حمل عليهم الفارس العظيم فأجلاهم عن الماء ثم أتاح لهم أن يشربوا منه كما يشرب جنده، و لو منع عنهم الماء لانتصر عليهم، و اضطرهم إلى التسليم خشية الموت ظمأ . (٣١)

وعرف مرة أن رجلين من أنصاره ينالان من عائشة في موقعة الجمل التي أدارتها عائشة للقضاء عليه، فأمر بجلدهما مائة جلدة، ثم أقبل على عائشة بعد انتصاره في هذه الموقعة وودعها أكرام و دواع، و سار هو نفسه في ركابها أميال، ثم أوصى بها و أرسل من يخدمها و يخف بها و يوصلها إلى المدينة مكرمة محترمة. قيل: إنه أرسل معها عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بعمائم الرجال، و قلدهن السيوف، فلما كانت عائشة ببعض الطريق ذكرت عليا بما لا يجوز أن يذكر به، و تأففت و قالت: هتك

ستري برجاله و جنده الذين و كلهم بي، فلما وصلت إلى المدينة ألقى النساء عائمهن، و قلن لها: نحن نسوة . (٣٢) .

ولا يعني هذا الكلام ان عليا (ع) كان يرفض الحرب في كل الاحوال وانما تكون للحرب موجبات فهي (تعيد الحق الى نصابه ساعة يكون أخو الحرب مؤمنا بأنه على حق ، وبأن خصمه ظالم لابد من أن ينصف منه ، فإذا أدركت الغاية بأقل نصيب من القتال وجب إيقافه في الحال) (٣٣).

وكان في اغلب المعارك لا يبدأ القتال حتى يبادر العدو الى قتاله، وكان يوصي جنوده بذلك ، ومن ذلك قوله (ع) من وصية له لعسكره بصفين قبل لقاء العدو: (لا تقتلوهم حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة وتركم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم) (٣٤)

(وقد عفا الإمام علي (ع) عن القتال الا مكرها ، ومن ذلك إن جنود الخوارج أخذوا يعدون العدة لمحاربته ، ونصحه أحدهم أن يبادرهم قبل أن يبادروه ، فأجاب) (٣٥) ، (لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم) (٣٦) . وقال: (ع) في حديث آخر عن الخوارج : (لهم علينا ثلاث: ان لا نمنعهم المساجد أن يذكروا الله فيها وأن لا نمنعهم الفياء مادامت ايديهم مع أيدينا ولا نقاتلهم حتى يقاتلونا) (٣٧) .

ولم يكن الإمام (ع) يعيش لحظة الصراع والانفعال مع أعدائه وهذا امر يشكل اهمية كبيرة لأن الإمام (ع) كانت له امور مهمة حريص عليها لأنها جزء من قيمه ومعتقداته الاسلامية وكانت لديه أهم من مشاعره واحساسه بالألم أو الغضب وهذا (ما جعل الإمام يندفع في الحوار مع أطراف متعددة وبأشكال مختلفة أو الحديث المباشر مع معارضيه وأعدائه) (٣٨)

إن الإمام لم يمنع أحدا من الكلام والتجمهر وإعلان المعارضة السياسية السلمية مالم تتوسل هذه الجماعات باستخدام السلاح ولغة العنف وإباحة دماء المسلمين.. فالعنف خط احمر لا يمكن التساهل مع

متجاوزيه، لأنه سيحول الساحة الى فوضى واضطرابات.. فإن لم تقف الدولة بحزم وشدة امام هذه الظاهرة فسيفقد الامن وتهدد المصالح (٣٩).

المبحث الرابع: حروب الامام علي (ع) :

قلنا ان كثيراً ممن ضربت مصالحهم في خلافة الامام علي (ع) حاولوا وبقوة ان يقضوا على هذه الخلافة مستعينين بأفكار مغلوبة، وكانوا يدفعون بهذا الاتجاه لتفتيت الدولة من خلال تلك الصراعات المفتعلة التي عمدوا اليها، فاضطر الامام ان يخوض حروباً ضد هؤلاء المارقين الذين حاولوا جاهدين تقويض اركان الدولة الاسلامية في عهده، فكانت ثلاثة حروب كبرى خلال خمس سنوات تقريبا، هي حرب الجمل وحرب صفين وحرب النهروان .

ولم يمنع أمير المؤمنين (ع) معارضيه من المجاهرة بمعارضته كما ذكرنا سابقاً، وعمد الى فتح باب الحوار بينه وبينهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ولكن عندما وصل الامر الى حمل السلاح ومحاربته لجأ الى قتالهم وردهم على اعقابهم . (٤٠).

وقد كانت حرب الجمل في البصرة هي الحرب الاولى بين المسلمين ، وكان الدافع الى اشتعالها هو المطالبة بدم عثمان والثأر له وكانت السمة القرشية هي الطاغية في حرب الجمل ضد الامام علي (ع) ، وبطبيعة الحال كان لتحريض السيدة عائشة على هذه الحرب التأثير المباشر في استعارها ، (وقد ركبت الجمل وكانت تقود المعركة محرضة على القتال وحولها انصارها من الأزد وضبة) (٤١)

وهذه الحرب لم تدم سوى اربع ساعات وقد حسمت لصالح الامام (ع) (٤٢) ، وقد كانت ابرز نتائجها عودة العصبية القبلية التي حاول الاسلام القضاء عليها .

ولم تكن البصرة صافية الولاء للخليفة فتركها متوجها الى الكوفة ، بعد ان ولّى ابن عباس عليها، وسارع بعد ذلك الى اعداد جيش وقوة عسكرية لمواجهة المعركة القادمة مع معاوية . (٤٣)

وقد كان الامام (ع) في جميع معاركه مضطرا الى محاربة المنشقين عليه ومناوئيه في معركة الجمل وفي المعارك الاخرى التي خاضها ،ورغم قسوة هذه الحروب وشراستها الا انه لم يتخل عن الاخلاق الاسلامية الرفيعة وكان في جميع معاركه يلزم جيشه واتباعه في التعامل الانساني والاخلاقي مع اعدائه بعد ان ينتصر عليهم ، ولاسيما من لا يستطيع ان يدافع عن نفسه من الجرحى والضعفاء ومن يترك المعركة ولا يريد القتال ، قال الامام علي (ع): (فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا ، ولا تصيبوا معورا ، ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول، إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيغير بها وعقبه من بعده) ^(٤٤)

نهى أصحابه عن البغي والابتداء بالحرب، وقد روي عنه أنه قال: ما نصرت على الاقران الذين قتلتم إلا لأنني ما ابتدأت بالمبارزة، ونهي - إذا وقعت الهزيمة - عن قتل المدبر، والإجهاز على الجريح، وهو إتمام قتله. (وبذلك أرسى الامام مبدأ عدم استعمال القوة ضد من يعجز في الدفاع عن نفسه) ^(٤٥) وكان من مبادئه (ع) ايضا ان يحترم عدوه ولا يتعرض له بالسوء حتى بالسباب وقد نهى اصحابه سب الشاميين في معركة صفين وقد اوجد لهم بدائل افضل من السب وهو الدعاء ان يحقن الله دماءهم ودماء اعدائهم بعودة الصفاء والمودة بدلا من البغضاء والعداوة.

قال الامام (ع): (إنني أكره لكم ان تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم، واصلح ذات بيننا وبينهم ، واهددهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به واهددهم من ضلالتهم) ^(٤٦). ولم يكن الامام علي (ع) مستبدا برأيه متفردا وانما كان يعتمد مبدأ التشاور مع أتباعه في اتخاذ القرارات ولاسيما المصيرية منها التي تحدد وضع الامة ،فحينما اراد السير الى اهل الشام دعا اليه

من كان معه من المهاجرين والانصار فحمد الله واثنى عليه فقال: (أما بعد فإنكم ميامين الرأي مراجيح اللحم مباركو الأمر مقاويل بالحق وقد عزمنا على المسير إلى عدونا وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم. فقام هاشم بن عتبة وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة وسهل بن حنيف فصوبوا رأيه وبذلوا إليه نصرته) (٤٧)

أمير المؤمنين نحن سلم لمن سالمنا، وحرب لمن حاربنا، ورأينا رأيك ونحن كف يمينك، وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر في أهل الكوفة، فتأمرهم بالشخوص وتخبرهم بما صنع الله لهم في ذلك من الفضل، فإنهم هم أهل البلد، وهم الناس، فإن استقاموا لك استقام الذي تريد وتطلب، وأما نحن فليس عليك منا خلاف، متى دعوتنا أجبناك، ومتى أمرتنا أطعناك ،

فكانت حرب صفين ضد معاوية، (وكانت نتيجة هذه الحرب ان انتهت برفع المصاحف التي كانت خطوة ليفلت معاوية من الضربة القاضية التي كادت ان تقضي عليه مع بقية جيشه، وقد اوجدت هذه النتيجة انشقاقا وتمردا داخل جيش الامام (ع)، فأعلن المتمردون عدم رضاهم ، مطالبين بمواصلة القتال ...وحين العودة نزلوا - بحروراء . احدى قرى الكوفة ليتخذوها قاعدة لتنظيم قواهم ، وتطوير معارضتهم .. ويمكن اعتبار هذه الخطوة الانعزالية بداية تشكيلهم كقوة معارضة لها لونها وخصوصيتها على الارض) (٤٨)

وقد كانت هذه الحركة الانفصالية للخوارج من اشرس الحركات وأكثرها خطورة ، فقد تسببوا بمشكلة كبيرة للدولة الاسلامية ولأمير المؤمنين (ع) فقد سلبوا الامام نصره الوشيك على معسكر معاوية (٤٩)

وقد ادرك الامام عي (ع) حالة البلبله في جيشه بعد رفع المصاحف واستجابة الامام لطلب التحكيم (٥٠) ، وخروج مجموعة كبيرة من الجنود من جيش الامام اعتراضا على وقف القتال مع معاوية ، وقد استوعب الامام هذه الحالة فلجأ الى الحوار وبالفعل (ادت المناظرات والنصائح الى عودة هؤلاء الى رشدهم ، فمنهم من اعتزل تماما ومنهم من عاد الى جيش الدولة الاسلامية ليجاهد في ظل الشرعية ، وقد ظل نفر

منهم وقد اصرروا على عنادهم وتكفير الآخرين^(٥١). ولم تكن نية الامام (ع) قتال الخوارج وإنما كان يعد العدة لقتال معاوية الذي كشف عن مكره وزيفه في قضية التحكيم والذي كان يبعث بالجيش للإغارة على المدن القريبة من الشام كالأنبار. (٥٢).

وقد اتخذ الخوارج نهج معاوية في العبث بأمن البلاد وإشاعة الفوضى ، (فالفرق بين الخوارج ومعاوية ، ان الخوارج متدينون جاهلون ولن ينفعهم دينهم في الآخرة .. لكن معاوية طلب الباطل وهو يعرف الحق وانحرف عن الحق عمدا ، فأدرك الباطل)^(٥٣) .

وبظهور نتائج التحكيم نادى الخوارج معلنة مبررات خروجها تحت شعار: (لا حَكَمَ إِلَّا اللهُ ، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله ، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم ، وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين ، وقد تبنا إلى ربنا ، ورجعنا عن ذلك ، فارجع . يقصدون الإمام (ع) . كما رجعنا ، وإلا فنحن منك براء).^(٥٤)

وفي الحقيقة ان الخوارج إنما كانوا من ضمن الجماعات التي حثت الامام (ع) على قبول التحكيم إذ طالبوا بالتحكيم في بادئ الامر، ثم رفضوه في وقت آخر، ثم جاؤوا من بعد ذلك يطالبون الامام بأنه اخطأ ويجب ان يعترف بذنبه .

ومن كلامه للخوارج ، وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة مذكرا اياهم بموقفهم من التحكيم والقبول به فقال : (الم تقولوا عند رفعهم المصاحف - حيلة وغيلة، ومكرا وخديعة. إخواننا وأهل دعوتنا، استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم طريقتكم، وعضوا على الجهاد بنواجذكم. ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق)^(٥٥)

وفي هذه الخطبة يحمل الامام الخوارج وغيرهم مسؤولية القبول بالتحكيم رغم تحذيره لهم .

ولما تمادى الخوارج في إلحاحهم على الامام (ع) بالاعتراف بخطئه وكفره، استنكر هذا الامر وتعجب منه ، ووجه لهم كلاما شديدا يدعوا فيه عليهم ويتعجب منهم ، فكيف يدعونه ان يشهد على نفسه بالكفر بعد إيمانه و جهاده مع الرسول (ص) ، وفي هذه الخطبة ايضا أخبرهم بما سيلقون بعده من ذل وهوان، قال الامام (ع):

(أصابكم حاصب، ولا بقي منكم آبر. أبعد إيماني بالله، وجهادي مع رسول الله (ص)، أشهد على نفسي بالكفر! لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. فأوبوا شر مآب وارجعوا على أثر الأعقاب. أما إنكم ستلقون بعدي ذلا شاملا، وسيفا قاطعا، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة)^(٥٦)

بيد أن الإمام (ع) أوضح لهم حينئذ أن الخلق الإسلامي يقتضي الوفاء بالعهد . الهدنة لمدة عام . الذي أبرم بين المعسكرين قائلا : (ويحكم! بعد الرضا والعهد والميثاق أرجع؟ أوليس الله يقول: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) ^(٥٧) .

وبطبيعة الحال فقد رفع الخوارج شعارات مختلفة منها: الامر شورى، والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد لاقت هذه الشعارات قبولا شعبيا من بعض الاطراف، فالخليفة اذن امام حركة اكثر خطورة من تلك التي واجهته في الشام إذ تعدت تلك الشعارات التقليدية فقد رفضوا سلطة قريش وقد اختاروا قائدا يمينيا هو عبد الله بن وهب الراسبي متجاوزين لأول مرة العرف المتداول منذ بيعة السقيفة وبذلك تكون هذه الحركة ،حركة سياسية مختلفة معتمدة لنمط جديد من العلاقات السياسية يقوم على رفض الآخر، بل اتهام المختلفين عنهم في الفكر.^(٥٨)

ان موقف الخوارج كان في ظاهره ضد التحكيم ومعاوية ولكنه عمليا كان يصب في صالح معاوية وكانت (حركتهم الموجهة ضد الخليفة كانت تصب في مصلحة خصمه الذي رجحت كفته بعد ذلك ، وبات في وضع يمكنه من تسديد الضربات المتلاحقة لجبهة الخليفة وجيشه)^(٥٩)

وفي حقيقة الامر ان هذا الموقف المتذبذب في قبول الخوارج بالتحكيم في بادئ الامر ورفضهم له بعد ذلك ، يدل على تبييتهم لمؤامرة ضد الخلافة تعود جذورها الى مؤامرة كانت تحاك قبل مقتل عثمان وبعد مقتله والهدف منها السيطرة على الحكم .. وقد حالت بيعة الامام علي (ع) بينهم وبين الذي يطمحون اليه .

وهناك رأي يقول: (ان الخوارج بمواقفهم المتناقضة من التحكيم أرادوا ان يكونوا تلك البطانة المسيطرة على مفاصل الدولة، والتحكم بقرارات الخليفة، بطريقتهم الانفعالية الساذجة، التي ستثير الامة ضد الخليفة فيما بعد) (٦٠) .

وكان الامام (ع) يعتمد دائما الى الحوار مع اعدائه ومعارضيه، فإذا استنفذ جميع اساليبه في الحوار ، فلا يبقى الا لغة الحرب التي اضطر اليها ولاسيما بعد ان اباح هؤلاء دماء المسلمين، ومن ابرز تلك الحوادث التي أثارت الامام ضد الخوارج ، حادثة مقتل الصحابي ابن خباب وزوجته بطريقة وحشية وبشعة بعد ان طلبوا منه ان يعطي رأيه بالامام علي (ع)، قبل التحكيم وبعده؟ قال: (أقول إنه أعلم بالله منكم، وأشد توقيا على دينه، وأنفذ بصيرة. فقال: إنك تتبع الهوى وتوالي الرجال على اسمائها لا على أفعالها ، والله لنقتلك قتلة ما قتلناها أحدا فأخذوه وكتفوه) (٦١) .

إن مقتل الصحابي ابن خباب وزوجته وغيرهم من المسلمين ، بهذه الطريقة الهمجية جعلت الامام لا يتردد في محاربتهم والقضاء عليهم لأنه وجدهم مفسدين في الارض لا يتورعون في سفك دماء المسلمين ، فكانت معركة النهروان التي قضي فيها على اغلب الخوارج ولم يبق الا القليل .

ولما واقفهم علي (ع) بالنهروان، قال لأصحابه: (لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم، فحمل منهم رجل على صف علي (ع) فقتل منهم ثلاثة، فخرج إليه علي (ع) فضربه فقتله (٦٢) .. ودعا (ع) بعد ذلك الى قتالهم مستشرفا ما تقول اليه المعركة ، فقال علي (ع) لأصحابه: (احملوا عليهم، فو الله لا يقتل منكم عشرة و لا

يسلم منهم عشرة) (٦٣) .

وبعد معركة النهروان نجد الامام كان يشعر بالإنجاز لأنه قضى على تلك الفتنة التي وصلت الى مرحلة خطيرة في تهديد امن البلاد والعبث به، وقد ذكر ذلك في خطبه له بعد معركة النهروان فقال: (أما بعد أيها الناس ، فأنا فقأت عين الفتنة ، و لم يكن ليجتري عليها أحد غيري بعد أن ماج غيبتها و أشدّ كلبها) (٦٤) وكانت سيطرة الامام (ع) على زمام الامور مؤقتة، ولاسيما بعد ان كانت الشام خارج السيطرة ومما لاشك فيه ان الظروف كلها كانت مهيأة لسيطرة معاوية على مسرح الاحداث، لأنّ عدوي معاوية قد ضعفا، فقد أضعف الإمام علي الخوارج وهزمهم؛ ولكنّ الخوارج أضعفوا كذلك جيش الإمام علي بخروجهم منه. وقد خطط الخوارج للثأر لقتلاهم الذين هلكوا في معركة النهروان، فأقدموا على فعلتهم المشينة بقتل الامام علي (ع)، فكانت الشهادة، وبذلك اسدل الستار على هذه الحقبة التي لم تمهل الإمام راحة أو وقتاً؛ لينصرف الى إدارة شؤون الدولة، فرحم الله امامنا العظيم في مواقفه وفي شجاعته وفي نبله، رحم الله شخصية لن وجود الزمان بمثلها، فسلام عليك يوم ولدت ويوم استشهدت، ويوم تبعث حيا .

الخاتمة:

وبعد انتهاء البحث توصل الى النتائج الآتية:

- خاض نبينا الكريم (ص) حروبا ضد اعدائه من كفار قريش، ومنهم بنو أمية، وانتصر عليهم فدخلوا الاسلام مضطرين مرغمين، وما لبثوا ان اظهروا العداء نفسه للإمام بخروجهم على السلطة، وهذا ان دل على شيء انما يدل على عداة قريش للنبي (ص) والاسلام، ودأبهم على تمزيقه واعادة ملامح الجاهلية اليه.

- أراد الامام علي (ع) ان يقيم دولة عادلة قائمة على وفق حدود الشريعة الاسلامية، تتصف المظلوم وتعين الضعيف وترعى حقوق الناس من المسلمين وغير المسلمين، ولكن أعداءه لم يمهلوه واشغلوه

بحروب اجبر عليها ، إذ خاض الامام (ع) حروباً طاحنة كان مضطراً اليها ، اخذت الكثير من طاقته الفكرية والجسدية ، وكان الاولى ان لا تضيع هذه الطاقات في مثل هذه الحروب فمصيورها الخسران وان انتصر الامام في اغلبها الا أنها اهدرت طاقات الدولة من دون فائدة .

- لم يكن الامام علي (ع) مستبداً برأيه متفرداً وإنما كان يعتمد مبدأ التشاور مع أتباعه في اتخاذ القرارات ولاسيما المصيرية منها التي تحدد وضع الامة .

- لم يكن الامام (ع) ليبنتغي منافع دنيوية ومصالح شخصية من وراء الحروب التي خاضها ضد أعدائه ، وإنما كان هدفه صالح المسلمين وحفظ دمائهم وأرواحهم وأعراضهم .

- وقد ظهرت فئتان عارضتا الامام علي عندما تولى الخلافة، الفئة الاولى كانت تريد اطماع دنيوية ومصالح شخصية نفعية متمثلة بمعاوية ومن تبعه من المنافقين والانتهازيين، والفئة الاخرى ظلامية كُفرت جميع المسلمين معتمدة على افكار مغلوطة في فهم الدين الاسلامي معتمدة العنف الدموي في التعامل مع مخالفيها وهم فئة الخوارج، - كل الفئات التي عارضت خلافة الامام علي (ع) اسهمت بشكل كبير ومباشر في تقويض الدولة وهدمها من الداخل، واشاعت نوعاً من الفوضى وعدم استتباب الامن فيها .

- يعد الخوارج من أخطر المعارضين للإمام (ع) وأشرسهم وأكثرهم اذى؛ وذلك لأنهم كانوا من شيعته وجنوده الذين قاتلوا الى جانبه، لكنهم وقفوا ضد الامام بعد ذلك متخذين من التحكيم الذي أرادوه حجة واهية للخروج عليه فضلاً عن أنهم اصحاب فكر يؤمنون به ويتشبثون برأيهم بغض النظر عن خطئهم أو صوابهم فيما يؤمنون .

الهوامش:

(١) حقوق الانسان عند الامام علي (ع) : ٢٠٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٠٩ .

- (٣) وسائل الشيعة : ١٥ / ٨١.
- (٤) نهج البلاغة : ٥١٨.
- (٥) المصدر نفسه : ٥١٨.
- (٦) ينظر حقوق الانسان عند الامام علي (ع) : ٢٢٣.
- (٧) حقوق الانسان عند الامام علي (ع) : ٢١٨.
- (٨) نهج البلاغة : ٤٠٥.
- (٩) حقوق الانسان عند الامام علي (ع) : ٢٢١.
- (١٠) نهج البلاغة : ١٦٤.
- (١١) الامام علي (ع) في رؤية النهج ورواية التاريخ : ٨٥.
- (١٢) المنطلقات الانسانية والاخلاقية في رسالة الامام (ع) لمالك بن الاشتر : ٢٩ .
- (١٣) نهج البلاغة : ٢١٤.
- (١٤) موسوعة التربية الجهادية وأهدافها عند الامام علي : ٣ / ٧٦.
- (١٥) الامام علي (ع) صوت العدالة الانسانية : ١٥٣.
- (١٦) شرح نهج البلاغة : ٩ / ٢٣٢ . ٢٣٣.
- (١٧) ينظر ١٨٧. الامام علي (ع) في رؤية النهج ورواية التاريخ : ٨٧.
- (١٨) المصدر نفسه : ٩٧.
- (١٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر : ٢ / ٣٧١.
- (٢٠) نهج البلاغة : ٣٦٢.
- (٢١) الانسكلوبيديا العلوية : ٦ / ٦٦٨.
- (٢٢) أسس بناء الدولة الاسلامية في فكر الامام علي (ع) : ٦٣.
- (٢٣) تاريخ الطبري : ٤ / ٤٥٢.
- (٢٤) ينظر المصدر نفسه : ٤ / ٤٠٥ .

- (٢٥) شرح نهج البلاغة : ١ / ٣٨٦.
- (٢٦) المصدر نفسه : ٨ / ٣٠٣ .
- (٢٧) الامام علي (ع) في رؤية النهج ورواية التاريخ: ٣ / ١٧٣.
- (٢٨) الامام علي بن أبي طالب : ٣ / ١٥٦.
- (٢٩) نهج البلاغة : ٤٦٢.
- (٣٠) الامام علي (ع) صوت العدالة الانسانية : ١ / ٩١.
- (٣١) ينظر الكامل في التاريخ لابن الاثير : ٣ / ١٦٦ . ١٦٧ .
- (٣٢) الامام علي (ع) صوت العدالة الانسانية : ١ / ٩٠.
- (٣٣) نهج البلاغة : ٧٦.
- (٣٤) شرح نهج البلاغة : ٨ / ٧٣ ، وينظر مروج الذهب ومعادن الجوهر : ٢ / ٣٧٨.
- (٣٥) الانسكلوبيديا العلوية: ٥ / ١٥٧.
- (٣٦) شرح نهج البلاغة : ١ / ٤٤٥.
- (٣٧) العقد الفريد ٢ / ٩٤.
- (٣٨) المصدر نفسه : ٦ / ٢٥٥.
- (٣٩) الانسكلوبيديا العلوية: ٣ / ٨٦.
- (٤٠) ينظر مروج الذهب ومعادن الجوهر : ٣ / ٣٧٨.
- (٤١) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٨٣.
- (٤٢)^{٤٢} الامام علي (ع) في رؤية النهج ورواية التاريخ: ١٠٣.
- (٤٣) ينظر مروج الذهب ومعادن الجوهر : ٢ / ٣٨٩ ، وينظر الامام علي (ع) في رؤية النهج ورواية التاريخ: ١٠٦ - ١٠٩ .
- (٤٤) شرح نهج البلاغة : ٨ / ٧٣ .
- (٤٥) موسوعة التربية الجهادية عند الامام علي (ع): ٣ / ٢٦٨.
- (٤٦) شرح نهج البلاغة : ٦ / ١٦.

- (٤٧) الكامل في التاريخ لابن الاثير: ٣ / ٣٤٢.
- (٤٨) موسوعة التربية الجهادية وأهدافها عند الامام علي ٣ / ٧١. ٧٦.
- (٤٩) ينظر تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي ٥٩٨.
- (٥٠) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٢ / ٣٦٩. في سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين . وهما عمرو بن العاص وابو موسى الاشعري .
- (٥١) موسوعة التربية الجهادية عند الامام علي (ع): ٣ / ٩٤.
- (٥٢) الادارة والنظام الاداري عند الامام علي (ع): ١١٩.
- (٥٣) أبعاد القيادة الاستراتيجية وممارساتها . دراسة تحليلية لاحاديث وممارسات الامام علي (ع) : ٦٧
- (٥٤) شرح نهج البلاغة: ١ / ٤٤٧.
- (٥٥) نهج البلاغة: ٢٠٩.
- (٥٦) نهج البلاغة : ٢ / ٣٢٨.
- (٥٧) شرح نهج البلاغة: ١ / ٤٢٢ ، النحل : ٩١.
- (٥٨) ينظر الامام علي (ع) في رؤية النهج ورواية التاريخ: ١٣٥ - ١٣٦ ..
- (٥٩) الامام علي (ع) في رؤية النهج ورواية التاريخ: ١٣٤.
- (٦٠) موسوعة التربية الجهادية واهدافها عند الامام علي (ع): ٣ / ٧٤.
- (٦١) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ٥ / ٨١.
- (٦٢) شرح نهج البلاغة شرح نهج البلاغة: ١ / ٤٤٥
- (٦٣) المصدر نفسه: ٢ / ٢٧٢
- (٦٤) نهج البلاغة : ١٦٥.
- المصادر والمراجع:**
- القرآن الكريم

١. أبعاد القيادة الاستراتيجية وممارساتها . دراسة تحليلية لأحاديث وممارسات الامام علي (ع) .، نازك نجم الربيعي ، مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية ، ط١ ، ٢٠١٠م .
٢. الإدارة والنظام الاداري عند الإمام (ع)، تأليف د محسن باقر الموسوي الغدير- للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م.
٣. أسس بناء الدولة الاسلامية في فكر الامام علي (ع) ، تأليف علي سعد تومان عدوة ، النجف الاشرف ، ٢٠١٢م .
٤. الإمام علي بن أبي طالب، تأليف عبد الفتاح عبد المقصود، منشورات مكتبة العرفان . دار مكتبة التربية . بيروت ،د.ت.
٥. الإمام علي بن أبي طالب وحقوق الانسان ، د حسن الزين ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر . بيروت ، د.ت .
٦. الإمام علي صوت العدالة الانسانية ، تأليف جورج جرداق ، مطبوعات دار الاندلس . النجف الاشرف ، بيروت . لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠م .
٧. الامام علي (ع) في رؤية النهج ورواية التاريخ ، د. ابراهيم بيضون ، العتبة العلوية المقدسة . قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، ط٢ ، ٢٠١٢م .
٨. تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي ، تأليف صائب عبد الحميد ، مؤسسة دائرة الفقه الاسلامي ، ط٢ ، ٢٠٠٦م .
٩. تاريخ الرسل والملوك ، ابن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ .
١٠. حقوق الانسان عند الامام علي بن ابي طالب (ع) ، د. غسان السعد ط٢ بغداد ، ٢٠٠٨م .
١١. شرح نهج البلاغة ، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن ابي الحديد ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٩م .
١٢. العقد الفريد ، شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الاندلسي ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ، ٢٠١١م .
١٣. الكامل في التاريخ ، ابن الاثير الجزري تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧م.
١٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تصنيف أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، تحقيق عبد الأمير علي مهنا ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط٢ بيروت . لبنان ، ٢٠١٠م .

- ١٥ . - المعارضة السياسية في تجربة أمير المؤمنين ، تأليف عبد الزهراء عثمان محمد ، دار الهادي ، بيروت . لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
- ١٦ . - المنطلقات الانسانية والاخلاقية في رسالة الامام علي (ع) الى مالك بن الاشتر ، تأليف د خميس غربي حسين ، العراق . كربلاء ، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ط١، ١، ٢٠١٧م .
- ١٧ . - موسوعة التربية الجهادية وأهدافها عند الامام علي ، د جواد مالك ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت . لبنان ، ط١، ٢٠١٢ م .
- ١٨ . - نهج البلاغة، المختار من كلام أمير المؤمنين لجامعه الشريف الرضي محمد ابن الحسين، تحقيق هاشم الميلاني، العتبة العلوية المقدسة ، ٢٠١٠م ، تأليف علي سعد تومان عدوة ، النجف الاشرف ، ٢٠١٢ م .

الأزمة السورية وأثرها على أمن العراق

أ.م.د. باسل محسن مهنا

الباحث منتظر عبد المنعم حسناوي

كلية العلوم السياسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

إن أهمية دراسة الانعكاسات الأمنية للأزمة السورية على العراق، تأتي من أهمية المشهد العام الذي يشير إلى أن المنطقة تمر بمخاض قد يفضي إلى تحولات جذرية في شكلها السياسي والجغرافي وفي ميزان القوى. تكمن مشكلة العراق في إن مصالحه الأمنية تتقدم على جميع مصالحه الأخرى ولقد حافظ العراق على علاقاته مع سورية بالرغم من حالة التوتر التي رافقت العلاقات بين البلدين طيلة السنوات الماضية لتدخل حاليا باتجاه تحقيق بعض التعاون مع العراق وخصوصا في مسألة ضبط الحدود بين البلدين .

في الوقت الذي يؤكد فيه العراق وقوفه على الحياد حول الأزمة السورية باعتبارها شانا داخليا إلا إن تزايد الأوضاع نحو التدهور في سوريا وخشية امتداد ذلك للداخل العراقي بعد تزايد هواجس الحكومة العراقية نحو الإخطار المحدقة، وبناء على ذلك، بدا العراق بالتفكير جديا حول طبيعة التحديات الأمنية التي عكستها الأزمة السورية على جوارها الإقليمي، وخصوصا عندما اتخذت منحى آخر عن المنحى الذي انطلقت منه حركة الاحتجاجات السورية وتصوير الصراع على انه طائفي مذهبي، دفعت العراق لاتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة التحديات الجديدة الداخلية حيث تمثل الجماعات المسلحة في سوريا تهديد للأمن الداخلي العراقي أو بما يعرف "بالأمن الناعم".

أهمية البحث:

ان الازمة السورية لها تأثير واضح على المشهد العراقي الداخلي بكل شيء ويتصل بها كل شيء فقد واجه الامن مشكلة منذ التغير الذي حصل في ٩/٤/٢٠٠٣ وخصوصا عام ٢٠٠٧ وما بعدها حتى

أصبحت المشكلة الأكبر التي تواجه النظام السياسي بعد ٢٠١٤/٧/١٠ أي ما بعد سيطرة داعش على الموصل واحتلالها لأنه اضحى تنظيمًا متكاملًا يمتلك الكثير من الوسائل المادية والمعنوية فداعش أعلنت دولتها لأنها امتلكت جميع الوسائل اللازمة لإدارة تلك الدولة وهذا ما حصل بالفعل عند جميع المستويات (السياسية الاقتصادية والاجتماعية والأمنية) إذ يساهم الأمن الداخلي في تعزيز الانتماء للوطن لأنه يرتبط بجميع الوسائل وبالتالي ان التعامل مع الآزمة السورية وانعكاساتها على الأمن الوطني العراقي من أجل التصدي للتهديدات الداخلية والخارجية من أجل الحصول على بلورة انموذج قادر على الموازنة بين الموارد التي تمتلكها الدولة والاهداف التي تسعى اليها عبر التصدي للجرائم الارهابية والجنائية التي تؤثر على النسيج العراقي ومن هنا تبرز اهمية الدراسة.

مشكلة البحث:

لا يزال الأمن العراقي يتأثر بجملة محددات أمنية لعل ابرزها تلك المحددات للآزمة السورية ومن هنا تبرز مشكلة البحث حول الآتي:

١- هل تشكل الآزمة السورية محددًا مؤثرًا للأمن الوطني العراقي

٢- ماهي ابعاد وانعكاسات ذلك الاثر على الأمن الوطني العراقي

فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية مفادها ان لاستتبات الأمن الداخلي العراقي ما بعد مرحلة داعش يتوقف على مدى نجاح السياسات العامة المتبعة في هذا المجال فكلما كانت السياسات العامة أكثر فاعلية كان الأمن الداخلي أكثر استتبابًا والعكس صحيح أيضًا.

منهجية البحث:

اعتمدت المنهجية على جملة من المناهج التي يتطلبها البحث لاستكمال متطلباتها العلمية وبالتالي فان الآزمة السورية لطالما لها انعكاس كبير على الأمن الوطني العراقي فمن هذا المنطلق نتبع المنهج

الاستنباطي وبأدواته التاريخية والتحليلية والاستشراقي لتحليل التهديدات والفرص التي ترتبط بالأمن الداخلي العراقي من اجل وضع حلول وتحديد الاحتمالات المستقبلية التي تم التعامل معها في هذه الدراسة.

هيكلية البحث: انتظم البحث في مطلبين، تناول المطلب الاول الازمة السورية اسبابها وجذورها وتضمن المطلب الثاني المقومات والتحديات التي تواجه الامن الوطني العراقي.

المطلب الأول: الازمة السورية الاسباب والجذور:

لا شك ان خلف كل ازمة في بلد ما هناك اسباب داخلية تتداخل فيما بينها وتؤدي بالنتيجة الى تفجر الاوضاع بعد ان تعجز الاطراف المتصارعة من الوصول الى حل وسطي يرضي الطرفين، كما ان الاسباب التي تؤدي حدوث ازمات بحجم الازمة السورية تكاد تكون متشابهة في اغلب بلدان العالم الثالث وهي البلدان التي تختفي فيها الحقوق السياسية للأفراد وتركيز السلطة بيد فئة قليلة من المجتمع فضلا عن تردي الاوضاع المعيشية للغالبية العظمى من الشعب، وفقدان ميزة المواطنة لضعف الهوية الوطنية الجامعة نتيجة الاقصاء وعدم العدالة في تقسيم الثروة وشعور المواطن بالعزلة عن دولته، علاوة على ذلك تلعب التركيبة الاجتماعية في دول العالم الثالث دور اساسي في عدم الانسجام المجتمعي بين الافراد من جهة وبين الافراد ومنظومة السلطة الحاكمة من جهة ثانية¹.

اولا: اسباب الازمة السورية:

هنالك احداث تاريخية تحفز في ذكرة الشعوب عميقا، وتترك اثرها واضحا على مسيرتهم في الحياة سواء من الناحية الايجابية ام السلبية ومن البديهي ان ما يحدث في سوريا سوف لن يمر مروراً عابراً، هذا إضافة الى ما تروج له المناقشات السياسية حول الاحداث الجارية فيها هذه الايام وان اختلفت آراء الاشخاص حوله ما بين قائل انها ثورة لاسترداد الحرية والكرامة واخر يعتبرها فصلا من فصول المؤامرة التي تستهدف دور سوريا ومكانتها على الصعيدين الاقليمي والدولي وثالث يقول ان تظافر العامل الداخلي

مع الخارجي سمح للمتربصين شرا بسوريا بالتغلغل عميقا في النسيج الاجتماعي السوري للعمل على تفجيره ولكن الجميع يقر بان سوريا قبل آذار/ مارس عام (٢٠١١) تختلف عن سوريا بعد هذا التاريخ العام حولها بين قائل ان جملة هذه الاسباب هي داخلية تتعلق بمطالب اجتماعية وسياسية واقتصادية فقط وبين من يقول ان العامل الخارجي كان حاضرا منذ بداية الازمة وبقوة وهذا ما يفرض توحيد كأفراد المجتمع للدفاع عن الوطن فالذين يرون ان الاوضاع الاجتماعية والثقافية هي السبب ، يعتبرون ان النظام السياسي السوري لم يتمكن من نشر ثقافة دينية واجتماعية واعية قادرة عل قراءه مشاكل المجتمع ومعوقات التنمية والتطور فيه بشكل صحيح وعلمي للعمل على تجاوز تراكمات الماضي والبدء في وضع الاسس الصحيحة لبناء مجتمع محافظ، محكوم بعادات وتقاليد عشائرية تحول دون العمل عل تخطيط وتنظيم الاسيرة ، الامر الذي ادى ال انفجار سكاني هائل ما يقارب المليون نسمة زيادة كل اربع سنوات تقريبا لم يستطيع السوق المحلي استيعابه ما ادى حدوث بطالة كبيرة في صفوف الشباب، دفعتهم الى البحث عن فرص عمل خارج البلاد، وهذا الامر اضعف روح الانتماء عند بعضهم البعض ،وجعلهم اكثر عرضة للتأثر بأفكار ومعتقدات تتعارض مع قيم وعادات وتقاليد المجتمع السوري صحيح ان الفقر في سوريا منخفض نسبيا، لكنه يتزايد بصورة دائمة ،ذلك ان معدلة يزيد عن (٣٣) بالمائة من نسبة السكان، ولم تؤد السياسات الحكومية خلال العقد الماضي الى تراجع المعدلات، ولا الى التقليل من التفاوت ما بين المناطق، حيث تركز الفقر بشكل اكبر من المناطق الشرقية والشمالية، خاصة المناطق الريفية وبحسب تقرير سوري عن الاهداف الانمائية للألفية الصادرة عام (٢٠١٠) اسهم الانخفاض في مساحات الأراضي القابلة للزراعة في زيادة نسبة الفقر في الريف والمناطق الشرقية (الحسكة -الرقعة -دير الزور) كما ان حالات الجفاف خفضت الانتاج المحلي للغذاء فادت الى حالات هجرة داخلية بأعداد كبيرة، وربطاً بالعوامل المذكورة، لقد ادى انتقال المهاجرين من الريف باتجاه المناطق الجنوبية، دورا هاما بترتيب تلك المناطق على سلم الفقر في البلاد"^٢.

"اما من الناحيتين السياسية والمؤسسية وخاصة خلال التسعينات من القرن الماضي فيرى الخبراء ان النظام السوري قد دفع باتجاه تبني سياسة اقتصادية تحريرية آثرت على الفقراء والطبقة الوسطى وخلقت ما يسمى برأسمالية المحسوبيات صحيح ان خلال عام ٢٠٠٠ وايضا كان ثمة اصلاح جدي مطروح في الابعاد التنموية والسياسية لكن الجانب السياسي لهذا الاصلاح قد علق، وطبق اصلاح تدريجي، وير شامل في بعض الجوانب الاقتصادية، والجوانب المتعلقة بالإدارة العامة كذلك جرت عدة محاولة اصلاح سياسي عام ٢٠٠٥ وايضا تم تأجيلها. وهنا يطرح السؤال حول الاداء المؤسسي، وما إذا كان ضعيفا او قويا غالبا ما تنشأ المؤسسات لتحقيق الاهداف بطريقة تفاعلية مع المجتمع، وضمن عقد اجتماعي، يتحقق تاريخيا بطرق مختلفة (ديمقراطية او تسلطية) كما ان المؤسسات هي من يحدد قواعد اللعبة في المجتمع، ويمكن تصنيفها ضمن فئتين رئيسيتين هما: المؤسسات السياسية والتعاقدية"^٣.

"ونلاحظ ان ضعف الاداء المؤسسي في سوريا هو امر يثبتته تقييم منتصف المدة للخطة الخمسية العاشرة اذ كشف التقييم عن تنفيذ ضعيف للإصلاحات المؤسسية المخطط لها وعن الغياب شبه التام لتنفيذ الإصلاحات والمبادرات الرامية الى الاصلاح ومكافحة الفساد. كما اظهر التقرير الوطني للتنافسية عام (٢٠١٠) ان سوريا تعاني من عدة نقاط ضعف في الادارة العامة والحكم الرشيد، ومن ضمن ذلك كان هدر الاموال العامة. والإجراءات القضائية والتشريعية المعقدة. وضعف مسالة الحكومة وأدارتها للموارد العامة، وغياب السياسة العامة الشفافة.

اما الاسباب الاقتصادية، فالمعروف ان الاقتصاد السوري حقق معدلات نمو مرتفعة نسبيا خلال العقد الماضي، بمعدل وسطي ما يقارب (4,45) بالمائة خلال الفترة الواقعة ما بين عامي (٢٠٠١) و(٢٠١٠). بيد ان نمو نصيب الفرد من اجمالي الناتج المحلي، في ضوء معدل النمو المرتفع للسكان، كان أكثر انخفاضاً، اي عند حدود (2,0) بالمائة وبالمقاربة مع المنطقة العربية فان أداء النمو في سوريا

كان اعلى في الساحة الاقليمية الى حلبة تمارس فوقها القوى العظمى سياسة تصفية الحساب، وإعادة بناء قواعد لعبة الامم، بما يخدم مصالح كل منها وأهدافه الاستراتيجية^٤.

ثانيا: جذور الازمة السورية:

تشهد سوريا منذ شهر آذار/مارس عام ٢٠١١ واحدا من أخطر التحديات في تاريخها الحديث، والمتمثل بأزمة اجتماعية سياسية عميقة، سرعان ما تصاعدت لتصل الى نزاع داخلي مسلح بسبب التدخلات الخارجية. وقد كشفت هذه الازمة عن تعقيد العوامل الداخلية فيها سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، على المستويين الداخلي والخارجي. بيد ان الحراك الاجتماعي في سوريا كان من دون ادنى شك سياسيا بامتياز منذ اللحظة الاولى، ورفع هذا من قيمة الحرية التي تشكل مطلبا لمعظم الاطراف على مختلف اشكالهم وتجلياتهم وتأثرا بموجة الاحتجاجات-في اطار ما عرف بثورات الربيع العربي، ولاسيما الثورة المصرية والتونسية-شهدت معظم المدن السورية احتجاجات مشابهة، بدأت في منتصف شهر آذار/مارس عام ٢٠١١ مطالبة بإجراءات واصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية لكن هذه الاحتجاجات استغلت بشكل لا مثيل له من قبل بعض الدول، ما لبث انها تحولت الى صدامات مسلحة عنيفة بعد مرور ثلاثة اشهر، الامر الذي وضع النظام السوري امام تحديات داخلية، وتوسعت الفجوة بينه وبين المحتجين، خاضعة في ضل تدخلات خارجية تمثلت بمحاولات تدويل الازمة، وما اعقب ذلك من تجاذبات اقليمية ودولية، ادخلت الازمة في دوامة من الرهانات فوضعتها في خانة التنافس الاقليمي والدولي من جهة، وحيال مواقف متباينة مشحونة بالعواطف والاستقطابات الطائفية من جهة أخرى^٥.

بدأت انطلاقات الاحتجاجات من درعا، وهي محافظة جنوبية، يغلب عليها الطابع الريفي كانت الاحتجاجات ضيقة النطاق لفتية كتبوا شعارات على الجدران معادية للنظام مثل (جاك الدور يا دكتور) و(الله سوريا حرية وبس) و(الشعب يريد اسقاط النظام). لم تحمل شعاراتهم ما يشير الى مواقف سياسية او طائفية، وقد واجهت السلطة المتظاهرين بالقوة لتفريقهم فسقط قتلى وجرحى، واتسعت رقعة التظاهرات

وشملت البلاد كلها. ففي ١٨ آذار/مارس عام (٢٠١١)، وتحت شعار (جمعة الكرامة) خرجت تظاهرات في مدن دمشق، وحمص، ودرعا، وبانياس، وقد قابلها الأمن بالعنف خصوصا في درعا، فتراوح عدد الجرحى على يد الأمن السوري ما بين (١٠) بحسب قول الحكومة و(١٠٠) بحسب قول المتظاهرين. ثم تحولت التظاهرات الى اشتباكات دامية في محيط المسجد العمري ومناطق أخرى في المدينة حاول النظام في بادئ الأمر، الى تهدئة الاوضاع، وإدارة الازمات الداخلية عبر تقديم تنازلات سياسية من قبيل اقرار الحق القانوني في التظاهر، وإعلان قانون الطوارئ، وحل الحكومة وتشكيل حكومة جديدة، والدعوة الى حوار وطني، والحديث عن اعادة النظر في المادة الثانية من الدستور، والمتعلقة بقيادة حزب البعث للدولة. كما أعلن الرئيس السوري (بشار الاسد) في (٧) نيسان/ابريل عن منح الجنسية لبعض المواطنين الاكراد الذين لم يكونوا قد حصلوا عليها في سوريا. دفعت هذه التنازلات المتظاهرين الى رفع سقف مطالبهم، في الوقت الذي ازداد فيه سلوك الاجهزة الامنية سوءا، ما قوض مصداقية الإجراءات الحكومية المعلنة لدى الشعب السوري، خاصة بعد وصف النظام للمعارضة بانهم ليسوا اكثر من خليط متداخل من المجرمين، والاصوليين الاسلاميين المتأمرين، والمدعومين من الخارج. وقد قال الرئيس السوري بشار الاسد امام مجلس الشعب في خطابه الاول بعد اندلاع الاحتجاجات: بكل وضوح ان سوريا تتعرض لمؤامرة كبيرة، تمتد خيوطها من دول بعيدة ودول قريبة، ولها بعض الخيوط داخل الوطن، معتبرا ان هذه المؤامرة تعتمد في توقيتها، لا في شكلها على ما يحصل من الدول العربية من ثورات على الانظمة، وقد سماها (صرعة جديدة)، ورفض ان يعتبرها ثورات، وانما هي مجرد حالة شعبية^٦، وقال ايضا: إن هنالك خلطا بين ثلاث عوامل هي: (الفتنة، والاصلاح، والحاجات اليومية)، مستخلصا ان الحاجات اليومية وراء الحالة الشعبية التي تشهدها، لكن الفتنة دخلت على الموضوع، وبدأت تقود العاملين الآخرين، والفتنة هنا هي المؤامرة التي اصبحت كلمة محورية لرسم السياسية للنظام السوري ولا شك في ان الاحداث لا تقع بصورة عفوية دون تخطيط مسبق، وهنا ينسب ل (روزفلت الرئيس الاميركي الاسبق قوله) ان لا شي في السياسية يحدث

صدفة، وإن وقع، فقد أريد له أن يبدو كذلك جاء في تصريح للرئيس السوري (بشار الأسد) إلى جريدة ستريت جورنال الأميركية أن سوريا ليست تونس وأورد سببين لذلك: كونها دولة ممانعة ومقاومة يتطابق فيها الريان الرسمي والشعبي في إطار أجماع وطني عام، وكونها دولة تحترم معتقدات شعبها، وتشاطرها أياها، فلا مشكلة أو خلاف بينها وبينه في هاتين المسألتين المهمتين، ولذلك تبقى سوريا الحالة الوحيدة بين الدول العربية التي مثلت دول الممانعة من خلال احتفاظها بعلاقات استراتيجية مع إيران، منذ قيام الثورة الإسلامية فيها عام (١٩٧٩) وحتى الآن، وهذا فضلا عن عدم انسياقها أو انصياعها للتسويات العربية - الإسرائيلية، التي شهدتها حقبة السبعينات من القرن الماضي، كاتفاقية كامب ديفيد، وأوسلو، ووادي عربة.

من هنا يمكن القول أن سبب افتعال الأزمة في سوريا أصبح واضحا وذلك لضرب محور الممانعة والمقاومة في المنطقة، والممتد من لبنان إلى سوريا، فالعراق، ومن ثم إيران، والذي تخشاه الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل، لأنه يمثل خطا مستقيما، يربط تلك الدول الممانعة ببعضها، بحيث يمكن أن تشكل تحالفا قويا باعتمادها على الدعم المتبادل من دون الحاجة إلى المرور بأي دولة أخرى، وهذا ما شكل تهديدا تخشاه إسرائيل من خلال سهولة وصول الامدادات العسكرية من إيران مباشرة إلى لبنان وسوريا عبر العراق الحليف^٧.

المطلب الثاني: الأمن الوطني العراقي - المقومات والتحديات:

أن لكل شعب من الشعوب استراتيجية شاملة للأمن الوطني وعقيدة تستند على ركائز معينة تحدد فيها الأسس التي تعتمد عليها الاستراتيجية والأهداف التي تتطلع إليها والوسائل اللازمة لتحقيقها أو الإطار الزمني الذي تتم فيه والرقعة الجغرافية التي تحتويها المدى الذي يؤثر في هذه الاستراتيجية في النطاق المحلي أو العالمي وإذا أخذنا بالنظر الشاملة تطلعات أي شعب من الشعوب لتحقيق الأمن الوطني في

مرحلة زمنية معينة فانه يترتب علينا التعرف على مفهوم الامن الوطني الذي يسعى لتحقيقه ذلك الشعب وابعاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والعسكرية.

ويكاد ان مفهوم الامن الوطني من اعقد المفاهيم التي تعرضت الى جدل واسع واختلاف شديد على الرغم من قدم الموضوع المرتبط بالأساس بالدولة ونشئها^٨. ولعل من جملة الامور التي تسببت في هذا الجدل الاكاديمي من المفاهيم المتعلقة بالأمن الوطني هو النسبية التي ينطوي عليها فما تراه دولة ما حد من حدود امنها قد لا يكون كذلك بالنسبة لدولة اخرى وليس هذا وحسب ان مفهوم الامن الوطني بدا في احيان كثيرة نوعا ما الممارسة اكثر منها تعبيرا عن فقه متكامل بملاحظته ارتباط الامن بالدولة وبالسياسة في المحصلة الاخيرة، بما قاد الى التداخل بين ما هو اكايمي عملي وما هو ممارسة سياسية^٩.

ويرجع البعض ان اول من تناول مصطلح الامن الوطني كان الاميركي (والتر ليبمان)، اذ كان من أوائل من وضعوا تعريفا يتناول مفهوم الامن الوطني أما الاستخدام الرسمي للمصطلح فقد كان بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بعامين اي في عام ١٩٤٧، وذلك عندما أنشأ الأمريكان هيئة رسمية أطلق عليها الامن الوطني^{١٠}.

اولا: مقومات الامن الوطني العراقي:

تختلف مقومات الامن الوطني باختلاف الحاجة لها، وبشكل عام تنقسم المقومات الى ثلاثة أقسام، القدرة العسكرية والقوة الاقتصادية والاستقرار السياسي^{١١}، إلا أنه قد تم اضافة مقومات جديدة منها البعد الاجتماعي المتعلق بالايولوجية والوحدة الوطنية ودعم الارادة القومية واجماع الشعب على مصالح واهداف الامن الوطني النفاه حول قيادته السياسية، وقد تختلف المقومات من دولة الى اخرى حسب حاجتها للأمن الوطني، فمثلا تعد البيئة احدى دوافع الامن الوطني كما في بعض الدول الاوربية، في حين تعد القوانين المتعلقة بالهجرة احدى دوافع الامن الوطني في ايطاليا، اما في المانيا فان اعداد شعبها المتناقص والذي يثر على النمو الاقتصادي هو ما يجعل منها دافع للأمن الألماني^{١٢}.

ونظرا لارتباط مفهوم الامن بفلسفة النظام الاجتماعي للدولة فإننا نجد ان دوافع الامن فيه تتميز بعدة خصائص وهي^{١٣}:

- ١- ان دافع الامن يستوعب مجالات نشاط الدولة كافة
- ٢- دافع الامن يوجب على الدولة وضع الخطة التي تراها كفيلة بتحقيق امنها.
- ٣- ان خطط الامن تختلف من دولة الى اخرى حسب الدافع والتوجيه الايدلوجي وفلسفة النظام السياسي والاجتماعي.

اما في العراق فتقسم مقومات الامن الوطني الى ثلاث مقومات المقوم جغرافي والمقوم السياسي والعسكري والمقوم الاقتصادي والاجتماعي.

-المقوم الاقتصادي/ الاجتماعي:

يتمثل الدافع الاقتصادي الاجتماعي للأمن الوطني بتلبية حاجات افراد المجتمع وتحقيق الرفاهية للمواطن العراقي، اعتمادا على الموارد الطبيعية والامكانيات الاقتصادية وهذه احد عوامل القوة السياسية للدولة، ويلبي الدافع الاقتصادي دور بارزا في استقرار الدول والمجتمعات وحماية امنها الوطني، من خلال رفع المستوى المعيشي وتحقيق الاكتفاء الذاتي والقضاء على البطالة واليوم اصبح للدافع الاقتصادي اهمية كبيرة لتعزيز الامن الوطني، من خلال توفير مستوى عال من التحديث والتنمية الاقتصادية التي تعد شرطا ضروريا من شروط الحفاظ على الامن الوطني العراقي، واحداث الانفتاح السياسي والاقتصادي اذا ضعف المستوى المعيشي للمواطن يوتر في الامن، والملاحظ في العراق ان المجتمع واجه ويواجه تحديات اقتصادية واجتماعية كبيرة فالاصلاحات الاقتصادية لمواجهة الخلل في الاقتصاد، العراقي انعكس على قطاعات واسعه في الفئات الاجتماعية الدنيا وهو ما يولد توترا شديدا في بعض الاحيان وذلك نتيجة لانخفاض مستوى المعيشة وغياب دور الدولة في رعاية الفئات المحتاجة اذ لم تنجح السياسات الحكومية لحد الان في مجابهة آثار الفقر^{١٤}.

ثانياً: التحديات التي تواجه الأمن الوطني العراقي:

-التحديات على الصعيد السياسي والأمني:

" تمر الدولة احياناً بالعديد من الازمات السياسية، والتي تنعكس على واقع الحياة اليومية وتؤثر سلباً في طبيعة العلاقات بين الشعب والحكومة في حالة عدم قدرة الحكومة تلافي مثل هكذا ازمات ومعالجتها ففي السابق اي ما قبل الاحتلال الاميركي، لم تكن القوى السياسية المعارضة للنظام السياسي الشمولي، متفقة على صيغة لحكم الدولة التي ستحكمها والتي سيكون عليها شكل النظام السياسي مستقبلاً، بل كانت التوجهات الفكرية المعارضة هي اكثر تأثيراً على ذهنية الاحزاب السياسية في تلك الفترة وفيما بعد الاحتلال وصف الموقف السياسي في العراق طيلة الحقبة التي اعقبت سقوط النظام السياسي السابق بالمرتبك والمضطرب وهذا نتاج طبيعي لعدم وجود رؤية واضحة في طبيعة بناء الدولة^{١٥}.

"وفي السياق ذاته فقد عانى النظام السياسي في العراق بعد عام ٢٠٠٣ من مشكلة جوهرية نتيجة اعلان الحاكم الاميركي المدني للعراق (بول بريمر) سير العملية السياسية على وفق مبدأ التمثيل النسبي للقوميات والاديان الطوائف العراقية من اجل تمثيلها واسماع صوتها والاعتراف بوجودها لتأسس بذلك قاعدة المحاصصة القومية والدينية والطائفية لتبدأ بعدها مرحلة احياء الاحقاد الدفينة والموروثة، لتسبب بانقسام الشعب العراقي الى جماعات وهويات فرعية تتنازع بينها حتى وصلت حد الاقتتال والحرب الاهلية غير المعلنة منذ عام ٢٠٠٦، ويستمر بعدها التخذق السياسي وفقاً للطائفة لتفرز حكومات قامت على اساس طائفي وعرقي مما جعل كل الحكومات التي تشكلت في العراق بعد عام ٢٠٠٣، هي حكومات توافقية عنواناً ومختلفة عملياً قائمة على اساس المحاصصة الطائفية، فالكُل فيها يعمل بأسلوب متعارض مع اسلوب المكونات الاخر لتكون بذلك حكومة قائمة على التعطيل المتبادل نتيجة لتمتعها باعتراض متبادل يمنح كل طرف ايقاف الطرف الاخر، اذ لم تكن الديمقراطية التوافقية في العراق موفقة لافتقادها الارث الديمقراطي والخبرة العلمية وعدم وجود ثوابت وطنية متفق عليها بين المكونات لتعمل من أجلها^{١٦}.

الخاتمة:

تشهد سورية منذ اذار ٢٠١١ واحدة من أكبر تحولاتها المعاصرة واكثرها اهمية فالاحتجاجات والتظاهرات السلمية تحولت الى مقاومة مسلحة اخذت طابع العنف المتصاعد الذي ولد مزيدا من التدهور في ظل غياب بديل واقعي وعملي ممثلا في المبادرات الدبلوماسية التي واجهت الفشل دائما. لقد علق أطراف الصراع في داخل حلقة مفرغة فالنظام ضاعف من عملياته الامنية والعسكرية لسحق المعارضة، مصورا نفسه الساعي لاستعادة الامن والنظام. محملا مسؤولية تدهور الاوضاع الى المتطرفين داخل المجتمع ووسائل الاعلام الاجنبية والمؤامرات الدولية، اما المعارضة فتسيطر حالة الاستقطاب العميق على اوضاعها بين فئة تعتقد ان النظام سيغير من طريقة عمله بان يتخلى عن مساعيه لإنهاء وجود المعارضة لاعتبارات عدة وفئة تدعو الى تسليح المعارضة وتحشيد الجهود الدولية الرامية الى انجاز تدخل عسكري يهدف الى تحقيق الهداف المشروع المتمثل بإنهاء وجود النظام ودفعها الى واجهة الاحداث وفي ظل حالة التجاذب الحاد ما بين النظام ومعارضيه والاحتمالات الضعيفة لنجاح المبادرات الدبلوماسية برزت الى حيز الوجود حالة التنافر في الروى الاقليمية بين مؤيدي بقاء النظام السوري من عدمه وهو تنافر عمق الازمة السورية وادخلها في صراع غير واضح المعالم.

الهوامش:

- ١ ميشيل كيلو ، سوريا: محاصرة الديمقراطية ، مجلة المستقبل العربي ، عدد ٣٩٩ ، ايار ٢٠١٢ ، ص ص ١٣٧-١٣٨
- ٢ معن فهد ، الثورة السورية قصة البداية ، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية ، ٢٠١٤ ، ص ٤.
- ٣ سلامة كيلة، الصراع الطبقي في سوريا، ط١، منشورات المتوسط، بغداد، ٢٠١٥، ص ٤٣.
- ٤ محمد جمال باروت، العقد الأخير في تاريخ سورية جدلية الجمود والإصلاح، ط١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٢، ص ١٤٩.
- ٥ علي محمد حسين العامري، الازمة السورية نظرة من الداخل ، الملف السياسي، العدد (١١٥)،

- مركز الدراسات الدولية جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص ٣٣
- ٦ حميد نعمة عيدان جلود دور المبادرات السلمية في ادارة العلاقات الدولية روسيا الاتحادية أنموذجا_، مركز العراق للدراسات العراق، ٢٠١٦، ص ٢٣١، ٢٣٠.
- ٧ زكي محشي ، دور العوامل السياسية في الحراك السياسي: الحالة السورية ، المعهد العربي للتخطيط، دمشق، ٢٠١٥
- ٨ ظهرت بدايات نشوء الامن الوطني مع ولادة الدولة القومية في اوربا، بعد معاهدة ويستفاليا عام ١٧٤٨، وبموجبها تغير شكل النظام الدولي وبدأت حقبة جديدة تمثلت بظهور فكر التنوير وبداية النهضة العلمية والصناعية في اوربا، ولعل الظروف السياسية والامنية التي شهدتها اوربا هي التي تفسر سبب ظهور هذا المصطلح فضلا عن رغبة كل دولة في الحفاظ على جرافتيها ومواطنيها وقدراتها الوطنية، وخوفها الكبير من جوارها من الدول، مما عزز مفهوم الامن الوطني وزاده تطورا وانتعاشا. للمزيد ينظر: هایل عبد المولى طشطوش، الامن الوطني فيظل النظام العالمي الجديد، دار الحامد للطباعة، عمان، ٢٠١٢، ص ٢٦.
- ٩ حامد ربيع، نظرية الامن القومي حول عملية التأصل الفكري لمنهجية تقنين مبادئ الامن القومي والواقع العربي في الامن القومي والحرب ، افاق عربية للصحافة والنشر بغداد، ١٩٨٥، ص ١٠ وما بعدها.
- ١٠ سالم محمد عبود وسعد عبد الستار، الامن الوطني بين البطالة والتنمية دراسة مستقبلية في واقع العراق، دار الدكتور للعلوم ، بغداد ، بلا ، ص ٨٠.
- ١١ خلود خالد، الامن القومي المصري واستخدامه وعلاقته بحرية تداول المعلومات، منتدى البدائل العربي للدراسات، A.F.A، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٣
- ١٢ عمر احمد قدور، شكل الدولة واثره في تنظيم مرفق الامن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢١٩
- ١٣ سلمان الدركزلي، جرافية العراق والاقطار المجاورة العسكرية، مطبعة الرهان، بغداد، ١٩٩٥، ص ٢
- ١٤ مجموعة من الباحثين، الديمقراطية والتنمية الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١، ص ٢٩٩
- ١٥ جاسم يونس الحريزي ، الوحدة الوطنية ، في ملف (العراق الى اين)، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٠٥ ، عدد ٢٨ (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٤) ، ص ٥٣

١٦ د. أحمد عبد القادر القيسي ، الاتفاق الامنية للعراق في المستقبل ، مجلة دراسات عراقية ، العدد ٣ ، السنة الاولى (بغداد، مركز العراق للبحوث والدراسات الاستراتيجية ، ٢٠٠٥) ، ص ٦٣

المنهجية التحليلية لمعرفة أسانيد الروايات عند الإمامية-دراسة تطبيقية

أ.م.د. آمال حسين علوان

كلية الفقه/ جامعة الكوفة

المقدمة:

إنَّ الاشتغال بالحديث وعلومه، والتصنيف فيه خير ما يُسعى إليه واشرف ما يُتَّحصل عليه، فهو إرث المعصومين ، ومطلب العلماء .

فلا يخفى على كل مشتغل في علوم الشريعة الإسلامية إنَّ السنة المطهرة الشاملة لأحاديث الرسول (ص) وعترته الطاهرة تعد المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، وأغناها على الإطلاق ، إذ جاءت السنة مبينة ومؤكدة ومؤسسة للأحكام ، وبهذا كان للأحاديث والروايات أهمية واضحة في مجال استنباط الأحكام الشرعية ، وعليه كان الوقوف على هذه الأحاديث والروايات والاستفادة منها يتطلب التحقق من صدورها ، أو الحصول على ما يجعلها حجة على المكلفين في مقام استنباط الحكم الشرعي ، لذا توجب الوقوف على أسانيد تلك الروايات ومعرفة صحيحها من سقيمها ، لذا فقد تصدَّى الفقهاء والمحدثون لمعرفة أسانيد الروايات ودراستها ، والبحث عن أوصاف رواتها ولذا تجد بحوث العلماء بين فحصهم للأسانيد العالية وبين فحصهم للأسانيد النازلة أو تحديده للأسانيد المدغمة أو المفصلة، أو تشخيصهم للأسانيد المقرونة أو للأسانيد الموقوفة أو المضمرة أو المعلولة وغيرها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن البحث في الأسانيد هوية الحديث ولعل أهميته تكمن من توجيه المعصوم "ع" للرواة والفقهاء بقوله في الرواية الآتية:

(عن السكوني، عن أبي عبد الله "ع" قال : قال أمير المؤمنين "ع" إذا حدثتم بحديث فأسندوه إلى الذي حدثكم فإن كان حقا فلكم وإن كان كذبا فعليه)^(١)

هذه الرواية واشباهها تعطي الأهمية الكبرى للسند، والمتمعن في دراسته، بل الاجتهاد في الفحص عن خباياه وخفاياه من هنا جاء هذا البحث طارقا بابا جديدا من أبواب البحث العلمي في المكتبة الأكاديمية بغية تحريك البحث العلمي واستقراء لما تمّ دراسته من أسانيد الكتب الحديثية و ما نتج عن تلك الدراسات من أبحاث متعددة. ولذا كانت هناك أكثر من مرحلة تحليلية للأسانيد في التراث الروائي الإمامي إلا أن البحث سيقصر على ثلاثة فقط وهي معرفة الأسانيد المتناظرة والمعلقة والمقرونة لكثرتها في كتبنا الحديثية وأهميتها العظمى في تشخيص الأسانيد الصحيحة من السقيمة، وعليه كانت مشكلة البحث التي تركزت في الإجابة عن الآتي:

ماهي المنهجية التحليلية لمعرفة الأسانيد؟ وماهي آثارها في البحث الحديثي؟
منهجية البحث:

كانت منهجية البحث دراسة تحليلية تطبيقية لبعض الأسانيد التي تمّ اختيارها من الكتب الحديثية المشهورة عند الإمامية بخطوات منظّمة، وعليه فقد انتظم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث: تولى المبحث الأول التعريف بالأسانيد المتناظرة وتحليلها أما المبحث الثاني فقد تناول الأسانيد المعلقة وتحليلها، وكان المبحث الثالث يدور حول الأسانيد المقرونة وفك اقترانها، وقد اختار البحث كمدرجة للتطبيق هذان الكتابان - الكافي والتهذيب - لما لهما من خاصية محدّدة لازمت هذين الكتابين وهي الأسانيد اذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن كتاب (من لا يحضره الفقيه) قد حذفت أسانيده، ومن ثم كان بيان اهم النتائج التي توصل اليها البحث ، وبيان قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الاول: الأسانيد المتناظرة:

للتعرف على مصطلحات المبحث لابد من التعرف بما جاء في عنوانه:

التعريف بالنظائر: المُناظِر: المِثْل والشَّبه في كلِّ شيءٍ، يقال: فلانٌ نظيرُكَ، أي مثلك، لأنّه إذا نظَرَ إليهما الناظرُ رآهما سواءً. النَّظير، كأمير، والمُناظِر: المِثْل والشَّبه في كلِّ شيءٍ، يقال: فلانٌ نظيرُكَ

، أي مثلك ، لأنه إذا نَظَرَ إليهما النَّاطِرُ رَأَهما سواءً ، كَالنَّظَرِ ، بالكسر ، حكاه أبو عبيدة ، مثل النَّدِّ والنَّدِيدِ ، ج نُظْرَاءَ ، وهي نُظَيْرُتْها ، وهُنَّ نُظَائِرُ ، كما في الأساس^(٢) والنُّظَائِرُ : الأفاضل والأماثلُ لاشتِباه بَعْضِهِم ببعض في الأخلاق والأفعال والأقوال^(٣) هذا هو التعريف اللغوي.

أمَّا التعريف الاصطلاحي: لم تجد الباحثة من يحدد هذا المصطلح في أسانيد الأحاديث الشريفة ، وعليه ستصيح تعريفا اجرائيا بما يناسب هدف البحث .

التعريف الاجرائي :

هي الأسانيد المشابه بعضها مع البعض الآخر المعتمدة على وسائط متشابهة وطرق متماثلة فبهذا اللحاظ يكون هو السند^(٤)

المطابق بأشباهه ونظائره الذي يقود الباحثين والمحدثين الى الوسائط المتحدة، ولعل من الامور التي تضمن سلامة السند من التصحيف والسقط والزيادة هي كثرت النظائر، مما يجعل الأسانيد أكثر اطمئنانا لدى المتلقين، وإذا سلمت المقدمات تكون النتائج سليمة، وإن معرفة النظائر من الأسانيد يستلزم معرفة اسماء الرواة بدقتها، كي يتجنب الباحثون الاشتباه^(٥) العوامل الكاشفة عن الأسانيد المناظرة:

لقد بحث العلماء هذا العنوان على الوجه الاجمالي لا على الوجه التفصيلي متفرقا بين كتب الفقه والرجال والحديث مما ادى بالباحثة ان تجمع ما أسمته من العوامل الكاشفة عن الأسانيد المناظرة او المتشابهة. وتكون في عاملين:

أ- العامل الاول: معرفة الاجمال والتفصيل في اسماء رواة الأسانيد:

حيث تأتي الأسانيد مجملة بأسماء الرواة وتكتفي احيانا بذكر القابهم أو كناههم احيانا اخرى وبذكر أسمائهم مفصلة بعض الاحايين.

مما يتطلب مكنة ودربة فائقة في تمييز هذه الاسماء وجمع النظر الى نظيره حتى يطمئن الفقيه من احراز سلامة السند من العلل.

ومن نظرة الى بعض الأسانيد نجد ان السند الاتي:

١ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسين بن يزيد النوفلي ، عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني ، عن أبي عبد الله "ع" قال : قال رسول الله (ص): لا تقطعوا على السائل مسأله فلولا أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم ^(١).

وقد جاء هذا السند مفصلا في الرواية الآتية الذكر فنجد ورد مفصلا في اسماء الرواة عارضا النوفلي بعنوان الحسين بن يزيد والسكوني بعنوان اسماعيل بن ابي زياد .

بينما أتى مجملا ومكررا في (٤٦٣ مرة) ^(٢)

وعلى الوجه الاتي:

علي بن ابراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن ابي عبد الله (ع).
مما يعطي مصداقا واضحا للنظائر في الأسانيد التي تجنب النقص او القلب ^(٣)
التي كانت افة تصيب الأسانيد .

كما ورد هذا الاجمال والتفصيل في كثير من الاسماء مثلا: ابراهيم بن محمد بن عبد الله الجعفري هو نفسه ابراهيم بن علي بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب (ع). ^(٤)

او الراوي: ابراهيم ابو اسحاق الذي روى رواية في تهذيب الاحكام:

عن أبي إسحاق إبراهيم عن أبي أحمد إسحاق بن إسماعيل عن العباس بن أبي العباس عن عبدوس بن إبراهيم عن أبي عبد الله "ع" قال: الحناء يذهب بالسهمك ^(٥) هو نفسه ابراهيم بن هاشم القمي.

او ابراهيم بن ابي بكر بن ابي سمال هو نفسه ابراهيم بن ابي بكر بن ابراهيم بن ابي بكر بن ابي السمال

الازدي^(١١) او ابراهيم بن ابي زياد الكوفي الذي ورد احيانا بعنوان (ابراهيم ابن ابي زياد) وحيانا بعنوان (ابراهيم الكوفي) وحيانا اخرى (ابراهيم ابن ابي زياد الكوفي) كذلك السند الاتي:

الحسين بن محمد (الاشعري) عن معلّى بن محمد عن (الحسن بن علي) الوشاء عن عبد الله بن سنان قال : سألت ابا عبد الله (ع) فقد تكرر عشرات المرات^(١٢)

ومن المعلوم ان هذا الامر نتوصل به الى التمييز بين الاتحاد والاشتراك^(١٣)

الذي تناولته مؤلفات الرجاليين ، وبنوا عليه الاحكام الرجالية من تعديل او تجريح

فالاتحاد: اختلاف الاسماء لشخص واحد ويعبر عنه متحد مع ما بعده^(١٤)

والاشتراك: اسم واحد لا شخاص متعددين ويعبر عنه مشترك مع غيره^(١٥)

ب-العامل الثاني: تتبع طرق النجاشي وطرق الطوسي:

لقد كان للشيخين الجليلين الفضل الاكبر في احصاء المصنفات والمؤلفات والاصول و الكتب للأقدمين

من محدثي الامامية بأسانيد متصلة قائمة على التحمل والسماع^(١٦)

وهما ركنا الاسناد^(١٧)

ف فهرست الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) احتوى على ذكر ٩١١ شخصا والذي أشار - اضافة الى التصنيف - الى مرتبة الجرح والتعديل قائلا:

(فاذا ذكرت كلّ واحد من المصنفين واصحاب الاصول فلا بد من أن أشير الى ما قيل من التعديل والتجريح وهل يعول على روايته أولا؟)^(١٨)

ثم أشار الى انه لم يضمن في استيفائه لكل تصانيف اصحابنا الامامية فهي لا تكاد تضبط .

وعدم ذكره للأسماء والمصنفات لدقته وضبطه حيث لم يحصل على طرق حسية للمصنفات أو للمصنفين .

وفهرست النجاشي (٤٥٠هـ) الذي جاء بعد فهرست الشيخ الطوسي تاريخياً وقد احتوى على ذكر ١٢٦٩ مصنفاً وكان جمعه حسب طاقته حيث أشار الى عدم استيفاء لكل ما كتبه الاصحاب في الفن ولعل ديباجة مقدمته تكشف غرض التأليف والفهرست باستعمال الطرق الحسية الى جرح وتعديل من ذكرهم في كلا الكتابين الطرق تشير الى الاصول والمصنفات.

مثلاً: ما ذكره الشيخ الطوسي في ابراهيم بن ابي البلاد:

(له أصل أخبرنا ابن ابي جيد، عن ابن الوليد عن الصفار عن محمد بن الصهبان -واسمه عبد الجبار- عن ابي القاسم عبد الرحمن بن حماد الكوفي عن محمد عن سهل بن اليسع عن ابراهيم بن ابي البلاد)^(١٩). وهذا الطريق بعينه هو طريق النجاشي الى ابراهيم بن ابي البلاد وبالتالي نلاحظ الأسانيد المتناظرة في الوصول الى الكتب مما يبعث السلامة والاطمئنان في الوثوق بهذا الكتاب او بغيره وربما يفضي هذا الى مسألة تعويض الأسانيد^(٢٠).

والتي لا تجري الا في مرويات الشيخ الطوسي لأنه رحمه الله اورد في كتابيه (التهذيب والاستبصار) بعض الروايات التي رواها بعض الضعفاء لكنها تنتهي بأسماء رواة ثقة وذكر في الفهرست الى بعض هؤلاء الثقة طرقاً معتبرة والقائل بجواز تعويض السند^(٢١).

يستبدل هذا السند الضعيف بالسند المعتبر الذي ذكره -ه- في الفهرست في طريقه الى هذا الثقة ليتبين انه الاخذ به^(٢٢)

المبحث الثاني: معرفة الأسانيد المعلقة:

التعليق^(٢٣) في الأسانيد او الأسانيد المعلقة معرفتها تتطلب خبرة عالية في دراسة الأسانيد وتحليلها فلقد جاءت مجموعة من الأسانيد في بعض الكتب الحديثية غير مبدوءة^(٢٤)

بشيخ من الشيوخ على سبيل المثال كتاب الكافي للشيخ الكليني فقد تكون بعض اسانيده معلقة على سابقتها وجاءت مجموعة اخرى مبدوءة بـ(عنه) وثالثة جاءت ذيل اسانيد اخرى غير كاملة .

ففي هذه الصور علينا ان نتبع الخطوات الاتية في التحليل :

اولا: نعين ما علق عليه السند.

ثانيا: اضافة ما يكتمل به

ثالثا: تعيين مرجع الضمير في (عنه) وأثبتاته بدلاً لـ(عنه).

رابعا: تكميل الأسانيد الذيلية ببقية الوسائط في السند

وهناك عدة انواع من التعليق:

النوع الاول: التعليق على السند السابق:

فمثلا: ان الشيخ الكليني -قده- ذكر مجموعة من الأسانيد غير مبدوءة بأسماء مشايخه الذين عرفوا من خلل مجموعة اخرى من اسانيد كان قد ذكرهم في بداياتها، وصدر السند باسم الواسطة الثانية او الثالثة ، وعلق على ما سبقه وتكميل السند المعلق يؤخذ من السند السابق الواسطة الاولى اذا كان المعلق مبدوء بالواسطة الثانية واذا كان مبدوء بالواسطة الثالثة يؤخذ من السابق الواسطتين الاولى والثانية وبهما يكتمل السند المعلق بسهولة اذا كان مبدوء باسم قد جاء هذا الاسم في السند السابق فيؤخذ كل ما جاء قبل هذا الاسم من السند السابق وبه يكتمل السند المعلق مثال ذلك:

السند الاتي:

(يونس، عن علي بن ابي حمزة ، عن ابي بصير، عن ابي عبد الله "ع" (٢٥)

وجاء في سابقه :

(علي بن ابراهيم ،عن ابيه، عن اسماعيل بن مرار عن يونس عن ابن مسكان يرفعه عن رجل ، عن ابي جعفر "ع")

ويكتمل السند هكذا: علي بن ابراهيم، عن ابيه، عن اسماعيل بن مرار، عن يونس ، عن علي بن ابي حمزة ، عن أبي بصير ، عن ابي عبد الله "ع"

النوع الثاني: التعليق على السند اللاحق

وهناك نوع آخر من التعليق وهو التعليق على السند السابق مثاله:

أبان عن زرارة عن ابي جعفر "ع" (٢٦)

وجاء في ما قبل السابق عليه اي حديث ٢ من الباب نفسه:

حميد بن زياد ، عن الحسن بن محمد بن سماعة ، عن غير واحد ، عن ابان بن عثمان عن عبد الرحمن بن ابي عبد الله عن ابي عبد الله "ع" .

فيؤخذ من هذا السند الوسطة الاولى حتى الثالثة ليكتمل السند المعلق.

النوع الثالث: الأسانيد المبدوءة بالضمير:

وهي على انواع:

الاول: يكون مرجع الضمير هي احدى الوسائط المذكورة في السند السابق والسند السابق تام بذاته مثاله (٢٧): بدايته:

عنه ، عن صفوان ، عن اسحاق بن عمار قال: قلت لابي ابراهيم "ع".

وقبله: (ابو علي الاشعري، عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن احدهما "ع" .

فيكون المقصود من (عنه) هو (محمد بن عبد الجبار) وقبله (ابو علي الاشعري) وبهما يتم السند.

النوع الثاني: يكون مرجع الضمير هو احدى الوسائط المذكورة في السند السابق، والسند السابق معلق

على غيره

مثاله (٢٨)

وبدايته:

عنه ، عبد الله بن سنان قال : سمعت ابا عبد الله "ع" يقول:

قبله:

يونس عن عبد الله بن بكير ، عن أبي عبد الله عليه ...

وقبله برقم ١٠:

علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن ابي ايوب الخزاز عن محمد بن مسلم قال :

قال : فيكون المقصود من (عنه) هو (يونس) الذي جاء في بداية الحديث رقم ٩

وحديث يونس معلق على سابقه.

النوع الثالث: يكون مرجع الضمير هو احدى الوسائط المذكورة في ما قبل السند السابق.

مثاله^(٢٩): (وعنه ، عن محمد بن أحمد ، عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال ، عن عمرو بن سعيد

المدائني ، عن مصدق بن صدقة ، عن عمار بن موسى ، عن ابي عبد الله "ع").

وجاء في ما قبل سابقه اي برقم ١٦ :

أحمد بن ادريس ، عن محمد بن احمد الى اخر السند ، فيكون المقصود من (عنه) هو (احمد بن ادريس)

المبحث الثالث: الأسانيد المقرونة:

وهي الأسانيد التي يتداخل معها اكثر من طريق ويشار الى الطريق بحرف العطف(و) ، والعطف في

الاسانيد يختلف عن العطف في اللغة العربية فالأول يعطف على البعيد والثاني يعطف على القريب.

مثاله: ما قاله الكليني:

علي بن محمد وأحمد بن محمد عن علي بن الحسن عن العباس بن عامر عن محمد بن ابراهيم

الصيرفي عن مفضل بن قيس بن رمانة قال : ...^(٣٠)

ويكون المقرون على انواع:

١-وحدة السند ووحدة المتن وتعدد المصدر:

مثلا ما رواه الشيخ المجلسي عن أمالي الطوسي: عن المفيد ، عن ابن قولويه، عن أبيه ، عن سعد،

عن ابن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن أبي سعيد القمط ، عن المفضل قال : سمعت أبا عبد الله "ع" يقول: لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه أربع خصال: يحسن خلقه، ويستخف نفسه ، ويمسك الفضل من قوله ، ويخرج الفضل من ماله (٣١)
أما أبو سعيد القمط (٣٢)

هو : خالد بن سعيد وثقه النجاشي. (٣٣)

٢- تعدد السند ووحدة المتن ووحدة المصدر:

هنا تكون الحالة مغايرة لما ذكر في أعلاه ، ففي هذه الحالة يذكر أولاً ما اختلفت من السند الاول ، ثم يناظر فيما اختلف من السند الثاني، بعدها يفصل عنهما بحرف عطف (و) ثم يكتب كلمة جميعاً. ثم يذكر ما أشترك من السندين.
مثاله:

ما قاله الصدوق : حدثنا المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي السمرقندي رضي الله عنه قال: حدثنا جعفر بن مسعود وحيدر بن محمد السمرقندي جميعاً عن

محمد بن مسعود قال : حدثني محمد بن إبراهيم الوراق

قال : حدثنا حمدان بن أحمد القلانسي ، عن أيوب بن نوح ، عن صفوان بن يحيى ،

عن ابن بكير ، عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر "ع" يقول : إن للقائم غيبة قبل أن يقوم ، قال : قلت : ولم ؟ قال : يخاف - وأوماً بيده إلى بطنه - (٣٤)

وقال أيضاً :

حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه قال: حدثني عمي محمد بن - أبي القاسم ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أيوب بن نوح ، عن صفوان بن يحيى عن ابن بكير ، عن زرارة ، عن أبي عبد الله "ع" قال: للقائم غيبة قبل قيامه ، قلت: ولم؟ قال: يخاف على نفسه الذبح (٣٥).

فهذان الحديثان من مصدر ، وسنداهما مختلفان في الصدر ومتحدان في الذيل.
 من الامور التي يتحتم على الباحثين أدراك معرفة مشايخ الشيخ الكليني كماً وكيفاً
 وربما لطبقات الرواة مدخلية في ذلك ، لكي يعرف الباحث موقع الراوي وطبقته ، إضافة الى عصره
 فربما يذكر الكليني في بعض الأسانيد عدة طرق للحديث الواحد ، وذلك بأن يعطف الراوي على من
 سبقه في الذكر بحرف العطف .

مثاله:

محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي ، و
 محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة جميعاً ، عن أبي عبد الله
 "ع" قال : وقت الظهر يوم الجمعة حين تزول الشمس (٣٦)

ومثاله:

أحمد بن إدريس ، ومحمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن أحمد بن الحسن بن
 علي ، عن عمرو بن سعيد ، عن مصدق بن صدقة ، عن عمار الساباطي ، عن أبي عبد الله
 "ع" قال: في رجل صلى على غير القبلة فيعلم وهو في الصلاة قبل أن يفرغ من صلاته قال : إن كان
 متوجها فيما بين المشرق والمغرب فليحول وجهه إلى القبلة ساعة يعلم وإن كان متوجها إلى دبر القبلة
 فليقطع الصلاة ثم يحول وجهه إلى القبلة ثم يفتتح الصلاة .

فهذا السند يتضمن طريقتين هما:

١- أحمد بن إدريس ، عن محمد بن أحمد.

٢- محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد

والطريقان يتحدا من محمد بن أحمد فما بعد.

وقد جاء في الكافي :

علي ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، ومحمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان
عن حماد بن عيسى ، ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن
زرارة ، عن أبي جعفر "ع" قال : إذا قمت في الصلاة فلا تلصق قدمك بالأخرى .. (٣٧)
فهذا السند يتضمن ثلاثة طرق هي ينبغي تفرقة :

- ١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أبي جعفر "ع"
 - ٢- محمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أبي
جعفر "ع".
 - ٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أبي
جعفر "ع".
- وكل هذه الطرق تتحد من حماد بن عيسى فما بعد.

جاء في الكافي:

عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، وأحمد بن محمد بن خالد ، وعلي بن إبراهيم ، عن
أبيه وسهل بن زياد جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن أبي عبيدة الحذاء ، عن أبي عبد
الله "ع". (٣٨)

فهذا السند يضم أربعة طرق :

ثلاثة مبدوءة بالعدة وواحد منها بعلي بن إبراهيم ويكون (سهل بن زياد) معطوفاً على أحمد بن محمد بن
خالد لا على (أبيه) لأنّ علي بن إبراهيم لا يروي عن سهل هذا وكثرت روايات العدة عنه.
تفكيك السند المقرون:

أما كيف يتم تفكيك الطرق فتكون بالصور الآتية

- ١- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، وأحمد بن محمد بن خالد وعلي بن إبراهيم عن أبيه وسهل بن زياد جميعا عن ابن محبوب.
 - ٢- عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى ، وأحمد بن محمد بن خالد وعلي بن إبراهيم عن أبيه وسهل بن زياد جميعا عن ابن محبوب.
 - ٣- عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى وأحمد بن محمد بن خالد وعلي بن إبراهيم عن أبيه وسهل بن زياد عن ابن محبوب.
 - ٤- عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى وأحمد بن محمد بن خالد ، وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه وسهل بن زياد جميعا عن ابن محبوب.
- وهناك من الأسانيد المقرونة جاءت في تهذيب الاحكام
- ١- قال الطوسي:

أحمد بن محمد وسهل بن زياد جميعا عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن حماد بن عثمان عن إسحاق بن عمار قال: سألت أبا الحسن "ع" عن رجل أستودع رجلا ألف درهم فضاعت ، فقال الرجل كانت عندي وديعة ، وقال الآخر : غنما كانت عليك قرضا قال "ع" : المال لازم له الا أن يقيم البينة أنها كانت وديعة. (٣٩)

فنلاحظ إن للحديث طريقان

الاول : مبدوء بأحمد بن محمد.

الثاني: بسهل بن زياد.

٢- عنه [اي علي بن الحسين بن موسى بن بابويه] عن سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسين وأحمد ابن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن علي بن عقبة وذبيان بن حكيم عن موسى ابن أكيل عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر "ع" قال :

ما على أحدكم إذا دفن ميتة وسوى عليه وانصرف عن قبره أن يتخلف عنده ثم يقول:...

فوجد هنا ان هناك اربعة طرق للحديث نتيجة النظائر الموجودة في الحديث الشريف :

١- علي بن الحسين بن موسى بن بابويه ، عن سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسين عن علي بن عقبة ، عن موسى بن أكيل عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر "ع".

٢- - علي بن الحسين بن موسى بن بابويه ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن الحسين ، عن ذبيان بن حكيم ، عن موسى بن أكيل ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر "ع".

٣- - علي بن الحسين بن موسى بن بابويه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال ، عن أبيه ، عن علي بن عقبة ، عن موسى بن أكيل ، عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر "ع".

٤- علي بن الحسين بن موسى بن بابويه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال ، عن أبيه ، عن ذبيان بن حكيم ، عن موسى بن أكيل ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر بن يزيد ، عن أبي جعفر "ع".

٣- قال الشيخ الطوسي: سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد و عبد الرحمن بن أبي نجران والعباس بن معروف ، عن حماد بن عيسى ، عن عمر بن أذينة ، عن زرارة وبكر أبني أعين والفضيل بن يسار ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية عن أبي جعفر وأبي عبد الله "ع" أنهما قالوا : على الرجل أن يعطي عن كل من يعول من حرّ وعبد صغير وكبير يعطي يوم الفطر فهو أفضل وهو في سعة أن يعطيها في أول يوم يدخل في شهر رمضان إلى آخره فإن أعطى تمراً فصاع لكل رأس ، وإن لم يعط تمراً فنصف صاع لكل رأس من حنطة أو شعير والحنطة والشعير سواء ما أجزأ عنه الحنطة فالشعير يجزي^(٤٠)

فالحديث ثلاثون طريقاً

٤-وعنه ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز والقاسم بن محمد ، عن الحسين بن أبي العلاء ، جميعا ، عن أبي عبد الله "ع" وصفوان بن يحيى عن العلاء عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام. وعلق عليه السيد البروجردي (قده) قائلا:

(والقاسم بن محمد معطوف على حماد بن عيسى وكذا قوله : وصفوان بن يحيى) (٤١).

٥-سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن أبي بصير (يحيى بن أبي القاسم) عن أبي عبد الله "ع" . وعلق عليه السيد البروجردي قائلا:

المراد أن أحمد بن محمد روى الحديث عن عاصم بسندين :

أحدهما أعلى من الآخر

فالأعلى ابن أبي نجران عنه

والآخر:

الحسين بن سعيد عن النضر عنه

ومنها:

٦-عنه عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن بكر ، عن حفص عن عمر بن سالم ومحمد بن زياد بن عيسى ، عن هارون بن خارجة قال : قال ابو عبد الله "ع" (٤٢) وعلق عليه قائلا:

الظاهر أنه محمد بن بكر بن جناح ، وحفص لعله حفص بن سالم ، وكون رواية محمد بن بكر عن حفص مسندة محل تردد ، ثم قوله محمد بن زياد بن عيسى ، عن هارون معطوف على قوله: حفص عن عمر بن سالم ؛ فحاصله أن محمد بن بكر روى الحديث عن أبي عبد الله "ع" بطريقتين.

٧-الحسين بن سعيد عن (محمد) بن ابي عمير عن حماد عن الحلبي والنضر وعلي بن النعمان عن عبد الله بن مسكان جميعا عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله "ع" (٤٣) وعلق عليه قائلا:

ظاهره رواية النضر وعلي بن النعمان كليهما عن ابن مسكان ورواية حماد عن الحلبي ثم رواية الحلبي وابن مسكان جميعا عن سليمان ، وليس الامر كذلك: وصوابه هكذا :

ابن ابي عمير ، عن حماد ، عن الحلبي والنضر ، و(علي بن النعمان عن ابن مسكان) كل واحد من ابن مسكان عن سليمان ، ثم الحلبي وسليمان عن أبي عبد الله "ع" كما يتبين من ملاحظة الأسانيد.

٨-أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن عيسى ، عن عبد الله بن المغيرة وعن محمد بن الحسن الصفار ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن إسماعيل ، عن صالح بن عقبة عن يونس الشيباني قال : قلت لأبي عبد الله (٤٤) وعلق عليه قائلا:

الظاهر أن السندين يتصلان بيونس الشيباني .

٩-وعنه عن حماد بن عيسى ، عن حريز والقاسم بن محمد عن الحسين بن أبي العلاء جميعا ، عن أبي عبد الله "ع" وصفوان بن يحيى ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام. (٤٥) وعلق عليه قائلا:

والقاسم بن محمد معطوف على حماد بن عيسى ، وكذا قوله: وصفوان بن يحيى.

١٠- وعنه ، عن يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير عن حفص بن البختري والحسن بن عبد الملك عن زرارة جميعا عن أبي عبد الله "ع" (٤٦) وعلق عليه قائلا:

الظاهر إن المراد ابن أبي عمير رواه عن أبي عبد الله "ع" بطريقين: أحدهما: حفص عنه "ع"

والآخر: الحسن عن زرارة عن أبي عبد الله "ع".

ثم إن الحسن بن عبد الملك غير مذكور ويحتمل كونه أخ زرارة فتدبر.

١١- الحسن بن محمد بن سماعة عن عبد الله بن جبلة وجعفر بن محمد بن عباس عن العلاء عن محمد بن مسلم عن أحدهما (ع). (٤٧)

نتائج البحث:

بعد هذه الجولة التحليلية للأسانيد في الكتب الحديثية عند الإمامية توصل البحث الى النتائج الآتية:

١- تستلزم معرفة الأسانيد المتناظرة التامين من وجود العلل في الأسانيد، وتكرار السند في الباب الواحد او الابواب المتعددة يقتضي وجود ضبط لدى المحدث في تحمله للحديث.

٢- ان معرفة الأسانيد بهذا المنهج التحليلي يستعين بمعرفة بعضها بالبعض الآخر ويبين مجملاتها بالاعانة بمفصلاتها.

٣- استبعاد الزيادة او النقص الحاصل في الأسانيد عند تكرارها وجمع النظير الى نظيره وبالتالي تبتني النتائج الصحيحة على مقدمات صحيحة.

٤- معرفة الأسانيد المعلقة تهدف الى ايجاد نظريات سندية أبرزها تعويض الأسانيد والاخرى بناء الأسانيد والتي طالما ما استعملها المحدثون الاوائل في كتبهم الحديثية.

- ٥- ان اتقان المعلقات من الأسانيد يفضي الى معرفة ما حذف من ابتداء الأسانيد من وسائط قد تكون شبه مبهمة لدى الباحثين.
- ٦- ان دراسة الأسانيد المعلقة يفضي الى معرفة عودة الضمائر الموجودة في الأسانيد والتي عكف المحدثون على كتابتها .
- ٧- ان تفكيك المقرون من الأسانيد يهدف الى تعدد الطرق والوثوق بمصدرية الحديث واحراز سلامة طريق وضمن صحة الحديث.
- الهوامش:**

- (١) الكافي: ٥٢/١ ح ٧ باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب
- (٢) ظ: تاج العروس: ٢٤٩/١٤
- (٣) تاج العروس: ٢٥١/١٤
- (٤) ظ: حسن الصدر: نهاية الدراية: ٩١
- (٥) ظ: الشيخ محمود درياب، دروس في معرفة الاسانيد، ٤٧.
- (٦) ظ: الكليني: الكافي: ٤/ ١٥ الزكاة كراهية رد السائل ح ١
- (٧) ظ: اسانيد كتاب الكافي: ٢٢٦-٢٥٩ /٢ وليلاحظ الكتب والابواب.
- (٨) ظ: محمد رضا الجالي ، المنهج الرجالي: ٢٤١ ومافيه من القلب في الاسانيد وكيفية معالجتها
- (٩) ظ: رجال الشيخ الطوسي: ١٤٤
- (١٠) تهذيب الاحكام: ٣٧٦/١ ح ١١٦١ باب دخول الحمام وآدابه وسننه .
- (١١) ظ: معجم رجال الحديث: ١/ ١٧٣
- (١٢) ظ: معجم رجال الحديث: ١/ ١٨٣
- (١٣) لمعرفة المشتركات وتمييزها ينظر : الكاظمي ، هداية المحدثين: ٦ ومابعداها.
- (١٤) على سبيل المثال: آدم بن إسحاق هذا متحد مع ما بعده . - آدم بن إسحاق بن آدم :
- = آدم بن إسحاق .ظ: معجم رجال الحديث: ١/ ١٠٩ وعشرات الشواهد

- (١٥) على سبيل المثال: الراوي - إبراهيم بن محمد: هو مشترك بين جماعة ولا بد في التعيين ، من ملاحظة الراوي والمروي عنه .ظ: معجم رجال الحديث: ٢٤٨/١
- (١٦) للتفصيل ينظر: معالم اساسية في علم الرواية: ١٤٩
- (١٧) ظ: حسين علي محفوظ: جوانب منسية : ٤٠
- (١٨) ظ: الطوسي: الفهرست: ٢-٣
- (١٩) الفهرست: ٩
- (٢٠) ظ: ثامر العميدي، تعويض الاسانيد: ٩٧/٣
- (٢١) ظ: الحائري، مباحث الاصول : ٣/٢ / ٢٣٨
- (٢٢) ظ: دروس الشيخ محمود درياب: تقارير الدكتور علي خضير حجي: قيد الطبع.
- (٢٣) للمزيد في تعريف المعلق ينظر: الشهيد الثاني، الرعاية: ١٠١
- (٢٤) لقد ورد التعليق في كتاب (من لا يحضره الفقيه) بصيغة روي عن البزنطي.ظ: قبسات من علم الرجال: ١٥٩٢/٢ ط ١.
- (٢٥) ظ: الكافي : ٥٠٣/٣ / الزكاة / منع الزكاة ح ٣، الوسائل : ٣٢/٩ برقم ١١٤٥١
- (٢٦) الكافي : ٦/ ٢١٤ / الصيد/ الصيد بالحبالة / ح ٤ ، الوسائل : ٣٧٧/٢٣ / رقم ٢٩٦٩١
- (٢٧) الكافي: ج ٧ / ٢٣٢ / الحدود / حد الصبيان في السرقة / ح ١
- (٢٨) الكافي: ج ٧ / ٣٩١ / الشهادات / مايجوز من شهادة النساء وما لايجوز / ح ٧
- (٢٩) الكافي: ج ٣ / ٣١٥ / الصلاة / قراءة القرآن/ ح ١٨، الوسائل: ٩٣/٦ رقم ٧٤٣١
- (٣٠) الكافي : ٤/ ٢١ كتاب الزكاة/ كراهية رد السائل ح ٧
- (٣١) ظ: مجالس المفيد: ٣٥٤، رقم المجلس: ٤٢ ح ٨، بحار الانوار : ٦٤ / ٢٩٨ ، ٦٦ / ٣٧
- (٣٢) ظ: المعجم الموحّد: ١ / ٢٨٧
- (٣٣) رجال النجاشي: ١٤٩
- (٣٤) إكمال الدين : ٢/ ص ٤٨١ باب ٤٤ ح ٨.
- (٣٥) ظ: إكمال الدين : ٢/ ٤٨١ باب ٤٤ ح ١٠ ومثله في البحار : ٥٢ / ٩٧

- (٣٦) ظ: الكافي: ٤٢٠/٣ كتاب الصلاة باب وقت صلاة الجمعة ح ١
 (٣٧) الكافي: ٣٣٤/٣ كتاب الصلاة باب القيام والقعود ح ١
 (٣٨) الكافي: ١٢٤/٢ ، كتاب الايمان ح ١
 (٣٩) ظ: تهذيب الاحكام ١٧٩/٧ كتاب التجارات باب الوديعة ح ١ وفي الوسائل ذيل رقم ٣٤٢١٢
 (٤٠) ظ: تهذيب الاحكام: ٧٦/٤ ، وسائل الشيعة ال البيت : ٣٣٧/٩
 (٤١) ظ: التهذيب : ٦١/٥ / الحج / صفة الاحرام ٣/
 (٤٢) تهذيب : ١٥٩ / ٤ / الصيام / علامة أول شهر رمضان وآخره / ١٩
 (٤٣) التهذيب : ١٠ / ٢١٠ / الديات / الفضاء في فتيل الرحام / ٢٣
 (٤٤) التهذيب: ١٠ / ٢٨٣ / الديات / الحوامل / ٧
 (٤٥) التهذيب : ٦١/٥ / الحج/ صفة الاحرام / ٢
 (٤٦) التهذيب : ٥ / ٢٩ / الحج / ضروب الحج / ١٧
 (٤٧) التهذيب / ١٣٠/٧ / التجارات / الغرر والمجازفة وشراء السرقة / ٣٩

المصادر والمراجع:

- الحائري، السيد كاظم
 مباحث الأصول (تقريراً لبحث السيد الشهيد محمد باقر الصدر في علم الاصول) ط ٢ مؤسسة اسماعيليان، قم، ١٤١٥ هـ
 الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ)
 وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) ، ط ١ ، بيروت تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع)
 ، ط ١ ، بيروت
 السيد حسن الصدر الكاظمي (ت ١٣٥٤ هـ)
 نهاية الدراية في شرح الوجيزة للشيخ البهائي (تح : الشيخ ماجد الغرباوي ، منشورات المشعر ، قم د.ت)
 حسين علي محفوظ (الدكتور) (ت ١٤٣٠ هـ).
 جوانب منسية من السنة النبوية ، بغداد، ٢٠٠٥ م
 الخوئي: أبو القاسم ابن علي أكبر الموسوي (ت ١٤١٣ هـ)

- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، الطباعة والنشر مركز الثقافة الإسلامية، قم، إيران، ط ٥، ١٤١٣ هـ.
- ثامر هاشم العميدي (الدكتور)
- تعويض الأسانيد، تأريخه ونظريته وتطبيقاته، مطبعة دار السلام، بغداد، ٢٠١٤
- الزبيدي، محب الدين أبو الفيض محمد المرتضى بن محمد (ت ١٢٠٥ هـ)
- تاج العروس من جواهر القاموس (إصدار وزارة الإرشاد في الكويت، سلسلة التراث العربي . د.ت .)
- الشهيد الثاني، زين الدين بن علي الجبعي العاملي (ت ٩٦٦ هـ)
- الرعاية في علم الدراية (تح: عبد الحسين محمد علي البقال، منشورات مكتبة المرعشي، قم ١٤٠٨ هـ)
- الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ).
- كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطباعة والنشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ط ١، ١٤٠٥ هـ
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)
- الرجال (تح: جواد الفيومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة ١٤٢٧ هـ)
- تهذيب الأحكام (تح: حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٥ هـ ش)
- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار (تح: حسن الخرسان، طهران ١٣٨٣ هـ)
- الفهرست، (تح: جواد الفيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٧ هـ)
- علي خضير حجي
- معالم اساسية في علم الرواية، مطبعة الامير، ايران، ٢٠١٨
- الكاظمي، محمد امين بن محمد علي (ق ١١ هـ)
- هداية المحدثين الى طريقة المحمدين، تحقيق: السيد مهدي الرجائي مكتبة المرعشي، ١٤٠٥ هـ
- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٩ هـ)
- الكافي، تصحيح و تعليق: علي اكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٨ هـ.
- المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ).
- (مجالس المفيد) الأمالي، تحقيق الحسين إستاذ ولي، وعلي أكبر الغفاري، الطباعة والنشر دار المفيد، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٤ هـ.

- المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ).
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الطباعة والنشر مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- محمود درياب النجفي (المحقق)
- أسانيد كتاب الكافي، تهذيبها وترتيبها وتوحيدها وتمييز المشترك منها، آية الله العظمى السيد آقا حسين الطباطبائي البروجردي (ت ١٣٨٠هـ)، العراق - بغداد ٢٠٢٠
- المعجم الموحد لأعلام الأصول الرجالية، مطبعة باقري، ط ١، قم، ١٤١٤هـ.
- دروس في معرفة الاسانيد، قيد الطبع
- السيد محمد رضا الحسيني الجلاي
- المنهج الرجالي، نشر بوستان، كتاب قم، ط ٢، ١٤٢٢هـ،
- السيد محمد رضا السيستاني،
- قبسات من علم الرجال، اجاث السيد محمد رضا السيستاني جمعها ونظمها السيد محمد البكاء، نسخة اولية محدودة التداول، ١٤٣٦.
- النجاشي، احمد بن علي بن العباس (ت ٤٥٠هـ)
- الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ١٤٢٧هـ

اشتقاق المصطلح المنطقي عند الفارابي - دراسة في دوره الريادي في علم المصطلح
أ.م.د. طالب حسين كطافة
كلية الإمام الكاظم/ ديوان الوقف الشيعي

المقدمة:

من الفلاسفة الذين نالوا اهتماما كبيرا من الباحثين العرب والغربيين ؛ الفيلسوف الفارابي ؛ محمد بن محمد بن طرخان المتوفي (٣٣٩هـ - ٩٥٠ م) ، وهو اهتمام اثبت تطور البحث العلمي انه يستحقه بجدارة ، فهو في إنتاجه ؛ الذي وصل إلينا ؛ مازال يحتوي من الانجاز المعرفي الذي يكشف عن عناصر إبداع ؛ في قسم منها تعد أصلا تاريخيا وممارسة ريادية لمنجزات معرفية حديثة ، وهو ما نجده متحققا في علم المصطلح .

لقد كان الفارابي عالما وفيلسوبا موسوعيا عمل على بلورة علوم زمانه اللسانية والمنطقية والطبيعية والفلسفية المادية والمدنية منها والروحانية ، وكانت من ملامح عبقريته وموسوعيته ريادته في علم المصطلح في تاريخ الفكر الإنساني عامة والإسلامي خاصة ، فانه أول من طبق آلية اشتقاق المصطلح من اللفظ في تداوله اللغوي ، وذلك في كتابيه : الحروف المستعملة في المنطق و كتاب الحروف ، فحاول من خلالهما تثبيت معان المصطلحات والأدوات اللفظية الضرورية في العلوم الفلسفية ، مركزا فيهما على الكشف عن الجذور اللسانية للمصطلح المنطقي .

فهذا العلم ومع كونه من العلوم الحديثة التي تم تأسيسها لمعالجة مسائل تتعلق بتوليد المصطلحات والبحث عن آليات ذلك ، ولم يظهر بصورته التقنية الفنية إلا بعد النصف الثاني للقرن العشرين ، إلا البحث التحليلي يثبت أن الفارابي كان الواضع لبذوره الأولى بتطبيقه لآلية الاشتقاق لإنتاج المصطلح المنطقي ، فهو لم يكتفي بتبني المصطلحات كما وصلته في كتب الترجمة ، بل قدم لنا الأساس الفني لاشتقاقها من اللفظ العربي ، مبينا الآلية التي من خلالها تم نقل اللفظ من اللغة إلى الاصطلاح .

ومن هنا سعى البحث لبيان ريادية الفارابي في وضع الجذور الأولى لعلم المصطلح سواء على مستوى الفكر البشري أم على مستوى الفكر الإسلامي ، حيث سيبين أن أهم آلية في تكوين المصطلح وهي آلية الاشتقاق قد كانت الأساس الذي اعتمده الفارابي في تكوينه المصطلح المنطقي .

ومع كون ممارسة الفارابي الاصطلاحية تشمل الفلسفة والمنطق، إلا أنه ؛ ولحدود البحث الكمية والموضوعية ؛ سيتم الاختصار على المصطلح المنطقي ، كما سيتحدد البحث في اشتقاق المصطلح عن دور علم اللغة في إنتاجه لكونه المستند في آلية الاشتقاق ، متجاوزا التطور التاريخي في إنتاجه.

ولطبيعة آلية تكوين المصطلح عند الفارابي ، وهي آلية الاشتقاق ، فإن منهج البحث سيقوم على التحليل الدلالي لكل من المفردة العربية في تداولها اللغوي وللبنية المفهومية للمصطلح ، في تحليل مقارن يكشف عما هو مؤتلف بينهما الذي به تتحقق المناسبة اللغوية الشرط اللازم لنقل اللفظ الى الدلالة الاصطلاحية. وسعيا من الباحث في تكوين صورة متكاملة لدور الفارابي الريادي في علم المصطلح ، فقد تم هيكلة البحث وفق ما يأتي :

تمهيد: تناول الدراسات المشتركة مع البحث في اصل موضوع البحث، وهو تناول وان كان في التقليد الاكاديمي أن تذكر ضمن مقدمة البحث ، الا ان احتوائها على عناصر ترتبط بالمسار التاريخي لجهود المسلمين في مجال المصطلح ، وتحديد الابعاد المختلفة في تناول الاشتغال على المصطلح ، وكونها دراسة تحليلية ؛ استحققت ان تنفرد في فقرة تتوسط بين المقدمة و متن البحث، وعلى كل حال ترتيب هيكليّة البحث هي اقرب الى الفن منها الى التحديد الصارم .

المبحث الأول تناول فيه العلاقة التوليدية بين تطور الوعي المعرفي والعلمي وبين ولادة المصطلح ، إذ انتقال الإنسان الى مرحلة التفكير العلمي يقتضي من إنتاج لغة علمية التي لا وجود لها من دون وجود مصطلح علمي.

المبحث الثاني: تناول بيان مرحلة إنتاج المصطلح في الفكر الإسلامي قبل الفارابي ، مبيناً إنها لم تتوفر بحدود ما وصل إلينا على جهد فكري لاشتقاق المصطلح ، مما يجعل الفارابي الفيلسوف الأول الذي مارس علم المصطلح .

المبحث الثالث: يمثل الجانب التطبيقي للبحث، حيث تناول نماذج المصطلحات التي قام الفارابي باشتقاقها من الأصول اللفظية العربية وهي مصطلحات منطقية ثمانية تتناسب مع حدود البحث كماً وتستوفي الغرض في اثبات فرضية البحث .

التمهيد: مصطلح الفارابي في الدراسات:

لما كان الفارابي شخصية ريادية في البحث الفلسفي عند المسلمين الى درجة أصبح المعلم الثاني بعد ان كان ارسطو المعلم الاول ، فمن الطبيعي أن نجد الدراسات حول شخصيته الفلسفية ، والعلمية ، و سيرته الذاتية قد اتسعت واستمرت في التوسع الى الوقت الحاضر ، وما هذا البحث الا واحدة منها .

غير ان هذا التوسع قد يجعل من الكتابة الجديدة حوله من نوافل الدراسات ، بعد ان غطت الدراسات السابقة كل انتاجه المعرفي، مما قد يرى القارئ في بحثنا تكراراً لما تضمنته تلك الدراسات ، وهو تصور يرى فيه الباحث نوع من المفارقة حيث ان الشخصيات المعرفية الموسوعية في حدود معارف زمنها ، التي احدثت ثورة معرفية في هذه الحدود ، تبقى مكتنزة معرفياً قابلة لدراسات جديدة ، سواء كانت ذات موضوع غير مسبق أم كانت اعادة نظر في ما قدم من دراسات ، كل ذلك للاستثنائية المعرفية لهذه الشخصية ، لذا فان الشخصيات الكبرى في تاريخ الفلسفة كانت ومازالت موضوع بحث خصب ، كابن سينا والسهورودي من فلاسفة الشرق ، وكديكارت وهيكل وكانت من فلاسفة الغرب .

هذا من جانب ومن جانب آخر فان العقل البشري ، ولا سيما الفلسفي دائم الابداع والابتكار ، مهما قيل من كون عصر المنظومات الفلسفية الكبرى قد ذهب زمنها ، فان الخصوبة الفكرية لا تقتصر على انتاج مثل هذه المنظومات كمنظومة هيكل ، فان الفلسفة والفكر وان انتج فلسفة في جزئية من جزئيات المعرفة

البشرية فانه يبقى ابداعا يسهم في انضاج التجربة المعرفية للإنسان، كما في الوضعية المنطقية فإنها كانت تقوم على جزئية محددة وهي وظيفة الفلسفة والمنطق، الا انها اخذت دورا في تاريخ المعرفة الفلسفية وحدثت من النقاشات سواء في المؤتمرات او المؤلفات ، انضجت المعرفة الفلسفية ، ونقلته الى اشكاليات أخرى .

ومما انتجه العقل وتداخل فيه الفلسفي والعلمي علم المصطلح، الامر الذي يجعل كل فيلسوف له اسهامات في مجال المصطلح ، ان يكون مرشحا لان يكون موضوع دراسة في هذا المجال ، والفارابي واحد من هؤلاء ؛ ان لم يكن ابرزهم واكثرهم احتمالا ان يكون ممن يعدون روادا لهذه العلم على مستوى التطبيق لا النظرية ، بعد ان كان التأسيس قد ثبت واقعا وبحثيا انه قد نشأ في القرن العشرين كما اشير الى ذلك في مقدمة البحث .

وبالفعل فقد كان الفارابي في مصطلحاته موضوع دراسات ، يرى الباحث ابرزها دراستين لفيلسوفين عربيين لهم مكانتهم في البحث الفلسفي العربي الحديث وهما الدكتور جعفر آل ياسين من العراق و الدكتور جبار جهامي من سوريا ، الامر الذي يجعل من الضروري لكل بحث يشترك معهما في اصل الموضوع ان يبين موقع دراسته من دراستهم ، لبيان مدى الاضافة التي يقدمها مقارنة بما قدمتهما ، وهل يمكن عدها دراسات تتكامل مع بعضها في تناول موضوعها؟

بالنسبة للدراسة الاولى - تاريخيا- وهي دراسة الدكتور جعفر آل ياسين ، فهي عبارة عن تصدير لكتابه الموسوم : الفارابي في حدوده ورسومه ، وكانت حوالي احدى واربعين صفحة ، وهو عنوان يشير الى الصياغة المنطقية لمصطلحات الفارابي ، ذلك ان الحد والرسم يقتضي وجود محدود ومرسوم التي هي المصطلح في المنظومة الفلسفية والمنطقية والعلمية للفارابي ، وهنا يرد السؤال : هل كان هذا التصدير قد تضمن دراسة الفارابي بوصفه مصطلحيا Terminologist ؟

وللجواب على هذا السؤال سنستعرض بنية هذا التصدير من ناحية المضمون .

بدء الدكتور آل ياسين التصدير بالإشارة الى دور الفلسفة اليونانية في ابراز اهمية التعريف وتحديد حقائق الاشياء بعيدا عن الانطباعات الشخصية للمعرّف ، وهو دور قد بدء مع سقراط فكان تحديد هذه الحقائق احد المحاور الاساس لفلسفته ، واذا كان سقراط قد اتبع منهاجا تهكميا توليديا في الوصول الى هذه الحقائق والزام الخصم بها ، فان ارسطو قد وضع لنا قواعدا صورية للوصول اليها ، ذلك من خلال الحد والرسم ، غير ان نظرية الحد الأرسطية قد واجهت نقدا من الرواقيين اليونان ومن المنطقة المسلمين غير المشائين كالمهروودي ، بل حتى ممن كانوا في الاطار المشائي كابي بركات البغادي^١ ، على اساس عسر تحصيل الحد ، الامر الذي دفع ابن تيمية الى رفض المنطق الارسطي بأكمله ، لكونه لا يحتاجه الذكي ولا ينتفع به البليد^٢.

وبعد هذه المقدمة التاريخية حول نظرية الحد ، انتقل الدكتور آل ياسين الى الاهمية الحضارية للمصطلح ، فكل حضارة اذا كان لها أن تزدهر عليها ان تقترن بـ " حضارة مصطلح علمي"^٣ ، لكون المصطلح الاطار الذي يؤطر انجازها العلمي وابداعها الفكري ، وهو ما انجزه الفلاسفة المسلمون بالفعل في عصر ازهار حضارته ، اذ حرص على صياغة مصطلح علمي بما توفرت لديه ادوات لغوية من اشتقاق وترادف^٤.

وهنا انطلق في بيان اهتمام علماء العربية بالتعريف ذاكرا نماذج من نصوص بعض منهم كالتوحيدي وابن جني ، في تحديد الاولوية في صياغة التعريف هل هو للمضمون أو للفظ ؟

وفي هذا السياق وبعد ان ذكر ان علماء العربية حرصوا بالدرجة الاساس على المضمون مع عدم التضحية بالصياغة اللفظية قدر الامكان^٥ ، انتقل الى بيان اهمية كتاب الزينة لابن حاتم الرازي ، وهو كتاب يحتاج من مزيد اهتمام زيادة الى ما ذكره د آل ياسين ، لكونه الرازي معاصرا للفارابي، فالرازي توفي ٣٢٢ ، والفارابي توفي ٣٣٩ ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان احدث نشرة للكتاب قد عنوانته بـ : كتاب الزينة - معجم اشتقاق المصطلحات الدينية والثقافية^٦ ، وهو عنوان في سياقه اللفظي يولد لدى

القارئ افق انتظار في مجال علم المصطلح Terminology ، اذن قرن بين لفظي الاشتقاق والمصطلح ، والاشتقاق هو واحد من اهم آليات انتاج المصطلح ، وهو ما نحاول تقديم الفارابي بوصفه اول الفلاسفة المسلمين في تطبيق هذا الآلية بمفاصلها الفنية ، علما ان اول نشرة لهذا الكتاب كانت بعنوان مختلف جزئيا ، وهو : كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية^٧.

ولنرى حقيقة هذا الكتاب في نشرته الاخيرة ، وعلاقته بعلم المصطلح ، نعرض موقف المحقق حوله من هذه الزاوية .

بدء المحقق ببيان اختلاف هذا الكتاب عما سبقه من معاجم اصطلاحية التي كانت اما تستند الى معيار المخرج الصوتي واما الى معيار الخصائص الصوتية كالمعتل والصحيح، واما الى معيار دلالي^٨ ، في حين ان كتاب الزينة قد جمع بين هذه المعايير كلها متبعا المنهج السائد في زمنه وهو منهج الاشتقاق ، فكان منهجه " مراجعة المواد اللغوية استنادا الى المتشابهات الدلالية والصوتية والصرفية معا "^٩.

وهذا التشخيص لحقيقة هذا الكتاب في علاقته بالمصطلحات ، نجده حاضرا في نشرته الاولى عند كل من المُصَدِّر لنشرته وهو الدكتور ابراهيم أنيس وفي مقدمة المحقق الهمداني ، فالدكتور أنيس قد ارجع الكتاب الى علم الدلالة Semantics ، لكونه كتابا لغويا موضوعه البحث التاريخي في دلالة الالفاظ الواردة فيه ، جاعلا المؤلف منتميا الى ما اطلق عليهم : مدرسة الاشتقاقيين الذي تركز اهتمامهم على الربط بين اللفظ ودلالته وارجاع الالفاظ المشتركة في مادتها الى معنى اصلي لا تخرج عنه باق المعان في الالفاظ المشتقة منها^{١٠}، وهو ما اكده محقق الكتاب حيث بين أن هدف المؤلف جمع الالفاظ التي تغيرت دلالتها بين ما كانت عليه في مرحلة العرب قبل الاسلام وما اصبحت عليه عند المسلمين ، وهو يعد - حسب رأي المحقق- اللبنة الاولى لعلم معان الاسماء العربية والمصطلحات الاسلامية Arabic Islamic Semantics^{١١} .

ان المتابع للدراسات حول هذا الكتاب يجدها تتفق انه في حقل علم الدلالة Semantics^{١٢} وليس في علم المصطلح terminology ، وهو ما يحدد معنى الاشتقاق الوارد ضمن هذه الدراسات ، وهو المبحث اللغوي الذي يُبحث في فقه اللفة من حيث كونه آلية لغوية لزيادة غنى اللغة في مفرداتها^{١٣} ، كما انه يبحث في علمي النحو والصرف من حيث القواعد التي تحكم انتاج الالفاظ من خلاله^{١٤} ، مما يعني تباين اشتغاله عن اشتغال الفارابي الذي يطرحه هذا البحث المتمثل بكون الفارابي في ممارسته في اشتقاق المصطلح المنطقي كان تجسيدا لعالم مصطلح وليست لعالم لغوي ، وفرق بين الممارستين فان ممارستها اللغوية ليس بالضرورة تنتج مصطلحا وان انتجته فانه لا يكون هدف هذه الممارسة، وانما تكوين لفظ يقترح على عالم المصطلح .

هذا ما يتعلق بدراسة الدكتور آل ياسين وكتاب الزينة ، اما ما يتعلق بدراسة الدكتور جبرار التهامي ، فان المطالع لها لا يرى خروجاً عن إطار ما تقدم ، فهي ايضا دراسة تصدرت معجم مصطلحات الفارابي ، حيث ركزت على ابراز البعد الفكري لاشتغال الفارابي ، وان انتاج الفارابي لمصطلحاته كان متأثرا بالبيئة وليس منقطعة الجذور عنها^{١٥} . مقارنا اشتغال الفارابي بمن سبقه كجابر بن حيان والكندي ، ميزا له اهتمامه بالأبعاد المنطقية والنفسية للمصطلح^{١٦} .

لذا نجد هذه الدراسة ترى في اشتغال الفارابي على المصطلح ككونه اشتغالا في " فلسفة اللغة في اللسان العربي ، من تكوينها تاريخيا وجغرافيا الى اكتمالها وهي تتأرجح بين الصنائع العامة والقياسية^{١٧} ، وهو اشتغال كان في اطار مشروع إقامة مذهب فلسفي متكامل الذي كرس له الفارابي جزءا من مؤلفاته بما فيها المؤلفات المنطقية بصورها المختلفة ، هادفا الى تثبيت مصطلحاته للولوج الى العلوم الفلسفية سيما المنطق والماورائيات مركزا في على الابعاد الفكرية مقارنة بدلالاتها اللسانية^{١٨} .

اذن نحن في دراسة الدكتور جهامي نجد الفارابي في اشتغاله على المصطلح مفكرا Thinker صاحب مشروع فلسفي ، وليس عالم مصطلح Terminologist.

وهنا اشير الى دراسات اخرى عبارة عن بحوث عناوينها قريبة من عنوان هذا البحث وهي بعضها صادر بعد كتابته* وبعضها بعده ، وهي تشترك في عناصر كلها بعيدة عن مقاربته لاشتغال الفارابي في انتاج المصطلح ، فهي بحوث اقرب الى التقييم الفكري منها الى مقارنة تقنية انتاج المصطلح ، كما انها كانت تتناول جهوده في المصطلح الفلسفي لا المنطقي ، اضافة الى ذلك فإنها اشتركت في ختم البحث بفقرة عرض نماذج ثلاثة فقط للمصطلح وهي الجوهر والعرض والوجود واحدها زاد مصطلح الذات ، وفيما يلي تلخيص لها :

- بحث بعنوان: صناعة المصطلح عند الفارابي للدكتور نعمان بو قرّة منشور في ٢٠٠٣ : تكون البحث من مقدمة وثمانية فقرات وخاتمة ، وكانت الفقرات على التوالي : سيرة الفارابي ، مصطلحاته في احصاء العلوم ، الاختراع والتعريب ، تكوين اللسان ، التسمية ، اللسان الخاص ومنظومات المعارف ، مشكلات الترجمة ، الممارسة المعجمية عند الفارابي ، خاتمة البحث ، وهذه الفقرات كلها قاربت الموضوع من ناحية فلسفة اللغة لا علم المصطلح ، فقط نجد هذا العلم في الفقرة الاخيرة مقتصرًا على المصطلحات الثلاث اعلاه ، ومن الغريب نجد ان الخاتمة خالية عن أي ذكر للفارابي وجهوده^٩ .

- بحث بعنوان: الفارابي - قراءة في المصطلح الفلسفي للدكتور قسول ثابت منشور في ٢٠٢٠١٤ : وهنا لن اكرر منهجية وصف البحث السابق للاختصار ، واوجز مضمونه بأنه يقترب من دراسة تاريخية لجهود العلماء المسلمين ، مقتصرًا على المصطلحات المذكورة اعلاه في نهاية البحث.

- بحث بعنوان: المصطلح وترجمته عن اللغات الأخرى كتاب (الحروف) للفارابي أنموذجًا، للكاتب نضيد التل، منشور في ٢٠٢٠ في موقع صوت العقل^{١٠}، وهو لا يحتاج الى عرض ومزيد تعليق ،بعد كون موضوعه ترجمة المصطلح لا تقنية انتاجه.

- ببحث بعنوان: اللغة والمصطلح الفلسفي عند الفارابي ، للكاتب غيضان السيد على ، منشور ايضا ٢٠٢٠ في موقع صوت العقل^{٢٢} ، وهو كسابقه لا يتناول اشتغال الفارابي على المصطلح من ناحية تقنية ، بل كان خاليا عن أي نموذج للمصطلح كما كان عند سابقيه.

هذه اهم الدراسات التي تمكن الباحث من الاطلاع عليها بعضها قبل الكتابة وبعضها بعده ، وهي كلها وان اشتغلت على المصطلح عند الفارابي ، ولكنها كانت بمقاربات تختلف من مقارنة هذا البحث ، الذي يتصور الباحث معه انه قد تناول بعدا جديدا في الشخصية الفلسفية والعلمية للفارابي وهو كونه عالم مصطلح بمفهومه التقني ، متخذا من ثمانية مصطلحات منطقية تجسيدا لهذا البعد .،يرجو ان يكون الصواب في جنبه في هذا التصور .

المبحث الأول: الوعي المعرفي والمصطلح:

مر الإنسان في تاريخ وعيه السؤال المعرفي ؛ بمرحلتين : مرحلة السؤال الأسطوري والميتافيزيقي ومرحلة السؤال العلمي ، في المرحلة الأولى كان الإنسان يكتفي في سؤاله ومعرفته بمفاهيم عامة وغيبية ، تُبنى عليها إجاباته حول أسئلته الكبرى واشكاليته الوجودية ، ولم تكن المفاهيم تبنتي على ما هو منطقي ؛ فضلا عن التجربة والحس ، ففي هذه المرحلة كان " الناس ٠٠٠ يجهلون كل شيء عن قوانين الطبيعة ، لم يكن هناك لزوم لا بالنسبة للأرض ولا بالنسبة للسماء ، كانت السببية مجهولة آنذاك " ^{٢٣}.

غير أن الإنسان ومع انتقاله الى المرحلة العلمية المبنية على السببية والحتمية والتوليد المنطقي للمفاهيم ، أصبح أمام معرفة لها شروطها الخاصة ، منها الشروط الخاصة بلغة هذه المعرفة ، إذ يجب أن تكون محددة الدلالة معبر عنها بأقصى ما يمكن من الاختصار ، الأمر الذي ولد الحاجة الى إنتاج لغة علمية ابرز خصائصها أنها لغة اصطلاحية Metalanguage تكون تقتصر على فرع معرفي محدد ومؤلفة من مفاهيم معينة أو اصطلاح ضروري لتحديد النظام الإدراكي ، فالطب له لغته الخاصة كما علم القانون والأدب وغيرهما^{٢٤}، وحيث أن احد سمات المعرفة العلمية هو ضرورة توفر صفة الموضوعية والثبات في

مفاهيمها، فإن اللغة الاصطلاحية "تميل الى أن تكون ثابتة، أي مستقلة ما أمكن عن أي سياق معين^{٢٥١}.

إن هذه الضرورة في تكوين المصطلح ليست ضرورة حديثة، بل ترجع الى القدم ، مع بداية ثورة العقل على التلاعب بالألفاظ عند السفسطائيين ، أي مع سقراط الذي سعى الى وضع منهج لتحديد الألفاظ مفهوميا ، " فكان الرجل الذي جرؤ على السؤال ؛ باحثا عن الأشياء في حقيقتها "^{٢٦}، وكان له منهجه الخاص في بناء هذه الحقيقة والماهية والوصول الى المصطلح ، فقد كان " يكتسب الحد بالاستقراء"^{٢٧}، مما يمكن معه عد سقراط أول من أثار مسألة ضرورة تحديد المصطلح .

إن التأكيد على ضرورة تحديد المفاهيم ما هو إلا انعكاس لحقيقة: انه تظهر "مع كل جديد ٠٠٠ في حقول المعرفة الإنسانية ٠٠٠ الحاجة الى تعريفه أو توصيفه أو الرمز اليه بما يدل عليه من خلال مفردة أو مفردات محددة العدد تعرف بالمصطلح"^{٢٨}، ولهذا العلاقة الجدلية بين الحد والمصطلح ، تم تأسيس علم المصطلح الذي هو "دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التي تنتمي الى ميادين مختصة من النشاط البشري"^{٢٩}، وهو ما يتم من خلال جوانب ثلاثة وهي :

١- تبحث في العلاقة بين المفاهيم .

٢- تبحث في المصطلحات اللغوية والعلاقات القائمة بينها ووسائل وضعها .

٣- تبحث في المعاني العامة المؤدية الى خلق اللغة العلمية.^{٣٠}

وإذا كان هذا العلم قد أخذ مجاله الخاص الذي يعكس نشاطا في التأسيس للغة علمية مع جهود علماء غربيين ، مما جعله علما أوربيا ، وإذا كانت هذه الحقيقة من غير الإنصاف نكرانها ، فإن طرح رؤية تقدم محاولات جادة وواعية للممارسة هذا العلم ؛ هي بدورها لها واقعتها ، سيكون إنكارها يمثل مصادرة لجهود علماء وفلاسفة جعلوا من موضوع علم المصطلح إحدى محاور ممارستهم المعرفية ، وهو ما يكشفه البحث التحليلي - التاريخي لجهود العلماء المسلمين في تأسيس المصطلح وتطويره ، حيث كان لمعظم

علمائنا وفلاسفتنا جهود خاصة في تكوين المصطلح ووضع رسالة خاصة به ، فكانت " لفلاسفتنا العرب لغتهم الاصطلاحية التي ازدهرت أبان الحضارة العربية الإسلامية خلال خمسة قرون " ^{٣١}، وهي لم تختص بتحديد ماهية المصطلح ، بل شملت - وفي محاولات مبكرة جدا - تحديد منهج الوصول الى المصطلح كما برزت في محاولات جابر بن حيان في توطئة رسالته في الحدود ^{٣٢} ، وهو وان لم يزد شيئا على ما قاله أرسطو في الحد ، ولكن حسبه وهو العالم الطبيعي أن يتنبه الى ضرورة الأساس الذي ينبغي عليه تحديد المعان لكي يقيم عليه العالم بناءه العلمي ^{٣٣}.

المبحث الثاني: المصطلح قبل الفارابي:

إن إدراك العلماء والفلاسفة المسلمين لأهمية الاصطلاح في اللغة العلمية دفعهم الى طرح مؤلفات خاصة بتحديد المصطلح ، وقبل تحديد إسهامات الفارابي الذي قدمه الفارابي في هذا المجال ، لابد من الوقوف عند الإسهامات السابقة لكي تتضح لنا قيمة هذه الإسهام بالإضافة التي قدمتها .

في حدود ما وصل إلينا وتم تحقيقه من تراث مصطلحي ؛ يمكن القول ان أول من تناول البحث في المصطلح هو جابر بن حيان ، ولم يقتصر على طرح التعريف فقط ، ففي مقدمة رسالته في الحدود ، يقول حول اهتمامه هذا : " اعلم أن لنا كتبنا في الحدود ذوات أفانين ومتصرفات متباينة بحسب طبقات العلوم " ^{٣٤}.

وعند تحليل رسالته نجد أنها مؤلفة من مقدمة و متن المصطلحات وخاتمة، في المقدمة تناول نظرية الحد المنطقية تبعا للمنطق الأرسطي من حيث شروطها في الاطراد والانعكاس ، أما المتن فقد كان متضمنا للحدود الخاصة بكل مصطلح ، في حين أن الخاتمة كانت تتضمن استدراك على ما فاتته في المقدمة ، وهو بيان أن تداوله للحد كان فيه توسع عن مفهومه المنطقي

إذن في حدود ما نلاحظه في رسالته ، فإنه لا يعد مصطلحيا ، بقدر ما يكون منطقيا ، يحاول أن يحدد لنا جنس وفصل كل مصطلح يقدمه لنا في رسالته ، فلم يكن يمارس عملية اشتقاق المصطلح ذاتها ولم

يبين لنا الأسس التي اعتمدها في اختيار المصطلح ، وإنما كان معرفا للمصطلحات في حدود نظرية الحد الأرسطية .

إلا أن مقدمة رسالته قد تضمنت التصريح الذي قدمناه توا ؛ الذي يكشف لنا تحليله الدلالي بأنه قد مارس بالفعل نشاطا يقع في دائرة علم المصطلح ، إذ أن قوله : " لنا ٠٠٠ أفانين ومتصرفات متباينة " لن تكون له دلالاته اللغوية في التداول العربي في عصره من دون احتمال - يكاد يكون جزما - بأنه قد مارس الاشتقاق ، لان دال : أفانين جمع فن الذي يدل على الأمر الذي فيه دهشة ، لذا يقال : إن كلامه أو شعره فيه أفانين لمن يتسع في كلامه ويتصرف^{٣٥} ، وعندما نقرأ هذا التصريح في سياق نظرية الرصف اللغوي ونقف عند دال : متباينة ، لابد أننا سنكون في دائرة تكوين المصطلح وإنتاجه ، لا في دائرة تحديد ماهيته ، لان الماهية الواحدة لا تقبل التعدد ؛ فضلا عن التباين .

وبالنتيجة ومع عدم وصول مؤلف لجابر بن حيان في الاشتقاق الاصطلاحي، فإننا لن نستطيع ادراجه ضمن علماء علم المصطلح ، فان مثل هذا الادراج سيكون مبني على الحدس لا على دليل مباشر ملموس .

وعند الانتقال الى الكندي ورسالته في الحدود ، سوف لن نجد فيها البنية التي كانت في رسالة جابر بن حيان ، فهي إن تضمنت مقدمة وخاتمة ، إلا انه لا يفهم منها أن الكندي كان له اهتمام خاص باشتقاق المصطلح ، بل على العكس نجدهما يصبان في دلالة عكسية ، فرسالته كانت يتيمة في موضوعها من بين مؤلفاته ، ولم تكن تمثل إيمانا منه بقدرة الفيلسوف أو العالم على تكوين الحد والوصول اليه ، وهو ما ينسحب على القدرة على تكوين المصطلح ، لأنه لا معنى للمصطلح بدون الحد ، وعدم الإيمان هذا قد صرح به في مقدمة رسالته ، فهو يقول : " الإحاطة بحدود الأشياء ورسومها صعبة المسلك غير مألوقة^{٣٦} ، ولذا فان رسالته لم تكن بدورها منطلقة من دافع ذاتي ، بل هي استجابة لطلب من شخص آخر ، يظهر أن الكندي كان يكن له مكانة خاصة ؛ جعلته يلبي طلبه ؛ وهو ما يظهر من دعاء الكندي له في

المقدمة ، وفضلا عن ذلك ، فان الكندي لم يتوسع في اختيار المصطلح المعرّف ؛ بل اقتصر على ما كان له بعد عملي ، أي فقط ما كان من " الألفاظ التي يقع فيها الالتباس في معانيها"^{٣٧}، وكان على وفق منهج " مختصر الكلام"^{٣٨}.

إذن فيما يتعلق بالبعد المصطلحي في شخصية الكندي ، فإننا لا نستطيع استنباط أو حدس وجود ممارسة له فيه ، كما وجدنا ذلك عن جابر بن حيان ، ولكننا نجد في الوقت نفسه أن مصطلح الكندي كان أكثر دقة من مصطلح جابر بن حيان ، وكان في بعض منه يمثل عملية إصلاح وتنسيق لمصطلح جابر بن حيان^{٣٩} ، ومع ذلك بقي في دائرة مختصر الكلام.

وهنا لابد من الوقوف عند رأي للأستاذ الأعسم الذي قد يفهم منه أن الكندي كان مصطلحيا ، إذ يرى " أن في لغة الكندي الفلسفية ما ينم ٠٠٠ عن انه مارس تكوين المصطلحات ممارسة واضحة في الدوائر الفلسفية في القرن الثالث"^{٤٠} الهجري.

ويمكن مناقشة هذا الرأي من خلال ما لاحظناه سابقا من انه لم يكن على قناعة بالقدرة الإنسان الوصول الى ماهية المصطلح مما يجعل من ممارسته لعملية إنتاج مصطلح مستبعدة ، لذا لم تكن رسالته إلا من باب التلبية لطلب قدم له ، كما أن وجود مثل هذه الممارسة لا ينسجم مع الرأي الذي تبناه الأستاذ الاعسم ، وهو رأي الدكتور عبد الهادي أبو ريدة الذي يرى أن " مصدر هذه التعريفات التي يذكرها الكندي ٠٠٠ كثير منها يرجع الى الفلسفة اليونانية ، وخصوصا أفلاطون وأرسطو "^{٤١}، مما يعني أن الكندي في رسالته كان ناقلا وشارحا ، وقد يكون مترجما على احتمال ضعيف عند الباحثين ، وفي كل الأحوال كان عارض مصطلح وليس ممارسة لعملية إنتاج مصطلح واشتقاقه .

إذن يمكن الانتهاء الى نتيجة أنه على المستوى الفعلي مما وصل إلينا من تراث إسلامي في المصطلح الى زمن الفارابي لا يوجد إنجاز يمكن عده بداية تاريخية أو إرخاصه لظهور علم المصطلح ، وهو ما سوف نجده عند الفارابي من خلال ما بأيدينا من مؤلفات.

المبحث الثالث: الاشتقاق وإنتاج المصطلح:

من خلال ما تقدم من تعريف علم المصطلح ، تبين أن وظيفة المشتغل بهذا العلم هو ممارسة عملية توليد المصطلح مما يملكه من خزين لغوي ودلالي .

وحيث أننا أمام علم موضوعه المصطلح وغايته تحديد القواعد والأسس لإنتاجه، فهذا يعني أننا أمام مجموعة قواعد وأسس تحكم عملية إنتاج المصطلح ، من دونها لا يوصف الباحث بأنه مصطلحياً Terminologist ما لم تكن ممارسته في إنتاج المصطلح تتضمن هذه القواعد و الأسس بصورتها التفصيلية الحديثة أم بصورتها التضمنية التاريخية .

إن أهم هذه القواعد هي قاعدة الاشتقاق وهي " صياغة لفظة من لفظ آخر على أن يكون هناك تناسب بينهما في اللفظ والمعنى " ^٢، فلا بد من التناغم بين معنى اللفظ المشتق منه وبين مفهوم المصطلح الجديد ، ويشتركان في مادة اللفظ فقط أو في مادتها وصيغتها ، وهو ما يعبر عنه بالمبدأ التحليلي : " ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين المدلول اللغوي والمدلول الاصطلاحي " ^٣ .

وفي ضوء هذه المحددات ، فأنا نجد الفارابي قد راعى في ممارسته الترمينولوجية هذه القاعدة والمبدأ في مصطلحه المنطقي .

وقبل عرض النماذج المصطلحات التي اشتقها الفارابي لابد من الإشارة الى الخلاف الحاصل بين بعض المناطق حول المقولات العشر الأرسطية وموقف الفارابي منها . إذ إنها أخذت أهمية خاصة في اشتقاق الفارابي للمصطلح المنطقي .

يعد مبحث الحدود والتعريفات احد ركني علم المنطق ، فهو يسعى في هدفه النهائي الى وضع قواعد التعريف الصحيح والاستدلال الصحيح ، مما يجعل من بحث المقولات احد مباحث علم المنطق الأساس ، فالتعريفات الحدية والرسمية التامة تتوقف على معرفة جنس المعرف، الأمر الذي يقتضي معرفة الأجناس العالية للموجودات ، وهي المقولات العشرة.

ومع هذا الاتفاق على دور المقولات في التعريف إلا أنه اختلف في عددها وأهميتها في البحث المنطقي ، فالرواقيون ارجعوا عددها الى أربعة مقولات هي الجوهر و الكيف والحال والنسبة ، وردها أفلوطين الى مجموعتين احدهما تعود الى العالم المعقول والأخرى تعود الى العالم المحسوس ، ما يتعلق بالعالم المعقول هي : الجوهر والسكون والحركة ، والعالم المحسوس هما : الجوهر والإضافة^{٤٤} .

والفارابي بوصفه شارحا لأرسطو فقد التزم بكونها عشرة مقولات وكونها بحثا أساسا في علم المنطق ، فهي " الموضوعات الأولى لصناعة المنطق"^{٤٥} ، وكونها عشرة مقولات رافضا المواقف التي ترى غير ذلك ، وهي مواقف وصلت الى حد إنكار وجود المقولات من أصل ، وقد رد الفارابي على الكل مثبتا صحة موقف أرسطو^{٤٦} .

وقد أعطى الفارابي أهمية لبيان اشتقاق مصطلح المقولة نفسه ولتسميه الأساسيين الجوهر والعرض ، و لأجناس العرض العليا ، كل منها على حدي، وكما يأتي:

١- المقولة :

المقول في الأصل اللغوي هو كل ما كان ملفوظا به سواء كان دالا أو غير دال ، فهو له معنيان ، قد يعنى به المعنى الأخص وهو كل لفظ ، اسما كان أو فعلا أو حرفا وقد يعنى به محمولا على شئ ما ، وبهذا سميت المقولات مقولات ، لان كل واحد منها اجتمع فيه أن كان مدلولا عليه بلفظ وكان محمولا على شئ ما مشار اليه محسوس^{٤٧} ، وهو بهذا اشتق مصطلح مقولة من لفظ مقولة لاتفاقهما في معنى الحمل على شيء .

٢- الجوهر

يكاد مصطلح الجوهر من المصطلحات التي حافظت على حضورها في مختلف فروع الفلسفة والمنطق، مما يعكس أهمية هذا المصطلح ومن ثمة ضرورة معرفة أصله الاشتقاقي، الأمر الذي قد يفسر لنا توسع الفارابي في بيان الأصل الاشتقاقي له.

بصورة عامة يقدم الفارابي معنيين للجوهر، أحدهما أخص والآخر أعم، الأخص هو ما "يقال على المشار إليه الذي لا في موضوع أصلاً" ^{٤٨} ، والمعنى الأعم ما يطلق " على ما عرف ماهية أي شيء كان من أنواع جميع المقولات وعلى ما به قوامه " ^{٤٩} .

ولكي يبين لنا المرجعية الاشتقاقية لغويا ؛ يذكر الفارابي الدلالة اللغوية للفظ الجوهر، فهو " الحجر الذي هو أنفس الأموال عند الجمهور وأجلها" ^{٥٠} .

ومن خلال المقارنة بين المفهومين ، يقدم لنا الفارابي الأساس اللغوي لنقل لفظ الجوهر ، إذ لما كان مفهوم الجوهر اصطلاحاً متقوماً بذاته ومستغن عن غيره ، فإن من المناسب تسمية هذه المقولة بهذا اللفظ ، فإن معني الجوهر (الخاص أو العام) " إنما سميا بالجوهر لأجل إنهما مستغنيان في ماهيتهما وفي ما يتقومان به عن سائر المقولات وباقي المقولات محتاجة في أن تحصل لها ماهيتها الى هذه المقولة " ^{٥١} العرض: مقولة الجوهر تطرق الفارابي الى اصطلاح للوجود وهو الوجود بالذات مقابل الوجود بالغير ، مناسبة ارتباطه بالجوهر هو أن الوجود بالذات يقال " على المشار إليه الذي لا يقال على موضوع معين ، يعني ٠٠٠ أنه مستغن في ماهيته عن باق المقولات " ^{٥٢} ، وهذا الاصطلاح أي بالذات مع كونه " ليس مشهوراً عند الجمهور ، ولكنه مأخوذ من كلامهم ، فأنهم يقولون زيد بنفسه قام بالحرب ،، يعنون بلا معين ، ويقولون زيد هو بنفسه أي بذاته لا بغيره ، أي مستغن عن غيره في كل ما يفعله " ^{٥٣} ، فهو يشترك مع الجوهر في الاستغناء ، والفرق إنما بين الماهية والتحقق الوجودي .

٣- العرض :

كلمة عرض تستعمل عن العرب في كل ما كان نافعا في الحياة الدنيا فقط، وقد يقال على الدراهم والدنانير وما قام مقامهما ، كما يقال على كل ما كان حادثاً سريع الزوال، هذا في اللغة ، أما في الفلسفة فمصطلح عرض يقال على كل محمول لم يكن داخلاً في ماهية الموضوع أصلاً ، بل كان يعرف منه ما هو خارج عن ذاته وماهيته ^{٥٤} .

ووجهة المناسبة الاشتقاقية يشير إليها الفارابي بوضوح ، فعند مقارنة ماهية العرض الفلسفي التي أشار لها الفارابي نجدها أمر طارئ على الموضوع ليست داخله فيه ، فهي مما يمكن زوالها ببسر عنه ، وهي بهذا تتفق مع المفهوم اللغوي للفظ عرض الذي يشير الى ما هو زائل من الأمر الدنيوي .

٤ - الكيفية

في لغة العرب تستخدم كلمة كيف للسؤال عن الشيء المنفرد أو ما يجري مجرى المنفرد ، فعلى سبيل المثال نسأل : كيف فلان في جسمه ، فيكون المطلوب فيها امورا خارجة عن ماهية المسؤل ، كأن يقال طويل .

ولهذا الأساس في السؤال اللغوي بكيف، تم نقل كلمة (كيف) لتكون اسما لإحدى المقولات في نص أرسطو، وهكذا تم ترجمت نص أرسطو المتعلق بمقولة الكيف: "قال أرسطو في كتاب المقولات: واسمي بالكيفية التي يقال في الأشخاص كيف هو ، إذ كان ليس قصده هناك أن يحصى الكيفيات التي هي ماهيات الأنواع ، وهي التي بها يقال في نوع نوع : كيف هو"^{٥٥}

٥ - الآنية

يعد مصطلح الآنية من المصطلحات الأساس في المنطق والفلسفة ، فهناك البرهان الآني مقابل البرهان اللَّمي ، وهناك المبدأ الفلسفي في بحث الإلهيات المتعلق بذات الواجب من حيث الوجود والماهية ، وهو أن الواجب ماهيته أنيته.

وهذا المصطلح بمعنى الوجود ، وقد عرض لنا الفارابي أصل هذه الدلالة والمناسبة التي جعلت الفلاسفة ينحتون هذا المصطلح ، ففي تناوله لأنواع الكلمة ، تطرق الى الحروف مبينا أصنافها التي منها الحواشي ، وهي مجموعة من الحروف ، منها " الحروف التي تقرر بالشيء فتدل على أن ذلك الشيء ثابت الوجود وموثوق بصحته ، مثل قولنا ٠٠٠ إن الله واحد وإن العالم متناه"^{٥٦}، فمعنى (إن) في اللغة وهو الثبوت وهو معنى الوجود نفسه ، والترادف بينهما لفظي ، وأما معنى الوثوق بالصحة فهو يناسب اشتقاق

مصطلح البرهان الآتي لأن الحد الأوسط فيه معلول للحد الأكبر ، وهو يعني أن وجود المعلول قد أثبت لنا صحة الوجود العليّ ويجعلنا على ثقة بوجوده .

وفي تفصيل أكثر يبين لنا الفارابي الحقيقة اللفظية للفظ المشتق منه ، إذ إن المناسبة الصوتية واللفظية لمادة المصطلح باللغة العربية ، بل هي متحققة في لغات أخرى ، " فإن معنى (إن) الثبات والدوام والكمال والوثاقة في الوجود وفي العلم بالشيء ، وموضع إن و أن في جميع الألسن بين ٠٠٠ وأظهر من ذلك في اليونانية أن وأون وكلاهما تأكيد ، إلا أن أون الثانية أشد تأكيداً ، فإنه دليل على الأكمل و الأثبت والدوام ، فلذلك يسمون الله بـ (أون) ممدود الواو ، وهم يخصون به الله ٠٠٠ ولذلك يسمى الفلاسفة الوجود الكامل أنية الوجود"^{٥٧} .

وهنا يشير الفارابي الى قاعدة تيرمينولوجية ، وهو قاعدة النقل التي تكون في حالة الحفاظ على اللفظ بصيغة لغوية ونقله الى الاصطلاح ، فنحن أمام طريقين في تكوين المصطلح الجديد^{٥٨} ، فمصطلح " اللّمية ٠٠٠ مشتق من الحرف الذي يستعمله السائل عن مقدار الشيء والذي يستعمله المجيب في أفادة زمان الشيء يسمى متى ، وهو أسم ليس مشتقاً من الحرف المستعمل في الطلب ، ولكن نقل إليه الحرف بعينه فسمي به "^{٥٩} ، أي إننا أم نقوم بعملية اشتقاق أو بعملية نقل.

٦- ما

في المنطق عندما يراد بيان ماهية الاسم أو شرح معناه، فإنه يستخدم لفظ (ما) لطلب ذلك ، فهو مصطلح خاص بالدلالة التصويرية ، أي خاص بطلب تصور المعنى ، ولكي تتضح لنا الدلالة الاصطلاحية ومرجعيتها الاشتقاقية لغوياً ، يبين لنا الفارابي أن (ما) من الحروف " إذا قرن بالشيء دل على أن المطلوب من الشيء تصور ذلك الشيء فقط، لا معرفة وجوده ولا معرفة شيء آخر سوى ذاته ، لا مقدار ولا زمانه ولا مكانه ٠٠٠ فإنا إذا قلنا ما الشيء أو ما هو الشيء ، فإنما نطلب بهذا الحرف تصور معرفة ذات الشيء لا غير "^{٦٠} .

ولبيان الأساس اللغوي لهذا الاصطلاح يرجع الفارابي الى التداول اللغوي ومعياره القواعدي ، فكلمة (ما) في دلالتها التصورية مختصة بهذا المفهوم الذي هو ماهية الشيء لا وجوده ، فلو " قرنا ٠٠٠ موجود بقولنا : ما الشيء ؛ لصار القول غير مفهوم [فهو] بمنزلة قولنا : انه هو الشيء موجود" ^{٦١} .

٧- هل

من مصطلحات المنطق عند الفلاسفة المسلمين مصطلح الهلية ، وهو يستخدم للسؤال عن وجود الشيء ، وينقسم هذا المصطلح على قسمين ، هلية بسيطة وهلية مركبة ، في الهلية البسيطة نسأل عن أصل وجود الشيء وتحققه ، وفي الهلية المركبة نسأل عما هو زائد عن وجود الشيء ، فكون الشيء موجود على سبيل المثال هلية بسيطة وكونه أبيض هلية مركبة .

وقد تناول الفارابي الأصل الاشتقاقي لهذين المصطلحين ، فهو يرى انه " متى قلنا هل الشيء ؛ فإنما نطلب معرفة وجوده فقط" ^{٦٢} ، هذا في لهلية البسيطة ، إما في الهلية المركبة ، فانه أيضا له مرجعية لغوية ، إذ أنه " يُعرّف أكثر من ذلك باللفظ المركب ، مثل قولنا : هل زيد منطلق" ^{٦٣} .

والدليل الذي يقدمه الفارابي على هذه المرجعية هو الصحة التداولية ، فانه " متى قلنا هل زيد ولم يضمّر معه موجود أو في الدار أو منطلق أو ما أشبه ذلك كان القول باطلا " ^{٦٤} .

٨- المعقول الأولي والمعقول الثانوي

من المصطلحات المهمة في المنطق والفلسفة مصطلحا المعقول الأولي والمعقول الثانوي ، بل كان قداماء المناطق يرون أن موضوع المنطق ليس المعقول التصوري والتصديقي ، بل المعقول الثانوي المنطقي ، وقد طرحت أسسا للتمييز بينهما في مرحلة الفلسفة الاشراقية عند المسلمين .

وهي أسس لم تكن بعيدة عن نص الفارابي ، فالمعقول الأولي هو ما كان موضوعه خارجي كالبياض ، فانه مفهوم عقلي أنتزعه العقل من البياض الموجود في الخارج الطبيعي ، فموضوعه خارجي وإن كان المفهوم نفسه ومن حيث هو لا وجود له إلا في العقل.

وقد سمي هذا المفهوم معقولا ، لأنه " يدل على القول المركوز في النفس ، وسمي أولا لأنه محمول على مشار اليه محسوس ، فكان أول معقول يحصل في الذهن بعد هذا المحسوس " ^{٦٥}. إذن يرى الفارابي أن أساس هذا الاصطلاح يرجع الى الدلالة اللغوية للفظ أول ولفظ معقول، فهو معقول لأنه موجود في النفس ، أي العقل ، إذ أن القوة الناطقة التي هي إحدى قوى النفس ، وسمي أولا لأن مرتبته الأولى في الحصول في العقل مقارنة مع المفاهيم الأخرى التي سيطلق عليها مصطلح المعقول الثانوي .

وبهذا ستكون دلالة المعقول الثانوي ذا دلالة اشتقاقية واضحة ، إذ بعد تحديد دلالة المعقول الأولي ، فإن هذا المعقول سوف تلحقه من حيث هو معقول ذهني لواحق وعوارض يصير بها جنسا وفي بعض آخر نوعا ٠٠٠ الخ ، فهي لواحق ومعقولات تأتي بالدرجة الثانية بعد المعقول الأول الذي هو موضوعها . إذن المفاهيم اللغوية لألفاظ مصطلح المعقول الثانوي حاضرة في المفهوم الاصطلاحي، غير أن فيه توسع دلالي للفظ (ثان) فهو ليس بدلالته العددية وإنما بدلالته المعدولة ؛أي ما ليس أولا ، وهذا ما يشير اليه الفارابي بقوله : " وهي أيضا (أي المعقولات الثانية) لا يمتنع ٠٠٠ أن تعود عليها تلك الأحوال التي لحقت المعقول الأول فيلحقها ما يلحق الأول من أن تصير أيضا أنواعا و أجناسا ومعرفة بعضها ببعض وغير ذلك" ^{٦٦} .

ولتوضيح هذه الدلالة يطرح الفارابي أمثلة لذلك؛ فعلى سبيل المثال أن الحالة الذهنية للإنسان عند مشاهدة شيء تسمى علما ، وهذه الحالة الإدراكية نفسها يمكن أن تكون موضوع علم آخر، فيمكن للإنسان بعد إدراكه أن يقول إني أعلم بعلمي ، وهذا العلم الجديد أيضا يمكن أ، يكون موضوع علم آخر ٠٠٠٠ الخ ، فنحن أمام علم أول وعلم ثان وعلم ثالث ٠٠٠ الخ ، غير أننا في الكل نقول هذا علم بلا تقييد بدرجة المرتبة .

نتائج البحث:

- ١- إن الحاجة الى تكوين المصطلح تظهر مع انتقال العقل البشري الى العقل العلمي .
 - ٢- إن الإرهاصة الأولى لولادة المصطلح بدأت مع سقراط في تأكيده على ضرورة حصر المفاهيم وتحديدّها.
 - ٣- كانت جهود الفلاسفة العرب والمسلمين قبل الفارابي كانت تقتصر على تحديد المصطلح من دون أن تتضمن - بحدود ما وصل إلينا - محاولة اشتقاقه.
 - ٤- أن الفارابي كان الرائد الأول في ممارسة علم المصطلح.
 - ٥- إن من المصطلحات التي أصبحت تبحث في الفلسفة كانت عند الفارابي تبحث في علم المنطق .
 - ٦- إن الآلية المثلى التي اعتمدها الفارابي في إنتاج المصطلح هي آلية الاشتقاق .
- التوصيات:

تعد سلامة اللغة العربية من الدخيل والمغرب من أولويات المجامع العلمية العربية والكتاب العرب ، وحيث أننا أمام ثورة من المعلومات والأفكار الأمر الذي أصبحت معه ترد علينا كثير من المصطلحات التي لم تكن لنا سابقة بها ، فإننا بأمس حاجة الى التوفر على آلية للتعامل مع هذه الوافد ، ومن هنا تعد تجربة الفارابي أنموذجاً يحتذى التعامل مع الوافد الغربي بحيث يتم إذابته في لغتنا العربية ، فلم يتم الاختصار على المعان الاسمية في الاشتقاق بل شمل الحروف التي على الرغم من جمودها الصرفي إلا أنه الفارابي استطاع جعلها مادة لإنتاج المصطلح ، مما يثبت أن لغتنا فيها من الغنى التي لا تحوجنا الى أساليب غير اشتقاقية في إنتاج المصطلح كآلية النحت .

هوامش البحث:

١ آل ياسين ،د جعفر : الفارابي في حدوده ورسومه ،ط١ ، عالم الكتب ،بيروت ١٩٨٥. ص ٨-١٣.

- ٢ ابن تيمية : الرد على المنطق بين ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين ، مؤسسة الريان ، ط ١ ، بيروت ٢٠١٥ . ص ٢٥
- ٣ الفارابي في حدوده ورسومه ، مصدر سابق ص ١٤ .
- ٤ المصدر السابق ص ١٤ .
- ٥ المصدر السابق ، مصدر سابق ص ١٦ .
- ٦ الرازي ، ابو حاتم : كتاب الزينة -معجم اشتقاقي في المصطلحات الدينية والثقافية ، تحقيق وتقديم :سعيد الغانمي ، ط ١ ، منشورات الجمل بيروت ٢٠١٥ .
٧. الرازي ، ابي حاتم احمد بن حمدان : كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ، تحقيق حسين بن فيض الهمداني ، ط ١ ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ١٩٩٤ .
- ٨ كتاب الزينة -معجم اشتقاقي في المصطلحات الدينية والثقافية ، مصدر سابق ، ص ٥٢-٥٤
- ٩ المصدر السابق ، ص ٥٦
- ١٠ كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ، نشرة الهمداني ، مصدر سابق ، ص ١٢
- ١١ المصدر السابق ، ص ١٤ .
- ١٢ ينظر على سبيل المثال :
- العبادي ، د علي جاسم : علم اصول الكلمات (الايتيمولوجيا) - دراسة تطبيقية في كتاب الزينة لابي حاتم الرازي ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ٢٠١٩ .
- العشيري ، د محمد رياض : التصور اللغوي عند الاسماعيلية، دراسة في كتاب الزينة ، ط ١ ، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٨٥ .
- الرشيد ، هدية فايز : كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية - دراسة في التطور الدلالي ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، الاردن ٢٠١٠ .
- سيد احمد ، بهلول محمد : المنحى الاشتقاقي في التفريع الدلالي لمفردات كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ، رسالة ماجستير ، جامعة وهران ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، الجزائر ٢٠١١-٢٠١٢ .
- ١٣ الصالح ، د صبحي : دراسات في فقه اللغة ، ط ٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٨ . ص ١٧٤ ، ص ٢١٠ .

- ١٤ ينظر : الاسترابادي ، محمد بن الحسن : شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن وجماعته ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٥ . ج ١ ص ٢ - ٥ .
- ماربوياني : اسس علم اللغة ، ترجمة وتعليق د أحمد مختار عمر ط٨ ، عالم الكتب بيروت ١٩٩٨ . ص ٥٢ - ٥٤ .
- ١٥ جهامي ، د جيرار : موسوعة مصطلحات الكندي والفارابي ، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ٢٠٠٣ . ص X .
- ١٦ المصدر السابق ، ص XI
- ١٧ المصدر السابق ، ص XIII
- ١٨ المصدر السابق ، ص IX
- تعود كتابة هذا البحث الى عام ٢٠١٩ .
- ١٩ ظ : بوقرة ، د نعمان : صناعة المصطلح عند الفارابي ، مجلة اللغة العربي ، المجلس الاعلى للغة العربية ، عدد ٨ ، الجزائر صيف ٢٠٠٣ . ص ١٥٩ - ١٨٤ .
- ٢٠ بحث منشور في الموقع : <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/41382>
- ٢١
- <https://sawtalaql.com/2020/12/the%20term%20and%20its%20translation%20from%20other%20languages%20kitab%20letters%20by%20al-farabi.html>
- ٢٢ https://sawtalaql.com/2020/12/blog-post_16.html
- ٢٣ نيشة : الإنسان مفرد في انسانيته ، ترجمة ، محمد التاجي ، منشورات افريقيا الشرق ، ط١ ، بيروت ١٩٩٨ . ج ١ ص ٧٦ .
- ٢٤ بروتوين ماتن و فليريتاس : معجم مصطلحات السيميوطيقا ، ترجمة ، عامية خزقدار ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٨ . ص ١٢١ .
- ٢٥ المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
- ٢٦ د جعفر آل ياسين : الفارابي في حدوده ورسومه ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٥ . ص ٧ .
- ٢٧ المرجع السابق ، ص ٨ .
- ٢٨ ناطق خلوصي : قراءات في المصطلح ، دار الشؤون الثقافية ، ط ١ ، بغداد ٢٠٠٨ . ص ٥ .

- ٢٩ د علي القاسمي : مقدمة في علم المصطلح ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٥ . ص ٢١٧ .
- ٣٠ المرجع السابق ، ص ١٨ - ١٩ .
- ٣١ د عبد الأمير الاعسم : المصطلح الفلسفي عند العرب ، مكتبة الفكر العربي ، ط ١ ، بغداد ١٩٨٠ . ص ٨ .
- ٣٢ المرجع السابق ، ص ١٦٥ .
- ٣٣ د زكي نجيب محمود : جابر بن حيان ، المركز العربي للثقافة ، ط ١ ، بيروت د ت . ص ٥٤ .
- ٣٤ المصطلح الفلسفي عند العرب ، مصدر سابق ، ص ٣٤ .
- ٣٥ ط : ابن منظور : لسان العرب ، مؤسسة الاعلمي ، ط ١ ، بيروت ٢٠٠٥ . مج ١ ص ٣٠٨٧ .
- ٣٦ الكندي : رسالة في الحدود والرسوم ، نشرة الاعسم ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ .
- ٣٧ المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
- ٣٨ المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .
- ٣٩ المصطلح الفلسفي عند العرب ، مرجع سابق ، ص ٣٨ - ٣٩ .
- ٤٠ المرجع السابق ، ص ٤١ .
- ٤١ د عبد الهادي ابو ريذة : رسائل الكندي ، ج ١ ص ١٦٤ ، نقلا عن الاعسم : المصطلح الفلسفي ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .
- ٤٢ مقدمة في علم المصطلح ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .
- ٤٣ المرجع السابق ، ص ١٠٧ .
- ٤٤ الجزر ، د هني : المقولات عند افلاطون ، مجلة جامعة دمشق ، مجلد ٣٦ ، العدد الازل ٢٠٢٠ . ص ١٥٥ .
- ٤٥ الفارابي : كتاب الحروف ، ص ٢١ .
- ٤٦ م س ، ص ٤٢-٤٤ .
- ٤٧ م س ، ص ١٨ .
- ٤٨ م س ، ص ٤٩ .
- ٤٩ م س ، ص ن .
- ٥٠ م س ، ص ٥٠ .

- ٥١ الحروف ص ٥٠
٥٢ م س ص ٤٩
٥٣ م س ص ٥٧
٥٤ م س ، ص ٤٥.
٥٥ م س ، ص ١٢١
٥٦ الفارابي : كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق د محسن مهدي ، دار المشرق ، ط٢، بيروت ١٩٨٦. ص ٤٥.
٥٧ الحروف م س . ص ١٥.
٥٨ ظ : م س ، ص ٩١.
٥٩ الفارابي : كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق ، مصدر سابق ، ص ٤٧.
٦٠ م س ، ص ٤٨.
٦١ م س ، ص ن .
٦٢ م س ، ص ٤٧.
٦٣ م س ، ص ن .
٦٤ م س ، ص ٤٧-٤٨.
٦٥ الفارابي ، الحروف ، ص ١٨.
٦٦ م س ، ص ١٩.

المصادر والمراجع:

- أولاً : الكتب والرسائل الأكاديمية والمجلات:
١. ابن منظور : لسان العرب ، مؤسسة الاعلمي ، ط١ ، بيروت ٢٠٠٥.
٢. الاسترأبادي ، محمد بن الحسن : شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن وجماعته ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٥.
٣. بروتوين ماتن و فليرتياس : معجم مصطلحات السيميوطيقا ، ترجمة ، عامية خزقدار ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٨.

٤. بو قرّة، د نعمان :صناعة المصطلح عند الفارابي ، مجلة اللغة العربي، المجلس الاعلى للغة العربية ، عدد ٨ ، الجزائر صيف ٢٠٠٣
٥. الجزر، د هني : المقولات عند افلاطون ،مجلة جامعة دمشق ، مجلد ٣٦، العدد الازل ٢٠٢٠.
٦. جعفر آل ياسين : الفارابي في حدوده ورسومه ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٥.
٧. جهامي ، د جبرار : موسوعة مصطلحات الكندي والفارابي ، ط ١ ، مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ٢٠٠٣.
٨. الرازي ، ابي حاتم احمد بن حمدان : كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ، تحقيق حسين بن فيض الهمداني ، ط١، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ١٩٩٤.
٩. الرازي ،ابو حاتم : كتاب الزينة -معجم اشتقاقي في المصطلحات الدينية والثقافية ، تحقيق وتقديم :سعيد الغانمي ، ط ١ ، منشورات الجمل بيروت ٢٠١٥
١٠. الرشيدى ، هدية فايز : كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية - دراسة في التطور الدلالي ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، الاردن ٢٠١٠.
١١. زكي نجيب محمود : جابر بن حيان ، المركز العربي للثقافة ، ط ١ ، بيروت د ت .
١٢. سيد احمد ، بهلول محمد : المنحى الاشتقاقي في التفرع الدلالي لمفردات كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ، رسالة ماجستير ، جامعة وهران ، كلية الآداب ،قسم اللغة العربية ، الجزائر ٢٠١١-٢٠١٢.
١٣. الصالح ، د صبحي : دراسات في فقه اللغة ، ط٧، دار العلم للملايين ،بيروت ١٩٧٨.
١٤. العبادي ، د علي جاسم : علم اصول الكلمات (الايتيمولوجيا)- دراسة تطبيقية في كتاب الزينة لابي حاتم الرازي ، ط١،عالم الكتب ، بيروت ٢٠١٩.
١٥. الاعسم،عبد الأمير : المصطلح الفلسفي عند العرب ، مكتبة الفكر العربي ، ط ١ ، بغداد ١٩٨٠.
١٦. العشيري ، د محمد رياض : التصور اللغوي عند الاسماعيلية، دراسة في كتاب الزينة ، ط١، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٨٥.
١٧. علي القاسمي : مقدمة في علم المصطلح ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٥.
١٨. الفارابي : الحروف ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ٢٠٠٦.
١٩. الفارابي : كتاب الالفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق د محسن مهدي ، دار المشرق ، ط٢، بيروت ١٩٨٦ .

٢٠. ماربويي : اسس علم اللغة ، ترجمة وتعليق د أحمد مختار عمر ط٨ ، عالم الكتب بيروت ١٩٩٨ .
٢١. ناطق خلوصي : قراءات في المصطلح ، دار الشؤون الثقافية ، ط ١ ، بغداد ٢٠٠٨ .
٢٢. نيشة : الإنسان مفرد في إنسانيته ، ترجمة ، محمد التاجي ، منشورات افريقيا الشرق ، ط ١ ، بيروت ١٩٩٨ .
- ثانيا: المواقع الإلكترونية:

1. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/41382>
2. <https://sawtalaql.com/2020/12/the%20term%20and%20its%20translation%20from%20other%20languages%20kitab%20letters%20by%20al-farabi.html>
3. https://sawtalaql.com/2020/12/blog-post_16.html

التباين الجغرافي لنسب تلوث الهواء بالغازات خلال مدة الحظر الصحي لجائحة كورونا وما بعدها

للمدة ٢٠٢٠-٣-١ الى ٢٠٢٠-١٠-١

أ.م.د. زينب عبد الرزاق التغلبي

كلية التخطيط العمراني/ جامعة الكوفة

المقدمة:

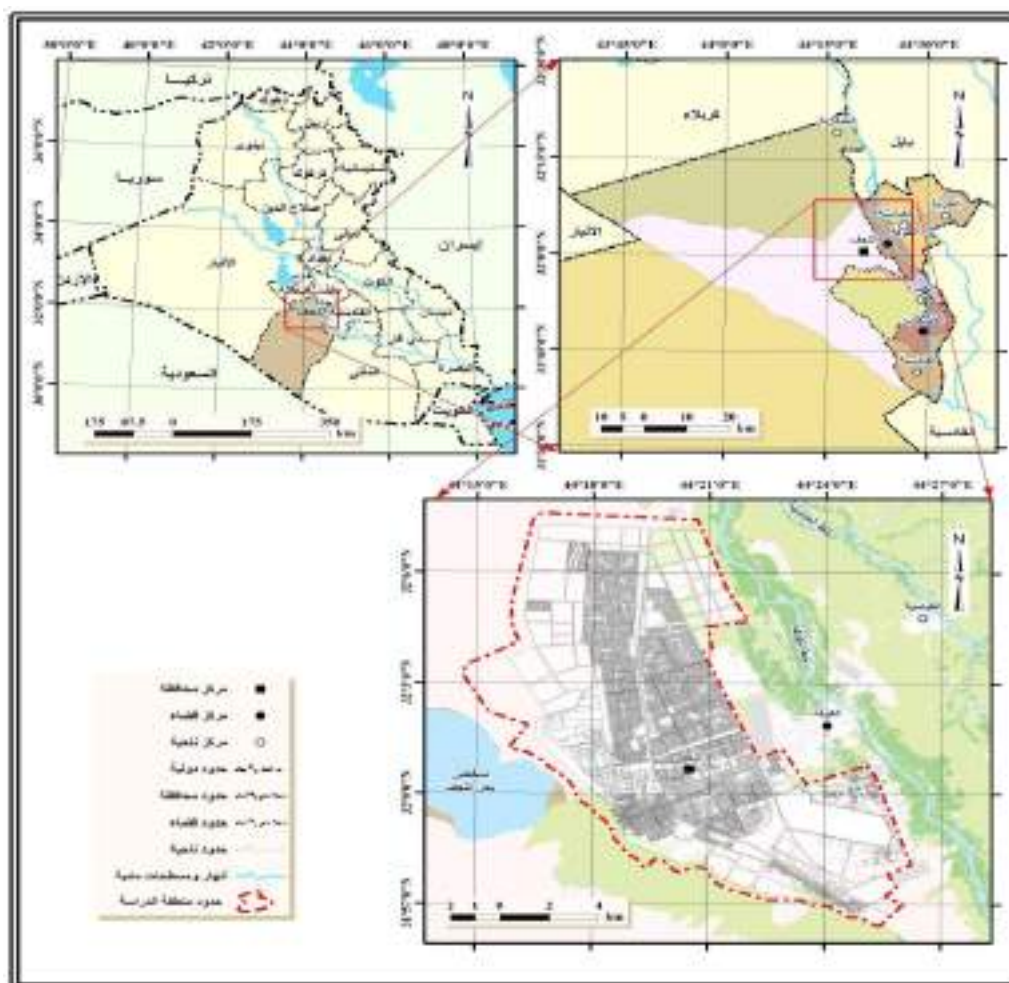
تعد الدراسة الأولى من نوعها التي تناقش مشكلة تلوث الهواء بالغازات في اثناء الحظر الشامل بسبب فايروس كورونا في مدينة النجف الاشرف وما بعد الحظر. وتهدف إلى تحديد علاقة بين التلوث الهواء بالغازات ودور أنشطة السكان المختلفة الصناعية والتجارية فضلاً عن الطرق والشوارع وما ينتج عنها من عوادم المركبات والمولدات بوصفها من اهم المصادر للتلوث الهواء بالغازات وبين حظر التجوال الذي ادى الى تقليص أنشطة وحركة السكان في مدينة النجف الأشرف، وبيان مستويات هذا التلوث وتوزيعها الجغرافي وتحليل أسبابه. وتقوم الدراسة على مشكلة مفادها أن الاستخدام المفرط لمختلف الأنشطة و وسائل النقل داخل المدينة يمثل مصدراً مهماً لتعزيز هذا النوع من التلوث في الآونة الأخيرة والعكس صحيح. إلا أن ظهور فايروس كورونا كوفيد ١٩ وتجربة حظر الصحي ادى الى تقليل حركة المرور والنشاط السكاني وبالتالي قلة نسب تلوث الهواء بالغازات في المدينة. وعلى هذا تفترض الدراسة أن الاستخدام المفرط للأنشطة الصناعية والتجارية ووسائل النقل المختلفة في مدينة النجف الأشرف يشكل مصدراً رئيساً لانتشار التلوث الهواء بالغازات ضمن منطقة الدراسة.

- جغرافية منطقة الدراسة:

تتمثل منطقة الدراسة بمدينة النجف الأشرف، ويحدد موقعها الفلكي على خط طول ٤٤,١٩° شرقاً وعلى دائرة عرض ٣١,٥٩° شمالاً كما في الشكل (١) . اما موقعها الجغرافي فهي تعد من أهم المراكز الإدارية لمحافظة النجف الأشرف. يحدها من الشمال مدينة الحيدرية , وتقع مدينة الكوفة على شرقها, وتحاذيها

مدينة المناذرة من جهة الجنوب الشرقي ، فيما يقع مجرى نهر الفرات من جهتها الشرقية. وتطل المدينة على منخفض بحر النجف من جهة الغرب.

تبلغ مساحة مدينة النجف الأشرف حوالي (١٨٣.٧٥ كم^٢) ضمن مخططها الأساسي لعام ٢٠١٢-٢٠٣٥. ويتمثل موضع المدينة فوق ربوة مرتفعة تؤلف جزءاً من حافة هضبة صحراوية ذات الصخور الرملية، وتشرف تلك الربوة من جهة الجنوب الشرقي على منخفض بحر النجف، فيما تطل من جهتي الشمال والشمال الغربي على فضاء فسيح تمثله مقبرة وادي السلام، أما ناحيتها الشرقية فتتمثل بالأرض المنحدرة باتجاه مدينة الكوفة في حين جهتها الغربية عبارة عن أراضٍ جرداء يمثلها القسم الشرقي من الهضبة الغربية^{(١)(٢)}.



الشكل (١): موقع منطقة الدراسة (مدينة النجف الأشرف) بالنسبة لمحافظة النجف والعراق، بالاعتماد على الهيئة العامة للمساحة، خريطة العراق الإدارية، بغداد، ٢٠٢٠.

المواد وطريقة العمل

تم الاستعانة بأجهزة وبرامج متنوعة لغرض إجراء القياسات الحقلية، وذلك على النحو الآتي:

١- الأجهزة والأدوات: وتتضمن ما يلي:

أ- قياس الغازات : تم فحص الغازات عن طريق جهاز واحد (ALERT Micro5) منشأه الماني وقيس الغازات التالية (CO, CH₄, SO₂, H₂S), الشكل (٢).



الشكل (٢) : جهاز كشف الغازات (ALERT Micro5)

ب- برنامج تثبيت إحداثيات

تثبيت إحداثيات نقاط القياس، لأجل استخدامها في برنامج نظم المعلومات الجغرافية وتوقيعها على الخريطة بدقة. وأجري ذلك بواسطة تطبيق تحديد المواقع GPS & MAPS iPhone عالي الدقة مدعوما ببرنامج (ArcView 9.3) GIS . كما في الجدول رقم (١) الجدول (١) مواقع العينات التي تم قياس نسب الغازات فيها لمواقع مختلفة في مدينة النجف الاشرف

ت	إسم الحي السكني	رمز النقطة	دوائر العرض	خطوط الطول
1	الفرات	A1	N32° 0' 45.544"	E44° 21' 34.840"
		A2	N32° 1' 4.834"	E44° 21' 25.582"
		A3	N32° 1' 26.582"	E44° 21' 15.142"
2	الغدير	A1	N32° 0' 38.393"	E44° 21' 9.124"
		A2	N32° 0' 57.444"	E44° 20' 59.899"
		A3	N32° 1' 17.812"	E44° 20' 50.036"
3	الكرامة	A1	N32° 0' 29.679"	E44° 20' 48.081"
		A2	N32° 0' 50.158"	E44° 20' 38.370"
		A3	N32° 1' 9.425"	E44° 20' 29.232"

التباين الجغرافي لنسب تلوث الهواء بالغازات خلال مدة الحظر الصحي لجائحة كورونا وما بعدها

E44° 19' 36.114"	N32° 0' 55.053"	A1	السلام	4
E44° 19' 53.548"	N32° 1' 1.201"	A2		
E44° 20' 9.863"	N32° 1' 6.953"	A3		
E44° 21' 17.231"	N32° 0' 31.221"	A1	الامير	5
E44° 21' 23.397"	N32° 0' 18.597"	A2		
E44° 21' 29.574"	N32° 0' 5.950"	A3		
E44° 22' 7.677"	N32° 0' 53.416"	A1	مجسر مستشفى الصدر	6
E44° 22' 18.888"	N32° 0' 57.642"	A2		
E44° 22' 27.315"	N32° 1' 0.818"	A3		

المصدر : الدراسة الميدانية , بتاريخ ١-٣-٢٠٢٠ , في تمام الساعة ٧:٠٠ صباحا
 موقع A1 استعمالات الارض السكنية. وموقع A2 يمثل استعمالات الارض الصناعية والتجارية . وموقع A3 يمثل استعمالات الارض للنقل .

د- تقنية رسم الخرائط: تم الاستعانة بتقنية نظم المعلومات الجغرافية (GIS ArcView 10.5 Edition)، لرسم الخرائط وإظهار النمط المكاني لانتشار الظاهرة. وقد تم اعتماد الطريقة الرئيسة Interpolation ومن ثم الطريقة الفرعية (IDW) في إيجاد القيم الوسطية للنقاط بشكل مساحي، وتنفيذ الرسم.

٢- طريقة القياس: وتقسم الى مكانيا وزمانيا :

أ- من الناحية المكانية : هناك شروط تم اتباعها عند قياس مستويات نسب تلوث الهواء بالغازات مكانيا في منطقة الدراسة وتتمثل بـ :

١- تم اختيار مواقع العينات حسب استعمالات الارض للمنطقة الدراسة ((سكنية و تجارية و صناعي ونقل)) ، المراد قياس نسب الغازات فيها ، وضبط عداد تسجيل القياس لمدة ٥ دقائق وبمستوى تنفس الانسان .

٤- أخذ في الحسبان وظيفة المنطقة التي تدرس هل هي منطقة سكنية او تجارية او ترفيهية كمناطق المتنزهات و ساحات لعب الأطفال او صناعية .

كان من الصعب شمول منطقة الدراسة بأكملها بسبب حظر التجوال لذلك اقتصر على بعض الاحياء السكنية التي تقع في مركز المدينة و حسب استعمالات الارض الحضرية في المدينة قدر المستطاع والتي تمثل عينة مختارة منها لتمثل باقي الاحياء السكنية في المدينة . حيث اختيرت (٦) احياء سكنية ومجسر بواقع ثلاث قراءات لكل حي سكني و تم الاختيار حسب استعمالات الارض للمنطقة الدراسة ((سكنية و تجارية و صناعي ونقل)) ، وتم اخذ العينات وقت الحضر بتاريخ ١-٣-٢٠٢٠ واعيد اخذ العينات ولنفس الاماكن ما بعد الحظر بتاريخ ١-١٠-٢٠٢٠ ، يكون مجموع العينات قبل الحظر وما بعده (٣٦) قراءة .

ب - أما من الناحية الزمانية : تم تسجيل قياسات تراكيز نسب الغازات في الهواء لفترتين الصباحية والمساءية . وتتمثل المدة النهارية من الساعة (٧:٠٠ص-٦:٠٠م) ، والمدة المسائية و تبدأ من الساعة (٦:٠٠م-١٠:٠٠م) . وتمت مقارنة المستويات الناتجة بالمعايير المبينة كما في الجدولين (٢) .

جدول (٢) المحددات الوطنية الامريكية (NAAQS) و المحلية العراقية المقترحة لبعض الملوثات

الغازية الهوائية

الملوثات الهوائية	المحددات الوطنية الامريكية NAAQS	المحددات المحلية المقترحة
أول اوكسيد الكربون CO ppm	10 / 8 ساعات mg/m ³	35 ppm / ساعة

التباين الجغرافي لنسب تلوث الهواء بالغازات خلال مدة الحظر الصحي لجائحة كورونا وما بعدها

	9 ppm / ساعة	9 ppm / 8 ساعات
ثنائي أكسيد الكبريت SO ₂ ppm	0.01 ppm / ساعة 0.03 ppm / سنة	0.01 ppm / ساعة 0.002 ppm / سنة
كبريتيد الهيدروجين H ₂ S	5 ppm / ساعة	5 ppm / ساعة
الميثان CH ₄ ppm	0.24 ppm / 3 ساعات	0.24 ppm / 3 ساعات

المصدر :

1- William p.Cunningham,Mary Ann Cunningham,Barbara Woodworth Saigo,ENVIRONMENTAL IENCE(A GLOBAL-CONCERN),The McGraw-Hill Companies,Americas,New York,2007,p364.

٢- وزارة البيئة / قسم تلوث الهواء-2021 .

٢- تلوث الهواء بالغازات: تعاني اغلب مدن العالم من مشكلة التلوث الهواء بالغازات وسببها الانسان منذ ان اكتشف التكنولوجيا وتطورت سبل العيش وتعددت متطلبات الرفاهية وهو يسعى جاهدا لإرضاء اهواءه ولا يبالي بالبيئة وما يحيط بها من مشاكل جمة بسبب قلة وعيه وسوء ادارة البيئة .

تعتبر أنشطة السكان المختلفة من اهم مصادر التلوث الهواء بالغازات في المدن و التي زادت بالآونة الاخيرة نتيجة لزيادة النمو السكاني والعمراني وتنوع الصناعي والتجاري وتعدد مخلفاتها و زيادة في اعداد المركبات والمولدات الكهربائية التي تقذف الى الهواء العديد من الغازات والدخان الخائق و التي تؤثر على صحة السكان والبيئة المحيطة ومن اهم الملوثات الغازية التي سيتناول دراستها في هذا البحث وقياس تراكيزها في منطقة الدراسة هي بعض الغازات ومنها أول اوكسيد الكربون وكبريتيد الهيدروجين وثنائي اوكسيد الكبريت والميثان . وتصدر هذه الغازات عن حرق النفط والغاز الطبيعي والفحم بأنواعه المختلفة بهدف الحصول على الطاقة اللازمة لتشغيل وسائل النقل والمصانع ومحطات توليد الكهرباء الحرارية

وتوفير التدفئة ويضيف إلى هذه الملوثات حرائق الغابات ومكبات النفايات والغازات التي تستعمل في بعض الصناعات الغريون أو الكلوروفلوروكاربون التي تستخدم في صناعة الثلاجات ومكيفات الهواء وغيرها^(٣). ومن هذه الغازات

١ - غاز ثنائي اوكسيد الكبريت (SO_2) : وهو غاز مؤذ ذو رائحة مهيجة يسبب أمراض في الجهاز التنفسي كالتهابات القصبات والربو وانتفاخ الرئة ويزيد من الانفعالات العصبية مع زيادة في نبض القلب^(٤).

٢- غاز كبريتيد الهيدروجين (H_2S) : يمتاز هذا الغاز برائحته الكريهة التي تشبه رائحة البيض الفاسد . ويوجد في النفط ومشتقاته والمدايح والمجاري ومصانع الغراء والحريير (الرايون). ويسبب وفاة سريعة إن كان تركيزه عاليا كما يسبب التهاب العين والمسالك التنفسية ويجب عدم الاعتماد على حاسة الشم في كشفه لأنه يخدر أعصاب الشم بحيث يمكن إن يوجد الإنسان في جو قاتل دون إن يكتشف رائحة الغاز^(٥).

٣- غاز أول اوكسيد الكربون (CO) : يتكون الغاز من عملية الاحتراق غير الكاملة وهو غاز عديم اللون والرائحة , وهو شديد الميل للاتحاد مع مادة الهيموغلوبين في الدم مولدا بعض الأعراض الأولية مثل الصداع والغثيان والصعوبة في التنفس . مصادره الرئيسية هي وسائل النقل والمحارق ومحطات الطاقة والتفاعلات الجوية بالقرب من أماكن المتفجرات والتدخين وحرائق الغابات وتعفن وانحلال بعض المواد العضوية ,من مضاره الجسدية انه يجد طريقه إلى الرئتين بسهولة مما يضعف قدرة الدم على امتصاص الأوكسجين^(٦) . يوصف الغاز بأنه سام جدا وخطر للغاية بسبب عدم إحساس الجسم به في الوقت المناسب ويسبب التسمم المزمن بالغاز أمراض فقر الدم والخلل العقلي كما يؤثر في القلب حيث يزيد سرعة ضرباته وحدوث إجهاد شديد بسبب محاولة القلب تعويض الجسم حاجته من الأكسجين^{(٧)(٨)}

٤ - الهيدروكربونات : تنتج الهيدروكربونات عن عمليات التحلل البكتيري التي تحدث في مناطق المستنقعات وغيرها وما تطلقه النباتات وتنتج السيارات لوحدها حوالي ٥٠٪ من المركبات الهيدروكربونية المنبعثة إلى الهواء لذا يكون تركيزها مرتفعاً في هواء المدن , وتقدر كمية الهيدروكربونات المنطلقة إلى أجواء الولايات المتحدة حوالي ٣٢ مليون طن وبنحو ٥٩٪ من السيارات ^(٩) . ومن أمثلتها غاز الميثان CH_4 و الإيثان C_2H_6 والاثيلين C_2H_4 . وينبعث الجزء الأكبر من الهيدروكربونات من السيارة نتيجة للاحتراق غير الكامل للبتروول , تكمن خطورة الهيدروكربونات بشكل الرئيس في اشتراكها بعملية تكون الضباب الأسود الكيماضوي .

ويتوقف مستوى تلوث الهواء بالغازات على عدة عوامل منها طبيعية واخرى بشرية: واهم العوامل الطبيعية المؤثرة هي:

١. نوعية السطح: يؤثر نوعية سطح المدينة على مستوى تراكيز الملوثات الغازية , فكلما كان اكثر انبساطا سمح للرياح بالحركة ونقل الملوثات من مكان تواجدها الى مكان اخر واحيانا يساعد هذا الانبساط لتخلص من الملوثات بسهولة ولعدم وجود عائق امامها على العكس من المناطق الوعرة والوديان التي تتركز فيها الملوثات بسبب قلة حركة الرياح خصوصا في الوديان لذلك لا ينصح في اقامة المشاريع الصناعية وبناء المدن في بطون الوديان لأنها تسبب تركيز الملوثات وبالتالي تسمم السكان .
٢. النبات الطبيعي: والنبات الطبيعي هو النبات الذي ينمو من تلقاء نفسه من دون تدخل الإنسان، ويعد من المظهر الطبيعي لسطح الأرض "Natura Landscape" , تسهم الاشجار والشجيرات في تقليل من سرعة الرياح وتنقية الجو من الغبار وامتصاص الملوثات الغازية من الهواء مثل اكاسيد النتروجين واكاسيد الكربون ^(١٠) .

٣. المناخ: تؤثر العناصر المناخية السائدة تأثيرا واضحا في تحديد كثافة ملوثات الجو، وتعد درجة الحرارة واتجاه الرياح وسرعتها من أهم العناصر المناخية المؤثرة في شدة تركز الملوثات في الجو، فضلا عن أشكال التساقط الذي يقوم بدور المنظف للجو من بعض ملوثاته (١١) (١٢).

المصادر البشرية المؤثرة في تلوث الهواء:

١. النمو السكاني: لم تظهر مشكلة النمو السكاني بشكل حاد إلا في القرن العشرين لأسباب تتعلق بوفرة الغذاء و التطور التقني في مجال الزراعة وكذلك تطور الوعي الصحي والأساليب الوقائية والعلاجية وأدى ذلك إلى تقليل عدد الوفيات بين الأطفال من جهة وزيادة الأعمار للكبار من جهة أخرى . يلاحظ إن هناك تزايد في أحجام المدن في معظم الدول ومنها الدول النامية بسرعة لا تتناسب مع إمكانياتها لتوفير الخدمات الصحية، كما إن هذا النمو يحدث في كثير من الأحيان بصورة عشوائية وبدون مراعاة لإمكانات توفير الخدمات الصحية (١٣) . تشير الإحصاءات إن معدلات النمو السكاني في العراق مرتفعة جدا حيث تصل إلى ٤,٥٪ سنويا في حين إن معدل النمو في العالم اقل من ٢٪ ويمكن ملاحظة وتائر الزيادة نمو السكان من حوالي ٣ مليون إلى ٢٥ مليون في ٢٠٠٤ ويمكن إن يتضاعف أعداد السكان خلال اقل من عشرين سنة ليصل إلى ٥٠ مليون نسمة وذلك عام ٢٠٢٥

٤. النشاط الصناعي : يسهم النشاط الصناعي المتمثل بالمصانع والمعامل تلوثا متعدد الصور أما بسبب الأبخرة والأدخنة المتصاعدة من مداخنها أو الغازات الناتجة من خاماتها أو منتجاتها. لا يمكن حصر المواد الملوثة المطروحة من عمليات الإنتاج الصناعية، فكل صناعة تطرح أنواعا مختلفة من المواد الملوثة سواء على شكل غاز أو مواد صلبة أو رذاذ لمواد سائلة . وقد تم تصنيف الأنشطة الصناعية حسب شدة تلوثها للبيئة إلى ثلاث مستويات وهي صنف (أ ، ب ، ج) (١٤) .

٥. نشاط النقل : تخرج من وسائل النقل المختلفة العديد من الغازات والأبخرة تعمل على تلوث الهواء و التي تنتج عن عملية احتراق الوقود فيها. التي بدأت بتزايد اعدادها في السنوات الأخيرة في المدن المكتظة

بالسكان, حيث ينطلق الخليط الغازي السام من عشرات الآلاف من السيارات ليملاً طرقات المدينة وينتشر في أجوائها ويغلف مساكنها دون إن يراه أو يلاحظه احد ^(١٥). إذ تعد مخلفات السيارات الغازية من أهم ملوثات الهواء في عصرنا الحالي لاسيما في مراكز المدن الكبيرة . وبالأخص ذات التصاميم الأساس غير الجيدة أو غير المدروسة ^(١٦) .

٦. دخان الناتج من المولدات الكهربائية: نتيجة لتردي خدمة الكهرباء في اغلب مدن العراق منذ تسعينيات هذا القرن وفترة الحصار ولحد يومنا هذا اذ لم يشهد اي تحسن للواقع الخدمي للكهرباء لذا لجأت الاهالي الى توفير مولدات كهربائية اهلية تعمل على تزويد المواطنين بالكهرباء وسد حاجتهم صيفا و شتاءً. الا أنها برغم من سدها لحاجة السكان من توفير الكهرباء اللازم الا انها اصبحت عبئ حقيقي على البيئة لما لها من اضرار بيئية على المنطقة المحيطة بها , حيث ينتج عنها غازات مختلفة ناتجة عن حرق الوقود. وهي تؤثر بشكل كبير في صحة المواطنين عامة, ولا سيما الأشخاص المصابين بأمراض الجهاز التنفسي كالربو والحساسية بشكل خاص.

٧. النفايات الصلبة والسائلة : مواد تلقيها أو تولدها الكائنات الحية في النظام البيئي الطبيعي هذا النظام يتعامل معها على أساس إنها مصادر تستخدم بكفاءة وفاعلية ويعاد استخدامها ضمن دورة واضحة إلا إن هناك مواد كالمركبات البلاستيكية وهي مواد معقدة لم يسبق للنظام البيئي التعامل مع مثلها لذلك فان مشكلة تراكمها من المشكلات الرئيسة في النظام البيئي ^(١٧) . زادت في الآونة الأخيرة كمية النفايات في الشوارع والأزقة والأحياء السكنية والمحال التجارية والصناعية وهي مشكلة تعاني منها اغلب المدن الحضرية. تكون النفايات اما صلبة او سائلة وهي في الأصل أما منزلية أو صناعية أو زراعية او تجارية وفي كل الاحوال فهي تطلق عند تحللها غازات سامة تلوث الهواء المحيط بها ^(١٨) .

❖ جائحة فيروس كورونا " كوفيد ١٩ ":

يعد الفيروس واحد من أحد الفصائل الواسعة الانتشار المعروفة بأنها تسبب أمراضاً تتراوح من نزلات البرد

الشائعة إلى الاعتلالات الأشد وطأة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (MERS) ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (السارس). اما (كوفيد-١٩) هو المرض الناجم عن فيروس كورونا المُستجد المُسمى بـفيروس كورونا - سارس ٢.

نتيجة لتفشي المرض وانتشاره بسرعة عالية فقد أطلق عليها بـ (الجائحة) أعلنت منظمة الصحة العالمية رسميًا في ٣٠ يناير أن تفشي الفيروس يُشكل حالة طوارئ صحية عامة تبعث على القلق الدولي، وأكدت تحوله إلى جائحة يوم ١١ مارس (١٩) (٢٠). ولذلك استجابة السلطات في جميع أنحاء العالم الى إجراءات عديدة ومنها فرض حظر التجوال ويقصد به منع او حظر حركة الناس في منطقة او بلد ما من قبل الحكومة. وذلك للظروف الاستثنائية مثل الحروب وانتشار الأمراض والأوبئة والتي تكون عادةً ضمن مدة زمنية معينة كأن يفرض على سبيل المثال حظر التجوال من بعد المغرب إلى بعد الفجر. وبسبب انتشار الوباء لجأت دول العالم إلى فرض مجموعة من القيود على الأنشطة الاقتصادية وحركة النقل البري والبحري والجوي، فضلاً عن إغلاق المؤسسات الصناعية غير الضرورية واعتماد الحجر الصحي للسكان، وكل هذا بهدف الحد من انتشار الوباء وتطويقه، او على الأقل التخفيف من حدة الإصابات بالعدوى والفتك بالأرواح. من خلال تطبيق الإغلاق العام، ومنع التجمعات والتقليل من حركة السكان مشياً على الأقدام او بوسائل النقل ونتيجة لذلك حدث الكثير من الاضرار الاجتماعية والاقتصادية فضلاً عن تأجيل الأحداث الرياضية والدينية والسياسية والثقافية أو إلغائها (٢١) (٢٢).

برغم من المشكلات والاضرار الناتجة من الحظر الصحي بسبب الجائحة الا أن بقاء البشر في منازلهم يصب في صالح كوكب الأرض، برغم من عدم وجود أي فوائد للوباء الحالي، الا ان ما ترتب عليه من حظر للتنقلات غير الضرورية وفرض إجراءات إغلاق كامل في بعض دول العالم، نتج عنها الكثير من التغيرات الإيجابية، التي تطرأ على كوكبنا بفعل غياب الأنشطة السكانية وما ينتج عنها من مخلفات بيئية (٢٣).

النتائج والمناقشة:

تتمثل مصادر التلوث الهواء بالغازات الناتج عن أنشطة السكان المختلفة والتي تترك مخلفات غازية التي تسبب اضرارا للجهاز التنفسي وإزعاجا كبيرا لمعظم السكان. وقد اخذ هذا النوع من التلوث بالتصاعد في العقد الاخير , بسبب زيادة النمو السكاني و زيادة انشطتهم .

العمل الحقلي:

تم قياس مستويات التلوث الهواء الناتج عن الانشطة المختلفة للسكان في المدة الصباحية والمسائية وقت الحظر " منع التجوال " وكان الحظر كامل أي يمنع التجوال او الحركة السكانية من الصباح الى المساء الا في الحالات حرجة كزيارة طبيب او تسوق , حيث سجلت اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات لاهياء مدينة النجف الاشرف للفترة (٧ص -٦م) خلال مدة الحظر بتاريخ ١-٣-٢٠٢٠ , ضمن موقع A1 المتمثل باستعمالات الارض السكنية في حي الامير كان غاز CO بمقدار (٨)ppm واقل نسبة لنفس الغاز في حي السلام بمقدار (٢)ppm , اما باقي المواقع جميعها ضمن الحد المسموح به بيئيا ولم يتحسس الجهاز الغازات الاخرى مثل (CH_4 , H_2S , SO_2) وهذا يدل على قلة النشاط السكاني اثناء الحظر عدا بعض المركبات والمولدات التي تطرح غاز CO . و سجل اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات ضمن موقع A2 والذي يمثل استعمالات الارض الصناعية والتجارية في حي الامير كان غاز CO بمقدار (٦) ppm واقل نسبة لنفس الغاز في حي الفرات بمقدار (٢) ppm , اما باقي المواقع جميعها ضمن الحد المسموح به بيئيا ولم يتحسس الجهاز الغازات الاخرى مثل (CH_4 , H_2S , SO_2) . و سجل اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات موقع A3 والذي يمثل استعمالات الارض للنقل في حي الامير كان غاز CO بمقدار (٤)ppm واقل نسبة لنفس الغاز في حي الفرات بمقدار (١)ppm , اما باقي المواقع جميعها ضمن الحد المسموح به بيئيا ولم يتحسس الجهاز الغازات الاخرى مثل (SO_2 , CH_4 , H_2S). كما في الجدول (٣)

الجدول (٣) قياس مستويات تلوث الهواء بالغازات لأحياء مدينة النجف الاشرف للفترة (٧ص - ٦م)
خلال مدة الحظر بتاريخ ١-٣-٢٠٢٠

القراءة الاولى A1 نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون				القراءة الثانية A2 نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون				القراءة الثالثة A3 نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون				الحي السكني	ت
CH4	H2S	SO2	CO	CH4	H2S	SO2	CO	CH4	H2S	SO2	CO		
Ni	Ni	Ni	1	Ni	Ni	Ni	2	Ni	Ni	Ni	3	١ الفرات	١
Ni	Ni	Ni	2	Ni	Ni	Ni	3	Ni	Ni	Ni	4	٢ الغدير	٢
Ni	Ni	Ni	2	Ni	Ni	Ni	4	Ni	Ni	Ni	5	٣ الكرامة	٣
Ni	Ni	Ni	5	Ni	Ni	Ni	4	Ni	Ni	Ni	2	٤ السلام	٤
Ni	Ni	Ni	4	Ni	Ni	Ni	6	Ni	Ni	Ni	8	٥ الامير	٥
Ni	Ni	Ni	2	Ni	Ni	Ni	3	Ni	Ni	Ni	6	٦ مجسر مستشفى الصدر	٦
0	0	0	2.7	0	0	0	3.7	0	0	0	4.7	مدة الصباحية نسبة تركيز الغازات بجزء	
0.24 ppm		CH4	5 ppm		H2S	0.01 ppm		SO2	9 ppm		CO	الحدود المسموح بها	

المصدر : عمل الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية .الرياح شمالية الغربية , معتدلة السرعة.

Ni دون مستوى تحسس الجهاز .

وسجلت اعلى مستوى للتلوث الهواء بالغازات لأحياء مدينة النجف الاشرف للفترة (٧م - ٦ص) خلال مدة الحظر بتاريخ ١-٣-٢٠٢٠ , حيث سجلت اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات ضمن موقع A1 المتمثل باستعمالات الارض السكنية في حي الغدير ومجسر مستشفى الصدر كان غاز CO بمقدار (٣)ppm واقل نسبة لنفس الغاز في حي السلام بمقدار (٠.١)ppm , اما باقي المواقع جميعها ضمن الحد المسموح به بيئيا ولم يتحسس الجهاز الغازات الاخرى مثل (SO2 , H2S , CH4) وهذا يدل على قلة النشاط السكاني اثناء الحظر عدا بعض المركبات والمولدات التي تطرح غاز CO . و سجل اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات ضمن موقع A2 والذي يمثل استعمالات الارض الصناعية والتجارية في حي الامير كان غاز CO بمقدار (٦)ppm واقل نسبة لنفس الغاز في حي الغدير بمقدار (٠.١)ppm , اما

باقي المواقع جميعها ضمن الحد المسموح به بيئياً ولم يتحسس الجهاز الغازات الأخرى مثل (SO_2 , H_2S , CH_4) . و سجل أعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات موقع A3 والذي يمثل استعمالات الأرض للنقل في حي الغدير ومجسر مستشفى الصدر كان غاز CO بمقدار (٢) ppm وأقل نسبة لنفس الغاز في الأحياء (الفرات والكرامة والسلام و الأمير) بمقدار (١) ppm , أما باقي المواقع جميعها ضمن الحد المسموح به بيئياً ولم يتحسس الجهاز الغازات الأخرى مثل (CH_4 , H_2S , SO_2). كما في الجدول رقم (٤)

الجدول (٤) قياس مستويات تلوث الهواء بالغازات لأحياء مدينة النجف الأشرف للفترة (٧م -

٦ص) خلال مدة الحظر بتاريخ ١-٣-٢٠٢٠

ت	الحي السكني	القراءة الأولى A1 نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون				القراءة الثانية A2 نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون				القراءة الثالثة A3 نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون			
		CH4	H2S	SO2	CO	CH4	H2S	SO2	CO	CH4	H2S	SO2	CO
١	الفرات	2	Ni	Ni	Ni	1	Ni	Ni	Ni	1	Ni	Ni	Ni
٢	الغدير	3	Ni	Ni	Ni	0.1	Ni	Ni	Ni	2	Ni	Ni	Ni
٣	الكرامة	1	Ni	Ni	Ni	2	Ni	Ni	Ni	1	Ni	Ni	Ni
٤	السلام	0.1	Ni	Ni	Ni	1	Ni	Ni	Ni	1	Ni	Ni	Ni
٥	الأمير	2	Ni	Ni	Ni	3	Ni	Ni	Ni	1	Ni	Ni	Ni
٦	مجسر مستشفى الصدر	3	Ni	Ni	Ni	3	Ni	Ni	Ni	2	Ni	Ni	Ni
مدة المسامحة نسبة تركيز الغازات بجزء بـ 1.9		0	0	0	0	1.7	0	0	0	1.3	0	0	0
الحدود المسموح بها		CO	9 ppm	SO2	0.01 ppm	H2S	5 ppm	CH4	0.24 ppm				

المصدر : عمل الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية . الرياح الشمالية الغربية , معتدلة السرعة.

Ni دون مستوى تحسس الجهاز .

تم قياس مستويات تلوث الهواء للمرة الثانية ولنفس المواقع والأوقات والفرق عن القياسات السابقة لم يكن هناك حظر " منع التجوال " لأحياء مدينة النجف الأشرف للفترة (٧ص -٦م) خلال مدة ما بعد الحظر بتاريخ ١-١٠-٢٠٢٠. وذلك لأجراء مقارنة بين نسب تلوث الهواء بالغازات اثناء الحظر وبدون الحظر .

حيث سجلت اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات ضمن موقع A1 المتمثل باستعمالات الارض السكنية هو غاز CO وكان معدل الكلي للغاز بمقدار (١٤.٧) ppm وهو اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز SO2 بمقدار (٠.٠٢٥) وهو ايضا اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز H2S بمقدار (٧) وهو اعلى من الحد المسموح به , اما غاز (CH4) فقد سجل معدل بمقدار (٠.٢٥) وهو ايضا اعلى من الحد المسموح به. وهذا يدل على زيادة النشاط السكاني بالأيام العادية على العكس من ايام الحظر. و سجل اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات ضمن موقع A2 والذي يمثل استعمالات الارض الصناعية والتجارية هو غاز CO وكان معدل الكلي للغاز بمقدار (١٣.٢) ppm وهو اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز SO2 بمقدار (٠.٥٥) وهو ايضا اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز H2S بمقدار (٧.٢٥) وهو اعلى من الحد المسموح به , اما غاز (CH4) فقد سجل معدل بمقدار (٠.٤٥) وهو ايضا اعلى من الحد المسموح به. و سجل اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات موقع A3 والذي يمثل استعمالات الارض للنقل هو غاز CO وكان معدل الكلي للغاز بمقدار (١٢.٢) ppm وهو اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز SO2 بمقدار (٠.٠) وهو ضمن الحد المسموح به , وسجل معدل غاز H2S بمقدار (٦.٠) وهو اعلى من الحد المسموح به , اما غاز (CH4) فقد سجل معدل بمقدار (٠.٢) وهو ضمن من الحد المسموح به . كما في الجدول (٥).

الجدول (٥) قياس مستويات تلوث الهواء بالغازات لأحياء مدينة النجف الاشرف للفترة (٧ ص - ٦ م)

خلال مدة ما بعد الحظر بتاريخ ١-١٠-٢٠٢٠

التباين الجغرافي لنسب تلوث الهواء بالغازات خلال مدة الحظر الصحي لجائحة كورونا وما بعدها

ت	الحي السكني	القراءة الأولى A1 نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون				القراءة الثانية A2 نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون				القراءة الثالثة A3 نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون			
		CH4	H2S	SO2	CO	CH4	H2S	SO2	CO	CH4	H2S	SO2	CO
١	الفرات	0.02		3٠,٠٢	12	0.2	6	Ni	10				
٢	الغدير	٠,٠١		4٠,٠٣	15	Ni		4٠,٠١	12	Ni		5٠,٠٢	14
٣	الكرامة	Ni		3	Ni	11	Ni	7٠,٠٢	10	Ni		3	Ni
٤	سلام	٠,٣		8٠,٠١	10	٠,٥		3٠,٠٥	16	٠,٢		7٠,٠٢	15
٤	الامير	Ni		5	Ni	14	Ni	9٠,٠٥	15	Ni		8٠,٠٥	16
٥	مجسر مستشفى الصدر	0.5		13٠,٠٥	11	0.4		13٢	16	0.25		12٠,٠١	18
مدة الصباحية نسبة تركيز الغازات بجزء بـ 14.7													
مصدر : عمل الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية . الرياح شمالية الغربية , معتدلة السرعة.													
Ni دون مستوى تحسس الجهاز .													
حيث سجلت اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات لأحياء مدينة النجف الاشرف للفترة (٧م -٦ص) خلال مدة ما بعد الحظر بتاريخ ١-١٠-٢٠٢٠. ضمن موقع A1 المتمثل باستعمالات الارض السكنية هو غاز CO وكان معدل الكلي للغاز بمقدار (١٢.٨)ppm وهو اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز SO2 بمقدار (٠.٠٢) وهو ايضا اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز H2S بمقدار (٤) وهو اعلى من الحد المسموح به , اما غاز (CH4) فقد سجل معدل بمقدار (٠.٣٣) وهو ايضا اعلى من الحد المسموح به. وهذا يدل على زيادة النشاط السكاني بالأيام العادية على العكس من ايام الحظر. و سجل اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات ضمن موقع A2 والذي يمثل استعمالات الارض الصناعية والتجارية هو غاز CO وكان معدل الكلي للغاز بمقدار (١٠.٧)ppm وهو اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز SO2 بمقدار (٠.٧٣٣) وهو ايضا اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز H2S بمقدار (٧.٢٥) وهو اعلى من الحد المسموح به , اما غاز (CH4) فقد سجل معدل بمقدار (٠.٥)													
الحدود المسموح بها													
0.24 ppm CH4 5 ppm H2S 0.01 ppm SO2 ppm 9 CO													

المصدر : عمل الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية . الرياح شمالية الغربية , معتدلة السرعة.

Ni دون مستوى تحسس الجهاز .

حيث سجلت اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات لأحياء مدينة النجف الاشرف للفترة (٧م -٦ص) خلال مدة ما بعد الحظر بتاريخ ١-١٠-٢٠٢٠. ضمن موقع A1 المتمثل باستعمالات الارض السكنية هو غاز CO وكان معدل الكلي للغاز بمقدار (١٢.٨)ppm وهو اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز SO2 بمقدار (٠.٠٢) وهو ايضا اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز H2S بمقدار (٤) وهو اعلى من الحد المسموح به , اما غاز (CH4) فقد سجل معدل بمقدار (٠.٣٣) وهو ايضا اعلى من الحد المسموح به. وهذا يدل على زيادة النشاط السكاني بالأيام العادية على العكس من ايام الحظر. و سجل اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات ضمن موقع A2 والذي يمثل استعمالات الارض الصناعية والتجارية هو غاز CO وكان معدل الكلي للغاز بمقدار (١٠.٧)ppm وهو اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز SO2 بمقدار (٠.٧٣٣) وهو ايضا اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز H2S بمقدار (٧.٢٥) وهو اعلى من الحد المسموح به , اما غاز (CH4) فقد سجل معدل بمقدار (٠.٥)

التباين الجغرافي لنسب تلوث الهواء بالغازات خلال مدة الحظر الصحي لجائحة كورونا وما بعدها

وهو ايضا اعلى من الحد المسموح به . و سجل اعلى مستوى لتلوث الهواء بالغازات موقع A3 والذي يمثل استعمالات الارض للنقل هو غاز CO وكان معدل الكلي للغاز بمقدار (٩.٢) ppm وهو اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز SO2 بمقدار (٠.٢) وهو ايضا اعلى من الحد المسموح به , وسجل معدل غاز H2S بمقدار (٥.٠) وهو اعلى من الحد المسموح به , اما غاز (CH4) فقد سجل معدل بمقدار (٠.١) وهو اقل من الحد المسموح به. كما في الجدول (٦)

الجدول (٦) قياس مستويات تلوث الهواء بالغازات لأحياء مدينة النجف الاشرف للفترة (٧م -٦ص)

خلال مدة ما بعد الحظر بتاريخ ٢٠٢٠-١٠-١

ت	الحي السكاني	القراءة الاولى A1 نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون				القراءة الثانية A2 نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون				القراءة الثالثة A3 نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون			
		CH4	H2S	SO2	CO	CH4	H2S	SO2	CO	CH4	H2S	SO2	CO
١	الفرات	10	3	1	6	10	6	6	Ni	3	٠.٤		CH4
٢	الغدير	15	4	٠.٠٤	8	8	4	٠.١	Ni	٠.٢			H2S
٣	الكرامة	13	1	٠.١	9	7	٠.٠٤	٠.١	Ni	Ni	Ni		SO2
٤	سلام	14	6	٠.٠١	14	3	Ni			4	٠.١	٠.٣	CO
٥	الامير	13	2	٠.٠٢	12	9	٠.١		Ni	2	Ni		CH4
٥	مجسر مستشفى الصدر	12	8	٠.٠١	15	13	٠.٥	٢		11	٠.٣	0.02	H2S
مدة الصباحية نسبة تركيز الغازات بجزء بالمليون		12.8	4	0.02	10.7	7.25	0.5	0.7333333	0.5	9.2	0.2	5.0	CO
الحدود المسموح بها		CO	9 ppm	SO2	0.01 ppm	H2S	5 ppm	CH4	0.24 ppm				

المصدر : عمل الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية .الرياح شمالية الغربية , معتدلة السرعة.

نستنتج من خلال الشكل خريطة التوزيع المكاني لمعدلات الفترات الثلاثة (النهارية والمساءية) لمستويات تلوث الهواء بالغازات لأحياء و طرق مدينة النجف الاشرف للمدة الحظر ٢٠٢٠-٣-١ و ما بعد الحظر بتاريخ ٢٠٢٠-١٠-١ باعتماد على الجداول (٣) و (٤) و (٥) و (٦) . وباستخدام طريقة التوزيع المساحي ببرنامج نظم المعلومات الجغرافية للظاهرة المدروسة ان تركيز الغازات يتباين زمانيا ومكانيا متأثرا بنوع النشاط السكاني فضلا عن حركة الانسيابية للسكان وعلاقتها بمنع التجوال "الحظر الصحي"

الذي يسهم وبشكل واضح في تقليل نسب تراكيز الغازات حسب استعمالات الارض الحضرية ان كانت سكنية او تجارية او صناعية او للطرق .

الشكل (٥): خريطة التوزيع المكاني لمعدلات تلوث الهواء بالغازات (النهارية والمسائية) لأحياء وطرق مدينة النجف الأشرف للمدة الحظر ١-٣-٢٠٢٠ و ما بعد الحظر بتاريخ ١-١٠-٢٠٢٠
المصدر: اعتماداً على الجداول (٣) و (٤) و (٥) و (٦) .

الاستنتاج:

١. من المحتمل أن يزداد تلوث الهواء بالغازات في بعض الأحياء السكنية و في الطرق والشوارع في المستقبل بالتزامن مع زيادة اعداد السكان و الأنشطة السكانية ضمن منطقة الدراسة .
٢. بعض المستويات التلوث الهواء بالغازات المسجلة تتعدى المعايير الصحية الموصى بها لهذا النوع من التلوث والبعض الآخر ضمن المعايير الصحية .
٣. تمثل المركبات بشتى أنواعها سبباً مهماً لانتشار التلوث الهواء بالغازات في منطقة الدراسة.
٤. أظهر المسح الحقلّي والتوزيع الجغرافي لعينات التلوث الهواء بالغازات في منطقة الدراسة ، أن هنالك انخفاض ملموس لمستويات التلوث الهواء بالغازات مدة الحظر الصحي مقارنة بالأيام العادية ما بعد الحظر بسبب انخفاض الحركة المرورية في منطقة الدراسة ، وتعتبر هذه من الآثار الايجابية لفايروس كورونا.

الهوامش:

- ١- عبد الصاحب ناجي رشيد البغدادي, الملاءمة المكانية لاستعمالات الأرض السكنية في مدينة النجف, أطروحة دكتوراه (غير منشورة), مركز التخطيط الحضري والإقليمي, جامعة بغداد, ١٩٩٩, ص ١٠١ - ١٠٢.
- ٢- فؤاد عبد الله محمد, تحليل جغرافي للتغيرات الوظيفية ضمن البنية العمرانية لمدينة النجف الأشرف ما بعد ١٩٩٠, أطروحة دكتوراه (غير منشورة) , كلية الآداب, جامعة الكوفة, ٢٠١١, ص ٦٤.
- ٣- حسن رمضان سلامة, جغرافية الأقاليم الجافة (منظور جغرافي بيئي), ط ١, دار المسيرة, ٢٠١٠, ص ٤٣٧.

- ٤- محمد يوسف محمد المومني, التلوث الصناعي في مدينة عمان وتباينه المكاني, رسالة ماجستير, كلية التربية, جامعة المستنصرية, ١٩٩٩, ص ٨٦-٨٨ .
- ٥- إبراهيم علي الجندي, الأمن الصناعي وحماية البيئة من التلوث, ط٢, دار الكتب العلمية, ٢٠٠٦, ص ١٤٦.
- ٤- شفيق محمد يونس, تلوث البيئة , ط١, دار الفرقان , عمان , ١٩٩٩, ص ١٢٢-١٢٣
- ١- عبده سعيد عبد الله ,بعض مظاهر التلوث البيئي وسبل المعالجة ,بحث منشور , مجلة بحوث جامعة تعز, أبحاث المؤتمر العلمي الأول للبيئة والموارد الطبيعية ,دار جامعة عدن للطباعة والنشر , ٢٠٠٠, ص ٢٤٥
- ٨ - سحر قدوري ,عواطف رديف,تلوث الهواء بغاز احادي اوكسيد الكربون.الابعاد والمحاطر :محطتي الاندلس والوزيرية دراسة حالة,بحث منشور في مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية ,العدد ٤٦.
- ٩- ميثم عبد الله سلطان المالكي ,دراسة ملوثات الهواء والمياه والتربة في مدينة بغداد باستخدام نظام المعلومات الجغرافية (GIS), مصدر سابق ,ص ١٤
- ١٠ - عمار فخري خضير الشمري , دليل تحمل تلوث الهواء لاشجار وشجيرات جوانب الطرق في تكريت ,مجلة جامعة كركوك للعلوم الزراعية ,المجلد ٩ العدد ٣ , ٢٠١٨ , ص ٥٤ .
- ١١ - ميلاد جاسم محي الاعرجي ,تأثير عناصر المناخ في عملية التلوث البيئي (تلوث الهواء), بحث منشور في مجلة كلية التربية الاساسية ,المجلد ٢٢,العدد ٩٦, ٢٠١٦ , ص ٣٧٢
- ١٢ - حسين عبد المطلب علي خان, دراسة وتحليل لكميات الغبار المتساقط على القطاع السكني في مدينة النجف الاشرف, بحث منشور في مجلة الكوفة الهندسية, المجلد ٣, العدد ٢, ٢٠١٢ , ص ١٦
- ٣- عبد العزيز طريح شرف,البيئة وصحة الإنسان في الجغرافيا الطبية ,مصدر سابق ,ص ١٤٤ .
- ١٤- التصنيف البيئي لمصادر التلوث: تصنيف معتمد من وزارة البيئة والذي يقسم الأنشطة الصناعية إلى ثلاثة أصناف رئيسة دلالة على شدة تلويثها للبيئة وكما يأتي:
- الصنف(أ): يشمل النشاطات شديدة التلوث التي لها تأثيرات عديدة على نوعية البيئة وعلى مساحات واسعة, لذلك يجب أبعادها ولمسافات بعيدة عن التصاديم الأساسية وتوسعاتها للمدن والأقضية والنواحي والقرى المرشحة للتطوير بموجب خطة الأستيطان الريفي مع شرط توفير كافة المعالجات التي توفر حماية كافية للبيئة.

الصنف(ب):يشمل النشاطات الملوثة بدرجة أقل من الصنف (أ)، إذ ينتج عنها تلوث موقعي يمكن السيطرة عليه, لذلك يمكن إقامتها في داخل حدود التصاميم الأساسية وضمن البلوك المخصص لها شرط توفير وحدات معالجة وفق التعليمات والضوابط الرسمية.

الصنف(ج):ويشمل النشاطات الأخرى والتي ينجم عنها تلوث بسيط يمكن معالجته بسهولة من خلال وحدات المعالجة, لذلك يمكن أقامتها في داخل حدود التصاميم الأساسية. المصدر بالاعتماد على محمد جواد عباس شبع ,الصناعة وأثرها في التنمية الإقليمية في محافظة النجف الأشرف ,رسالة ماجستير,كلية الآداب,جامعة الكوفة , ٢٠٠٧, ص ١٠٠.

١٥- محمد السيد ارنؤوط ,الإنسان وتلوث البيئة , ط ٢ , مكتبة الاسرة , ٢٠٠٠, ص ٦٢.

١٦ - صلاح مهدي الزيايدي, تاثير عوادم المركبات على تلوث الهواء في مدينة العمارة ,بحث منشور في مجلة واسط للعلوم الانسانية ,العدد ١٥, ص ٣٣ .

٢- بشير محمد عربيات ,أيمن سليمان مزاهر ,التربية البيئية ,دار المناهج ,عمان, ٢٠٠٩, ص ٧٧.

٣- شفيق محمد يونس,تلوث البيئة,مصدر سابق, ص ١٤٨.

٤- موقع الالكتروني لمنظمة الصحة العالمية -
<https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/question-and-answers-hub/q-a-detail/coronavirus-disease-covid-19>

٢٠ - ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/wiki>

٢١ - ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/wiki>

٢٢ - Links between air pollution and COVID-19 in England .Author links open overlay.

panelMarcoTravaglio1YizhouYu1RebekaPopovicLizaSelleyNuno SantosLealLuis

MiguelMartins.

٢٣ - موقع منظمة الصحة العالمية الالكتروني -
<https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/question-and-answers-hub/q-a-detail/coronavirus-disease-covid-19>

المصادر والمراجع:

١. القران الكريم , سورة لقمان , اية ١٩
٢. أرناؤوط , محمد السيد, الانسان وتلوث البيئة , طبعة ثانية , مكتبة الاسرة , ٢٠٠٠ .
٣. البحراني , حسين شاكر, دراسة حقلية عن اهم مصادر التلوث الهواء بالغازات في الاحياء السكنية لمدينتي النجف والكوفة , مجلة القادسية للعلوم الهندسية , المجلد ٢, العدد ٤, ٢٠٠٩.
٤. الحسن , شكري ابراهيم , التلوث البيئي في مدينة البصرة , اطروحة دكتوراه ,كلية الآداب , جامعة البصرة , ٢٠١١ .
٥. رحيم , لمى عبد المناف , رؤية جغرافية لمشكلات شرطة المرور في البيئة الحضرية (مدينة الكوت حالة دراسية), مجلة كلية التربية ,جامعة واسط , العدد ٤١ , الجزء ٤, ٢٠٢٠ .
٦. رحيم , لمى عبد المناف, رؤية جغرافية لمشكلات شرطة المرور في البيئة الحضرية (مدينة الكوت حالة دراسية) .
٧. السمدوني ,أبراهيم, أثر الضوضاء ومركز الضبط على الدقة في الاداء النفسي والحركي لدى عينة من طلبة الجامعة , المؤتمر القومي الثاني للدراسات والبحوث البيئية , جامعة عين شمس , ١٩٩٠.
٨. عبد الرزاق , احمد. آليات التلوث البيئي وآثاره ومعالجته , المؤتمر القومي الاول للدراسات والبحوث البيئية جامعة عين شمس, مجلة الدراسات والبحوث البيئية, ١٩٩٩.
٩. عبد الصاحب ناجي رشيد البغدادي, الملاءمة المكانية لاستعمالات الأرض السكنية في مدينة النجف, أطروحة دكتوراه (غير منشورة), مركز التخطيط الحضري والإقليمي, جامعة بغداد, ١٩٩٩, ص ١٠١ - ١٠٢.
١٠. علي ناصر عبد الله , التوزيع الجغرافي لمستويات التلوث الهواء بالغازات في مدينة العمارة ,مجلة ابحات ميسان ,المجلد ١١ ,العدد ٢٢ . ٢٠١٥ .
١١. فؤاد عبد الله محمد, تحليل جغرافي للتغيرات الوظيفية ضمن البنية العمرانية لمدينة النجف الأشرف ما بعد ١٩٩٠, أطروحة دكتوراه (غير منشورة) , كلية الآداب, جامعة الكوفة, ٢٠١١, ص ٦٤.
١٢. كانتوت, سحر أمين , البيئة والمجتمع, دار دجلة للنشر, عمان, ط١ , ٢٠٠٩ .
١٣. ماري كلاييون , رينية شوشول , الضوضاء , ترجمة نادية الجندي وناجي سمير شحاتة , دار المستقبل العربي , القاهرة , ٢٠٠٠ .

١٤. مردان , عبد الرحمن جري وآخرون , مستويات التلوث الهواء بالغازات في مدينة الزبير والآثار الناجمة عنه لعام ٢٠٠٧, مجلة أبحاث ميسان , المجلد ٤, العدد ٨ , ٢٠٠٨.
١٥. موسى , علي حسن, التلوث البيئي , دار الفكر, دمشق, ٢٠٠٦.
١٦. مديرية مرور محافظة النجف الأشرف - ٢٠٢٠ بيانات غير منشورة .
١٧. موقع الإلكتروني لمنظمة الصحة العالمية

<https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/question-and-answers-hub/q-a-detail/coronavirus-disease-covid-19>

ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/wiki> ١٨.

١٩. la pollution en France , librairies techniques pour la commission de communauteseuropeennes, 1984 p.128et.s.

٢٠. Bijay kumar swain ,department Of environmental science ,utkal university ,Bhubaneswar-india

أثر العوامل المناخية والبيئية في التغييرات السياسية لبلاد الرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد

أ.م.د. باسم محمد حبيب

المديرية العامة للتربية/ محافظة ذي قار

المقدمة:

شهدت بلاد الرافدين تغييرات سياسية عدة في الألف الثالث قبل الميلاد أهمها : نهاية عصر جمدة نصر وبداية عصر فجر السلالات الذي شهد سيطرة مدن جديدة على السهل الرسوبي ، وكذلك نهاية عصر فجر السلالات الثالث وبداية عصر الدولة الأكديّة الذي أنهى نظام دول المدن ليحل محله نظام البلد أو الإقليم الواحد ، وأخيرا سقوط سلالة أور الثالثة الذي أنهى وإلى الأبد السيطرة السياسية للسومريين لصالح السيطرة السياسية للأقوام السامية التي باتت هي المتحكمة في شؤون البلد من هذا الحدث وإلى نهاية العصور التاريخية لحضارة بلاد الرافدين .

إن هدف البحث هو بيان أثر العوامل البيئية والمناخية في التغييرات السياسية التي شهدتها بلاد الرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد ، سواء أكان أثرها مباشرا أم غير مباشر ، أو رئيسيا أم ثانويا ، لأن هذه العوامل قد لا تكون هي السبب الوحيد في حصول التغييرات السياسية بل قد تشترك معها عوامل أخرى اقتصادية واجتماعية وسياسية .

ومن ثم فقد هدف البحث إلى الإجابة عن هذا التساؤل المهم مستعينا بالمصادر الكتابية المتوفرة، أي النصوص المسمارية ، فضلا عما يقدمه علم الآثار من شواهد مادية ، سواء تلك التي تتعلق بطوبوغرافية الأرض أم بالأبحاث الآثارية (الأركيولوجية) .

لقد جرى تقسيم البحث على ثلاثة مباحث: المبحث الأول وفيه جرى التركيز على المدة التي تفصل بين عصر قبل الطوفان وعصر فجر السلالات، فيما أهتم المبحث الثاني بالمرحلة التي تفصل بين عصر فجر السلالات والعصر الأكدي، أما المبحث الثالث فركز على الحدث الكبير وهو سقوط أور وانتهاء حكم سلالة

أور الثالثة، وهو الحدث الذي أنهى وإلى الأبد وجود السومريين بوصفهم أمة مهيمنة وبداية سيطرة الآموريين الساميين، متمنين أن نكون قد وفقنا في ذلك.

المبحث الأول: الطوفان وأثره في نهاية عصر جمدة نصر وبداية عصر فجر السلالات:

على الرغم من اختلاف المؤرخين في تحديد الزمن الذي شهد نهاية عصر جمدة نصر وبداية عصر فجر السلالات الأول وذلك بتحديد ثلاثة تواريخ لهذا الحدث هي : ٣٠٠٠ و ٢٩٠٠ و ٢٨٠٠ ق.م^١، إلا أنهم جميعاً مجمعون على أن ما حصل لم يكن مجرد تغيير سياسي بل تحول الحكم من مدن إلى مدن أخرى ، بتأثير حدث كبير شهدته البلاد وهو حصول الطوفان الكبير^٢ الذي يعد من الأحداث الرئيسة في تاريخ البلاد السياسي.

فقد حكمت قبل عصر فجر السلالات الأول (انتهى في حدود ٢٨٠٠ أو ٢٧٠٠ ق.م) مدن أصطلح على تسميتها في قائمة الملوك السومرية^٣ بسلالات قبل الطوفان^٤ ، وهي بحسب تسلسل حكمها في القائمة كل من :

١- سلالة أريدو

وهي سلالة أشارت قائمة الملوك السومرية إلى أنها حكمت في مدينة أريدو (أبو شهرين) التي تقع على بعد (٢٥) كيلومتراً إلى الجنوب من مدينة أور على ضفاف نهر يعتقد أنه نهر الفرات القديم أو فرعاً منه ، وقد أظهرت التنقيبات التي أجريت في المدينة بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٩ عن بقايا تسعة عشر طبقة أثرية أو دور سكني أولها الطبقات (١٩ - ١٥) المسماة بطور أريدو أو دور العبيد الأول (حدود ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد)^٥، كما اشتهرت المدينة بعبادة الإله (أنكي) (En - ki) / (أيا) (Ea) إله المياه والحكمة عند السومريين والبابليين بمعبد (أي - أبسو) (E - Ab - zu) الذي تعود أقدم آثاره إلى بداية الاستيطان في المدينة^٦، كما أشارت قائمة الملوك السومرية إلى أنها شهدت تأسيس أول سلالة حاكمة قبل الطوفان حمل أول ملوكها أسماً سامياً وهو (أيلولم) (alulim) ، إذ خصصت له القائمة زمناً أسطورياً بلغ (٢٨٠٠٠

(ثمان وعشرون ألف سنة تلاه (الكار) (alagar) بحكم بلغ (٣٦٠٠٠) ستة وثلاثون ألف سنة ^٧، وهي أرقام مبالغ فيها كثيرا ، ولتفسير هذه الأرقام يرى أحد الآراء أنها وضعت من قبل منظم القائمة لتغطية المدة الزمنية الطويلة التي أعتقد أن هذه السلالات قد حكمتها في عصر قبل الطوفان ، فيما يرى رأي آخر أنها نابعة من اعتقاد كان موجودا آنذاك من أن أعمار البشر القدماء كانت طويلة وتمتد لعدة آلاف أو مئات من السنين ^٨.

٢- سلالة باد - تيبيرا

بعد أريدو أشارت قائمة الملوك السومرية إلى انتقال الحكم إلى مدينة (باد - تيبيرا) (Bad - tibira) ، وهي مدينة يعتقد إنها ممثلة بأطلال (تل المدينة) الواقع قرب مدينة الشطرة^٩، إذ حكم فيها حسب القائمة (أينمنلو - أنا) (Enmenlu - anna) مدة (٤٣) ثلاث وأربعون ألف سنة تلاه (انمنكال - أنا) (Enmengal - anna) (٢٨) ثمان وعشرون ألف سنة ثم (دموزي) (Dumu - zi) أو تموز (٣٦) ست وثلاثون ألف سنة ^{١٠}.

٣- سلالة لرك

ثم تذكر قائمة الملوك السومرية انتقال الحكم إلى مدينة (لرك) (Lark) أو (لراك) (Larak) التي يربطها أحد الآراء بـ (تل الولاية) ^{١١}، وهو موقع أثري يقع على بعد ٣٠ كيلو مترا عن مدينة الحسينية في محافظة واسط ^{١٢}، فيما يربطها رأي آخر قدمه الباحث بورتو ستانكلر (PiotrSteinkeller) بـ أطلال (تل اللحم) الأثري في محافظة ذي قار على بعد (٢٠) كيلو مترا الى الشمال الغربي من مدينة (أيسن) ^{١٣}، وقد خصصت قائمة الملوك السومرية ملكا واحدا لهذه السلالة هو (إنسي - بازيانا) (Ensipzianna) ومدة حكمه (٢٨) ثمان وعشرون ألف سنة ^{١٤}.

٤- سلالة سبار

أما السلالة الرابعة التي حكمت قبل الطوفان فقد كان مركزها مدينة (سيبار) (Zibar) (أبو حبة) بالقرب من اليوسفية في محافظة بغداد العراقية على بعد حوالي ٦٠ كم شمال مدينة بابل و ٣٠ كم جنوب غرب بغداد^{١٥}، و تتكون المدينة من جزئين جزء لإله الشمس (أوتو) (Autu) / (شمش) (Samas) الذي هو إله المدينة الرئيس و جزء للإلهة (أنونيت) ، أما الملك الذي حكم في هذه المدينة بحسب قائمة الملوك السومرية فهو (أنيميدور - أنا) (Enmedur - anna) بمدة حكم بلغت (٢١) إحدى وعشرون ألف سنة^{١٦}.

٥- سلالة شروباك

ثم انتقل الحكم إلى مدينة شروباك ((Shuruppak)) التي تم تحديد أطلالها بموقع (تل فارة) الأثري على بعد نحو (٦٤ كم) جنوب شرقي مدينة الديوانية في العراق ، وقد خصصت قائمة الملوك السومرية لهذه المدينة ملكا واحدا هو (أوبار - توتو) (Ubar - tutu) بمدة حكم بلغت (١٨) ثمان عشر ألف سنة^{١٧} ، وبحسب قائمة الملوك فإن هذه السلالة هي الأخيرة التي حكمت قبل الطوفان ، وأن بطل الطوفان الذي ورد ذكره بصيغ عدة في القصص التي تناولت تلك الحادثة هو حكيم المدينة أو آخر ملوكها لوجود ماثورات تعرض كونه ابن أوبار - توتو^{١٨}، إذ أشير له بصيغ عدة : منها الصيغة السومرية (زيو - سدر) التي وردت في رواية قصيرة مدونة في اللغة السومرية عن حادثة الطوفان ، والصيغة الأكديّة (أترا - حاسيس) التي ورد ذكرها في قصة تناولت عدة كوارث كونية سلطتها الآلهة على البشر بهدف أبادتهم للتخلص من ضوضائهم وثورانهم ، وهناك صيغة أكديّة أخرى لبطل الطوفان وردت في الرواية التي تضمنتها ملحمة جلجامش عن واقعة الطوفان ، إذ وردت بهيأة (أوتا - نبشة)^{١٩}.

وفيما يخص حكم هذه السلالات ، عرض منظم القائمة أنها حكمت متعاقبة على شاكلة السلالات التي حكمت بعد الطوفان ، ولأن الأدلة أثبتت أن هذه الأخيرة كانت متعاصرة كليا أو جزئيا^{٢٠}، فإن هذا الأمر يمكن أن ينطبق أيضا على سلالات قبل الطوفان ، مع تأكيد أن الملوك الذي أورد منظم القائمة ذكرهم ربما

لم يكونوا هم كل الملوك الذين حكموا في تلك المدن ، بل ربما كان هناك ملوك آخرين إلا أن منظم القائمة لم يعثر على أسمائهم ، كما يحتمل أيضا أن هذه السلالات لم يكن لها وجود أصلا ، وأنها من نسج خيال منظم القائمة ، وما لم يعثر المنقبون على أدلة مادية تثبت وجودها فإن الجدل حولها سيبقى قائما ولن يحسم قريبا .

أما المدن التي جاءت بعدها، فعدى مدينة أوروك التي شهدت نشوء دولة كبيرة في عصر حضارة أوروك (الوركاء) (حدود ٤٠٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م)^{٢١}، لم يكن للمدن الأخرى عهد في السيطرة السياسية أو الحكم ، إذ أشارت قائمة الملوك السومرية إلى ظهور سلالات حاكمة في كل من كيش وأوروك وأور^{٢٢}، إذ لم يتسنى للمدن التي حكمت قبل الطوفان العودة إلى الحكم مرة أخرى ، ولا تعرف الأسباب التي تقف وراء ذلك ، هل جاء ذلك بسبب ما حل بهذه المدن من دمار بسبب كارثة الطوفان أم بسبب ضعف إمكاناتها وعدم قدرتها على منافسة المدن الأخرى ؟

ونظرا لأن التنقيبات الأثرية قد أظهرت أن آثار الطوفان لا تعود لزمن واحد، فقد أفترض المؤرخون أن البلاد لم تشهد طوفانا واحدا عبر كل عصورها بل طوفانات عدة وفي عصور مختلفة^{٢٣}، الأمر الذي وضع المؤرخون في حيرة في أيا من هذه الطوفانات شهد نهاية عصر جمدة نصر (عصر قبل الطوفان) وبداية عصر فجر السلالات، ومن أجل الإحاطة بهذا الموضوع سنتناول أشهر هذه الطوفانات :

١- طوفان عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد

ينكر الباحث (ليونارد وولي) (Leonard Woolley) الذي نقب في أور ، أن الطوفان حصل في زمن ما من عصر العبيد^{٢٤}، وذلك لعثوره في تنقيبات أور على ترسبات غرينية بثخن (١١) قدما ، عثر عليها في موضع قريب من المقبرة الملكية ، لكن لم يعثر على بقايا مماثلة من هذا الدور في المواضع الأخرى مثل مدينة أريدو القريبة من أور^{٢٥} ، ما عرض تساؤلا حول حقيقة هذا الطوفان ، وهل تشير الرواسب الغرينية التي عثر عليها في موقع أور إلى وقوعه في ذلك العصر أم أن هناك تفسيراً آخر لوجودها ؟ إذ

هناك رأي آخر طرحه (مارتن بيك) (Martin Beek) يعرض أن منشأ هذه الرواسب ليس مما خلفه الفيضان من طمي وبقايا عضوية ، بل من غبار وأتربة تراكمت في الطبقات الأثرية بتأثير الزوابع الترابية القادمة من الصحراء ، والتي تعد من الظواهر الطبيعية المعتادة في السهل الرسوبي^{٢٦}، ونظرا لما عرضته الفحوصات المختبرية من أن بعض هذه الرواسب ذات صلة بفيضانات الأنهر القريبة من المدينة ، فقد دعم هذا الأمر فرضية الطوفان التي عرضها وولي^{٢٧}، إلا أن عدم العثور على رواسب من العصر نفسه في المدن الأخرى ، قد زعزع من فرضية أن هذا الطوفان هو نفسه المشار له في المصادر المسمارية والكتب المقدسة ، بل هو طوفانا محليا أقتصر على مدينة أور ومحيطها فقط .

٢- طوفان ٣٠٠٠ أو ٢٩٠٠ ق.م

أما (ماكس مالوان) (Max Mallowan) فيرجح حصول الطوفان بين عصر جمدة نصر وعصر فجر السلالات الأول في حدود ٣٠٠٠ إلى ٢٩٠٠ ق.م ، يؤيد ذلك ما وجد من ترسبات غرينية في جملة مواقع أثرية جرى التنقيب فيها مثل : كيش الوركاء وشروباك ولجش ، وهي تفصل ما بين الطبقات العائدة لعصر جمدة نصر وعصر فجر السلالات الأول^{٢٨}، وبدليل ذكره في ملحمة جلجامش التي يرى مالوان أنها دونت في زمن قريب من زمن الطوفان ، إذ يضع مالوان حكم جلجامش في عصر فجر السلالات الثاني (٢٨٠٠ أو ٢٧٠٠ - ٢٦٠٠ ق.م) وبالتحديد في حدود ٢٧٠٠ ق.م^{٢٩}، وهذا ما يتوافق مع ما تعرضه أسطورة الطوفان التي تضع هذا الحدث في زمن آخر ملوك سلالة شروباك إحدى سلالات قبل الطوفان الذي يسبق جلجامش بمدة زمنية لا تتجاوز عدة أجيال ، ومن ثم فإن من المنطقي أن يوضع زمن الطوفان قبل عصر فجر السلالات الأول الذي شهد ظهور سلالات عدة أولها سلالة كيش الأولى^{٣٠}، التي رأى مالوان أن حكمها أمتد بين عصري جمدة نصر وفجر السلالات الأول ، إذ أشار إلى أن بداية حكم هذه السلالة في عصر فجر السلالات يبتدأ من عهد الملك الثالث عشر (إيتانا) ، أما الملوك الذين حكموا قبله فوضع حكمهم في عصر جمدة نصر ، أي قبل الطوفان^{٣١}.

وبالتأكيد فإن طوفانا كهذا لم يحصل من دون أسباب، فهناك على الأرجح أسباب عدة يمكن عدها أسباب محتملة لحصوله يمكن حصرها بالآتي :

١- ارتفاع منسوب مياه نهر دجلة والفرات

وهذا الأمر مما اعتادت البلاد عليه في جميع عصورها التاريخية ، وأسبابه أن جبال الأناضول التي تغذي نهر دجلة والفرات بالمياه ، تشهد في أحيان معينة تساقط أمطار أو ذوبان ثلوج أعلى من المستوى المعتاد ، ما يؤدي إلى زيادة منسوب المياه في حوضا النهرين ، ونظرا لعدم وجود سدود أو خزانات مياه أو قلتها وعدم كفاءتها ، فإن النتيجة التي يؤدي لها هذا الأمر ، هو طغيان مياه النهرين على المناطق المجاورة ^{٣٢} ، إذ يتضح من النصوص المسمارية أن الفيضانات ليست مقتصرة على نهر دجلة الذي يمتاز على نهر الفرات بسرعة جريانه وطغيانه الشديد ^{٣٣} ، بل و على نهر الفرات أيضا بدليل أن معظم المدن التي أشارت التتقيبات الأثرية إلى تعرضها لفيضانات شديدة واقعة على هذا النهر ^{٣٤} ، ويعد السهل الرسوبي أكثر المناطق تضررا من الفيضانات بسبب انبساط أرضه وهشاشة تربته ، لذا لا غرابة أن تتسبب الفيضانات التي يشهدها السهل الرسوبي من حين إلى آخر إلى إزهاق أرواح أعداد كبيرة من البشر والحيوانات فضلا عن حصول دمار هائل للمباني والمحاصيل الزراعية ، وهذا ما أدى إلى تباين في حجم الاستيطان البشري بين حوضي النهرين ، ففي حين نجد هذا الاستيطان كبيرا وكثيفا في محيط حوض نهر الفرات ، نجده على الضد من ذلك صغيرا ومحدودا في حوض نهر دجلة الأكثر طغيانا وفيضانا ^{٣٥} .

٢- هطول أمطار كثيفة

ومن الأسباب الأخرى التي تؤدي إلى حصول الفيضانات في منطقة السهل الرسوبي ، ما تتعرض له هذه المنطقة في أحيان عدة من تقلبات في المناخ و تساقط أمطار كثيفة ولمدة طويلة ، ما يؤدي إلى تحولها إلى سيول جارفة مدمرة لأي شيء يقف أمامها ^{٣٦} ، ففوق العراق ضمن المنطقة المدارية بعيدا عن خط الاستواء والدائرة القطبية ، جعله يعاني من تقلبات شديدة في المناخ ، وتباين حاد في درجات الحرارة ، لذا

لا غرابة في أن نلاحظ تباينا في كميات الأمطار الساقطة سواء أكان من موسم إلى آخر أو من عام إلى آخر^{٣٧}، وإذا ما علمنا أن هذا الأمر هو أحد الأسباب المؤدية لحصول الفيضانات ، لأدركنا سبب تكرار حصول الفيضانات وتباين شدتها من فيضان إلى آخر ، ولعل إشارة قصة الطوفان إلى أثر الأمطار في حصول الطوفان الكبير ، هو أبلغ دليل على أنها من الأسباب الأساسية لحصول الفيضانات في العراق ، وعلى الرغم من أن قصة الطوفان تتناول حدثا معينا ، إلا أن الوقائع التي تقدمها تصلح لأن تكون مثالا عاما لما يحصل في فيضانات العراق القديم من خراب ودمار ، لاسيما وأن معظم المنازل والمباني كانت تبنى آنذاك من القصب والطين فضلا عن اللبن الأقل متانة من الصخور والطابوق^{٣٨}.

٣- طغيان مياه الخليج العربي

ويضع البعض سببا آخر لحصول طوفان كبير جارف في العصور القديمة ، وهو طغيان مياه الخليج العربي على المناطق القريبة لاسيما منطقة السهل الرسوبي التي تمتاز بانبساطها و انخفاضها الشديد عما يجاورها من أراضي ، فهناك رأي يشير إلى أن مياه الخليج العربي كانت تتقدم أحيانا لتغطي جزءا كبيرا من السهل الرسوبي^{٣٩}، فضلا عن تلك النظرية التي ترى أن جزءا واسعا من السهل الرسوبي كان مغمورا بالمياه في العصور القديمة^{٤٠} ، وإذا ما أنسقنا مع تلك النظرية التي ترى أن هذا الأمر حصل في ١٢ ألف سنة الماضية^{٤١}، فإن تقدم الخليج العربي إلى منطقة السهل الرسوبي ربما سبب دمارا كبيرا لبيوت ومزارع السكان ، لاسيما إذا كان قد جرى بغتة وعلى شكل طغيان جارف وعارم، وعلى الرغم من أن هذا الأمر قد جرى طرحه في بحوث عدة مشفوعة بأدلة علمية وآثاره ، إلا أن جوانب كثيرة فيه تثير التساؤلات أهمها : الزمن الذي حصل فيه هذا الحدث ، إذ لا توجد أدلة كافية تقرنه بعصر معين ، فحتى ربطه بزمن ما كفرضية حصوله قبل اثنا عشر سنة من الآن ، لا يمكن عده أمرا دقيقا من دون دراسات علمية وبحوث آثاره كافية ، وهو أمر قد لا يتحقق في المدى القريب ، كما يجدر بنا التساؤل أيضا عن سبب عدم تكرره مرة أخرى إذا كان هذا الحدث قد حصل فعلا .

٤- قلة السدود في العصور الأولى أو عدم كفاءتها

كما يعد تحطم سد أو عدة سدود من الأسباب المحتملة لحصول الفيضانات ، سواء أكان تحطمها قد جاء من أسباب بشرية أو عوامل طبيعية ، ونظرا لأن النظريات التي تتناول تاريخ وقوع الطوفان العظيم تربطه بالعصور الأولى لحضارة بلاد الرافدين ، فإن من المرجح أن المنطقة التي شهدت وقوع الطوفان كانت آنذاك إما خالية من وجود السدود أو أن فيها سدودا إلا أنها قليلة و غير كافية ، ولعل الأمر الثاني هو الأقرب إلى الصواب ، لأن اقتصاد حضارة بلاد الرافدين التي نشأت قبل ألفا سنة من هذا العصر ، كان يتطلب إنشاء السدود ، لأنه اقتصاد يعتمد الزراعة كمورد أساسي^٢، وهي مما لا يمكن أن تنجح في بيئة مثل بيئة السهل ما لم تتوافر لها ظروفًا مناسبة وفي مقدمة ذلك السدود و بحيرات الخزن فضلا عن شبكة من القنوات التي تستعمل في ري الأراضي الزراعية ، كما أشير إلى السدود في القصة نفسها التي روت واقعة الطوفان، وذلك بإشارتها إلى قيام الآلهة بتحطيم السدود تنفيذا لإرادة أنليل في إبادة البشر^٣، وبغياب السدود القوية التي تقلل من طغيان مياه النهرين ، فإن حصول فيضان عارم وجارف سيكون من الأمور المحتملة جدا ، بدليل أن الفيضانات أخذت تقل ويخف تأثيرها في العصور التالية التي شهدت إقامة سدود عدة فضلا عن حفر أنهار و بحيرات لخزن المياه الفائضة عن الحاجة^٤.

أما إمكانية أن يسبب طوفانا ما تغييرا سياسيا كبيرا فهذا ما يرتبط بعوامل عدة منها :

١- ما سببه الطوفان من تدمير للمدن التي كانت تحكم قبل وقوعه، فإن كان قد سبب تدميرا كبيرا لها، فإن من المنطقي أن هذه المدن ستخسر السيطرة السياسية لصالح المدن التي كان أثر الطوفان فيها ضئيلا ، ويرجح أن هذا ما حصل بعد وقوع الطوفان .

٢- نجاة بعض المدن من التدمير على الرغم من تعرضها لأضرار كبيرة ، فمثل هذا الأمر سيكون سببا في نجاح هذه المدن في استلام الحكم من المدن التي تسبب الطوفان بأضرار كبيرة لها بحيث لم يعد بمقدورها الاحتفاظ بسيطرتها السياسية على البلاد .

٣- قد يرتبط انتقال الزعامة السياسية بشعور القادة والحكام السياسيين أن هناك مدن أقل تعرضاً من غيرها لأضرار الطوفان ، ومن ثم فهي قد تكون صالحة أكثر من غيرها لتكون مركزاً للحكم .

المبحث الثاني: الملوحة وأثرها في نهاية عصر فجر السلالات الثالث:

على الرغم من أن نهاية عصر فجر السلالات الثالث (٢٦٠٠ - ٢٣٧١ ق.م) قد ارتبط بظهور زعامة شاروكين (سرجون) (Sarru - kin) (٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق.م) وتأسيسه للدولة الأكديّة ، إلا أن هناك سبب آخر يقف وراء تخلي البلاد عن نظام دولة المدينة واتجاهها نحو تبني نظام الدولة الموحدة ، هذا السبب يتمثل بتقشي مشكلة الملوحة التي أظهرت التتقيبات أنها باتت تشكل مشكلة كبرى للأراضي الزراعية في بلاد سومر ابتداءً من عام ٢٤٠٠ ق.م^{٤٥} ، فمن هذا العام أخذ إداريو المعابد يشيرون إلى تراجع الإنتاج الزراعي وتقلص الغلات محيلين ذلك إلى استفحال مشكلة الملوحة^{٤٦} ، وهذا ما أكدّه أحد النصوص المسمارية الذي ورد فيه ما نصه: "انقضت الحقول غلالها ، وحجبت عنها نيسابا (ثدييها) ، فجفت المروج المعشبة ؟ ، وغطى (الملح) السهل الفسيح ، (وأغلقت الأرض رحمها) ، فلم (تخرج منه الخضار ولا الحبوب تنبت فيه!) " ^{٤٧} فيما أخذت مراكز الحكم تتجه إلى شمال السهل الرسوبي وهو الاتجاه نفسه الذي تسير فيه الملوحة^{٤٨} ، فضلاً عن احتمال أن كثير من السومريين أخذوا ينتقلون للسكن إلى شمال من المنطقة المسماة بسومر أي في المنطقة المسماة أكد ، وربما شاروكين (سرجون) الأكدي من هؤلاء إذا ما صح كونه ابن كاهنة عليا^{٤٩} .

أما ظهور هذه المشكلة فيردها المختصون إلى أسباب عدة منها :

١- كثرة التبخر

في فصل الصيف الذي يستمر لما يقرب من نصف عام تصل درجات الحرارة في المنطقة الجنوبية من العراق إلى مستويات عالية جداً ، وهذا ما يؤدي إلى زيادة التبخر في المياه السطحية ومنها مياه الري ، فعلى وفق التقديرات المتوافرة تصل نسبة التبخر في العراق بما بين ٩٠ - ١٠٠ انج في السنة^{٥٠} ، وهي

نسبة مرتفعة جدا لها أثر واضح في تقليل ما يصل المزروعات من مياه الري ، ولا يقتصر تأثير ارتفاع درجات الحرارة على نقص كمية المياه في قنوات الري ، بل وكذلك على النباتات نفسها التي تفقد بسبب معدلات التبخر العالية نسبة كبيرة من المياه المخزونة في أوراق وسيقان النباتات ، ما يؤدي إلى تيبسها وازدياد حاجتها للمياه التي لا يمكن الحصول عليها إلا بزيادة عمليات الري ، ما يؤدي إلى تراكم الأملاح حولها.

٢- سوء تصريف المياه (البزل)

كذلك هناك تباين كبير بين ما يصل إلى المزروعات من المياه وما يتم تصريفه بعد ريها ، إذ يكون غالبا أقل بكثير، وهذا ما يؤدي أولا - إلى بقاء نسبة كبيرة من المياه في التربة ، وثانيا - انتشار الأملاح في التربة بعد تبخر ما فيها من المياه^١، لاسيما وإن المياه المستعملة في الري في العراق تحتوي على ٥٠ - ١٠٠ جزء من الأملاح المذابة في كل مائة ألف منها^٢، ومما يزيد المشكلة سوءا أن الفلاحين عند تصريفهم للمياه الزائدة يقومون أما بتوجيهها نحو الأراضي المتروكة في محيط أراضيهم الزراعية أو نحو الجداول والأنهار القريبة ، ما يؤدي إلى زيادة الأملاح في المياه الجوفية فضلا عن تراكم الأملاح فوق سطح ترب الأراضي المتروكة القريبة من أراضيهم الزراعية .

٣- طريقة الري سيحا

نظرا لقلّة تساقط الأمطار و توافر المياه السطحية في المنطقة الجنوبية من العراق بوجود نهرا دجلة والفرات وفروعهما ، فقد جرى اعتماد طريقة الري سيحا في ري الأراضي الزراعية ، إلا أن هذه الطريقة كانت للأسف سببا في تملح التربة على المدى الطويل ، ومن ثم انخفاض إنتاجية الأرض الزراعية^٣، لأن اعتماد الفلاحين على طريقة الري سيحا في سقي الأراضي الزراعية كان غالبا ما يؤدي إلى وصول نسبة من المياه أكثر مما تحتاجه التربة فعلا ، يقابل ذلك عدم كفاءة وسائل تصريف المياه الناتجة من عدم وجود نظام موحد للري في كثير من العصور التاريخية ، لا سيما في عصر فجر السلالات ، فضلا عن عدم اعتماد

التخطيط في إنشاء أنظمة الري ، إذ غالبا ما يتم إنشاء أنظمة جديدة من دون دراسة تأثيرات ذلك على الأنظمة القديمة وإمكانية حصول تعارض في أداء كل منها .

٤- المياه الجوفية

تعد المياه الجوفية أحد الأسباب الرئيسة لملوحة التربة^{٥٤}، ويزداد أثرها في تملح الترب كلما زاد تركيز الاملاح فيها ، وكلما ارتفع مستواها وقربها الى سطح الارض ، وترتفع المياه الجوفية الى سطح التربة بوساطة الخاصية الشعرية مسببة زيادة ملوحة التربة^{٥٥}، ولا يقتصر تأثيرها على زيادة ملوحة التربة التي فوقها (التأثير العمودي) بل وفي انتقال الملوحة من مكان الى آخر بسبب حركة المياه تحت سطح الأرض (التأثير الأفقي) ، ونظرا لوجود نسبة كبيرة من المياه الجوفية في جنوب بلاد الرافدين، فقد زاد ذلك من تملح التربة لاسيما في المناطق التي تزيد فيها نسبة هذه المياه .

أثر الملوحة على الواقع الاقتصادي

١- تراجع الإنتاج الزراعي

ليس هناك شك في إن للملوحة تأثير مدمر على الانتاج الزراعي ، وهذا ما يتضح من تراجع الإنتاج الزراعي في كثير من مناطق العراق التي تعاني من انتشار الملوحة لاسيما في الأقسام الجنوبية منه^{٥٦} ، ويعتقد المؤرخون عموما أن هذا الأمر بدأ منذ أن أخذت مشكلة الملوحة بالتفاقم في حدود منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، أما نسبة التراجع في الإنتاج الزراعي فيتضح من انخفاض إنتاج الحنطة من ٢٥٣٧ لتر للهكتار الواحد في حدود ٢٤٠٠ ق.م إلى ١٤٦٠ للهكتار في عام ٢١٠٠ ق.م إلى ٨٩٧ لتر للهكتار عام ١٧٠٠ ق.م ، كما يتضح أيضا من انخفاض معدل إنتاج الحبوب من ٢٠٣٠ لتر للهكتار في حدود ٢٤٠٠ قبل الميلاد إلى ١١٣٤ لتر للهكتار في اثناء حكم سلالة أور الثالثة ، و زيادة حبوب البذر بمقدار الضعف من معدلاتها السابقة^{٥٧} .

٢- تراجع خصوبة الأرض

إن انتشار الأملاح في التربة يعني تراجع خصوبتها ومن ثم عدم قدرتها على إنتاج كثير من المحاصيل الزراعية المهمة ، بدءا من زراعة الأشجار المثمرة ، إلى زراعة الحبوب ، لاسيما الحنطة والشعير ، إلى زراعة الفواكه والخضروات بأنواعها المختلفة ، ويدل انتشار زراعة الشعير في المناطق الجنوبية من العراق على زيادة ملوحة التربة في هذه المنطقة ، إذ يعد الشعير من المحاصيل التي يمكن زراعتها حتى بوجود نسبة مرتفعة من الأملاح على الضد من الحنطة التي تحتاج إلى أرض أقل ملوحة بكثير^{٥٨} ، كما يعرض ذلك أيضا انخفاض نسبة إنتاج الحنطة مقارنة بإنتاج الشعير ، فبينما كانت هذه النسبة متعادلة في عصر فجر التاريخ حدود ٣٥٠٠ ق.م مالت هذه الكفة لصالح الشعير في حدود ٢٤٠٠ ق.م حتى أصبحت زراعة الحنطة تساوي سدس زراعة الشعير^{٥٩}.

أثر الملوحة على الجانب الاجتماعي

١- زيادة الهجرة من الريف إلى المدينة

عرفت حضارة بلاد الرافدين بالطابع المدني منذ أقدم العصور ، بدليل انتشار المدن في معظم مناطق البلد^{٦٠}، إلا أن هذا الأمر أخذ بالتراجع بعد عصر فجر السلالات ، إذ جرى انتشار للسكان في ضواحي المدن وفي الأرياف ، وقد تعقد الأمر أكثر أثر الظروف السياسية والاجتماعية التي شهدتها البلاد بعد سقوط سلالة أور الثالثة ، إذ تسبب ذلك باندثار مدن عدة وتحول مدن أخرى إلى قرى صغيرة^{٦١}، ما يعني تخلي كثير من السكان عن حياة المدينة وتبني حياة القرية أو الريف ومن ذلك امتهان الزراعة .

٢- هجر مدن واستيطان مدن أخرى

أدى انتشار الملوحة إلى انتقال مراكز الاستيطان من الجنوب إلى الشمال^{٦٢}، فكثير من المدن باتت تعاني من انخفاض مستمر في أعداد السكان بسبب انتقالهم للعيش في مدن أخرى ، وهذا ما أدى إلى هجر السكان لكثير من المدن في منطقة سومر (جنوب العراق) ، فضلا عن تحول مدن عدة فيها من مدن كبيرة ومراكز

إدارية مهمة إلى مدن و قرى صغيرة^{٦٣}، يقابل ذلك نشوء كثير من المدن في منطقة أكد التي تقع إلى الشمال من بلاد سومر، وانتقال مراكز القوى والعواصم إليها .

٣- ازدياد الضرائب

بدأ الحكام برفع نسبة الضرائب منذ عصر فجر السلالات الثالث تقريبا حدود منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وذلك بحسب ما ورد في وثيقة الإصلاحات العائدة إلى ملك لكش الأخير (أورو انمكينا) ، فبحسب هذا الملك قام الملوك السابقون له برفع نسبة الضرائب ، ما أرهق كاهل الناس لاسيما الفقراء منهم^{٦٤}، أما الأسباب التي دفعت هؤلاء الحكام للقيام بذلك فلم تذكرها النصوص المسمارية ، لكن بمواكبة ذلك للزمن الذي حدده المؤرخون لانخفاض إنتاجية الأرض بسبب الملوحة يتضح وجود علاقة بين الأثنين .

أثر الملوحة على الجانب السياسي

١- قلة الموارد وأثرها في قيام عدد من الثورات والانتفاضات

شهد الدورين الثاني و الثالث من عصر فجر السلالات حصول ثورات في مدن سومرية عدة ، ومن هذه الثورات ما شهدته أوروك من انتفاضة عارمة ضد حكم جلجامش خامس ملوك سلالة أوروك الأولى^{٦٥}، والتي انتهت بتغيير سلوكه وتعهده بالعمل لصالح الشعب بعد أن كان يتصرف قبل ذلك كحاكم مستبد^{٦٦}، كما شهدت لكش ثورة عارمة قادها (اورو انمكينا) ، وهو على ما يبدو ليس من الأسرة الحاكمة السابقة ، إذ أصدر جملة من القرارات التي تخدم شريحة الفقراء و عامة الناس ، أهمها : تخفيض الضرائب ومنع الاستيلاء على أملاك الغير ومنع حالات الاستغلال التي يقوم بها الأثرياء والمتنفذون ضد الفقراء^{٦٧} .

٢- نشوب الحروب

كما أدى انحسار الأراضي الخصبة بفعل تصاعد نسب الملوحة إلى نشوب الحروب بين الدويلات السومرية حول ما تبقى من تلك الأراضي ، فضلا عن مجاري الأنهار و قنوات الري ، أشهرها: الحرب التي وقعت حول مقاطعة (كو - أدنا) الخصبة بين دولتي أوما ولكش والتي دامت أكثر مائة سنة ، إذ تسببت بخسائر

بشرية ومادية كبيرة^{٦٨}، فضلا عما أصاب البلاد من تمزق وانهيار سياسي أدى إلى تمكن الأكديين من مد نفوذهم إلى مناطق مختلفة من البلاد والقضاء على حكم دويلات المدن السومرية وصولا إلى توحيدها في دولة واحدة ضمت معظم بلاد سومر وأكد^{٦٩}.

٣- ضعف نظام دولة المدينة والاتجاه نحو الوحدة السياسية

نظرا لإن اقتصاد المدينة السومرية كان يعتمد بشكل رئيس على الزراعة ، فقد أدى انخفاض الإنتاج الزراعي إلى ضعف نظام دولة المدينة ، فأخذت كثير من المدن تعاني من ظروف سياسية واقتصادية صعبة ، وأخذت أحوالها تتردى شيئا فشيئا ، ما سهل على (لوكال زاكيزي) حاكم أوما القيام بعمليات مسلحة لإخضاع المدن السومرية و توحيدها جميعا في دولة واحدة عاصمتها أوروك^{٧٠}، فكان من نتائج ذلك أن غدى للتجارة موقعا أهم في سلم الفعاليات الاقتصادية للدولة ، كما أصبح هناك تكامل اقتصادي بين المدن السومرية ، فأصبح بإمكان كل مدينة الاعتماد على موارد المدن الأخرى بدلا من الاعتماد على مواردها المحدودة فقط.

المبحث الثالث: أثر القحط و الجفاف في سقوط سلالة أور الثالثة:

على الرغم من أن سقوط سلالة أور الثالثة (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م) جاء بسبب غزوة قام بها العيلاميون ضد مدينة أور سنة ٢٠٠٦ ق.م^{٧١} ، إلا أن ذلك لم يكن سوى المشهد الأخير من الحدث الذي بدأ بتصدع حكم هذه السلالة نتيجة تدفق الآموريين على البلاد ، إذ أخذ الآموريون بالدخول إلى البلاد في موجات كبيرة من بوابة بلاد الشام ، لذا أطلق عليهم سكان بلاد الرافدين تسمية الآموريين من لفظة (آمورو) الأكديّة ومقابلتها (مارتو) السومرية التي تعني الغرب^{٧٢}، إذ تحدد النصوص المسمارية موطنهم بجبل بيسار أو بيسرى ، وهو موقع يقع بين تدمر ودير الزور^{٧٣}، أي أن بلاد الشام في نظر سكان بلاد الرافدين هي موطن قسم كبير من الغزاة والمهاجرين و منطلق الهجرات التي تستهدف الدخول إلى بلاد الرافدين من جهة الغرب ، وهذا ما عده أحد الآراء من العوامل التي أسهمت في تطور البشرية : " علينا أن لا ننسى أهمية بادية الشام كمنطلق للموجات السامية المتعاقبة فبالرغم من أن تأثيرها لم يكن ملموسا فإن هذا التأثير

كان خلال عصور قبل التاريخ وفي العصور الأخرى التي أعقبته من أهم العوامل في تطور البشرية " ^{٧٤}، لكن هناك من يرى ان هذا المكان لم يكن سوى نقطة تجمع لهم وإن موطنهم الأصلي هو الجزيرة العربية ^{٧٥}، إذ " كان من دأب هؤلاء الأقوام الرحل منذ عهد بعيد حين ينفذ الكلاً أو تجف البرك عندهم أن يغادروا البادية ويطعنوا إلى الجهات الشمالية من تخوم الصحراء " ^{٧٦}، ويبدو ان تحرك الأموريون كان معروفا منذ عصر فجر السلالات ^{٧٧}، إذ هناك إشارة في إحدى الملاحم الخاصة بالملك الثاني من ملوك سلالة أوروك (الوركاء) الأولى (انمركار) ، تعرض تصديه لموجة من الأموريون حاولت التسلل إلى البلاد ^{٧٨}، ويبدو أن حاملي الأسماء الآمورية كانوا متواجدين في المدن السومرية وإن كانت أعدادهم أقل بكثير من السومريين والأكديين ^{٧٩}، لكن أعدادهم أخذت تزداد باضطراب بدءاً من المراحل الأخيرة من العصر الأكدي، إذ هناك إشارة إلى تصدي الملك الأكدي (شار كال شري) (٢٢٥٥ - ٢٢٣٠ ق.م) لهم ^{٨٠} ، وربما كانوا من العوامل التي أسهمت في إسقاط الدولة الأكديّة بعد أن أخذت هذه الدولة بمقارعة الغزاة من كل الجهات ، وعلى الرغم من إن إجراءات هذا الملك ربما أدت إلى إيقاف تحركاتهم في تلك المدة ، إلا أن ذلك لم يكن إلا بشكل مؤقت ، إذ سرعان ما بدأوا بالتحرك من جديد بعد قرنين من ذلك الزمن ، إذ " كان هذا التنقل البطيء من الصحراء إلى الأراضي الزراعية يزداد أحياناً ويتعاضد حتى يصير تياراً جارفاً يحمل بكل القبائل الرحل من الفقر البلقع إلى الهلال المخصب فتغشى المدن والقرى كما تغشى المياه الأرض " ^{٨١} .

أن الأسباب التي تدفع هذه الأقوام للهجرة المتتالية إلى بلاد الرافدين معروفة تماماً للمؤرخين ، وهي الطبيعة الجغرافية والظروف الاقتصادية للمنطقة ، ويحتمل أن الأكديين ربما يكونون الموجة الأولى الكبيرة التي دخلت بلاد الرافدين بعد موجات صغيرة كانت تأتي عبر عصور زمنية مختلفة ، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين بذكره أن: "هناك حقيقة تاريخية مهمة ترتبط مع الطبيعة الجغرافية والظروف الاقتصادية للمنطقة وهي استمرارية تدفق الساميين نحو أرض الرافدين بشكل تحركات بطيئة حيناً وهي في الغالب الحركات التي سبقت الأكديّة وقوية حيناً آخر كان أولها المجموعة التي عرفت بالأكديين" ^{٨٢}، لكن هناك من ينفي

ذلك ويعلل بروز الأكديين بأن موجتهم قد رافقت انتشار استخدام الكتابة على الضد من الموجات التي سبقتهم والتي ضاعت أخبارها في ظلمات عصور قبل التاريخ^{٨٣}، وإلا فإن هناك أدلة لغوية وحضارية تشير إلى وجود هذا العنصر في نسيج سكان بلاد الرافدين منذ أقدم العصور^{٨٤}، لكن بغض النظر عن كون الأكديين والآموريين هم من الأقوام الأولى الكبيرة التي جاءت إلى بلاد الرافدين من الجزيرة العربية أم هم جزء من سلسلة الهجرات الجزرية المتعاقبة فإنهم يعدون من الأقوام الأولى التي ميزتهم النصوص المسمارية كأقوام مهاجرة إلى البلاد من نواحي الجزيرة العربية ، ولعلمهم جاءوا بعد مدة انقطاع طويلة استمرت قرونا عدة ، إذ لم تشر النصوص المسمارية إلى موجات كبيرة طوال عصر فجر السلالات ، ما يشير إلى حصول تطورات في أرض الجزيرة العربية دفعت هذه الأقوام إلى التحرك وليس هناك تطورات أقسى من الجفاف والقحط يمكن أن تؤثر في سكان تلك المنطقة القاحلة أصلا ، لكن هجرة كبيرة لابد ان تكون مقرونة بظروف جديدة طارئة أكثر قساوة مما كان موجودا أصلا ، فبحسب كيتاني: أن الجفاف كان يزداد باضطراب ويفاقم في أحيان كثيرة وإن هذا هو ما " حمل سكان الجزيرة العربية على الهجرة من موطنها الأصلي " ^{٨٥} .

وفيما يخص هجرة الآموريين يبدو أن هذا الأمر قد وقع في الثلث الأخير من حكم سلالة أور الثالثة ، بدليل قيام الملك الرابع لهذه السلالة (شو- سين) (٢٠٣٧ - ٢٠٢٩ ق.م) بإقامة سور على الحوافي الغربية للسفلى الرسوبى لعرقلة تسلل الآموريين إلى البلاد ، إذ يرجح بعضهم أن هذا السور ربما أمتد من منطقة الرمادي إلى حدود بغداد، إذ جرت تسميته (سور الآموريين) (مورك تدنم) ، لإن هدفه منع تدفق الآموريين إلى بلاد الرافدين ، وهو يمتد لـ (٢٦) بىرو (أى ساعة مضاعفة) ^{٨٦}، وربما هذه الهجرة هي التي أطلق عليها المصريون بهجرة (الآسيويين) التي تسببت بسقوط الأسرة الفرعونية السادسة ، وهي إحدى أسر المملكة القديمة أو ما عرف بعصر الأهرام ، عصر نضج الحضارة المصرية ، إذ شهدت مصر في هذه المدة تغلغل الآسيويين ونشوب ثورة شعبية عارمة ضد فساد السلطة الحاكمة وانقسام البلاد إلى مقاطعات مستقلة ^{٨٧} .

لكن هناك صعوبات تواجه ربط التطورات التي شهدتها بلاد الرافدين أثر تغلغل الآموريين في البلاد وما شهدته بلاد النيل من تطورات أثر تغلغل الآسيويين فيها ، من هذه الصعوبات عدم وجود أدلة تؤكد وجود تعاصر بين الأحداث التي شهدها البلدان وعدم وجود إتفاق لدى مؤرخي الحضارتين حول تأرخة العصور الحضارية والتاريخية لكل منهما ، فمزال السجل التاريخي لكلا الحضارتين واقع في إطار الأخذ والرد ومازالت كثير من الأحداث التاريخية يعوزها التفسير الدقيق والفهم العميق لمجرياتها وتطوراتها ، لكن تشابه الأحداث التاريخية في كلا البلدين وتشابه ما تمخض عن تلك الأحداث من تطورات سياسية واجتماعية واقتصادية هو مما يدعم تعاصر تلك الأحداث سواء أكان ذلك جزئيا أم كليا ، ما يعني ان موجة الجفاف التي شهدتها الجزيرة العربية في تلك المدة كانت قوية وقاسية بحيث دفعت الأقوام القاطنة فيها إلى النزوح بأعداد كبيرة إلى المناطق المجاورة ، وبما أن بلاد الشام كانت المنطقة الفاصلة بين حضارتي بلاد الرافدين وبلاد النيل فقد كانت هي نقطة تجمع هذه الأقوام وتحركها إلى أراضي هاتين الحضارتين ، ومن ثم جرت تسميتهما انطلاقا من نظرة كل من هاتين الحضارتين لمستواهم الحضاري ومكان انطلاقهم وطرق معيشتهم وما إلى ذلك .

ولا يتوقف بعضهم عند هذا الحد في تحديد الأمكنة التي شهدت انتشار موجة الجفاف بل يمددا البعض إلى مناطق أخرى ، لا بل ويعددها موجة عالمية شملت معظم أرجاء الكرة الأرضية ، بما في ذلك ما أصاب منطقة شمال غرب أفريقيا من جفاف متواصل وصلت حدته إلى أجزاء واسعة من بلاد الشام لاسيما منطقة فلسطين^{٨٨}، ويرى بعضهم أن هذه الموجة ربما كانت السبب أيضا في تدهور و سقوط الحضارة السندية (حضارة هاراباوموهنجدارو) في حدود ١٩٠٠ ق.م^{٨٩}، على الرغم من احتمال وجود فوارق في الأزمان التي شهدت تقادم هذه الظاهرة في هذا المكان أو ذاك ، إذ يحتمل أن موجة الجفاف كانت تزداد وتيرتها هنا وتقل هناك ، فضلا عن تأثير العوامل الجغرافية والطبيعية في اختلاف درجات تقادمها أو تراجعها من مكان إلى آخر .

الاستنتاجات:

- ١- على الرغم من تأثير العوامل الأخرى إلا أن العوامل المناخية والبيئية كان لها أثر كبير فيما شهدته بلاد الرافدين من تغييرات سياسية في الألف الثالث قبل الميلاد .
- ٢- لم يقتصر أثر الطوفان الذي شهدته البلاد في مستهل تاريخها المدون على ما سببه من دمار وتخريب للمزروعات والمعابد والقصور و المنازل والسدود بل و تسبب أيضا في إنهيار أنظمة الحكم التي كانت تدير البلاد ، فكان من نتائج ذلك ظهور مراكز حكم جديدة في مناطق مختلفة من البلاد .
- ٣- كان لمشكلة الملوحة التي عانت البلاد منها بدءا من منتصف الألف الثالث قبل الميلاد أثرها الكبير على الجانب السياسي ، لإن انخفاض إنتاجية الأرض الذي تسببت به الملوحة أدى إلى إضعاف نظام دولة المدينة الذي بات يعاني من القصور في أداء واجباته ومسؤولياته ، ما أدى إلى ظهور نظام الدولة المركزية التي تجمع كل أنظمة الحكم المتفرقة في دولة واحدة .
- ٤- على الرغم من أن سقوط سلالة أور الثالثة جاء بسبب غزوة قام بها العيلاميون ضد مدينة أور سنة ٢٠٠٦ ق.م، إلا أن ذلك لم يكن سوى المشهد الأخير من الحدث الذي بدأ بتصدع حكم هذه السلالة نتيجة تدفق الآموريون على البلاد ، إذ كان لموجة الجفاف التي شهدتها الجزيرة العربية وبادية الشام أثرها الكبير في اندفاع الآموريين إلى بلاد الرافدين ، ومن ثم التسبب في إنهيار الطابع المركزي للدولة وظهور نظام جديد يشابه ما كان عليه الحال في عصر فجر السلالات إذ عادت البلاد إلى نظام الممالك التي يحكم كل منها منطقة صغيرة من البلاد .
- ٥- ولا يتوقف بعضهم عند هذا الحد في تحديد الأمكنة التي شهدت انتشار موجة الجفاف بل يمدّها البعض إلى مناطق أخرى لابل ويعدّها موجة عالمية شملت معظم أرجاء الكرة الأرضية بما في ذلك ما أصاب منطقة شمال غرب أفريقيا من جفاف متواصل وصلت حدته إلى أجزاء واسعة من بلاد الشام ، كما يرى بعضهم أن هذه الموجة ربما كانت السبب أيضا في تدهور وسقوط الحضارة السندية في حدود ١٩٠٠ ق.م.

الهوامش:

١. حول عصر فجر السلالات ينظر :
Saggs, H.W.F. ,People of the past Babylonians,1995,PP.182-183 ؛ Frankfort, 1943, P. 12.
٢. حول الطوفان ينظر : علي ، فاضل عبد الواحد ، الطوفان ، (جامعة بغداد) ، ص ١٧ - ٣٩ .
٣. قائمة الملوك السومرية : هي قائمة جمعها المؤرخون من عدة ألواح تضم أسماء الحكام والملوك الذين تعاقبوا على حكم بلاد الرافدين من عصر قبل الطوفان إلى بداية حكم سلالة أور الثالثة ، حول ذلك ينظر : باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ، (بيروت ، ٢٠٠٩) ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .
٤. سلالات قبل الطوفان : هو مصطلح اعتمده المؤرخون للإشارة إلى السلالات التي أشارت قائمة الملوك السومرية إلى أنها حكمت قبل الطوفان ، وبعد حدوث الطوفان صعدت الملوكية إلى السماء ثم عادت بعد إنحساره لتظهر سلالات حاكمة جديدة في كل من كيش وأوروك وأور وغيرها ، ينظر : المصدر نفسه ، ص ٣٢٩ - ٣٣٢ .
٥. حول تنقيبات اريدو راجع التقارير الأولية المنشورة في مجلة سومر : المجلد الثالث ١٩٤٧ ، والمجلد الرابع ١٩٤٨ ، والمجلد السادس ١٩٥٠ .
٦. حول اريدو ينظر : باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات ، ص ٢٤٩ - ٢٥٢ .
٧. المصدر نفسه ، ص ٣١٩ .
٨. علي ، فاضل عبد الواحد ، من سومر إلى التوراة ، (القاهرة ، ١٩٩٦) ، ص ٣٨ .
٩. حول تل المدينة وربطه بمدينة (باد - تيبيرا) ينظر :
- Vaughn Crawford In IRAQ , XXII (1960) , 197ff.
١٠. باقر ، المصدر السابق ، ص ٣١٩ .
١١. حول الرأي الذي يربط مدينة لرك بتل الولاية ينظر :
- Th. Jacobsen, The Sumerian King List, AS 11, (Chicago, 1939), p 74-75.
١٢. فرنسيس ، شير يوسف ، موسوعة المدن والمواقع في العراق ، ج ٢ ، (لندن ، ٢٠١٧) ، ص ٢٢٢ .
١٣. حول ذلك ينظر :
- PiotrSteinkeller,Larak and the “Old Tigris” Nabu 2005-28,p.3.

١٤. باقر ، المصدر السابق ، ص ٣١٩ .
١٥. حول التنقيبات في موقع مدينة سبار (تل أبو حبة) ينظر : الجادر ، وليد و آخرون ، نتائج تنقيبات مدينة سبار (أبو حبة) للمواسم ١٩٩٠ - ١٩٩٣ (تقرير أولي) ، مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد ، العدد ٥٤ ، ص ١١١ - ١٢٩
١٦. باقر ، المصدر السابق ، ص ٣١٩ .
١٧. المصدر نفسه ، ص ٣٢٠ .
١٨. علي ، الطوفان ، ص ٣٧ .
١٩. علي ، المصدر نفسه ، ص ٣٥ - ٤٠ .
٢٠. باقر ، المصدر السابق ، ص ٣١٨ .
٢١. حول دولة أوروك الكبيرة في عصر حضارة أوروك (الوركاء) ينظر : حبيب ، باسم محمد ، أوروك - نظرة إلى أسباب وعوامل توسعها السياسي والاقتصادي في الألف الرابع قبل الميلاد ، مجلة كلية التربية - جامعة واسط ، عدد خاص بأبحاث المؤتمر الدولي ١١ ، مجلد ١ ، ٢٠١٩ .
٢٢. حول حكم هذه المدن بعد الطوفان ينظر : باقر ، المصدر السابق ، ص ٣٣٤ - ٣٤٥ .
٢٣. حول تكرر حدوث الطوفانات في البلاد ينظر : رو ، جورج ، العراق القديم ، ترجمة : حسين علوان حسين ، (بغداد ، ١٩٨٤) ، ص ١٦١ - ١٦٢ .
٢٤. يعد هذا العصر من أولى عصور الإستيطان في منطقة جنوب العراق و يؤرخ غالبا ما بين ٥٠٠٠ و ٤٠٠٠ قبل الميلاد حول هذا العصر ينظر : باقر ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .
٢٥. باقر ، المصدر السابق ، ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .
٢٦. علي ، الطوفان ، ص ١٠٤ .
٢٧. المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .
٢٨. المصدر نفسه ، ص ١٠٥ - ١٠٩ .
٢٩. المصدر نفسه ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .
٣٠. المصدر نفسه ، ص ١٠٨ .
٣١. المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

٣٢. المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .
٣٣. باقر ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .
٣٤. علي ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٦ .
٣٥. باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ص ٥٧ - ٥٩ .
٣٦. قصة الطوفان الرافدينية نفسها يرد فيها ذكر هطول أمطار كثيفة كانت السبب في حدوث الطوفان ينظر : رو ، جورج ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ، (بغداد ، ١٩٨٤) ، ص ١٦٣ .
٣٧. حول موقع العراق ومناخه في العصور القديمة ينظر ، باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ص ٣٣ - ٣٥ .
٣٨. بورت ، دولا ، بلاد ما بين النهرين - حضارة بابل وآشور ، ترجمة : مارون الخوري ، (بيروت ، ١٩٧١) ، ص ١٩٩ .
39. Journal of Earth Sciences and Geotechnical Engineering, Vol.10, No.4, 2020, 87-110 , ISSN: 1792-9040 (print version), 1792-9660 (online) Scientific Press International Limited
٤٠. ساكز ، هاري ، البابليون ، ترجمة : سعيد الغانمي ، (بنغازي ، ٢٠٠٩) ، ص ٣٧ .
٤١. ساكز ، البابليون ، ص ٣٨ .
٤٢. باقر ، المصدر السابق ، ص ٣٧٧ .
٤٣. تشير قصص الطوفان إلى تحطم السدون أثناء حدوث الطوفان حول ذلك ينظر : باقر ، طه ، ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص ١٥٦ .
٤٤. باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات ، ص ٤٧ .
٤٥. المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .
٤٦. المصدر نفسه ، ص ٣ .
٤٧. الشواف ، قاسم ، ديوان الأساطير ، الكتاب الثاني ، (بيروت ، ١٩٩٧) ، ص ٥١٢ .
٤٨. مطشر ، عزيز سلمان ، الاقتصاد السومري (دراسة تاريخية) ، أطروحة دكتوراه ، (جامعة واسط - كلية التربية ، ٢٠١٣) ، ص ١٦٦ .

٤٩. هذا ما ورد في ملحمة شعرية ، حول ذلك ينظر : رو ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .
٥٠. الأحمد ، سامي سعيد ، الزراعة والري ، حضارة العراق ، ج ٢ ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، ص ١٨١ .
٥١. باقر ، طه و آخرون ، تاريخ العراق القديم ، ج ٢ ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ١١٨ .
٥٢. الأحمد ، الزراعة والري ، ص ١٨١ .
٥٣. باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات ، ص ٥٢ .
٥٤. باقر وآخرون ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .
٥٥. المصدر نفسه ، ص ١١٨ .
٥٦. المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .
٥٧. الأحمد ، الزراعة والري ، ص ١٨٢ .
٥٨. باقر وآخرون ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .
٥٩. الأحمد ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ .
٦٠. دانيال ، غلين ، الحضارات الأولى : الأصول والأساطير ، ترجمة : سعيد الغانمي ، (٢٠٠٩) ، ص ٨٢ .
61. Sinclair , Paul J.J., GullögNordquist, FrandsHerschend and Christian Isendahl , The Urban MindCultural and Environmental Dynamics , African and Comparative ArchaeologyDepartment of Archaeology and Ancient HistoryUppsala University, Uppsala, Sweden ,2010.
٦٢. يلاحظ إنتقال مركز الثقل السياسي من المدن الجنوبية إلى مدن تقع في وسط البلاد كمدينة بابل عاصمة سلالة بابل الأولى وما تلاها من سلالات بابلية ومدينة دور كوريكالزو التي بناها الكشيون ملوك سلالة بابل الثالثة حول ذلك ينظر : باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات ، ص ٤٤١ وما بعدها .
٦٣. لم تنشأ في كثير من المدن الجنوبية سلالات حاكمة في العصر البابلي القديم على الضد من المدن الواقعة إلى الشمال منها إذ شهدت ظهور كثير من السلالات كسلالات بابل والدير وماري واشنونا وسبار وغيرها ، حول ذلك ينظر : المصدر نفسه ، ص ٤٤٧ وما بعدها .

٦٤. حول الضرائب التي فرضها الحكام في هذا العصر ينظر : فوزي رشيد ، الشرائع ، العراق في موكب الحضارة ، ج ١ ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، ص ٢٠٧ - ٢٢٤ .
٦٥. حكم هذا الملك في تقدير كثير من الباحثين في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد ، اشتهر بملحمته التي تحمل أسمه والتي تعد من أقدم وأروع الملاحم التي أبدعها البشر ، كما نسبت إليه إنجازات مهمة منها تشييده لسور الوركاء الذي يعود لعصر فجر السلالات فضلا عن مشاركته في تجديد معبد الإلهة (ننليل) في نفر ، حول هذا الملك وحكمه ومنجزاته ينظر : باقر ، ملحمة كلكامش ، ص ٤١ وما بعدها .
٦٦. حبيب ، باسم محمد ، مدينة أوروك - دراسات في حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، (بغداد ، ٢٠٢٢) ، ص ٤٠ - ٥٠ .
٦٧. حول ثورة أوروانمكينا ينظر : دولابورت ، بلاد ما بين النهرين (حضارة بلاد بابل وآشور) ، ترجمة : مارون الخوري ، (بيروت ، ١٩٧١) ، ص ٣٠ - ٣٢ .
٦٨. حول هذه الحرب ينظر : حبيب ، باسم محمد ، وأما من عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي القديم ٣٠٠٠ - ٥٣٩ ق.م رسالة ماجستير ، (جامعة واسط - كلية التربية ، ٢٠١١) ، ص ٥٠ وما بعد .
٦٩. حول الحكم الأكدي ينظر : باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات ، ص ٣٨٥ - ٤٠٧ .
٧٠. حول حكم لوكال زاكيزي وتوحيده البلاد ينظر : المصدر نفسه ، ص ٣٥٨ - ٣٦٠ .
٧١. باقر ، المصدر السابق ، ص ٤٣٠ .
٧٢. ذلك ينظر :

ZZB.30ff

٧٣. باقر ، المصدر السابق ، ص ٤٤٤ .
٧٤. مورتكارت ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ترجمة : توفيق سليمان ، (دمشق ، ١٩٦٧) ، ص ٣٠ .
٧٥. موسكاتي، سبتينو ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة : السيد يعقوب بكر ، (لندن - ١٩٥٧) ، ص ٥٣ - ٥٤ .
٧٦. برستد ، جيمس هنري ، العصور القديمة ، ترجمة : داود قربان (بيروت ، ١٩٢٦) ، ص ٧٧ .

٧٧. عصر فجر السلالات هي تسمية أطلقت على المدة من نهاية عصر جمدة نصر وبداية العصر الأكدي بين ٣٠٠٠ و ٢٤٠٠ ق.م وهو العصر الذي كانت البلاد منقسمة فيه إلى عدة دويلات يحكم كل منها مدينة من المدن السومرية حول ذلك ينظر : باقر ، المصدر السابق ، ص ٢٧٩ - ٣٨١ .
٧٨. صاموئيل كريم ، من ألواح سومر ، ص ٣٩٤ .
٧٩. باقر ، المصدر السابق ، ص ٤٤٣ .
٨٠. المصدر نفسه ، ص ٤٠٦ .
٨١. برستد ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .
٨٢. عبدالله ، عبد الكريم ، ملامح الوجود السامي في جنوب العراق قبل تأسيس الدولة الأكديّة ، مجلة سومر ، العدد ٣ ، ١٩٧٤ ، ص ٦٣ .
٨٣. سوسة ، أحمد ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ٢٠١ - ٢٠٥ .
٨٤. لويد ، سيتون ، آثار بلاد الرافدين ، ترجمة : سامي سعيد الأحمد ، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ١٦١ .
٨٥. سوسة ، المصدر السابق ، ص ٣٠٢ .
٨٦. المصدر نفسه ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .
٨٧. ردفورد ، دونالد ب ز ، مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم ، ترجمة ، علي خليل ، (دمشق ، ٢٠٠٥) ، ص ٦٢ - ٦٨ .
٨٨. المصدر نفسه ، ص ٦٢ .
٨٩. حول أثر الجفاف في سقوط حضارة وادي السند ينظر :
- M. Staubwasser, F. Sirocko, P. M. Grootes, and M. Segl, Climate change at the 4.2 ka BP termination of the Indus valley civilization and Holocene south Asian monsoon variability, GEOPHYSICAL RESEARCH LETTERS, VOL. 30, NO. 8, 1425, doi:10.1029/2002GL016822, 2003.

دور تطبيق أبعاد الجودة الشاملة في فاعلية السيادة الاستراتيجية دراسة تحليلية لآراء عينة من القيادات الجامعية في جامعة الكوفة

م. كرار محمد مدلول

كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تعد الجودة الشاملة تطوراً مهماً لتحقيق إنتاجية أعلى في الشركات أو المنظمات الحديثة مثل منظمات التعليم العالي، الصناعات التحويلية وشركات النفط، البنوك والشركات التجارية والمنظمات الخدمية. إذ إن بعض المنظمات اعتمدت الجودة الشاملة وبعض المنظمات لم تعتمد الجودة الشاملة. المنظمات التي تتبنى الجودة الشاملة لديها إنتاجية أفضل وأكثر نجاحاً من المنظمة التي لم تعتمد الجودة الشاملة. إذ إن زيادة المنافسة بين المنظمات تجلب الابتكار السريع. حيث يتمتع المخططون الاستراتيجيون بالقدرة على تحديد سبب التغيرات، أي التغيرات التكنولوجية والاجتماعية وتحسينات الجودة وما إلى ذلك، والتي ستؤثر إيجاباً على إنتاجية المنظمة. لا يعرف معظم مديري المنظمات بشكل صحيح تأثير تحسين الجودة على أداء المنظمات. وفي ظل هذه الظروف كان من الطبيعي أن تبحث المنظمات عن طريقة للتعامل مع البيئة والسيطرة على الوضع الجديد الذي فرض نفسه كتهديد وجودي مستمر وحتمي ومتزايد، وعليه فإن الجهات ذات العلاقة بشؤون الإدارة الاستراتيجية هي مسؤولة عن البحث في هذه الأمور، ولكي تكون المنظمات قادرة على المنافسة، يجب أن تتبنى السيادة، أي الاستغلال والاستكشاف من أجل البقاء على المدى الطويل، وكذلك تعزيز دور القيادة التي تعتمد على الرغبة في دراسة البيئة، والبحث عن الفرص التي يمكن للآخرين من خلالها اكتساب المعرفة الجديدة وإمكانية تطبيقها في خدماتها الجديدة لاستثمار الفرص ومواجهة منافسيها، و حتى تتمكن من السباق مع الزمن وتحقيق السيادة الاستراتيجية. وقد جاء هذا البحث لتسليط الضوء على أبعاد الجودة الشاملة ومساهمتها في فاعلية السيادة الاستراتيجية من خلال أربعة

مباحث، اهتم المبحث الأول بمنهجية البحث، فيما تضمن المبحث الثاني الجانب النظري للبحث، اما المبحث الثالث فخصص للجانب التطبيقي، وجاءت الاستنتاجات والتوصيات التي توصل اليها الباحث في المبحث الرابعوالاخير .

المبحث الأول: منهجية البحث:

أولاً: مشكلة البحث:

تحرص اغلب المؤسسات التعليمية بشكل عام على تحقيق اهداف الجودة الشاملة من اجل تحقيق التطور والتميز والاستمرارية، وذلك لا يأتي الا من خلال قيام تلك المؤسسات بالاهتمام برأس مالها البشري ورفع مستوى امكانياته وكذلك تحسين مستوى أدائها الوظيفي من خلال وضع الإمكانيات والفرص الجيدة امامها، ومن هنا تأتي قضية الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي كحاجة أساسية وركيزة مهمة من اجل البقاء واحداث تنمية مستدامة وازدهار لغرض النهوض بالعملية التعليمية ومعالجة مشكلتها والتي هدفها تحقيق تعليم جيد يواكب الحداثة والازهار في سوق العمل ، وهنا برزت الجودة الشاملة كاحدى تلك الاليات التي يستلزم على الجامعات ان تتبناها من اجل تمكينها في تحقيق السيادة الاستراتيجية ولتأطير مشكلة البحث تم صياغة عدد من التساؤلات البحثية وكما يلي :

- ١- هل لدى قيادة الجامعة اطلاع على مفهوم الجودة الشاملة والسيادة الاستراتيجية ؟
 - ٢- ما هو مستوى السيادة الاستراتيجية في الجامعة في ظل ادائها وممارساتها ؟
 - ٣- هل هناك علاقة ارتباط وتأثير بين ابعاد الجودة الشاملة وابعاد السيادة الاستراتيجية في عينة البحث.
- ثانياً: -أهمية البحث

١- الأهمية النظرية: وتأتي من خلال كون الدراسة إضافة جديدة للبحوث السابقة والتي من خلالها يحاول الباحث الربط بين مفهومين وهما الجودة الشاملة والسيادة الاستراتيجية وكلاهما من المواضيع المهمة في مجال علم الإدارة والتي لا تزال البحوث العلمية بالقيام بدراسة التأثير المتبادل فيما بينهما.

٢- الأهمية العملية: تتمثل من خلال الدراسة الميدانية التي سيتم تطبيقها في جامعة الكوفة، حيث سنقوم من خلالها تسليط الجانب النظري على القيادات الجامعية، مما يعطينا نتائج حقيقية لإدارتها، اذ من الممكن ان تفيد النتائج القائمين على إدارة جامعة الكوفة وذلك من خلال تحليل بعض الابعاد والتي من شأنها ان ترفع من مستوى الجودة الشاملة عند تطبيقها.

ثالثاً: - هدف البحث:

إن الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو:

١- التعرف على مستوى الجودة الشاملة للقيادات الإدارية في جامعة الكوفة.

٢- إبراز الدور الذي تلعبه الجودة الشاملة بمختلف ابعادها في فاعلية السيادة الاستراتيجية.

٣- الوقوف على واقع تطبيق ابعاد إدارة الجودة الشاملة بجامعة الكوفة.

٤- تقديم اقتراحات وتوصيات قابلة للتطبيق للقيادات في جامعة الكوفة .

رابعاً: - فرضيات البحث:

الفرضية الرئيسة: توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية موجبة بين الجودة الشاملة والسيادة الاستراتيجية.

الفرضيات الفرعية: انبثقت من الفرضية الرئيسة الاولى خمسة فرضيات فرعية وهي:

١- يؤثر التزام الإدارة العليا تأثيراً معنوياً في السيادة الاستراتيجية.

٢- يؤثر التركيز على العملاء تأثيراً معنوياً في السيادة الاستراتيجية.

٣- تؤثر المشاركة الجماعية تأثيراً معنوياً في السيادة الاستراتيجية.

٤- يؤثر التحسين المستمر تأثيراً معنوياً في السيادة الاستراتيجية.

خامساً: -حدود البحث:

١. الحدود المكانية: تمثلت في رئاسة جامعة الكوفة وتشكيلاتها.

٢. الحدود الزمانية: تتمثل بمدة إعداد البحث عملياً ونظرياً في الجامعة انفا الذكر ومدة الحصول على البيانات المطلوبة للبحث وارسال استمارات الاستبيان واستلامها الكترونيا والتي امتدت من تشرين الأول ٢٠٢٢ لغاية نهاية شهر تشرين الثاني ٢٠٢٢

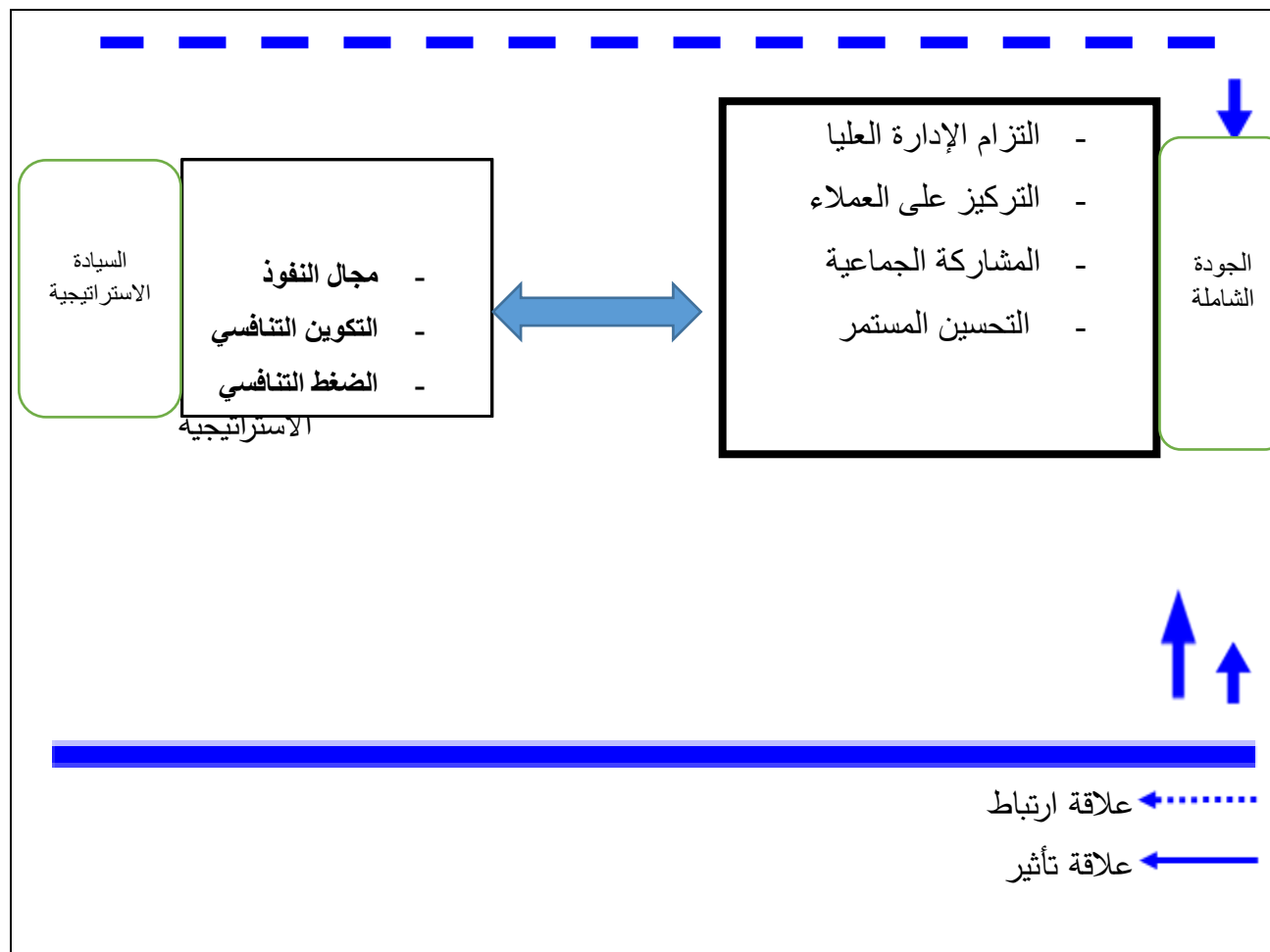
٣. الحدود العلمية: تتحدد من خلال اهمية وأهداف البحث.

سادساً: - مجتمع وعينة البحث

تم اختيار جامعة الكوفة مجتمعاً للبحث الحالي، حيث بلغ عدد الاستبانات الموزعة على عينة البحث (٩٠) استبانة واعتمد منها (٨٠) استبانة صالحة للتحليل. اما بشأن تحليل البيانات العملية فقد اعتمد البحث على البرنامج الإحصائي (SPSS) وبعض المقاييس الإحصائية الاخرى.

ثامناً: - المخطط الفرضي للبحث

على ضوء اهداف ومشكلة البحث وضمن الإطار العملي والنظري للبحث تم تصميم نموذج افتراضي يعبر عن العلاقة بين متغيرات البحث وكما في الشكل (١)



الشكل (١) المخطط الفرضي للبحث

المبحث الثاني: الجانب النظري للبحث:

أولاً-الجودة الشاملة (Total Quality)

الجودة الشاملة هو نظام إدارة يخطط ويتخذ القرارات ، وينظم ، ويقود ، ويوجه ، ويعالج ، ويستخدم كل من رأس المال ، والمعدات ، والمواد ، والتكنولوجيا ، وأنظمة المعلومات ، والموارد البشرية لصنع منتجات وخدمات عالية الجودة يمكن أن تلبي احتياجات ورضا السوق الاستهلاكي بطريقة فعالة ، ويمكن للشركة أن تنمو بشكل مستدام مع جودة الموارد البشرية التي تتحسن دائماً من خلال عملية التعلم المستمر (Zulfirman,2022:276) وعرف (Mesfin,2022:37) إدارة الجودة الشاملة على أنها فلسفة ومجموعة من المبادئ التوجيهية التي تمثل أساس منظمة تتحسن باستمرار. وأيضاً هي تطبيق الأساليب الكمية والموارد البشرية لتحسين كل العمليات داخل المنظمة وتجاوز احتياجات العملاء الآن وفي المستقبل. ووفقاً (Alshourah,2021:68) تُعرّف إدارة الجودة الشاملة بأنها فلسفة السعي إلى تلبية احتياجات العملاء ، وتحسين الجودة باستمرار ، وتحسين الأداء.

وذكر (Marpaung & Wiralestari,2022:145) ان إدارة الجودة الشاملة تؤثر على الأداء الإداري للشركات. وذلك لأنه يمكن تحسين إدارة الجودة الشاملة عن طريق تحسين جودة المنتج ، وتصميم المنتجات وكذلك اتخاذ القرارات وحل المشكلات، وإنشاء التزامات وشراكات طويلة الأجل في العمل بشكل فعال وإجراء تحسينات مستمرة على المنتج لتكون قادرة على الحصول على قدرة تنافسية عالية. اذ ان لادارة الجودة الشاملة تأثير على نظام الجوائز للشركات. هذا لأن الأداء العالي يعتمد أساساً على برنامج المكافآت إذا كان مرتبطاً بالعمل الداعم، بما في ذلك تقييم الأداء الوظيفي ، والمعلومات العادلة ، والأمن الوظيفي ، وهو تأثير بين إدارة الجودة الشاملة باستخدام المكافآت على الأداء ، وبالتالي فإن منح المكافآت يعد حافزاً أقوى للموظفين لتحسين جودة أدائهم.

رابعاً: ابعاد إدارة الجودة الشاملة (DimensionsTotal Quality Management)

اعتمدت الدراسة الحالية في قياس إدارة الجودة الشاملة على دراسة كل من (المغربي والصويغي ، ٢٠٢٢:٤٩) و(Habib, et.,al, 2022:2617) والابعاد هي: التزام الإدارة العليا والتركيز على العملاء والمشاركة الجماعية والتحسين المستمر وفيما يلي شرح لتلك الأبعاد:

١- التزام الإدارة العليا (Senior management commitment)

ان القيادة بما في ذلك التزام الإدارة العليا هي العامل الأول والأساسي لتنفيذ إدارة الجودة الشاملة، وأن الالتزام الحقيقي من جهة الادارة العليا أمر ذو أهمية وذلك لغرض توفير الامكانيات والموارد الكافية لتمويل البرامج والمشاريع، وتدريب العاملين، وإرضاء العاملين عن طريق تمكينهم من المشاركة الحقيقية والفعالة في تحسين الجودة، وكذلك التحسين في العمليات بشكل مستمر. واكد (Neo, et.,al, 2022:26) انه يعتمد تنفيذ كل عنصر من عناصر الجودة على مسؤولية القادة في المكان والإدارة العليا للمنظمة. حيث "تتضمن القيادة تحديد الاتجاهات، وتطوير وصيانة نظام القيادة، والتركيز على العملاء والتميز في الأداء". أهمية بالغة ولا يمكن تجاهل أهمية مبادرة القادة لأنها تحمل نجاح المؤسسة.

٢- التركيز على العملاء (Customer Focus)

ويقصد بالتركيز على العملاء بالتأكيد على رضا العملاء ووضعهم الشرط أولاً في كل قرار تتخذه الشركة. اذ أن رضا العملاء هو مفتاح تنفيذ إدارة الجودة الشاملة. ويعتبر تلقي التعليقات للحفاظ على علاقة وثيقة مع العملاء عاملاً مهماً لتعزيز إدارة الجودة الشاملة وان للتركيز على العملاء مجموعة من العناصر المهمة وان الشركة الاخذ بها عند تعاملتها حسب ما اكدها (Polong & Kimutai, 2022:135) وهي

• الاتصالات

• توصيل ما يريده الزبون

• ابتكار المنتجات

٣- المشاركة الجماعية (teamwork)

لا يعتمد نجاح إدارة الجودة الشاملة على الالتزام الحقيقي للإدارة العليا فقط، ولكنه مرتبط بالمشاركة الفاعلة من قبل أعضاء المنظمة ، لان مشاركة أعضاء المنظمة تمكنهم من وضع خطط افضل ، و تحسن من مستوى الجودة بشكل متواصل من خلال كفاءة صنع القرار والتي تتم من خلال مشاركة العقول المميزة والمفكرة، على اعتبار أن كل عضو من أعضاء المنظمة هو المسؤول عن تقديم منتجات او خدمات ذات جودة عالية، وتحقيق رضا الزبائن، وتحسين الجودة في جميع مفاصل المنظمة . وذكر (Faraj, et.,al, 2022:3843) ان الموظفون عندما يشعرون أن منظماتهم تهتم بهم هنا سيحاولون تطوير مهارتهم المهنية من خلال زيادة معرفتهم عن طريق التدريب ويشعرون أنهم جزء من المنظمة لاتخاذ القرارات صحيحة من خلال تمكينهم ، وكذلك تطوير مجموعة من العمل الجماعي بين الموظفين الذين يدعمون بعضهم البعض من خلال المشاركة الجماعية في تقديم جودة خدمة ممتازة وحل المشكلات ،ومن جهة اخرى يشعر الموظفون بأن طاقتهم وما يفعلونه للمنظمة سيعود عليهم المنفعة المالية وغير المالية وان تلبية جميع احتياجات وطلبات الموظفين بالإضافة إلى دعمها لها "أحد اهم واجبات الإدارة العليا.

٤- التحسين المستمر (continuous improvement)

التحسين المستمر هو الهدف الرئيسي لإدارة الجودة الشاملة و يمكن تحقيقه من خلال التدريب والعمل الجماعي، و أن الدراسات الحديثة التي تؤكد على التحسين المستمر من أجل ضمان تنفيذ إدارة الجودة الشاملة ، من خلال تقليل تكلفة رضا العملاء. ويعتبر التحسين المستمر جوهر إدارة الجودة الشاملة. و يؤدي التحسين المستمر لعمليات الإنتاج وجودة الخدمة إلى تطوير مستوى جودة ممتاز ويميل إلى تحسين ذلك في المستقبل. ومن جهة أخرى تؤثر ممارسات إدارة الجودة الشاملة أيضًا على سلوك العملاء من خلال قناة التحسين المستمر والابتكار. لا تسهل استراتيجية التحسين المستمر تنفيذ إدارة الجودة الشاملة فحسب ، بل توفر أيضًا خلق ميزة تنافسية وبين (van Assen,2021:133) ان التحسين المستمر هو الجهد

المنهجي للبحث عنه وتطبيق طرق جديدة لأداء العمل ، أي إجراء تحسينات نشطة ومتكررة على العملية وان التحسين المستمر هو عملية تعلم من التراكم التدريجي للتجارب حيث يظهر تدفق مستمر من الابتكارات المتزايدة يشكل التحسين المستمر تطوير قدرات محددة داخل المنظمة ، على سبيل المثال القدرة على إيجاد وحل المشكلات بشكل منهجي أو القدرة على مشاركة المعرفة عبر الحدود داخل المنظمة.

ثانياً : السيادة الاستراتيجية (Strategic Supremacy)

تعود الجذور التاريخية لمفهوم السيادة الاستراتيجية إلى عدة قرون قبل الميلاد، حيث كانت السيادة سمة أساسية متأصلة في الحضارات العظيمة في بسط نفوذها وتعظيم عائداتها منذ ٦٠٠٠ عام، مثل الحضارات السومرية والبابلية والفرعونية، التي اتخذت السيادة. هدفهم في استمراريتهم، لقد مر مفهوم السيادة الاستراتيجية بظروف تاريخية متعددة شغلت وأثارت اهتمام العديد من الإداريين والاقتصاديين، فهي جانب اجتماعي جديد وفكر له شخصية اعتبارية وسلطة واسعة. يعطي القدرة على إنشاء علاقات تنافسية وتعاونية بين مختلف المجالات التنافسية (Mohammed & Mohammed,2021:4746)

وعرف (Mohammed,2021:2546) السيادة الاستراتيجية بأنها تقنيات تكشف ما تفعله المنظمة، وسبب وجودها والأهداف التي تريد تحقيقها في المستقبل. فهي أسلوب الإدارة الخاص الذي لا يلغي وظائف الإدارة الأساسية مثل التخطيط والتنظيم والتنفيذ والرقابة، والتي تتعلق بالمستوى الأعلى. وتعتبر أيضا عملية تخطيط وتنظيم وتنسيق ومراقبة العمل الذي يتعين القيام به من أجل إيصال المنظمة إلى الموقع المطلوب ، ويمكن تسمية السيادة الاستراتيجية بخريطة طريق للمستقبل وذكر (Hasan & Al-Sheikli ,2020:426) ان السيادة الاستراتيجية تعتبر السلطة العليا التي لا تعرف في تنظيم علاقتها مع سلطة عليا أخرى ، وهي تقوم على بناء مزايا جديدة لتحل محل القديمة في تحريك المنافسين ودفعهم لمواصلة المنافسة وتوسيع نفوذهم من خلال توفير قيمة لمتلقي الخدمة أو السلعة في اتجاهات لا تتعارض مع طموحاتهم حتى يتمكنوا من تحويل مواردهم ضد المنافسين الآخرين. وبين (Khatib & Alshawabkeh,2022:203) ان

السيادة الاستراتيجية ليس مصطلحاً حديثاً أو اختراعاً بشرياً. إنه أساس الصراع البشري منذ بداية الزمان، وأفضل وصف للسيادة في هذا السياق هو "الهيمنة". هنا الهيمنة أكثر قوة في التعبير مقارنة بالمصطلحات الأخرى المحتملة المتعلقة بها مثل القوة أو النفوذ أو استبعاد المنافسين. على الرغم من أن هذه الشروط كلها متطلبات للهيمنة. باختصار ، إنها القدرة على تغيير قواعد اللعبة والتحكم في اتخاذ القرار. وهذا ما أيده هابرماس الذي أشار إلى ذلك في عام ١٩٨١ على أنه استعمار العالم أو استعمار العالم الحي. هذا هو بالفعل المحرك الرئيسي للهيمنة الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية. وبالتالي، أعطى هذا للشركات الهيمنة النهائية على الحياة الاجتماعية للبشرية بسبب الحصول على الامتيازات القانونية والاقتصادية.

ثانياً- أبعاد السيادة الاستراتيجية (dimensions Strategic Supremacy)

اعتمدت الدراسة الحالية في قياس السيادة الاستراتيجية على دراسة كل من (KHATIB, et.,al, 2022:204) كونها واضحة في القياس وتتلائم مع عينة البحث، والأبعاد هي: مجال النفوذ، التكوين التنافسي، الضغط تنافسي، وفيما يلي شرح لتلك الأبعاد :

١- مجال النفوذ (Scope of Influence)

منطقة التأثير (النفوذ) هي قلب السيادة الاستراتيجي وهي المحفظة الجغرافية لخدمات المنظمات العامة وتركز على المجال الذي ينتمي إليها والمجال الرئيسي الذي تمتلكه وهو المجتمع المحلي موقع البحث ويمكن تفسير ذلك من خلال معرفة توقعات البيئة المحلية والضغط التنافسية عندما يتعلق الأمر بالجودة والأداء والجمع بين هذين المعيارين ، لذلك فإن مجال النفوذ ليس مجموعة من القدرات الأساسية وهذا ما تقوم عليه بيئة العمل الأساسية ، ولكن تعتبر البداية وتتصل بكل ما يحيط ببيئة عملها من خلال القدرات المشتركة ووفورات الحجم والنطاق ومجال التنظيم لذلك ((Hasan & Al-Sheikli, 2020:426) وأكد (Chen & Vanhaverbeke, 2011:4) ان لدراسة مجال النفوذ نطاق وعمق مرتبط ببحث بالابتكار أي ارتباطه بمفهوم الشركة الخارجي وتأثيره على أدائها المبتكر ، وهذا يتبلور ضمن مفهومين

يشير المفهوم الأول إلى نطاق البحث الخارجي ، والذي يتم تعريفه على أنه نطاق الجهات الفاعلة الخارجية التي تعتمد عليها الأنشطة المبتكرة للشركة. بمعنى آخر ، يركز نطاق البحث الخارجي على تنوع المصادر الخارجية للابتكار. ويشير المفهوم الثاني إلى عمق البحث الخارجي للشركة ويتم تعريفه على أنه مدى استفادة الشركات من مصادر خارجية مختلفة والمفهومين أعلاه لهما ارتباط واضح وجلي بمجال نفوذ الشركة من خلال عملية الابتكار، ومن خلال مجال النفوذ Sol الذي يحدد المجال الاجتماعي والسوقي الذي يمكن أن يلعب دورًا داخله كقوة إستراتيجية. وعادةً ما تقوم المنظمات العاملة في بيئات تنافسية للغاية بإعادة تخصيص الموارد لإعادة تشكيل مساحتها التنافسية نظرًا لشدة المنافسة (KHATIB, et.,al, 2022:204)

٢- التكوين التنافسي (Competitive Configuration)

التكوين التنافسي هو تخطيط للضغط التنافسي بين منطمتين بهدف الضغط التنافسي بين جميع المتنافسين الرئيسيين في الصناعة لمعرفة من هم المتنافسون الذين يشغلون مناصب أكثر قوة و يمكن أن يقوم بتشخيص أقوى المتنافسين في الصناعة من خلال التكوينات التنافسية للشركات والتي تتم من خلال تحليل المنافسين حيث أن بيئة المنافسة هي الجزء الأخير من البيئة الخارجية التي تتطلب البحث والإبراز، وتركز على تحليل المنافسين لكل مؤسسة تتنافس مع منظمة أخرى بشكل مباشر (Al-Zu'bi,2017:1242) وإن التكوين التنافسي هو التركيز على البناء التنافسي. ويعبر عنها بأنها نتيجة عمليات مدروسة ومركزة للتدريب التنافسي من خلال توجيه استراتيجيات المنظمة نحو التحالفات والشراكات. في هذا السياق ، من الضروري أن تتأكد المنظمة من قدراتها الداخلية وتضمنها إذ قد تتحول الشراكات إلى ميزة تنافسية وليس مجرد شراكات مقارنة بالمنافسين الآخرين (KHATIB, et.,al, 2022:204)

٣- الضغط التنافسي (Competitive Compression)

يجب ان تدرك الشركات مجموع جميع الإجراءات المتنافسة في السوق بشكل مشترك نظرًا لأن كل شركة تلاحظ أن تصرفات منافسيها تتراكم منذ آخر تحرك تنافسي لها، فإنها تواجه تهديدًا متزايدًا بأن تجد نفسها

في وضع غير مؤاتٍ تنافسيًا، وبالتالي يكون لديها دافع متزايد للرد. ندعو الضرورة المتصورة للعمل من خلال تقييم موجز لأفعال المنافسين المتعددة "الضغط التنافسي"، بالعودة إلى وصف بورتر للتفاعل التنافسي نتوقع أن الضغط التنافسي يؤثر على سلوك الشركة، أي أن الشركات تقوم بتحركات تنافسية استجابة لـ التأثير الكلي لأفعال المنافسين المتعددين (Zucchini & Kretschmer, 2011:5)

العلاقة بين أبعاد الجودة الشاملة والسيادة الإستراتيجية

من خلال البحوث والدراسات السابقة والتي اشارت الى وجود علاقة بين ابعاد الجودة الشاملة والمتمثلة (التزام الإدارة العليا والتركيز على العملاء والمشاركة الجماعية والتحسين المستمر) والسيادة الاستراتيجية والمتمثلة بأبعادها (مجال النفوذ، التكوين التنافسي، الضغط التنافسي) اذ تتجلى تلك العلاقة من خلال وضع اهداف للجودة عن طريق جميع الوظائف ولعدة مجالات وبالأخص تلك التي تكون مرتبطة بالتحسين المستمر وكذلك التي تكون مرتبطة بتوزيع المسؤوليات على أنشطة الجودة وتمكين العاملين من خلال ادارة تفويض الصلاحيات التي يحتاجونها لاداء مهماتهم بما يحقق اهداف الجودة الشاملة، مما سبق يتبين ان تحقيق ما ذكر انفا يؤدي الى تحقيق السيادة الاستراتيجية عن طريق صياغة استراتيجيات تنافسية تمكن المنظمة من تحديد مجال المنافسة والسيطرة عليها من خال وضع قواعد في البيئة التنافسية.

المبحث الثالث: الجانب التطبيقي للبحث:

١- الوصف الاحصائي والتوزيع الطبيعي لفقرات الجودة الشاملة

تتكون الجودة الشاملة من الابعاد (التزام الإدارة العليا والتركيز على العملاء والمشاركة الجماعية والتحسين المستمر) وكل بعد تضمن (٤) فقرات، وحسب الجدول (١) تبين ان الجودة الشاملة قد حصلت على وسط حسابي (٣.٥٩) بمستوى اهمية (٠.٧٢) وهو مقبول الى حد ما، كما ان عينة البحث لديها تحسين مستمر بنسبة (٠.٧٤) وان اعلى فقرة حصلت على مستوى اهمية هي فقرة (D3) والتي تضمنت (توفر الجامعة الموارد اللازمة للتحسين المستمر لأنشطتها). وفي المقابل كان اقل وسط حسابي هو الفقرة (A3) المتعلقة

بـ (تمتلك الجامعة رسالة محددة). أما بعد التركيز على العملاء قد حصل على الترتيب الثاني بمستوى أهمية (٠.٧٢) وكانت الفقرة الأعلى من حيث الترتيب هي كل من (B1) المرتبطة بـ (تحلل الجامعة حاجات ورغبات عملائها) ويأتي بعد المشاركة الجماعية ضمن الترتيب الثالث حيث كانت الفقرة (C4) قد حصلت على أقل وسط حسابي وهو (٣.٣٢٢) و التي كانت (تعتبر الجامعة العاملين وأعضاء هيئة التدريس عملاء داخليين يشاركون في وضع السياسات والاستراتيجيات) . ويأتي بعد التزام الإدارة العليا ضمن الترتيب الرابع حيث حصلت الفقرة (A2) على أقل وسط حسابي وهو (٣.١٥٥) حيث تضمنت (لدى الجامعة خطة استراتيجية تساهم جميع تشكيلاتها في وضعها) كما يلاحظ أن قيم التفلطح والالتواء كانت بين (+١.٩٦) وهذا يعني أن البيانات موزعة توزيعاً طبيعياً.

الجدول (١) الوصف الاحصائي والتوزيع الطبيعي لفقرات الجودة الشاملة

دور تطبيق أبعاد الجودة الشاملة في فاعلية السيادة الاستراتيجية

الفقرة	الوسط الحسابي	مستوى الأهمية	أقل قيمة	أعلى قيمة	الانحراف المعياري	التقلطح	الالتواء
التزام الإدارة العليا							
A1	3.522	0.70	1	4	0.670	0.882	-1.219-
A2	3.155	0.70	1	5	0.755	0.678	0.565
A3	3.444	0.69	2	5	0.754	0.911	0.921
A4	3.375	0.68	1	4	0.766	0.775	-0.422
	3.35	0.69			0.73		
التركيز على العملاء							
B1	3.150	0.69	1.00	4.00	0.769	1.682	-1.061
B2	3.777	0.76	2.00	5.00	0.711	0.207	-0.771
B3	3.656	0.74	1.00	4.00	0.759	1.341	-1.491
B4	3.722	0.72	1.00	4.00	0.766	0.959	-1.543
	3.57	0.72			0.75		
المشاركة الجماعية							
C1	4.222	0.79	1.00	5.00	0.779	0.016	-0.741
C2	3.555	0.73	1.00	5.00	0.778	1.145	-0.802
C3	3.666	0.65	1.00	4.00	0.887	1.247	-0.442
C4	3.322	0.70	1.00	4.00	0.699	0.723	-1.322
	3.69	0.71			0.78		
التحسين المستمر							

-1.222	1.322	0.600	5.00	1.00	0.75	3.700	D1
-1.442	0.497	0.688	5.00	2.00	0.72	3.711	D2
0.092	-0.570	0.644	5.00	2.00	0.77	3.788	D3
-1.333	0.718	0.844	4.00	2.00	0.70	3.878	D4
		0.70			0.74	3.76	
		0.74	الجودة الشاملة		0.72	3.59	

٢- الوصف الاحصائي والتوزيع الطبيعي لفقرات السيادة الاستراتيجية

تتكون السيادة الاستراتيجية من الابعاد (مجال النفوذ، التكوين التنافسي، الضغط التنافسي) ويتألف من (١٢) فقرة توزعت (٤) فقرة لكل بعد، وحسب الجدول (٢) يبين ان السيادة الاستراتيجية قد حصلت على وسط حسابي (٣.٦٠) بمستوى اهمية (٠.٧٣) وهو مقبول الى حد ما، كما ان عينة البحث لديها مستوى في مجال النفوذ بنسبة (٠.٧٥) وان اعلى فقرة حصلت على مستوى اهمية هي فقرة (E2) والتي كانت (تسعى الجامعة إلى الهيمنة على السوق قبل المنافسين) اما بعد الضغط التنافسي قد حصل على الترتيب الثاني بمستوى أهمية (٠.٧٧) وكانت الفقرة الأعلى من حيث الترتيب هي كل من (G3) المرتبطة بـ (تتفوق الجامعة في اعتماد القيمة المستدامة في تقديم الخدمات للتغلب على الضغط التنافسي). ويأتي بعد التكوين التنافسي ضمن الترتيب الثالث حيث كانت الفقرة (F3) قد حصلت على اقل وسط حسابي وهو (٣.٨٢٥) و التي كانت (أتمتع بالمهارة في النقاش والحوار وأمتلك الحجة والقدرة علي الاقناع) . ويأتي بعد المرونة ضمن الترتيب الرابع والأخير حيث حصلت الفقرة (F2) على اقل وسط حسابي وهو (٣.١٨٧) حيث تضمنت (تلتزم الجامعة بالاستباقية في بناء قدرات تنافسية جديدة). كما يلاحظ ان قيم التقلطح والالتواء كانت بين (+١.٩٦) وهذا يعني ان البيانات موزعة توزيعاً طبيعياً.

الجدول (٢) الوصف الاحصائي والتوزيع الطبيعي لفقرات السيادة الاستراتيجية

دور تطبيق أبعاد الجودة الشاملة في فاعلية السيادة الاستراتيجية

الفترة	الوسط الحسابي	مستوى الأهمية	أقل قيمة	أعلى قيمة	الانحراف المعياري	التقلطح	الالتواء
مجال النفوذ							
E1	3.٧62	0.75	2.00	5.00	0.600	0.310	-0.244-
E2	4.0٢٢	0.79	1.00	5.00	0.786	0.631	-0.687-
E3	3.٥٥٥	0.76	1.00	5.00	0.638	0.104	-0.846-
E4	4.587	0.71	2.00	5.00	0.699	0.376	-0.637
	3.98	0.75			0.68		
التكوين التنافسي							
F1	3.487	0.70	1.00	5.00	0.778	0.068	0.411
F2	3.187	0.79	2.00	5.00	0.355	0.345	-0.268
F3	3.562	0.69	2.00	4.00	0.677	-0.405-	-0.114
F4	3.425	0.71	1.00	5.00	0.787	0.751	0.842
	3.41	0.72			0.64		
الضغط تنافسي							
G1	3.770	0.70	1.00	4.00	0.565	0.602	-0.840-
G2	3.477	0.76	1.00	5.00	0.615	0.228	-0.627-
G3	3.112	0.77	1.00	5.00	0.655	0.579	-0.327-
G4	3.101	0.72	1.00	5.00	0.698	1.040	-0.385-
	3.36	0.74			0.63		
	3.60	0.73	السيادة الاستراتيجية		0.65		

ثانياً: التحليل العاملي التوكيدي ومعامل الثبات: يتم التأكد من مدى اجابات العينة بحيث تكون متناسقة و الذي يعتمد على التحليل العاملي التوكيدي, فضلا عن التعرف على مدى كفاية العينة واختيار العينة التي اجابة على فقرات الاستبانة, اذ تم استخدام برنامج (spss) الذي يوفر نسب التشبع التي تظهر مدى تناسق اجابات العينة لكل فقرة وان قبول او رفض تشبع الفقرة يعتمد على مستوى المعنوية اذ يتم قبول نسب التشبع اذا كانت مستوى المعنوية اقل من (٥٪) والعكس بالعكس, اما مدى ثبات البعد او المتغير اي تعطي الاستبانة نفس النتائج لو تم اعادة توزيع الاستبانة مرة اخرى في فترة زمنية محددة, يعتمد على معامل الفاكرونباخ واذا كانت اكبر من (٦٨٪) فان مقياس المتغير ثابت, والنتائج كالآتي:

١- التحليل العاملي لفقرات الجودة الشاملة: ان الجودة الشاملة متغير مستقل يتكون من الابعاد (التزام الإدارة العليا والتركيز على العملاء والمشاركة الجماعية والتحسين المستمر) ويتألف من (١٦) فقرة توزعت (٤) فقرة على كل بعد, وسيتم التعرف من خلال الجدول (٣) على مدى تناسق اجابات العينة على فقرات المقياس ومدى اختيار العينة المناسبة للإجابة على فقرات المقياس, اما ثبات المقياس يعرض الجدول (٤) نتائج معامل الفاكرونباخ لكل بعد ومتغير رئيسي, والنتائج كالآتي:

الجدول (٣) نسب التشبع لفقرات الجودة الشاملة

الفقرات	ابعاد الجودة الشاملة			
	التحسين المستمر	المشاركة الجماعية	التركيز على العملاء	التزام الإدارة العليا
A2	.870			
B4	.866	.131	.237	.221
B2	.731	.318		.208
D4	.694	.214	.489	.296
A1	.118	.833	.152	
C4	.481	.852	.144	

دور تطبيق أبعاد الجودة الشاملة في فاعلية السيادة الاستراتيجية

A4	.192	.811	-.119-	.268
C3	-.147-	.616	.620	-.102-
D2	.614	.628	-.361-	
D3			.866	
D1		.172	.842	.113
C1	.248	-.110-	.822	.317
B3	-.177-		-.676-	.589
B1	.389	-.100-		.888
C2	.293	.160	.215	.695
A3	-.399-	.351	.475	.509

الجدول (٤) معامل الفاكرونباخ لأبعاد الجودة الشاملة

الفقرات	معامل الفا كرونباخ لأبعاد الجودة الشاملة
A1	0.830
A2	0.832
A3	0.840
A4	0.830
B1	0.855
B2	0.812
B3	0.844
B4	0.822
C1	0.8٣1

C2	0.840
C3	0.840
C4	0.818
D1	0.829
D2	0.845
D3	0.842
D4	0.811
E1	0.832
E2	0.842
E3	0.818
E4	0.810

يظهر من الجدول (١) ان جميع ابعاد الجودة الشاملة حققت نسب تشبع مقبولة وهذا يعني ان هناك تناسق في اجابات العينة والاختيار المناسب للعينة، اما شكل (٢) فقد اظهر ان ابعاد الجودة الشاملة قد حققت معامل الفاكرونباخ أكبر من (٦٨٪) وهذا يعني ان ابعاد الجودة الشاملة امتازت بالثبات.

٢. التحليل العاملي لفقرات السيادة الاستراتيجية: ان السيادة الاستراتيجية متغير تابع تكون من ثلاثة ابعاد وهي (مجال النفوذ ، التكوين التنافسي، الضغط التنافسي) ويتألف من (١٢) فقرة توزعت (٤) فقرات على كل بعد، وسيتم التعرف من خلال الجدول (٥) على مدى تناسق اجابات العينة على فقرات المقياس ومدى اختيار العينة المناسبة للإجابة على فقرات المقياس، وستقارن نسب التشبع المتوفرة مع مستوى المعنوية المتحققة لكل فقرة، اما ثبات المقياس يعرض الجدول (٦) نتائج معامل الفاكرونباخ لكل بعد ومتغير رئيس، والنتائج كالآتي:

دور تطبيق أبعاد الجودة الشاملة في فاعلية السيادة الاستراتيجية

الفقرات	ابعاد السيادة الاستراتيجية		
	الضغط التنافسي	التكوين التنافسي	مجال النفوذ
E٢	-0.311	.4١0	-0.0٢9
E3	-0.118	.12٢	-0.0٦8
E4	-0.110	-0.2٣0	.0٥4
E1	-0.082	.0١5	-0.1٤0
F1	.563	-0.0٤2	.5٤3
F2	.865	-0.107	-0.1١9
F3	.330	.821	-0.0٨5
F4	.587	.183	.4٢8
G٤	-0.241	.1٢3	-0.3١7
G2	.254	-0.560	-0.242
G3	.479	-0.178	-0.516
G١	.٤96	-0.0٢2	-0.211

جدول (٥) نسب التشبع لفقرات السيادة الاستراتيجية

الفقرات	معامل الفا كرو نباخ لأبعاد السيادة الاستراتيجية
E1	.892
E2	.858
E3	.841
E4	.811
F1	.817

F2	.816
F3	.814
F4	.806
G1	.805
G2	.804
G3	.811
G4	.801

الجدول (٦) معامل الفاكرونباخ لأبعاد السيادة الاستراتيجية

يظهر من الجدول (٤) ان جميع فقرات ابعاد السيادة الاستراتيجية حققت نسب تشبع مقبولة استناداً الى مستوى المعنوية المتحققة اقل من (٥٪) وهذا يعني ان هناك تناسق في اجابات العينة والاختيار المناسب للعينة، اما شكل (٢) فقد اظهر ان ابعاد السيادة الاستراتيجية قد حققت معامل الفاكرونباخ أكبر من (٦٨٪) وهذا يعني ان ابعاد السيادة الاستراتيجية امتازت بالثبات.

ثالثاً: اختبار علاقات التأثير لأبعاد ومتغيرات البحث: تهتم هذه الفقرة باختبار علاقات التأثير بين ابعاد ومتغيرات البحث، اذ يتم اختبار علاقات التأثير لأبعاد الجودة الشاملة في السيادة الاستراتيجية، ابان السيادة الاستراتيجية هو دالة حقيقية للجودة الشاملة، وان اي تغيير في الجودة الشاملة سيؤدي الى زيادة في السيادة الاستراتيجية، وسيتم استخدام برنامج (SPSS) في اختبار علاقات التأثير ضمن اسلوب الانحدار البسيط بين المتغيرات الرئيسية والانحدار المتعدد بين الابعاد الفرعية، في البدء سيتم التأكد من جودة النموذج الذي يقيسه معامل التحديد (R^2) واختبار قيمتها ب(F) المحسوبة، اما الجزء الاخر سيتم اختبار علاقات الارتباط والتي تختبر معنويتها ب(T) المحسوبة، اما الجزء الثالث فهو يحدد ميل الانحدار واختبار معنويتها ب(Sig.) مستوى المعنوية اذا كان مستوى المعنوية اقل من (٥٪) تقبل الفرضية والعكس بالعكس، ونتائج الاختبار كالآتي:

١. الفرضية الرئيسية: افادت الفرضية الرئيسية بوجود علاقة تأثير ذات دلالة معنوية موجبة لأبعاد الجودة الشاملة في السيادة الاستراتيجية، وهذا يعني ان السيادة الاستراتيجية هي دالة للجودة الشاملة وان اي تغيير في ابعاد الجودة الشاملة سيؤدي الى تغير في السيادة الاستراتيجية، ونتائج الاختبار يظهرها الجدول (٧) وهي كالآتي:

الجدول (٧) معامل علاقات التأثير لأبعاد الجودة الشاملة في السيادة الاستراتيجية

السيادة الاستراتيجية						المؤشرات المستقلة
مستوى المعنوية	اختبار (f) المحسوبة	اختبار (t) المحسوبة	معامل التأثير	معامل التحديد	الارتباط	
Sig.			Beta	R ²	R	
٠.٠٠٠٠	١٣٣.٢٧	١٣.٢٢١	٠.٧٠	٠.٥٢	٠.٧٠	الجودة الشاملة

يلاحظ من جدول (٧) ان هناك علاقة ارتباط بين ابعاد الجودة الشاملة والسيادة الاستراتيجية بنسبة (٠.٧٠) وهي ايجابية ومعنوية لان مستوى المعنوية المتحققة (٠.٠٠٠٠) التي هي اقل من مستوى المعنوية التي افترضها الباحث. كما ان الجودة الشاملة تفسر نسبة (٠.٥٢) من التباين الحاصل في السيادة الاستراتيجية وهي معنوية استنادا الى (f) المحسوبة التي هي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (٤.٠٠). اما معامل التأثير فقد بلغ (٠.٧٠) وهذا يعني هناك علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لأبعاد الجودة الشاملة في السيادة الاستراتيجية وان مقدار التأثير مقبول استنادا الى قيمة (t) المحسوبة التي بلغت (١٣.٢٢١) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (١.٩٦)، وعلى اساس هذه النتائج تقبل الفرضية الرئيسية على مستوى هذا البحث.

٢. الفرضيات الفرعية: افادت الفرضيات الفرعية بوجود علاقة تأثير ذات دلالة معنوية موجبة لأبعاد الجودة الشاملة المتمثلة ب (التزام الإدارة العليا والتركيز على العملاء والمشاركة الجماعية والتحسين المستمر) في فاعلية السيادة الاستراتيجية، وهذا يعني ان السيادة الاستراتيجية هي دالة لأبعاد الجودة الشاملة وان اي تغيير

في ابعاد الجودة الشاملة سيؤدي الى تغير في السيادة الاستراتيجية، ونتائج الاختبار يظهرها الجدول (٨) وهي كالآتي:

الجدول (٨) معامل علاقات التأثير لأبعاد الجودة الشاملة في السيادة الاستراتيجية

السيادة الاستراتيجية						المؤشرات المستقلة
مستوى المعنوية	اختبار (f) المحسوبة	اختبار (t) المحسوبة	معامل التأثير	معامل التحديد	الارتباط	
Sig.			Beta	R2	R	
٠.٠٠٠٠	٧٧.٢١٢	٤.٢٢٢	٠.٦٠	٠.٦٥	٠.٦٦	التزام الإدارة العليا
٠.٠٠٠٠		٣.١١١	٠.٥٥		٠.٦٨	التركيز على العملاء
٠.٠٠٠٠		٧.١٩٣	٠.٦٨		٠.٧٠	المشاركة الجماعية
٠.٠٠٠٠		٥.٣٢٣	٠.٦١		٠.٦٩	التحسين المستمر

يلاحظ من جدول (٤) ان هناك علاقة ارتباط بين التزام الإدارة العليا والسيادة الاستراتيجية بنسبة (٠.٦٦) وهي ايجابية ومعنوية لان مستوى المعنوية المتحققة (٠.٠٠٠٠) التي هي اقل من مستوى المعنوية التي افترضها الباحث. وكذلك وجود علاقة ارتباط بين التركيز على العملاء والسيادة الاستراتيجية بنسبة (٠.٦٨) لان مستوى المعنوية المتحققة (٠.٠٠٠٠) التي هي اقل من مستوى المعنوية التي افترضها الباحث. كما ان هناك علاقة ارتباط بين المشاركة الجماعية والسيادة الاستراتيجية بنسبة (٠.٧٠) وهي ايجابية ومعنوية لان مستوى المعنوية المتحققة (٠.٠٠٠٠) التي هي اقل من مستوى المعنوية التي افترضها الباحث. كما ان هناك علاقة ارتباط بين التحسين المستمر والسيادة الاستراتيجية بنسبة (٠.٦٩) وهي ايجابية ومعنوية لان مستوى المعنوية المتحققة (٠.٠٠٠٠) التي هي اقل من مستوى المعنوية التي افترضها الباحث.

اما معامل التأثير للالتزام الإدارة العليا في السيادة الاستراتيجية فقد بلغ (٠.٦٠) وهذا يعني هناك علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للالتزام الإدارة العليا في السيادة الاستراتيجية وان مقدار التأثير مقبول استنادا الى قيمة (t) المحسوبة التي بلغت (٤.٢٢٢) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (١.٩٦)، وعلى اساس هذه النتائج تقبل الفرضية على مستوى هذا البحث. اما معامل التأثير للتركيز على العملاء في السيادة الاستراتيجية فقد بلغ (٠.٥٥) وهذا يعني وجود علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للتركيز على العملاء في السيادة الاستراتيجية وان مقدار التأثير مقبول استنادا الى قيمة (t) المحسوبة التي بلغت (٣.١١١) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (١.٩٦) ، وعلى اساس هذه النتائج تقبل هذه الفرضية على مستوى هذا البحث. اما معامل التأثير للمشاركة الجماعية في السيادة الاستراتيجية فقد بلغ (٠.٦٨) وهذا يعني هناك علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للمشاركة الجماعية في السيادة الاستراتيجية وان مقدار التأثير مقبول استنادا الى قيمة (t) المحسوبة التي بلغت (٧.١٩٣) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (١.٩٦) وعلى اساس هذه النتائج تقبل هذه الفرضية على مستوى هذا البحث. اما معامل التأثير للتحسين المستمر في السيادة الاستراتيجية فقد بلغ (٠.٦١) وهذا يعني هناك علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للتحسين المستمر في السيادة الاستراتيجية وان مقدار التأثير مقبول استنادا الى قيمة (t) المحسوبة التي بلغت (٥.٣٢٣) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (١.٩٦)، وعلى اساس هذه النتائج تقبل هذه الفرضية على مستوى هذا البحث.

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات:

اولاً: - الاستنتاجات:

- ١- كشفت نتائج البحث ان هناك علاقة ارتباط وعلاقة أثر موجبة بين متغيرات البحث وهذا يشير الى اهتمام جامعة الكوفة بأبعاد الجودة الشاملة والذي بدوره يعزز من فاعلية السيادة الاستراتيجية فيها.
- ٢- أظهرت النتائج ان عينة البحث لديها مشاركة جماعية وذلك من خلال تشكيل فرق عمل متخصصة من أعضاء الهيئة التدريسية تعمل بروح الفريق الواحد.

٣- أظهرت النتائج ان بعد التحسين المستمر كان له دور في فاعلية السيادة الاستراتيجية حيث يتضح من خلال ذلك تتبع الجامعة منهج التحسين المستمر في مدخلاتها التعليمية وعملياتها بما يتوافق واحتياجات البيئة المحيطة.

٤- تبين من خلال التحليل الاحصائي ان عينة البحث لديها مستوى من التركيز على العملاء بصورة مقبولة وهو ما يشير الى قيام الجامعة بتحليل حاجات ورغبات عملائها.

٥- تبين من خلال التحليل الاحصائي ان عينة البحث لديها مستوى من الالتزام بالإدارة العليا ولكن ليس بالمستوى المطلوب وهو ما يشير الى انه يجب الاهتمام بالأهداف الاستراتيجية ورسالة الجامعة. ثانياً: - التوصيات:

١- قيام الجامعة بنشر ثقافة الجودة الشاملة في كل تشكيلاتها واقسامها وشعبها وبما يتماشى مع مفاهيم واهداف السيادة الاستراتيجية .

٢- ضرورة قيام الجامعة على تشجيع العاملين على تقديم المقترحات بمستوى علمي أفضل وذلك من اجل تطبيق ابعاد الجودة الشاملة والتركيز على رفع مستوى أداء أفضل داخل الجامعة

٣- يجب على الجامعة الاهتمام بأهدافها الاستراتيجية والتأكيد على تطبيق خططها الاستراتيجية وبما يتلائم مع رسالتها ورؤيتها.

٤- تبني مبدأ إعطاء فرص المشاركة في اتخاذ القرارات الادارية والاكاديمية في جامعة الكوفة .

٥- ضرورة التدريب والتحسين المستمر لجميع العاملين بالجامعة محل الدراسة وتقدير جهود وتثمين الأفكار الابداعية والمبتكرة.

المراجع:

أولاً: - المراجع العربية

١- خليفة الصويغي، النزال المغربي، & صباح. (٢٠٢٢). أثر ممارسة أبعاد إدارة الجودة الشاملة في تحقيق التنمية المستدامة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب والعلوم المرج جامعة بنغازي. مجلة آفاق الاقتصادية العدد: ٨ ، المجلد ١٥.

ثانياً: - المراجع الانكليزية

- 1-Mohammed, D. T., & Mohammed, N. J. (2021). The relationship between Ambidextrous Leadership Behaviors and strategic supremacy Research analysis in the Ministry of Construction, Housing, Municipalities and Public Works. Turkish Journal of Computer and Mathematics Education (TURCOMAT), 12(12), 4743-4752.
- 2-Hasan,H.Q., & Al-Sheikl, A.I.(2020). STRATEGIC SUCCESS IN THE INTERACTIVE RELATIONSHIP BETWEEN LOCAL POLITICS AND STRATEGIC SUPREMACY CASE STUDY IN DHI QAR GOVERNORATE. International Journal of Research in Social Sciences and Humanities, 2454-4671.
- 3- Mohammed, D. T. (2021). The relationship between Alertness entrepreneurial and strategic supremacy. Turkish Journal of Computer and Mathematics Education (TURCOMAT), 12(13), 2541-2555.
- 4-KHATIB, O., & ALSHAWABKEH, K. (2022). Digital Transformation and Its Impact on Strategic Supremacy Mediating Role of Digital HRM: an Evidence From Palestine.
- 5-Chen, J., Chen, Y., & Vanhaverbeke, W. (2011). The influence of scope, depth, and orientation of external technology sources on the innovative performance of Chinese firms. Technovation, 31(8), 362-373.
- 6-Al-Zu'bi, H. (2017). Diagnosis of perception strategic planning to Ensure strategic supremacy. International Business Management, 11(6), 1240-1245.

- 7-Zucchini, L., & Kretschmer, T. (2011). Competitive pressure: Competitive dynamics as reactions to multiple rivals. Available at SSRN 1919509.
- 8-Zulfirman, A. H. S. (2022). The Effect of Total Quality Management Implementation on Quality Performance through Knowledge Management and Quality Culture as Mediating Variable at PT XYZ.
- 9-Mesfin, S. (2022). Influence of Total Quality Management on the Performance of Brewery Company in Gondar, North Ethiopia. *European Online Journal of Natural and Social Sciences*, 11(1), pp-37.
- 10-Marpaung, S. R. N., Hizazi, A., & Wiralestari, W. (2022). Pengaruh total quality management terhadap kinerja manajerial dengan sistem pengukuran kinerja dan sistem penghargaan (reward) sebagai variabel intervening (studi empiris pada perusahaan BUMN di Kota Jambi). *Jurnal Paradigma Ekonomika*, 17(1), 137-148.
- 11-Alshourah, S. (2021). Total quality management practices and their effects on the quality performance of Jordanian private hospitals. *Management Science Letters*, 11(1), 67-76.
- 12-Habib, M. M., Cano, M., Viza, E., Bakhshi, A., & Paisley, U. K. (2022). Potential Effectiveness of Quality Tools and Techniques to Introduce Total Quality Management (TQM) in Ready Made Garment (RMG) Manufacturing Industries in Bangladesh.
- 13-Neo, S. T., Mikobi, B. E., & Mushavhanamadi, K.(2022). The Impact of Adopting Total Quality Management Practices on South African SME's Performance.
- ١٤- van Assen, M. F. (2021). Training, employee involvement and continuous improvement—the moderating effect of a common improvement method. *Production Planning & Control*, 32(2), 132-144.

15-Polong, N. S., & Kimutai, G. (2022). Leadership and customer focus on sustainability of small holder dairy farming projects in Kajiado County, Kenya. International Academic Journal of Human Resource and Business Administration, 3(10), 329-345.

16-Faraj, K. M., Faeq, D. K., Abdulla, D. F., Ali, B. J., & Sadq, Z. M. (2021). Total Quality Management And Hotel Employee Creative Performance: The Mediation Role Of Job Embeddedment. Faraj, KM, Faeq, DK, Abdulla, DF, Ali, BJ, & Sadq, ZM (2021). Total Quality Management And Hotel Employee Creative Performance: The Mediation Role Of Job Embeddedment. Journal of Contemporary Issues in Business and Government, 27(1), 3838-3855.

بسمه تعالى

استمارة الاستبانة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نضع بين أيديكم الكريمة هذا الاستبيان عن انجاز البحث الموسوم (دور تطبيق ابعاد الجودة الشاملة في فاعلية السيادة الاستراتيجية / دراسة تحليلية لآراء عينة من القيادات الجامعية في جامعة الكوفة)) ، آملمين تعاونكم معنا وابداء الراي الصريح والصحيح ، فالإجابة الصريحة والدقيقة على فقرات هذه الاستبانة لها بالغ الاهمية في التوصل الى نتائج دقيقة وموضوعية ومعبرة عن واقع ما تحتويه الدراسة وكلنا ثقة في تعاونكم معنا ، علماً ان نتائج الاجابات ستظهر بهيئة مجاميع احصائية لا علاقة لها بكم شخصياً ، كما نامل منكم الاجابة عن جميع فقرات الاستبانة خدمة لسير البحث العلمي في بلدنا العزيز. مع خالص شكرنا وتقديرنا لكم.

الجزء الاول: معلومات عامة

١- العمر ٢٥-٣٥ ٣٥-٤٥ ٤٥-٥٠ ٥٠-٥١ فما فوق

انتی

وراه

سنة

سنة فأكثر

أ-التزام الإدارة العليا

العدد ٦٩ ج ٢ حزيران ٢٠٢٣

ب- التركيز على العملاء

ت	الفقرات	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	تحرص القيادة الجامعية على وضع رؤية واضحة للجامعة					
٢	لدى الجامعة خطة استراتيجية تساهم جميع تشكيلاتها في وضعها					
٣	تمتلك الجامعة رسالة محددة					
٤	تضع الجامعة أهدافها الاستراتيجية وفقاً لحاجات ورغبات عملائها.					

ويقصد بالتركيز على العملاء من خلال التأكيد على رضا العملاء ووضعهم الشرط أولاً في كل قرار تتخذه الشركة. إذ أن رضا العملاء هو مفتاح تنفيذ الجودة الشاملة.

ت	الفقرات	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	تحلل الجامعة حاجات ورغبات عملائها .					
٢	تعمل الجامعة على تلبية حاجات ورغبات عملاءها					
٣	تضع الجامعة بكافة مستوياتها مصلحة العملاء أولاً .					

دور تطبيق أبعاد الجودة الشاملة في فاعلية السيادة الاستراتيجية

ت	الفقرات	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
٤	تحرص الجامعة على تقديم خدماتها للعملاء بما يتجاوز توقعاتهم					
١	تشجع الجامعة أعضاء هيئة التدريس العاملين على العمل بروح الفريق الواحد .					
٢	تحرص الجامعة على تشكيل فرق عمل متخصصة من أعضاء الهيئة التدريسية على العمل بروح الفريق الواحد.					
٣	تشجع الجامعة العاملين فيها على الاشتراك في معالجة بعض المشكلات الاجتماعية .					
٤	تعتبر الجامعة العاملين وأعضاء هيئة التدريس عملاء داخليين يشاركون في وضع السياسات والاستراتيجيات .					

ج- المشاركة الجماعية يرتبط نجاح الجودة الشاملة بالمشاركة الفاعلة من قبل أعضاء المنظمة، لان مشاركة أعضاء المنظمة تمكنهم من وضع خطط أفضل، وتحسن من مستوى الجودة بشكل متواصل من خلال كفاءة صنع القرار والتي تتم من خلال مشاركة العقول المميزة والمفكرة.

د- التحسين المستمر

هو الهدف الرئيسي لإدارة الجودة الشاملة و يمكن تحقيقه من خلال التدريب والعمل الجماعي، وأن الدراسات الحديثة التي تؤكد على التحسين المستمر من أجل ضمان تنفيذ إدارة الجودة الشاملة، من خلال قياس رضا العملاء .

ت	الفقرات	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	تهتم الجامعة بالتحسينات المستمرة لبرامجها وانشطتها المختلفة .					
٢	تتبع الجامعة منهج التحسين المستمر في مدخلاتها التعليمية وعملياتها بما يتوافق مع احتياجات البيئة المحيطة					
٣	توفر الجامعة الموارد اللازمة للتحسين المستمر لانشطتها					
٤	تحرص الجامعة على ان يشمل التحسين المستمر كافة انشطتها .					

ثانياً -السيادة الاستراتيجية: عملية تخطيط وتنظيم وتنسيق ومراقبة العمل الذي يتعين القيام به من أجل إيصال المنظمة إلى الموقع المطلوب، ويمكن تسمية السيادة الاستراتيجية بخريطة طريق للمستقبل، وكذلك إنها القدرة على تغيير قواعد اللعبة والتحكم في اتخاذ القرار (Khatib & ALSHAWABKEH,2022:203) وتتضمن الأبعاد التالية:

أ-مجال النفوذ

هي قلب السيادة الاستراتيجي وهي المحفظة الجغرافية لخدمات المنظمات العامة وتركز على المجال الذي ينتمي إليها والمجال الرئيسي الذي تمتلكه وهو المجتمع المحلي موقع البحث ويمكن تفسير ذلك من خلال

معرفة توقعات البيئة المحلية والضغط التنافسية عندما يتعلق الأمر بالجودة والأداء والجمع بين هذين المعيارين.

ب- التكوين التنافسي هو تخطيط للضغط التنافسي بين منطمتين بهدف الضغط بين جميع المتنافسين الرئيسيين في الصناعة لمعرفة من هم المتنافسون الذين يشغلون مناصب أكثر قوة و يمكن أن يقوم بتشخيص أقوى المتنافسين في الصناعة من خلال التكوينات التنافسية للشركات والتي تتم من خلال تحليل المنافسين حيث أن بيئة المنافسة هي الجزء الأخير من البيئة الخارجية التي تتطلب البحث، وتركز على تحليل المنافسين لكل مؤسسة تتنافس مع منظمة أخرى بشكل مباشر .

ت	الفقرات	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	تحافظ الجامعة على مكانتها العلمية عند طرح خدماتها المقدمة لتحقيق التكامل الاستراتيجي					
٢	تسعى الجامعة إلى الهيمنة على السوق قبل المنافسين					
٣	تتبنى الجامعة استراتيجية خاصة لكل منطقة نفوذ جغرافية.					
٤	تمتلك الجامعة منطقة نفوذ متماسكة في المجال الذي تعمل فيه.					

دور تطبيق أبعاد الجودة الشاملة في فاعلية السيادة الاستراتيجية

ت	الفقرات	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	تطور الجامعة استراتيجيات ابتكارية للحفاظ على مكانتها في البيئة التنافسية					
٢	تسعى الجامعة لبناء حواجز يصعب على المنافسين تجاوزها					
٣	تتفوق الجامعة في اعتماد القيمة المستدامة في تقديم الخدمات للتغلب على الضغط التنافسي.					
٤	تعرف الجامعة نوع الضغط التنافسي الموجود في منطقة النفوذ وتعمل على مواجهته					

ج- الضغط التنافسي

يجب ان تدرك المنظمات مجموع جميع الإجراءات المتنافسة في السوق بشكل مشترك نظرًا لأن كل منظمة تلاحظ أن تصرفات منافسيها تتراكم منذ آخر تحرك تنافسي لها، لذا فإنها تواجه تهديدًا متزايدًا بأن تجد نفسها في وضع غير مؤاتٍ تنافسيًا، وبالتالي يكون لديها دافع متزايد للرد.

دور تطبيق أبعاد الجودة الشاملة في فاعلية السيادة الاستراتيجية

ت	الفقرات	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	تتميز الجامعة في قدرتها على تغيير قواعد اللعبة التنافسية باستمرار .					
٢	تلتزم الجامعة بالاستباقية في بناء قدرات تنافسية جديدة.					
٣	تدرس الجامعة بناء مثلث من القوى المهيمنة على منافسيها الخاصين في المجال التنافسي					
٤	تحاول الجامعة تحقيق التوازن في منطقة النفوذ والبناء التنافسي لتبقى القوة المهيمنة في قطاع التعليم					

أثر كفاءة مراقب الحسابات على ممارسة التدقيق السحابي

دراسة استطلاعية لعينة من الأكاديميين والمهنيين في اختصاص المحاسبة والتدقيق

م. أحمد حسين مجي

كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

م.د. تيسير جواد كاظم

المديرية العامة للتربية/ النجف الأشرف

المقدمة:

توفر الحوسبة السحابية إمكانية تحقيق فائدة اقتصادية كبيرة للشركات والحكومات ، ولكنها في نفس الوقت تزيد من التعقيد والمخاطر. مما يضع مخاطر متزايدة كبيرة على الأعمال والحكومة على حد سواء. كما ويعتبر التعامل مع كميات كبيرة من البيانات تحديًا لمهنة التدقيق وكذلك لمهنة المحاسبة في العراق توفر Cloud Accounting لمستخدميها العديد من الخدمات السحابية ، بما في ذلك تخزين البيانات العالية عبر السحابة دون الحاجة إلى شراء أجهزة كمبيوتر وتخزين عالية التكلفة الأجهزة. بالإضافة إلى ذلك ، تساعد هذه التطبيقات في تقليل تكلفة البرامج الجاهزة والتحديث المستمر للبرامج سنويًا. ونتيجة لحجم البيانات الضخمة وزيادة الطلب على التقارير المالية في نهاية السنة المالية ، الأمر الذي يتطلب قدرات عقلية مهنية وأكاديمية لمراقبي الحسابات وادواتهم بشكل يتناسب مع التطور التكنولوجي المعاصر. إذ لابد من فهم لمراقبي الحسابات في استخدام الحوسبة السحابية والخدمات التي تقدمها موفري السحابة والمخاطر التي تتعرض لها .

المطلب الأول: منهجية البحث:

١ - ١ مشكلة البحث:

يعد موضوع التدقيق السحابي من الموضوعات المستجدة في مهنة التدقيق وذلك عن طريق اعتماده لتقنية الحوسبة السحابية التي بدأ تطبيقها الفعلي في مطلع الألفية الجديدة ، إذ أحدث مفهوم الحوسبة السحابية

نقلة نوعية في الأفكار والتطبيقات ذات الصلة بخدمات تكنولوجيا المعلومات وخصوصاً المرتبطة بحلول البنية التحتية التي تعتمد عليها الوحدات الاقتصادية في عملية ادارة أنشطتها المستمرة وبالنتيجة وجدت هذه الوحدات ضالتها في هذه المنظومة الحديثة وتوقعت دراسات حديثة ان توفر منظومة الحوسبة السحابية إيرادات طائلة للوحدات الاقتصادية تزيد على ما يربو على (٢ تريليون) بحلول عام ٢٠١٩ , وبالتالي أصبح لابد أن يكون هنالك مسار تدقيقي مناسب ينتهجه مراقب الحسابات لمواكبة هذا الأسلوب المتقدم في عمليات التدقيق , وعليه أصبح من الضروري على مراقب الحسابات في العراق من ممارسة التقنيات الحديثة والمعاصرة والاطلاع على آخر المستجدات في مهنة التدقيق كالتدقيق السحابي وما سيعكسه هذا الامر من تطور وارتقاء بالمهنة, وهذا ما اكدت عليه معظم الهيئات المهنية التدقيقية العراقية ذات الصلة .

وعلى هذا الاساس يمكن صياغة المشكلة في التساؤل البحثي الآتي :-

ما مدى قدرة وكفاءة مراقب الحسابات على ممارسة هذا النوع من التدقيق والمعروف بالتدقيق السحابي ؟
١ - ٢ أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في حدوثه في بيئة المحاسبة والتدقيق العراقية فضلاً عن أهمية متغيراته المتمثلة بقدرات مراقب الحسابات وقابلياته في ممارسة التدقيق السحابي وانعكاسه على تطور المهنة في العراق . وكذلك في انه يتطرق الى أحد أنواع التدقيق الالكترونية الحديثة , ومدى قدرة وكفاءة مراقب الحسابات العراقي على ممارسة هذا النوع من التدقيق . كما ان البحث يمثل اضافة علمية تضاف الى الدراسات الحديثة القليلة في هذا الشأن على مستوى العراق .

١ - ٣ اهداف البحث :

يتضمن البحث مجموعة من الاهداف الآتية :

١. ان الهدف الرئيسي للبحث يتمثل في التعرف على مدى قدرة وكفاءة مراقب الحسابات على ممارسة التدقيق السحابي .

٢. بيان مفهوم التدقيق السحابي وأهميته وتطوره ومدى ممارسة هذا النوع الحديث من التدقيق في البيئة العراقية

٣. رفد المكتبة العراقية والعربية بدراسة حديثة تتناول أحد الموضوعات المستجدة في مهنة التدقيق في ظل التطورات التكنولوجية الرقمية المتسارعة .

١ - ٤ فرضيات البحث :

يستند البحث على فرضيتين رئيسيتين مفادهما الآتي :

١. لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين كفاءة مراقب الحسابات وممارسة التدقيق السحابي .

٢. لا يوجد أثر ذا دلالة إحصائية لكفاءة مراقب الحسابات في ممارسة التدقيق السحابي .

١ - ٥ أسلوب جمع بيانات البحث :

١. المصادر الأجنبية والعربية الحديثة من كتب وبحوث ومقالات ورسائل وأطاريح ذات الصلة بموضوع البحث وذلك للاطلاع على الأدبيات السابقة وكذلك لرصد الجانب النظري للبحث , ولإفادة منها أيضا في صياغة بعض أسئلة الاستبانة .

٢. بالنسبة للجانب العملي للبحث , سيجري عمل استبانة مُحكمة بمحاور البحث وتوزيعها على عينة البحث وجمع البيانات المطلوبة من خلالها واخضاع هذه البيانات للتحليل العلمي الإحصائي واستخراج النتائج . وكذلك إجراء عدد من المقابلات الشخصية مع بعض أفراد العينة المبحوثة للحصول على بعض المعلومات المهمة التي تفيد في تحقيق أهداف البحث .

المطلب الثاني: كفاءة مراقب الحسابات (مدخل مفاهيمي):

كان لظهور الثورة الصناعية أثر كبير على تطور مهنة التدقيق عن طريق ظهور الشركات المساهمة وانفصال الملكية عن الإدارة وبالنتيجة لم يعد للمالكين القدرة على إدارة الوحدة الاقتصادية ومراقبتها , ومنه أصبح من الضروري وجود طرف ثالث آخر محايد كواسطة بينه وبين الوحدة الاقتصادية , يطلع عن طريقها المتعاملين على حالة الوحدة الاقتصادية , وفي نفس الوقت يقدم النصح للإدارة لغرض تصحيح

الأخطاء التي ربما تحدث ، وهذا يجري عن طريق ممارسة مسار عمليات التدقيق والذي يقوم به عادةً مراقب الحسابات في الوحدة الاقتصادية المعنية وذلك على وفق الاعتماد على وسائل وإجراءات محددة .

٣ - ١ مفهوم مراقب الحسابات: إن المدقق الخارجي أو مراقب الحسابات هو الشخص المهني الذي يزاول أعمال التدقيق ومراقبة الحسابات ويحمل شهادة سارية المفعول لممارسة مهنته على وفق مجموعة من المعايير والإجراءات ، وذلك لأبداء الرأي الفني المتخصص في المعلومات التي يقوم بعملية تدقيقها ومن ثم إضفاء الموثوقية عليها . ويتطلب في الشخص الذي يمارس مهنة مراقبة الحسابات أن تتوفر فيه معايير التدقيق العامة المعروفة عالمياً والمقبولة قبولاً عاماً والمتمثلة بالمجموعات الآتية (الجوهر ، ٢٠١٧ : ٣٥ - ٣٦) :

أولاً : معايير التدقيق العامة .

ثانياً : معايير العمل الميداني .

ثالثاً : معايير التقرير .

٣- ٢ مفهوم كفاءة مراقب الحسابات : إن مفهوم الكفاءة ظهر في الفكر الاقتصادي للدلالة على استخدام أقل قدر ممكن من المدخلات لإنتاج أكبر قدر ممكن من المخرجات وبأفضل جودة ممكنة ، ويمكن تعريف الكفاءة Efficiency بأنها تحقيق أقصى منفعة (أو مخرجات) ممكنة من الطريقة أو الأسلوب (أو الموارد المتاحة) أو أن أقل مستوى من الموارد قد جرى استخدامه لتحقيق مستوى محدد من المخرجات وتشير أدبيات مهنة التدقيق الخارجي بأن الكفاءة تعني مدى قدرة مراقب الحسابات على تخفيض التكاليف وهذا ما يتفق عليه مراقبي الحسابات بأن كفاءتهم تعني انجاز مهمة التدقيق في أقل وقت ممكن (مصطفى ، ٢٠٠١ : ١٧٩) .

ومما تقدم يمكن القول ان كفاءة مراقب الحسابات تشير إلى قدرته على تدنية زمن ، جهد ، وتكاليف تنفيذ إجراءات مهمة التدقيق ، فالكفاءة تتعلق بإجراءات التدقيق المستمرة ومن ثم اختيار الإجراء المناسب لأداء مهمة التدقيق بكفاءة كبيرة .

٣-٣ المؤهلات العامة لمراقب الحسابات: تتطلب كفاءة مراقب الحسابات أن يتوافر في مراقب الحسابات مجموعة من المؤهلات العامة تسهم في رفع كفاءته في إنجاز مهمة التدقيق بكفاءة منقطعة النظير، ويمكن أن يوجز الباحثان أهم الصفات الجوهرية والمؤهلات الفنية والتي ينبغي أن يتحلى بها مراقب الحسابات لتدعيم كفاءته المهنية (عثمان ، ١٩٩٩ : ٢٦) :

أولاً: أن يكون على علم تام بالأصول العلمية والتطبيقات العملية والمعايير الدولية لحقل المحاسبة المعرفي وأن يكون حريصاً على تتبع الاتجاهات المعاصرة في حقل الاختصاص وأن يكون على معرفة بطبيعة وأساس كل الأحداث المالية المسجلة في سجلات الوحدة الاقتصادية .

ثانياً : ينبغي أن يكون مستوعباً لأصول مهنة التدقيق ومبادئها العلمية ومعاييرها الدولية ومشكلاتها العملية ومواظباً على مواكبة أهم المستجدات الحديثة في التدقيق .

ثالثاً : ضرورة الإلمام المناسب بأحكام القوانين والتشريعات ذات الصلة بعمله التدقيقي كالقانون التجاري ، قانون الشركات ، والتشريعات الضريبية وغيرها .

رابعاً : أهمية الإلمام الكافي بمحاسبة التكاليف ومقدرته على الاستفادة من أسسها العلمية وتطبيقاتها العملية المرتبطة في أعمال التدقيق فضلاً عن المامه بعملية إعداد الموازنات التخطيطية وأن يكون لديه معرفة معقولة في مبادئ إدارة الأعمال والأسواق المالية وأسس وضع أنظمة الرقابة الداخلية وإدارة مخاطر الوحدة الاقتصادية .

خامساً : أن يكون متمكناً من لغته وقادراً على التحدث والمناقشة بشكل مناسب والكتابة بأسلوب واضح وفي عبارات واضحة لا غموض فيها ولا التواء .

سادساً : ينبغي أن يكون متمسكاً بأداب وسلوك المهنة وإلا يتسامح في مخالفتها تحت أي ضغط وأن يتحلى بالشجاعة والصبر .

سابعاً : إن حسن قيام مراقب الحسابات بمهمته وبلوغ أهداف التدقيق رهين بإلمامه بما يلزمه من معلومات فنية متخصصة عن الوحدة الاقتصادية التي يقوم بتدقيقها ، إذ أن إلمام مراقب الحسابات بتفاصيل خاصة

عن الوحدة الاقتصادية التي يشرع بتدقيقها عن طريق زيارته لوحداتها الفرعية أو ورشها ومخازنها ومكاتبها والاستفسار عن النواحي الفنية سيكون خير عون لعمله وفهم النظام المحاسبي المطبق والمعاملات الاقتصادية والأحداث المحاسبية الخاصة به .

ثامناً : ينبغي أن يكون واسع الاطلاع وأن يتتبع التطورات والمستجدات الحديثة ومواكبة أهم التعديلات التي تطرأ على التشريعات والقوانين والمعايير الدولية المرتبطة بعمله .

وينظر الباحثان لمراقب الحسابات الكفوء بأنه الشخص المهني الذي تتوفر فيه هذه المؤهلات أو الصفات الشخصية والفنية وهي كفيلة بأن يحتل مكان مرموق بين مزاولي المهنة فضلاً عن أهمية توافر السمعة والسلوك الحسن والتي عن طريقها سيتمكن من بلوغ درجة مناسبة من الكفاءة وتحقيق النجاح في أعماله التدقيقية وخدماته المهنية .

أما الصفات أو المؤهلات القانونية فهي تتطلب توافرها فهي الشهادة والخبرة العملية والتي عادةً ما تختلف من بلد لآخر حسب التشريعات ومستوى التعليم فيها ومستوى الطلب على المهنة , ففي العراق حددت المادة السابعة من نظام رقم (٣) المتعلق بممارسة مهنة مراقبة الحسابات في العراق مؤهلات خاصة تمنح بموجبه إجازة ممارسة المهنة للشخص المقيم في العراق على وفق الشروط الآتية (الجوهر وآخرون , ٢٠١٧ : ٣٦) :

أولاً : أن يكون حاصلاً على أحد المؤهلات الآتية :

- ١- شهادة الدبلوم العالي في مراقبة الحسابات من جامعة بغداد أو ما يعادلها .
- ٢- شهادة عليا في المحاسبة (ماجستير أو دكتوراه أو ما يعادلها) على أن يكون :
أ. مارس أعمال التدقيق مدة لا تقل عن سنتين بعد حصوله على الشهادة في ديوان الرقابة المالية أو تحت إشراف مراقب حسابات ويعلم وموافقة المجلس .
ب. اجتاز الاختبار بالمقررات التي يضعها المجلس ويؤديها المراقب مع طلبه دبلوم مراقبة الحسابات .

ثانياً : لدية خبرة عملية من خلال عمله كمراقب حسابات بإشراف ديوان الرقابة المالية أو شخص مجاز بممارسة المهنة , بمدة لا تقل عن سنتين من تأريخ حصوله على التأهيل العلمي المنصوص عليه في البند (أولاً) من هذه المادة أو من تأريخ اجتياز الاختبار المنصوص عليه في (ب) من الفقرة (٢) من البند (أولاً) من هذه المادة .

ثالثاً : أن يؤدي مراقب الحسابات اليمين أمام رئيس مجلس ممارسة مهنة مراقبه وتدقيق حسابات .
٣-٤ مؤهلات مراقب حسابات تكنولوجيا أو تقنية المعلومات : تتميز كفاءة مراقب الحسابات والذي يقوم بمهمة تدقيق تكنولوجيا أو تقنية المعلومات الحديثة بضرورة توافر مجموعة من الصفات أو المؤهلات الخاصة , ومن أبرز هذه الصفات الآتي (العواد , ٢٠٢٠ : ٣٣٤) :
أولاً : القدرة في الخوض في التفاصيل الفنية بدون تلوؤ .

ثانياً : القدرة على استعمال المهارات التحليلية واقتراح الأفكار والأحكام السليمة لبيان طبيعة المخاطر وطرائق معالجتها .

ثالثاً : التحلي بمهارات التواصل التحريرية منها او الشفوية عن طريق اقتراح الحلول لأهم مشكلات الوحدة الاقتصادية والعملاء سويةً .

رابعاً : القدرة على تعلم المفاهيم الحديثة الخاصة بتكنولوجيا المعلومات الجديدة وتحديد أهم مخاطرها.
خامساً : القدرة على توزيع المهام التي تخص الأعمال اليومية على جميع المساعدين .

سادساً : التحلي بمهارات بناء العلاقات الجيدة مع العملاء والتعرف على مشكلاتهم والعمل على حلها .
٣-٥ حقوق مراقب الحسابات : إن مراقب الحسابات عليه أن يتمتع بمجموعة من الحقوق المهمة التي تسهم في رفع كفاءة وأداء عمله وفق الأسس والمعايير التدقيقية المتعارف عليها وبالنتيجة يحقق الغرض المنشود من تعيينه , فضلاً عن الحقوق التي تقرها التشريعات المهنية فإن مراقب الحسابات يتمتع ببعض الحقوق حسب المادة (الحادية عشر) من قواعد السلوك المهني رقم (٣) لعام ٢٠١٥ (الجوهر وآخرون , ٢٠١٧ : ٣٩ - ٤٠) .

أولاً : حق الاطلاع على سجلات الوحدة الاقتصادية الخاضعة للتدقيق والفحص والمستندات المؤيدة والأوراق والوثائق والعقود الخاصة بالوحدة .

ثانياً : طلب أي بيان أو إيضاح يعد ضرورياً لإنجاز عمله , ومن أي شخص ينتمي للجهة الخاضعة للتدقيق .

ثالثاً : إجراء الجرد في التوقيت المناسب داخل الجهة الخاضعة للتدقيق وجميع مخازنها وما تحتويه من أوراق مالية ونقدية ومستندات ووثائق وبضائع ومعدات وغيرها .

رابعاً : التحقق من أصول الوحدة الاقتصادية وحقوقها وخصومها .

خامساً : الحصول على المعلومات الفنية المهمة ذات الصلة بنشاط الجهة الخاضعة للتدقيق ومنتجاتها وزيارة الوحدات الفرعية والورش والمخازن والمكاتب ومواقع العمل والمشاريع المهمة وطلب التوضيح عن أهم النواحي الفنية التي تتطلبها عملية التدقيق قدر تعلق الأمر بمهمة مراقب الحسابات فيما يخص هذه العملية .

سادساً : حضور اجتماعات الهيئة العامة للشركة المساهمة والتي يجري فيها مناقشة التقرير المقدم من قبله عن حسابات الشركة أو المقترح المقدم من مجلس الادارة بتعيين مراقب حسابات آخر بديلاً عنه .

٣- ٦ معايير كفاءة جودة أداء مراقب الحسابات: تقوم فكرة قياس كفاءة جودة أداء مراقب الحسابات على فرض وجود معايير أداء محددة لتحديد كفاءة مراقب الحسابات وقد أوضحت معايير التدقيق المتعارف عليها السلوك السليم في تحديد كفاءة أداء مراقب الحسابات وأصدرت لجنة معايير الرقابة على جودة الأداء التابعة لمجمع المحاسبين القانونيين الأمريكي الـ (AICPA) نشرة المعايير رقم (١) والتي تغطي كفاءة عمليات مراقب الحسابات , ويمكن إيجاز هذه المعايير بالآتي (توماس وهنكي , ٢٠٠٥ : ١٨٩) (الاستقلالية . الاسترشاد برأي النظم الخبيرة . القيادة والإشراف . تنمية القدرات المهنية لمراقب الحسابات وزيادة كفاءة الأداء . الترفيع والترقية في الوظيفة . قبول زبائن جدد واستمرار العلاقة مع الزبائن الحاليين . الفحص الدوري لبرامج الرقابة على كفاءة جودة الأداء)

٣- ٧ طرائق تدقيق معاصرة لمراقب الحسابات في ضوء التطور والتجارة الإلكترونية :

بدأ مراقب الحسابات واستجابة للمتطلبات المعاصرة للمستخدمين والناجمة عن تطور استخدام الأنترنت في التجارة الإلكترونية والحاجات المتزايدة والمستمرة للتقارير , فقد حثت هذه المتطلبات الجديدة المنظمات المهنية المعنية بالتدقيق الإلكتروني إلى أهمية تنظيم عمل مراقب الحسابات واستخدام طرائق أو أساليب تدقيق جديدة ومعاصرة متمثلة بتقنية المعلومات لمساعدة المدقق في عمليات التخطيط , الرقابة , وتوثيق أعمال التدقيق بحيث تسهم تكنولوجيا المعلومات بتقديم المساعدة لمراقب الحسابات في انجاز عملية التدقيق بدايةً من التخطيط مروراً بالرقابة ومن ثم التوثيق وهناك مجموعة من الطرائق التي يلجأ إليها مراقب الحسابات في عملية التدقيق وحسب تطورها , ولعل أبرز هذه الطرائق الآتي :

أولاً : التدقيق حول الحاسوب .

ثانياً : التدقيق من خلال الحاسوب .

ثالثاً : التدقيق بواسطة الحاسوب .

ولأن التدقيق السحابي المعاصر يندرج ضمن أدبيات التدقيق الإلكتروني وعليه يمكن اعتباره طريقة رابعة تضاف إلى الطرائق السابقة أعلاه كطريقة حديثة تسهم في تعزيز فعالية ضوابط تقنية المعلومات وخدمات تكنولوجيا المعلومات وعمليات التدقيق عن بعد المصاحبة لها .

المطلب الثالث: التدقيق السحابي (مدخل فلسفي):

تتطلب الطبيعة المتخصصة لتدقيق السحابة وما يرتبط بها من خدمات يتم عن طريقها التبادل الإلكتروني للمعلومات معايير أو إرشادات ويتم تطبيقها بشكل خاص على التدقيق المتعلق بتقنيات السحابة, ويعد تطوير ونمو معايير التدقيق السحابي ونظم التجارة الإلكترونية حجر الزاوية للمساهمة المهنية في خدمة تأكيد الثقة في تلك التقنيات والحصول على الحد الأدنى للأداء المقبول اللازم لتلبية المسؤوليات المهنية التي يحددها ميثاق الشرف والقانون الأخلاقي لمهنة التدقيق الدولي , وظهرت الحوسبة السحابية كنموذج أو تقنية محاسبية حديثة وأيضاً كبديل للمحاسبة التقليدية فهي تهدف الى توفير بنى تحتية موثوقة ومرنة

ذات جودة عالية من الخدمات لمستخدمي السحابة في كل من بيئة الأعمال والبيئة الأكاديمية لغرض تأطير هذا النموذج , إذ أن البيانات الخارجية ونتائج المحاسبة ليست دائماً جديرة بالثقة بسبب عدم كفاية الحيازة المالية والرقابة على البيانات ومنذ ذلك الوقت أصبحت مخاطر وتهديدات الحماية الأمنية وقضايا الخصوصية لبيانات الاستعانة بمصادر خارجية حاجة رئيسة في الحوسبة السحابية مع الحاجة الملحة الى تدقيق الكتروني معاصر يلائم أمان تخزين البيانات السحابية وباستخدام تقنيات تدقيق البيانات عن بعد وتبسيط الضوء على قضايا تدقيق وتحديات بروتوكولات RDA في السحابة , فهذه الأنواع المعاصرة من خدمات التدقيق السحابي تتطلب تطوير دور مراقب الحسابات الخارجي لتأكيد الثقة في تبادل المعلومات والبيانات إلكترونياً, وكذلك تطوير ادائه وزيادة كفاءته كي يؤكد الثقة في ذلك التبادل الإلكتروني حتى يتناغم ذلك وتطور التكنولوجيا.

٤ - ١ مفهوم الحوسبة السحابية : ربما يكون توفير قوة حوسبة كافية في وحدة اقتصادية ما لتشغيل نظام مؤسسي أمراً صعباً ففي السنوات الأخيرة , ظهرت الحوسبة السحابية كبديل محتمل لأنظمة المؤسسة المضيفة واحتياجات الحوسبة الأخرى للشركة. فالحوسبة السحابية هي الحوسبة القائمة على الإنترنت , إذ يتم توفير الموارد والبرامج والمعلومات المشتركة للشركات عند الطلب. ويمكن أن نؤطر مفهوم الحوسبة السحابية بشكل مهني وأكثر رسمية وكما حددها المعهد الوطني للمعايير والتكنولوجيا (NIST) هي عبارة عن "نموذج لتمكين الوصول إلى الشبكة في كل مكان , والمريح , عند الطلب إلى مجموعة مشتركة من موارد الحوسبة القابلة للاستعمال (على سبيل المثال , الشبكات والخوادم والتخزين والتطبيقات والخدمات) التي يمكن توفيرها وإصدارها بسرعة بأقل جهد إداري أو تفاعل مزود الخدمة. " ويجري توفيرها عبر شبكة مما يتطلب الحد الأدنى من التفاعل بين المستخدمين ومقدمي الخدمات (: Ryoo , et . al . , 2015) (68) , إذ أن الفكرة الرئيسة للحوسبة السحابية هي الاستعانة بمصادر خارجية لإدارة وتسليم موارد البرامج والأجهزة لشركات الطرف الثالث (موفري أو مزودي السحابة) المتخصصة بتلك الخدمة المعينة ويمكن أن

توفر جودة خدمة أفضل بكثير بتكاليف أقل وبطريقة مريحة وبجهود أقل (: Arjun & Vinay , 2018) (6) .

وأشار المعهد الوطني للمعايير والتكنولوجيا (NIST) بوصفه الراعي الرسمي لموضوعات التكنولوجيا وأنظمة المعلومات منذ عام ٢٠٠٢ ومعايير ومناهج موضوع الحوسبة السحابية فيقسم خدمات الحوسبة السحابية الى ثلاث أقسام رئيسية (الشمراني والأسمرى , ٢٠٢١ : ٢٤٩ ؛ Mell & Grance , 2011) (2) هي الآتي:

١. البرمجيات كخدمة (SaaS) والمعروفة باسم Software as a Service : تتمثل القدرة المقدمة للمستهلك في استخدام تطبيقات الموفر التي تعمل على البنية التحتية السحابية
٢. النظام الأساسي كخدمة (PaaS) والمعروفة باسم Platform as a Service: تتمثل القدرة المقدمة للمستهلك في النشر على تطبيقات البنية التحتية السحابية التي أنشأها المستهلك أو حصل عليها والتي تم إنشاؤها باستخدام لغات البرمجة والمكتبات والخدمات والأدوات التي يدعمها الموفر .
٣. البنية التحتية كخدمة (IaaS) والمعروفة باسم Infrastructure as a Service : تتمثل القدرة المقدمة للمستهلك في توفير المعالجة والتخزين والشبكات وغيرها من موارد الحوسبة الأساسية إذ يكون المستهلك قادراً على نشر وتشغيل البرامج العشوائية ،

٤ - ٢ مفهوم التدقيق السحابي وأنواعه ومبادئه على وفق معايير التدقيق الدولية :

أولاً . مفهوم التدقيق السحابي : تقوم الوحدات الاقتصادية الخاضعة للتدقيق بالوصول الى بعض تطبيقات البرامج والبيانات المتوفرة في السحابة عبر الأنترنت وذلك باستخدام الحاسوب المحمول أو الجهاز اللوحي أو الهاتف الذكي أو أي جهاز حاسوب آخر فعن طريق هذا الوصول ربما توفر هذه الوحدات تكاليف كبيرة حوسبة كبيرة لأنها لا تحتاج الى شراء تراخيص مواقع البرامج أو أجهزة تخزين البيانات الخاصة بها مع الإشارة الى أن هذا القرار لا يكاد يخلو من تعرضها لمخاطر مختلفة لأن أمان البيانات وانقطاع الخدمة السحابية ومشكلات الترحيل والمعالجة يمكن أن تحدث ومن هنا لا بد من تصميم إجراءات رقابية

لضمان اكتمال ودقة تدفق المعلومات من وإلى السحابة مع ضمان أمان البيانات داخل السحابة وضمان إجراءات عملية التدقيق السحابي (862 : 2015 , Louwers , et . al .) , وعليه يجلب استخدام الحوسبة السحابية وتخزين ومعالجة البيانات الخاصة بالنظام المحاسبي الآلي فيها مخاطر محاسبية وتدقيقية وبالنتيجة ضرورة وجود آليات واضحة للرقابة والتدقيق ووضع ضوابط آلية مناسبة تتسجم مع هذا النوع من السحابة لضمان اكتمال إجراءات عملية التدقيق السحابي وأن يكون هناك دور واضح وكبير لمراقب الحسابات في عملية التدقيق السحابي بما ينسجم مع هذا النوع المهم من التدقيق المعاصر (734 : 2017 , Messier , et . al .) , ويحدد معيار SAS 70 وهو معيار تدقيق تم تطويره بواسطة المعهد الأمريكي للمحاسبين القانونيين AICAP للتعامل مع مؤسسات الخدمات إذ يسمح هذا المعيار لهذه المؤسسات في توظيف مدقق خدمات مستقل معتمد مثل الاعتماد على مدققي الشركات الكبرى الأربعة لإجراء عمليات التدقيق على وفق معيار SAS 70 وإصدار تقرير بحيث يمكن تقديم هذا التقرير بدوره إلى جمهور العملاء الذين يحتاجون إلى دليل على فعالية الضوابط الداخلية المصممة عن طريق منظمة الخدمة , ويمكن أن يعرف الباحثان التدقيق السحابي بأنه منهج استباقي لتدقيق السحب يختلف عن المنهج القائم على المفهوم التقليدي للتدقيق والمستند على آليات تدقيق استباقية للحد من المخاطر والكوارث والتهديدات والامتنال لخصائص الأمان وتقديم الأدلة الموضوعية عن أي تهديد داخلي أو خارجي والمحافظة على أمان البرامج والتطبيقات وتداعيات الأمان للمحاكاة الافتراضية والسحابة وذلك عن طريق مراقبة سلوكيات البرامج والتطبيقات ومفاتيح وأنظمة التشفير واتخاذ الإجراءات الكفيلة للتأكد من فعالية الضوابط الداخلية لأنظمة تكنولوجيا المعلومات والبنى التحتية فضلاً عن ضوابط خدمات تكنولوجيا المعلومات , ويتمثل دور مراقب الحسابات في تقديم رأي موضوعي بناءً على الحقائق والأدلة على أن الوحدة الاقتصادية لديها ضوابط قائمة لتحقيق أهداف أو معايير أو متطلبات خاصة فضلاً عن ذلك في بعض الحالات سيقدم مراقب الحسابات رأياً عن تلك الضوابط على مدار مدة من الوقت أم لا , في هذه الحالات التي يتطلب فيها التدقيق الامتنال السحابي لاستيفاء المعايير وسيطلب مراقب الحسابات

الخارجي دليلاً على تمكين عناصر الرقابة الموضوعية (كالأمان , الإتاحة , الشفافية في التدقيق , السرية , والخصوصية) وهذا بدوره سيسمح لمراقب السحابة في تقديم رأي حول ما إذا كانت الضوابط متوافرة أم غير متوافرة (المنوفي , ٢٠٢١ : ٥٠٦) .

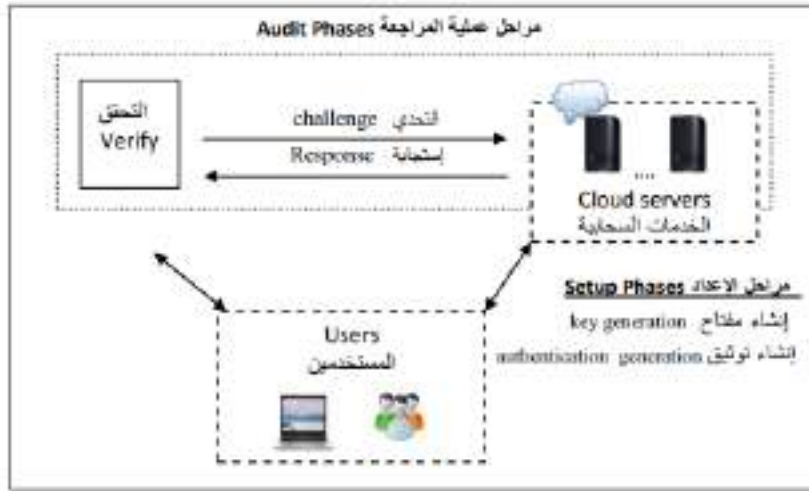
ثانياً . أنواع التدقيق السحابي : يندرج تحت أنواع التدقيق السحابي نوع واحد معروف لحد الآن والمتمثل بتدقيق البيانات عن بعد ويمكن وصف هذا النوع من التدقيق السحابي وكالاتي :

١. تدقيق البيانات عن بعد Remote Data Auditing : يمكن أن يعرف هذا النوع من التدقيق السحابي بأنه مجموعة من البروتوكولات للتحقق بشكل آمن وكفوء من صحة البيانات في السحابة وهذه البروتوكولات RDA عبارة عن نماذج أو تقنيات قادرة على التحقق من جزء صغير من البيانات بالكامل وبشكل سريع وتعطي ضماناً احتمالياً لتكامل البيانات , هذا ويعد تدقيق البيانات عن بُعد أسلوباً مهماً ومفيداً لتدقيق مسؤولية وسلامة المصادر الخارجية للبيانات إلى خادم واحد أو خوادم موزعة. هذا النوع من التأكيد ضروري لضمان الموثوقية طويلة المدى للبيانات التي يجري الاستعانة بمصادر خارجية لها في مراكز البيانات أو في موفري التخزين السحابي (CSPs) وتحتوي خدمة تدقيق البيانات عن بُعد على مجموعة من البروتوكولات لإثبات سلامة البيانات البعيدة الموجودة في التخزين السحابي بشكل أكثر موثوقية وكفاءة , وخالية من تنزيل البيانات بأكملها فضلاً عن ذلك تخضع البيانات المستعان بها أيضاً للإدارة بواسطة موفري خدمات سحابية من جهات خارجية غير موثوقين. وتستخدم أطر عمل تدقيق البيانات عن بعد RDA نماذج أو تقنيات فحص موضعي للتحقق من صحة البيانات الخارجية، والتي تتطلب فقط جزء صغير من البيانات الكاملة التي يصل إليها المدقق، إن نماذج RDA قابلة للتطبيق على كل من الخوادم السحابية الفردية والموزعة ففي الخادم السحابي الفردي ، الخوارزميات مسؤولة فقط عن منع الأطراف غير المصرح لها من تغيير البيانات الخارجية ولكن عند اكتشاف تلف البيانات ، فإن غالبية تقنيات RDA للخادم الفردي لا تمتلك القدرات المطلوبة لاستعادة البيانات. ولذلك ، فإن تقنية RDA تكون مصحوبة بتكرار تخزين البيانات لأن مالك البيانات قادر على استعادة البيانات التالفة

باستخدام الخوادم المتبقية وعند تصميم وتنفيذ تقنية RDA ، ينبغي مراعاة بعض الخصائص المهمة عند عملية التحقق كالكفاءة ، إمكانية التحقق العام ، التكرار ، احتمال الكشف ، الاسترداد ، والتحديث الديناميكي (Arjun & Vinay , 2018 : 6 – 7) .

ويستخدم نموذج حياة البيانات المعروف بـ Provable Data Possession PDP في عملية التدقيق السحابي عن بعد ويتيح هذا النظام أو النموذج لمالك البيانات بعملية تحديث بياناته في السحابة باستخدام عمليات الإدراج واللاحق والحذف وإجراء تدقيق دوري عن بعد للتأكد من سلامة البيانات المخزنة في التخزين السحابي ويوضح الشكل نموذج نظام PDP والمستند على مراجعة وتدقيق البيانات عن بعد .

الشكل (١) : نموذج PDP القائم على التدقيق السحابي عن بعد .



المصدر : المنوفي ، رويدا السيد علي ، المراجعة عن بعد في ظل وسيط الحوسبة السحابية ومدى إيجابياتها لمستخدميها والمستفيدين من تقاريرها ، بحث منشور في مجلة البحوث المالية والتجارية ، المجلد الثاني والعشرون ، العدد الأول ، ٢٠٢١ .

ثالثاً . مبادئ خدمات التدقيق السحابي والثقة الإلكترونية : يحدد المعهد الأمريكي للمحاسبين القانونيين AICAP مجموعة من المبادئ الرئيسة للتدقيق السحابي وخدمات الثقة بالسحابة وهذه المبادئ (الرمحي , ٢٠١٤ : ٣٧٥ ؛ 735 : 2017 , al . , et . Messier) هي الآتي :

١. الأمان Security : إن النظام محمي ضد الوصول غير المصرح به (المادي والمنطقي) .
 ٢. التوافر أو الإتاحة Availability : النظام متاح للتشغيل والاستخدام على النحو الملتزم به أو المتفق عليه .
 ٣. النزاهة أو الشفافية في المعالجة Processing Integrity : معالجة النظام كاملة ودقيقة وفي الوقت المناسب ومعتمدة .
 ٤. السرية Confidentiality : المعلومات التي تم تحديدها على أنها سرية محمية كما تم الالتزام بها أو المتفق عليها .
 ٥. الخصوصية Privacy : إن جمع النظام للمعلومات الشخصية واستخدامها والاحتفاظ بها والإبلاغ عنها والتخلص منها يتوافق مع التزامات الوحدة الاقتصادية ومتطلبات النظام .
 ٦. حماية المعلومات Information Protection : أن يتم المحافظة على فاعلية الضوابط والممارسات للتأكد من حماية المعلومات الخاصة بالعملاء من غير المتعلقة بأعمال الوحدة الاقتصادية .
 ٧. الإفصاح عن الممارسات التجارية Business Practices Disclosures : أي أن تفصح الوحدة الاقتصادية عن كيفية التعامل مع عملاء التجارة الإلكترونية .
- ٤ - ٣ التدقيق السحابي والعمليات الخارجية : تتوافر قائمة للتدقيق السحابي وعمليات الاستعانة بمصادر خارجية وهذه القائمة الخاصة بالتدقيق السحابي الإلكتروني تتضمن الآتي :
١. تحديد المخاطر وخطوات التدقيق التي تنبثق من التدقيق السحابي والذي يتم اجرائها على عمليات الاستعانة بمصادر خارجية .

٢. أن يقدم مزود الخدمة الخاص بالوحدة محل التدقيق ضمان مستقل من مكاتب تدقيق خارجية ذات سمعة طيبة بخصوص فاعلية الضوابط الداخلية والامتثال للوائح والتعليمات النافذة .
٣. فحص العقود التي يتم العمل بها لغرض التأكد من أنها تتضمن بشكل كافٍ كافة المتطلبات والمسؤوليات والمهام ذات الصلة بمشاركة الوحدة الخاضعة للتدقيق .
٤. تدقيق وتقييم العملية المستخدمة بهدف اختبار مزود خدمة الاستعانة بمصادر خارجية .
٥. تحديد الكيفية التي يتم فيها فصل بيانات الوحدة الخاضعة للتدقيق عن بيانات العملاء الآخرين الخاضعين أيضاً لعملية التدقيق السحابي .
٦. وضع منهج تدقيق وتقييم استخدام أنظمة التشفير لحماية بيانات الوحدة الخاضعة للتدقيق المخزنة في موقع المزود وعملية نقل هذه البيانات .
٧. تحديد كيفية ولوج الموظفين الى أنظمة الوحدة الخاضعة للتدقيق وكيف يتم التحكم في البيانات ومحدودية هذه البيانات .
٨. مراجعة وتقييم عمليات الرقابة في الوصول المنطقي لغير الموظفين الى الشبكة الداخلية والأنظمة الداخلية
٩. التأكيد على حماية البيانات المخزنة في مواقع المزودين طبقاً للسياسة الداخلية الموضوعة .
١٠. تدقيق وتقييم الضوابط لمنع واكتشاف الهجمات ومواجهتها والرد عليها .
١١. تحديد منهاج تنفيذ ادارة الهوية الرقمية للأنظمة المستندة الى مجموعة متماثلة أو الاستضافة .
١٢. التأكد من كون الممارسات الخاصة بعملية الاحتفاظ بالبيانات وتدميرها للبيانات المخزنة خارج الموقع تمتثل للسياسة الداخلية .
١٣. فحص وتقييم الأمن المادي للمزود .
١٤. القيام بمراجعة وتقييم عمليات الوحدة الخاضعة للتدقيق لرقابة جودة العمليات الخارجية ومن ثم تحديد كيفية رقابة الامتثال لاتفاقية مستوى الخدمة .

١٥. التأكد من وجود عمليات كافية لاستعادة مزاولة العمل بعد حدوث الكوارث والتهديدات لتوفير استمرارية العمل في حالة وقوع كارثة أو تهديد أو احتيال في مزود الخاص بك .
 ١٦. تحديد عمليات الحوكمة المناسبة القائمة على مشاركة موظفي الوحدة الخاضعة للتدقيق في الخدمات السحابية المعاصرة .
 ١٧. القيام بمراجعة وتقييم الخطط في حالة الانتهاء المتوقع أو غير المتوقع لعلاقة الاستعانة بمصادر خارجية .
 ١٨. مراجعة وتقييم حقوق الوحدة الخاضعة للتدقيق وقدرتها في الحصول على معلومات من المزود والتي ربما تكون ضرورية لدعم التحقيقات .
 ١٩. مراجعة متطلبات اشعار خرق الأمن .
 ٢٠. تحديد كيفية ضمان الامتثال لقوانين الخصوصية المعمول بها واللوائح الضرورية الأخرى .
 ٢١. تقييم العمليات بهدف التأكد من التزام الوحدة الخاضعة للتدقيق بتراخيص البرامج المعمول بها لأي برنامج مستضاف خارج الموقع أو يستعمله غير الموظفين .
- ٤ - ٤ تحديات التدقيق السحابي : يواجه التدقيق السحابي الإلكتروني جملة من الصعوبات التي تعترض تطبيق هذا النوع من التدقيق الإلكتروني والتي يمكن أن تؤثر التكنولوجيا المشوشة كالحوسبة السحابية على (مسار أو منهج) التدقيق السحابي ولعل من أبرز هذه التحديات (, et . al . Venkatesh , 84 - 83 : 2017) الآتي :
١. فهم نطاق بيئة الحوسبة السحابية الإلكترونية عن طريق :
 - هل يتم استخدام نفس المصفوفة للسحب العامة والسحب الخاصة؟ (داخلي مقابل خارجي).
 - لم يعد مفهوم الترخيص أو الأذن في بيئة متعددة المستأجرين منطقياً بعد الآن .
 - أين تبدأ تقنية السحابة وأين تتوقف؟
 ٢. هل يمكن لتقييم المخاطر الحالي الخاص بالوحدة الاقتصادية النقاط المخاطر بشكل مناسب؟ .

٣. عملية الاختيار عن طريق :

- ما هو عدد السكان العالمي الذي يمكن اختيار عينة منه؟ .
- ماذا ستكون منهجية اختيار العينة الخاصة بالوحدة الاقتصادية في بيئة ديناميكية ومعقدة للغاية؟ .
- ربما تعتمد اللقطة الزمنية على ما إذا كانت نقطة ذروة عالية أو منخفضة في الوقت المناسب .

٤. تحديد مسارات التدقيق عن طريق :

- كيف "تختبر" البيانات التاريخية إذا لم يكن هنالك مسار واضح لعملية التدقيق؟.

٥. تحديات تدقيق أخرى عن طريق :

- أهمية وعي ومسؤوليات لجنة التدقيق في الوحدة الاقتصادية .
- التفوق على العوائق أو التحديات الداخلية والتي تقيد المشاركة المبكرة للتدقيق الداخلي مثل "مستشار المخاطر" للأعمال وتكنولوجيا المعلومات IT .

المطلب الرابع: تأثير كفاءة مراقب الحسابات على التدقيق السحابي:

إن مراقب الحسابات الخارجي في موقع يسمح له وبحكم الخبرة العلمية والعملية وكفاءته العالية تسمح له أن يكون في وضع ملائم في ممارسة التدقيق السحابي الالكتروني وتقديم ضمانات معقولة للوحدات التي تخضع للتدقيق , وقد أوضحت دراسات سابقة أن كفاءة مراقب الحسابات في ممارسة مهامه التدقيقية السحابية تتمثل في المهارات التي تزيد من هذه الكفاءة ومنها مهارات التقييم وجمع البيانات الخاصة بتقنية الحوسبة السحابية وذلك بفحص النظام المحاسبي الآلي ونظام الضبط الداخلي وتقييم المخاطر المصاحبة لبيئة العمل في البيئة السحابية والمعرفة المتعلقة بمعايير التدقيق الدولية والبيانات الضخمة فضلاً عن كفاءة مراقب الحسابات الخارجي في عملية جمع وتقييم أدلة الاثبات ونظرية المعرفة التامة بتقنية الحوسبة السحابية (حسن , ٢٠٢٠ : ٤٦٠ - ٤٦١) , وتتغزز كفاءة مراقب الحسابات أيضاً في قدرته على تطوير تطبيقات التدقيق عن طريق البرامج الجاهزة وأدوار المراقب تتمثل بالقيام بعملية التحقق والتأكد من سلامة العمليات المالية والمستندات المحاسبية المخزنة في السحابة وخلوها من الاحتيال والأخطاء

الجوهرية للوصول الى تقارير تعبر عن الوضع المالي السليم للشركات وعليه أن يعتمد على أدلة اثبات موضوعية عبر وسيط أو تقنية الحوسبة السحابية لزيادة الأمان وتدعيم الخصوصية وتقديم رأي فني محايد يعبر عن حماية وسلامة البنية التحتية وتكنولوجيا المعلومات وإدارة المخاطر التي تحيط بالسحابة ويمكنه أن يستعمل هذه البرامج الجاهزة والتي توفرها السحابة ومنها تقنية سلسلة الكتل الـ Blockchain ذات التطبيقات الرقمية الجاهزة مما سيوفر الوقت والجهد واتخاذ القرارات الملائمة في الوقت المناسب وبالنتيجة سيؤدي مراقب الحسابات دوراً هاماً في بيئة أعمال الشركات المعاصرة وتزايد الطلب على الخدمات المقدمة من الأطراف المتعددة على تقديم ما يقدمه مراقب الحسابات من خدمات تدقيق والدور الجوهرية في الإيفاء بالمسؤوليات الاجتماعية الملقاة على عاتقه في تطوير ممارسة مهنة التدقيق والوفاء بمتطلبات المجتمع ككل بكفاءة وفاعلية وأن هذه الكفاءة في مستويات مراقب الحسابات ومهاراته في ضوء تقنية الحوسبة السحابية ستعكس على جودة التدقيق السحابي (المنوفي , ٢٠٢١ : ٥٢١) , ومما تقدم تسهم كفاءة مراقب الحسابات واستعماله آليات وأدوات تدقيق معاصرة للتحقق من الامتثال السحابي للشركات في عملية التحقق ومعالجة مشكلات الأمان والخصوصية والشفافية والثقة والافصاح في بيئة السحابة ويعزز ثقة المستخدمين والمستفيدين منها وينعكس بشكل ملائم على تطوير مهنة التدقيق في بيئة السحابية الالكترونية (الجوهر وآخرون , ٢٠١٧ : ٢٣٩) .

المطلب السادس : الجانب العملي:

اعتمد الباحثان على استمارة الاستبانة التي تتضمن متغيرين هما كل من الآتي :

- المتغير المستقل وهو (كفاءة مراقب الحسابات) .
- المتغير التابع وهو (التدقيق السحابي) .

٦-١ : عينة الدراسة :

تألفت عينة الدراسة من مجموعة من الاكاديميين والمهنيين وشملت الاستبانة (٢٠) سؤالاً تقيس بمجموعها محورين والملحق (١) يوضح تلك المحاور ضمن استبانة الدراسة .

جدول (١) : استمارات الاستبانة الموزعة والمستردة والخاضعة لعملية التحليل

عينة الدراسة		الاستمارات الموزعة		الاستمارات المستردة		الاستمارات الخاضعة في التحليل	
العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٥٠	١٠٠ %	١٢٠	٨٥ %	١٢٠	٨٠ %		

المصدر : من إعداد الباحثين .

٣-٦٦: اختبار أداة قياس البحث

اعتمد الباحثان في التحليل الاحصائي على البيانات والمعلومات المتحصلة وفق مقياس ليكرت الخماسي والذي تشير لمستوى الإجابات الى (١) لا أتفق تماماً، (٢) لا أتفق، (٣) أتفق الى حد ما، (٤) أتفق، (٥) أتفق تماماً، وقد استعملت أهم المؤشرات الاحصائية التي تتلائم مع فرضيات البحث .

١. ثبات أداة قياس البحث

إن المقصود بثبات أداة البحث "إمكانية الحصول على النتائج مماثلة عند إعادة الدراسة باستخدام الأداة نفسها على الأفراد أنفسهم وفي نفس الظروف" (Sekaran, 2003, p85) إذ تم احتساب معامل الاتساق الداخلي (كرونباخ ألفا Cronbach's Alpha) لقياس مصداقية إجابات عينة البحث على أسئلة الاستبانة , إذ إن القيمة المقبولة إحصائياً لهذا المقياس هي (60%) فأكثر، ووفق الآتي :

جدول (٥) : قيم معامل الاتساق الداخلي لفقرات أداة البحث

المحاور	عدد الاسئلة	معامل الثبات (ألفا كرونباخ)
المحور الأول / الحوسبة السحابية	١٠	٠.856
المحور الثاني / جودة المعلومات المحاسبية	١٠	٠.847
الثبات العام للاستبانة	٢٠	٠.904

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات الحاسبة الالكترونية .

نلاحظ من خلال الجدول (٥) أن قيم معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا لفقرات أداة الدراسة تراوحت ما بين (0.847 - 0.856) , فضلاً عن أن قيمة ألفا لجميع الفقرات كانت (0.904) وبالتالي تكون جميع القيم أكبر من (٦٠٪) وهذا مؤشر على الاتساق بين فقرات أداة الدراسة، وموثوقية أداة الدراسة وإمكانية الاعتماد عليها لإجراء التحليل الإحصائي .

٦ - ٤ الاحصاءات الوصفية لمتغيرات البحث :

تتضمن هذه الفقرة تحليلاً إحصائياً وصفيّاً لأسئلة كلا المحورين والبالغ عددها (٢٠) سؤالاً، وذلك باستخدام كل من الوسط الحسابي والانحراف المعياري لمدى الاتفاق أو عدم الاتفاق، وترتيب الأهمية النسبية لفقرات الاستبانة وكالاتي :

المحور الأول : كفاءة مراقب الحسابات

جدول (٦) : التحليل الوصفي لمحور كفاءة مراقب الحسابات

ترتيب الأهمية النسبية	المستوى	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	مستوى الاجابات					رقم السؤال
				غير موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
1	مرتفع	0.5025 3	4.5250	42	38	-	-	-	1
2	مرتفع	0.5131 2	4.3000	26	52	2	-	-	2
6	مرتفع	0.6953 7	4.1500	24	46	8	2	-	3
10	مرتفع	0.8419	4.0000	24	36	16	4	-	4

أثر كفاءة مراقب الحسابات على ممارسة التدقيق السحابي

		4							
3	مرتفع	0.5395 7	4.2500	24	52	4	-	-	5
4	مرتفع	0.6037 9	4.2000	24	48	8	-	-	6
5	مرتفع	0.5905 4	4.1750	22	50	8	-	-	7
8	مرتفع	0.6438 6	4.1250	22	46	12	-	-	8
7	مرتفع	0.5125 0	4.1250	16	58	6	-	-	9
9	مرتفع	0.4202 2	4.0250	8	66	6	-	-	10
		0.5863	4.1875	الوسط الحسابي والانحراف المعياري والأهمية النسبية للمحور					

المصدر: من إعداد الباحثين بالاستناد إلى مخرجات الحاسبة الالكترونية .

تشير نتائج تحليل اجابات عينة البحث في الجدول (٦) الى أن محور الحوسبة السحابية قد حصل على وسط حسابي قدره (4.1875) وانحراف معياري (0.5863)، وهذا يدل على تجانس اجابات العينة حول قيمة الوسط الحسابي ومن ثم يدل هذا على موافقة عينة البحث تجاه أسئلة هذا المتغير، وأن الاتجاه العام لبعد كفاءة مراقب الحسابات هو موافق . حيث جاءت في المرتبة الاولى الفقرة رقم (١) التي تنص على (يساهم تفعيل البرامج والدورات التدريبية المتخصصة في مجال الكمبيوتر وتكنولوجيا المعلومات بشكل

مستمر في تحسين كفاءة وأداء مراقبي الحسابات بما يتماشى مع التطورات المستمرة في بيئة الأنظمة السحابية والبيانات الكبيرة). بانحراف معياري (0.50253) ومتوسط حسابي (4.5250) , وجاءت في المرتبة الثانية الفقرة (٢) التي تنص على (يساعد امتلاك مراقب الحسابات لخبرات ومهارات مهنية في جمع الأدلة وتقييمها من خلال استخدام تقنية السحابية والبيانات الضخمة) حيث جاءت قيمة الانحراف المعياري (0.51312) وقيمة المتوسط الحسابي (4.300) , وجاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة (٤) والتي تنص على (ضرورة أن يكون لدى مراقب الحسابات المعرفة والاطلاع بالتشريعات وقوانين التعاقد الإلكتروني عبر شبكة الأنترنت) بقيمة انحراف معياري (0.84194) وقيمة متوسط حسابي (٤) .

المحور الثاني: التدقيق السحابي:

جدول (٧) : التحليل الوصفي لمحور التدقيق السحابي

ترتيب الأهمية النسبية	المستوى	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	مستوى الاجابات					درجة الموافقة
				غير موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
3	مرتفع	0.68251	4.2000	26	46	6	2	-	1
5	مرتفع	0.65796	4.1500	24	44	12	-	-	2
6	مرتفع	0.60326	4.1250	20	50	10	-	-	3
8	مرتفع	0.69309	4.0250	18	48	12	2	-	4
1	مرتفع	0.47667	4.2250	20	58	2	-	-	5
9	مرتفع	0.71157	4.0000	18	46	14	2	-	6
4	مرتفع	0.59054	4.1750	22	50	8	-	-	7
2	مرتفع	0.60379	4.2000	24	48	8	-	-	8
10	مرتفع	0.76266	3.9750	16	50	12	-	2	9
7	مرتفع	0.70979	4.0500	20	46	12	2	-	10

الوسط الحسابي والانحراف المعياري والأهمية النسبية للمحور	4.1125	0.64918
--	--------	---------

المصدر: من إعداد الباحثين بالاستناد إلى مخرجات الحاسبة الالكترونية .

تشير نتائج تحليل اجابات عينة البحث في الجدول (٧) الى أن محور التدقيق السحابي قد حصل على وسط حسابي قدره (4.1125) وانحراف معياري (0.64918), وهذا يدل على تجانس إجابات العينة حول قيمة الوسط الحسابي ومن ثم يدل هذا على موافقة عينة البحث تجاه أسئلة هذا المتغير, وأن الاتجاه العام لبعد التدقيق السحابي هو موافق. حيث جاءت في المرتبة الاولى الفقرة رقم (٥) التي تنص على (يساهم التحول الرقمي الذي تتميز به الخدمات السحابية في تطوير مهارات مراقبي الحسابات الإبداعية التي تعتمد على التكنولوجيا والنظم المحاسبية) بانحراف معياري (0.47667) ومتوسط حسابي (4.2250) , وجاءت في المرتبة الثانية الفقرة (٨) التي تنص على (تؤدي الخدمات السحابية في رفع كفاءة عملية التدقيق مما يؤدي الى زيادة الثقة في المعلومات ضمن تقرير المدقق وزيادة الاستثمار في الشركات) حيث جاءت قيمة الانحراف المعياري (0.60379) وقيمة المتوسط الحسابي (4.2000) , وجاء في المرتبة الاخيرة الفقرة (٩) التي تنص بأن (يساعد التحول الرقمي الذي توفره الخدمات السحابية في تسريع عملية التدقيق وتحقيق رضا العملاء) بقيمة انحراف معياري (0.76266) وقيمة متوسط حسابي (3.9750) .

٦ - ٥ اختبار الفرضيات :

١. اختبار الفرضية الرئيسة الأولى :

تنص الفرضية على وجود علاقة ارتباط معنوية بين كفاءة مراقب الحسابات والتدقيق السحابي , إذ أعتمد الباحثان على معامل الارتباط بيرسون (person) ويستعمل لقياس مدى ارتباط متغيرات البحث مع بعضها وتحديد نوع العلاقة هل هي علاقة طردية (موجبة) أو عكسية (سالبة). إذ تم اعتماد القيمة المعنوية (sig.) اذ كلما كانت قيمة أقل من (0.05) دل ذلك على قبول الفرضية وكانت النتائج كالآتي:

جدول (٨) : معامل الارتباط بين كفاءة مراقب الحسابات والتدقيق السحابي

Correlations		
	التدقيق السحابي	
كفاءة مراقب الحسابات	Pearson Correlation	0.665**
	Sig. (2-tailed)	0.000
	N	80
**. Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).		

المصدر: من إعداد الباحثين بالاستناد الى مخرجات الحاسبة الالكترونية .

نتائج الاختبار لمعامل (Pearson Correlation) تظهر وجود علاقة طردية بين كفاءة مراقب الحسابات والتدقيق السحابي بمعامل ارتباط بلغ (0.665) وبدلالة معنوية بلغت (0.000) وهي اصغر من مستوى الدلالة (٠.٠٥) وقد ميزت بعلامة . ** للدلالة على أنها دالة إحصائية، إذ أن زيادة كفاءة مراقب الحسابات تؤدي إلى زيادة في التدقيق السحابي .

لذا يتم رفض الفرضية الاولى التي تنص على أنه (لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين كفاءة مراقب الحسابات وممارسة التدقيق السحابي) , ذلك يشير إلى وجود علاقة ذات دلالة احصائية بين كفاءة مراقب الحسابات وممارسة التدقيق السحابي.

٢. اختبار الفرضية الرئيسة الثانية :

تم وضع هذه الفرضية لأجل التأكد من وجود أثر ذات دلالة معنوية لكفاءة مراقب الحسابات على التدقيق السحابي. وتم اعتماد القيمة المعنوية (sig.٠.٠٥) في اختبار فرضية البحث بدل من القيم الجدولية, وذلك لدقة النتائج المحسوبة من القيمة المعنوية (sig.) إذ كلما كانت القيمة أقل من (٠.٠٥) دل هذا على قبول فرضية البحث ، وكانت النتائج وكما مبين في الجداول المتتالية (٩ , ١٠ , ١١) في أدناه :

جدول (٩) : قيم معامل الارتباط

Model Summary									
Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate	Change Statistics				
					R Square Change	F Change	df1	df2	Sig. F Change
1	.665 ^a	.442	.435	.31873	.442	61.851	1	78	.000
a. Predictors: (Constant), كفاءة مراقب الحسابات									

ويظهر الجدول رقم (٩) أن قيمة معامل الارتباط (R) بين المتغير المستقل كفاءة مراقب الحسابات والمتغير التابع التدقيق السحابي قد بلغت (66.5 %) وهي قيمة جيدة توضح قوة العلاقة بين المتغيرين . كما يوضح الجدول قيمة (R Square) وتساوي (0.442) أي أن المتغير المستقل (٤٤.٢%) من التباين أو المتغير الذي يؤثر على المتغير التابع .

جدول (١٠) : تحليل التباين

ANOVAa						
Model		Sum of Squares	Df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	6.283	1	6.283	61.851	.000 ^b
	Residual	7.924	78	.102		
	Total	14.208	79			
a. Dependent Variable: التدقيق السحابي						
b. Predictors: (Constant كفاءة مراقب الحسابات						

ويبين الجدول اعلاه لتحليل التباين (١٠) نتائج تحليل التباين للانحدار الخطي المتعدد ويؤكد على أن الانحدار له دلالة احصائية وبمستوى معنوية بلغت (0.000) أقل من (0.05)، لذا يتم رفض فرضية

البحث الثانية التي تنص على أنه (لا يوجد أثر ذا دلالة احصائية لكفاءة مراقب الحسابات عند ممارسة التدقيق السحابي) وذلك يشير لوجود أثر ذا دلالة احصائية بين كفاءة مراقب الحسابات وتحسن جودة خدماته عند ممارسة التدقيق السحابي .

جدول (١١) : المعلمات

Coefficients ^a						
Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	T	Sig.
		B	Std. Error	Beta		
1	(Constant)	1.113	.383		2.906	.005
	كفاءة مراقب الحسابات	.716	.091	.665	7.865	.000

a. Dependent Variable: التدقيق السحابي

يبين الجدول (١١) أن المتغير المستقل (كفاءة مراقب الحسابات) له أثر ايجابي على المتغير التابع (التدقيق السحابي) بمعامل انحدار بلغ (0.716) وبدلالة قيمة (T) المحسوبة (7.865) وهي أكبر من قيمتها المجدولة البالغة (2.906) والتي تعكس طبيعة إجابات افراد العينة وبمستوى معنوية بلغت (0.000) اقل من مستوى الدلالة (0.05) . مما يعني أن أي زيادة في كفاءة مراقب الحسابات وأدائه بمقدار درجة واحدة سوف يقابله زيادة في تحسين جودة خدمات التدقيق السحابي بنسبة (0.716) نتيجة ممارسة أو تأدية هذا النوع من التدقيق الإلكتروني .

المطلب السابع: الاستنتاجات والتوصيات:

١-٧ الاستنتاجات:

توصلت الدراسة للمجموعة من الاستنتاجات النظرية والعملية وهي:

١. يساهم تفعيل البرامج والدورات التدريبية المتخصصة في مجال الكمبيوتر وتكنولوجيا المعلومات بشكل مستمر في تحسين كفاءة وأداء مراقبي الحسابات بما يتماشى مع التطورات المستمرة في بيئة الأنظمة السحابية والبيانات الكبيرة .
٢. يساعد امتلاك مراقب الحسابات لخبرات ومهارات مهنية في جمع الأدلة وتقييمها من خلال استخدام تقنية السحابة والبيانات الضخمة
٣. يساهم التحول الرقمي الذي تتميز به الخدمات السحابية في تطوير مهارات مراقبي الحسابات الإبداعية التي تعتمد على التكنولوجيا والنظم المحاسبية
٤. أوضحت نتائج التحليل الإحصائي وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين كل من كفاءة مراقب الحسابات وممارسة التدقيق السحابي , إذ أن ممارسة التدقيق السحابي بشكل مهني يعتمد بشكل كبير على كفاءة مراقب الحسابات .
٥. اظهرت ايضا نتائج اختبار تأثير المتغير المستقل على المتغير التابع, وجود تأثير ايجابي ومعنوي بين كل من كفاءة مراقب الحسابات وممارسة التدقيق السحابي, وبالنتيجة زيادة كفاءة مراقب الحسابات سينعكس ايجابيا على ممارسة التدقيق السحابي في الشركات.
- ٧ - ٢ التوصيات :
٦. في ضوء الاستنتاجات النظرية والعملية المعروضة السابقة يوصي الباحثان بالآتي :
٧. رفع كفاءة العمل المحاسبي والتدقيقي معاً عن طريق اهتمام الوحدات الاقتصادية بتنظيم وتطوير النظام المحاسبي فيها وذلك بإدخال مفهوم الحوسبة السحابية في أعمالها والاعتماد على أدوات التدقيق السحابي الإلكتروني.
٨. مع ضرورة التأكيد على اهتمام شركات التدقيق في العراق بالمساهمة في تطوير مهنة التدقيق باستمرار عن طريق إجراء دورات تدريبية للموظفين في شركات التدقيق والاطلاع على أهم مستجدات تطبيقات تقنية الحوسبة السحابية الإلكترونية .

٩. ضرورة التوجه نحو تطبيق التدقيق السحابي بشكل ميداني وتحديدًا في بيئة الأعمال العراقية نظراً لتأخر الاهتمام بهذا المجال التدقيقي الحيوي المهم ولغاية الوقت الحالي والعمل على رفع كفاءة مراقب الحسابات لما لهذه الكفاءة من أهمية بالغة بحيث يكون مراقب الحسابات مستقلاً وبعيداً عن سلطة وتدخل إدارات الوحدات الاقتصادية عند تأدية أو ممارسة مهامه التدقيقية .
١٠. زيادة كفاءة مراقب الحسابات العلمية والعملية في مجال تقنية الحوسبة السحابية والرقابة والتدقيق على نظم المعلومات المحاسبية الإلكترونية المعاصرة والذي يعزز من كفاءته وبالنتيجة ينعكس على تطور مهنة التدقيق في العراق بشكل ملحوظ .
١١. ضرورة اقامة دورات تدريبية تخصصية حو ممارسة التدقيق السحابي في سياق الحوسبة السحابية, ودورها في تخفيض مخاطر تكنولوجيا المعلومات في الشركات.
١٢. ضرورة قيام المنظمات والمؤسسات الرقابية في العراق وخصوصاً ديوان الرقابة المالية, والجمعية العراقية للمحاسبين القانونيين على استخدام المعايير والارشادات الدولية في مجال التدقيق الالكتروني ومنها (SSAE18, SSE16, ISAE3402).

المراجع:

أولاً . المراجع العربية:

١. الجواهر , كريمة علي كاظم , شاكر عبد الكريم هادي البلداوي, احسان نياز عبد محمد , وأحمد جاسم حمودي , الاتجاهات الحديثة في التدقيق والرقابة وفقاً للمعايير والتشريعات المحلية , مكتب الجزيرة للطباعة والنشر , الطبعة الأولى , ٢٠١٧ .
٢. الرمحي , نضال محمود , نظم المعلومات المحاسبية – أسس إدارة مخاطر المؤسسة , دار الفكر للنشر والتوزيع , الطبعة الأولى , ٢٠١٤ .
٣. الشمراني , ماجدة , ونوره الأسمرى , استخدام الحوسبة السحابية ودورها في تحديد أتعاب عملية المراجعة من وجهة نظر المراجعين الخارجيين , بحث منشور في مجلة Global Journal of Economics & Business , المجلد العاشر , العدد الثاني , ٢٠٢١ .

٤. العواد , أسعد محمد علي وهاب , التدقيق المتقدم في اطار معايير التدقيق الدولية , دار الكتب , الطبعة الأولى , ٢٠٢٠ .
 ٥. المنوفي , رويدا السيد علي , المراجعة عن بعد في ظل وسيط الحوسبة السحابية ومدى إيجابياتها لمستخدميها والمستفيدين من تقاريرها , بحث منشور في مجلة البحوث المالية والتجارية , المجلد الثاني والعشرون , العدد الأول , ٢٠٢١ .
 ٦. توماس , وليم , وأمرسون هنكي , المراجعة بين النظرية والتطبيق , تعريب ومراجعة – أحمد حامد حجاج , وكمال الدين سعيد , تقديم – سلطان أحمد العلي السلطان , دار المريخ , ٢٠٠٥ .
 ٧. حسن , سيدة أحمد أحمد , الحوسبة السحابية وتأثيرها على مهنة المراجعة في مصر , بحث منشور في مجلة الدراسات التجارية المعاصرة , المجلد السادس , العدد العاشر – الجزء الأول , ٢٠٢٠ .
 ٨. عثمان , عبد الرزاق محمد , أصول التدقيق والرقابة الداخلية , المكتبة الوطنية , الطبعة الثانية – منقحة ومزودة , ١٩٩٩ .
 ٩. مصطفى , صادق حامد , تحليل كفاءة وفعالية عملية المراجعة الخارجية في اكتشاف غش الادارة باستخدام نظرية اكتشاف الاشارة , بحث منشور في مجلة جامعة الملك عبد العزيز – الاقتصاد والادارة , المجلد الخامس عشر , العدد الأول , ٢٠٠١ .
- ثانياً . المراجع الأجنبية :

1. Arjun , U. , & Vinay S. , A Review on Remote Data Auditing in Cloud Computing , International Journal of Engineering Research in Computer Science & Engineering , Volume 5 , Issue 4 , 2018 .
2. Louwers , Timothy J. , Ramsay , Robert J. , Sinason , David H. , Strawser, Jerry R. , & Thibodeau , Jay C. , Auditing and Assurance Services , Sixth Edition , Mc Graw-Hill Education , 2015 .
3. Mell , Peter , & Timothy Grance , The NIST Definition of Cloud Computing , Special Publication 800-145 , 2011 .

4. Messier, Jr. , William F. , Glover , Steven M. , & Prawitt , Douglas F. , Auditing and Assurance Services– A Systematic approach , Tenth Edition , Mc Graw–Hill Education , 2017 .
5. platform.almanhal.com .
6. Ryoo , Jungwoo , Syed Rizvi, William Aiken, & John Kissell , Cloud Security Auditing: Challenges and Emerging Approaches , IEEE Security & Privacy Magazine , 2015 .
- The Audit Process & The Audit Profession , International Journal of Scientific & Technology Research , Volume 5 , Issue 8 , 2016 .
7. Venkatesh , D . , Vijay Kumar Damera , & Suresh Pabboju , Cloud Computing: Governance, Risk Management & Audit of IT Services , Journal of Network Communications & Emerging Technologies , Volume 7, Issue 12, 2017 .
8. Sekaran, Uma, (2003). "Research Methods for Business". John Wiley & Sons, U.S.A.

الإعجاز القرآني في الآيات المسبحات - دراسة لغوية بيانية

م. حوراء مهدي عبد الصاحب الكوفي
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

لقد احتلت قضية إعجاز القرآن الكريم مكانة بارزة في توحيد حركة التأليف النقدي والبلاغي عند العرب، إذ إن القرآن الكريم ومحاولة إثبات إعجازه بيانياً كان موضوعاً حافزاً للتأليف البلاغي عند جمهرة علماء المسلمين على اختلاف منازعهم ومشاربهم من لغويين وأدباء ونظماء ورؤساء فرق كل بما يملك من وسائل الثقافة وبما يتاح له منها، تجمعهم جميعاً غاية واحدة أو هدف واحد إلا وهو إثبات التفوق البياني لهذا النص على سائر ما اهتدى إليه العرب من منظوم القول. وقد كان أسلوب القرآن الكريم معجزاً بالقياس إلى أساليب التعبير اللغوية التي ألفها العرب من شعر ونثر، وهو بأسلوبه هذا المعجز نزل بلسان عربي مبين متحدياً القوم أن يأتوا بمثله.

المبحث الأول: التشكيل البلاغي لإعجاز القرآن الكريم في الآيات المسبحات:

ويتضمن هذا المبحث كما مبين التشكيلات البلاغية في الآيات المسبحات ومدى توفر هذه التشكيلات في الألفاظ القرآنية وفي التعابير القرآنية وهذا شيء قليل فكما معروف ان القرآن الكريم مليء بالبلاغة والصور البلاغية والاعجاز فكل مفردة من مفردات القرآن الكريم معجزة بحد ذاتها وتحتوي على معاني كثيرة لا يعلمها الا الله جل جلاله غير المعاني التي نعرفها ونحن عرفناها من خلال علماءنا حفظهم الله سبحانه فهذه كلها لا تأتي بمقدار من القرآن الكريم وما فيه من معاني ونحن لا نستطيع ان نصل الى بعض ما تحتويه من معاني وتشكيلات بلاغية.

وفيما يأتي بعض الأساليب البيانية في الآيات المسبحات ومنها: قوله تعالى: (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) ((٥٢))^(١)

فسبح: الفاء الوضعية^(٢) وقيل هي رابطة في موضع آخر من الاعراب^(٣)، وسبح: فعل أمر مبني على السكون وقيل أنه فاعل لفعل محذوف تقديره (انت)^(٤) وسبح هنا على وزن فَعَّلَ ويدل^(٥) هذا الوزن يأتي للدلالة على التكثير من الفعل وهو التكثير من التسبيح لله وهذا يأمر منه سبحانه وتعالى ونسبة الشيء الى أصل الفعل وهي نسبة التسبيح الى الله عز وجل ويدل أيضاً على التوجه الى الشيء وهنا المراد بها التوجه الى الله تعالى وتدل أيضاً على الاختصار وكل هذه المعاني اراد ان يوردها الله بكلمة واحدة وهي عندما قال (فسبح) اراد من عباده، المخلصين التوجه اليه والإكثار من التسبيح له^(٦).

وإذا تأملنا في هذه الآية المباركة نجد ان لفظة سبح قد أخذت دورها في ايصال المعنى وبشكل دقيق الى السامع والمتلقي في أمر الله تعالى لعباده في التكثير من تسبيحه حيث هو ربهم جميعاً وولي أمرهم ويجب عليهم الطاعة.

قال تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) ((٢٦))^(٧)، فإذا أنعمنا النظر في قراءة النص الكريم نجد ان:

(ومن الليل) متعلقان بـ (اسجد) ومعنى (من) التبعية، أي (اسجد وصل له بعض الليل)^(٨). "وقيل ان الواو عاطفة ومن حرف جر والليل اسم مجرور"^(٩)، "واسجد فعل أمر وفاعله مستتر تقديره (انت) وله متعلقان بأسجد ايضاً^(١٠) فعل أمر والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت)^(١١) له: جار ومجرور وسبحه: الواو عاطفة وسبحه: سبج فعل أمر مبني والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت) والضمير المتصل (هاء) في محل نصب مفعول به للفعل المحذوف"^(١٢).

وسبحه: فعل أمر ثلاثي المجرد منه (سَبَّحَ) على زنة (فَعَلَ) وهو الميزان الصرفي للفعل (سبح) الدالة على الكثرة والصيرورة والتوجه والنسبة وقد اتى الله سبحانه وتعالى بهذا الفعل او هذه المفردة للضرورة البلاغية لكونه أخص الافعال لأنه حافل بهذه المعاني التي يريد الله سبحانه وتعالى إيصالها الى المتلقي او السامع

من عباده المخلصين وفي هذه الصيغة نوع من العموم يعني المخاطبة هنا عامة لكافة من يسمع او يقرأ ولم تخص أحداً بحد ذاته^(١٣).

وليلاً: هي ظرف متعلق بسبحه وطويلاً هي نعت^(١٤)، وقيل ان ليلاً مفعول فيه وطويلاً نعت^(١٥). ولا يوجد في الآية الكريمة الصورة البلاغية من التشبيه والكناية والاستعارة والتورية وانما ما دلت عليه هذه الآية التوصية للمؤمنين والعباد الصالحين بعبادة الله ليس في النهار فقط وانما حتى في الليل والمراد بها هنا صلاة الليل.

(سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) ^(١٦). جاءت سبج هنا في هذا الموضع للدلالة على عدة معان دلالة اعرابية سبج: فعل أمر اي نزه وقد تقدم وفاعله مستتر تقديره انت واسم ربك مفعوله وجعل لفظ الجلالة مقحماً على حد قول لبيد^(١٧):

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

ولا داعي لهذا التكلف فإن التنزيه يقع على الاسم اي نزه اسم ربك عن ان يسمى به صنم او وثن فيقال له رب او غله. والأعلى صفة لربك وأجاز ابن هشام ان يكون صفة لاسم (الذي خلق فسوى)^(١٨).

وقد عربت هذه الآية في موضع آخر: واسم: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة وربك مضاف والكاف مضاف اليه منصوب والأعلى نعت^(١٩). والفعل (سبج) على زنة (فَعَّل) للدلالة على الكثرة والتوجه الى تنزيه الله تعالى وجاءت هذه الصيغة للدلالة على الكثرة ومن هنا نستنتج ان الله سبحانه وتعالى عمد ان يأتي بالفعل سبج على هذا الوزن للدلالة على الإكثار والدوام في تسبيح الله تعالى وهذه الآية خالية من التشكيلات البلاغية وهي "الاستعارة والكناية والتورية والتشبيه"؛ لأنه الخطاب هنا أمر من الله الى عباده وهذا الأمر مباشر من غير واسطة هذه التشكيلات البلاغية^(٢٠). قال تعالى: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا" ^(٢١).

ويكون التحليل البياني لهذه الآية وحسب تفسير واعراب علماء اللغة هو ان الفعل (سَبَّحَ): ذكر ان الفاء هنا رابطة لجواب الشرط وسَبَّحَ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره (انت) والاستتار هنا وجوباً وبحمد ربك حال^(٢٢) وقيل ان بحمد: جار ومجرور وهو مضاف وربك مضاف اليه^(٢٣). وقد اختلفوا في الباء فقيل: للمصاحبة والحمد مضاف للمفعول اي فسبحه حامداً له اي نزهه عما لا يليق به واثبت له ما يليق به فهي داخلة في حيز الأمر فإن قلت من اين يلزم بالحمد وهو انما وقع حالاً مقيدة التسبيح ولا يلزم من الأمر بالشيء الأمر بحالة المقيد له وأجيب بأنه إنما يلزم ذلك إذا لم يكن الحال من نوع الفعل المأمور به ولا من فعل الشخص المأمور نحو اضرب هذا ضاحكة وغلا لزم نحو ادخل مكة محرماً فهي مأمور بها وهنا من هذا القبيل وقيل للاستعانة والحمد مضاف الى الفاعل اي سبحه بما حمد به نفسه كقوله الحمد لله. واستغفره: الواو حرف عطف واستغفره فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وجملة انه كان تواباً تحليلية وإن واسمها وجملة كان خبرها وتواباً خبر كان^(٢٤). ان البلاغة في قوله تعالى "إذا جاء نصر الله والفتح" استعارة مكنية تبعية شبه المقدور وهو النصر والفتح بكائن حي ولمشي متوجهاً من الأزل الى وقته المحتوم فشبه الحصول بالمجيء وحذف المشبه به وأخذ بشيء من خصائصه وهو المجيء. هذا وقد أورد الإمام الرازي فصلاً ممتعاً نوره فيما يلي لنفاسه وفائدته، قال: "اتفق الصحابة على ان هذه السورة دلت على معني رسول الله (ص) وذلك لوجوه: أولاً: أنهم عرفوا ذلك لما خطب رسول الله (ص) عقب السورة وذكر التخبير وهو قوله (ص) في خطبته لما نزلت هذه السورة: إن عبداً خيرة الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختر لقاء الله تعالى فقال ابو بكر فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا.

ثانيهما: انه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين افواجاً دلّ ذلك على حصول الكمال والتمام يعقبه الزوال والنقصان كما قيل:

إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالاً إذا قيل تم

ثالثهما: انه تعالى أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار واشتغاله بذلك يمنعه من اشتغاله بأمر الأمة فكان هذا كالبته على ان أمر التبليغ قد تم وكمل وذلك يقتضي إنجاز الأجل إذ لو بقي (ص) بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جائز^(٢٥).

قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (٣٠) "^(٢٦).

التحليل البياني لهذه الآية: هو أن: نسبح: فعل مضارع وفاعله ضمير تقديره (نحن) والجملة الفعلية في محل رفع خبر نحن^(٢٧) وقد تطرق الدكتور محمد سيد طنطاوي في كتابه معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم الى نفس الإعراب والتحليل^(٢٨).

بحمدك: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال اي ملبين بحمدك (ونقد) فعل مضارع معطوف على نسبح (لك) جار ومجرور متعلقان بتقديس وجعلها بعضهم زائدة والكاف مفعول لنقدس، (قال) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو الجملة مستأنفة (اي) ان واسمها (أعلم) فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا والجملة خبر ان (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به (لا) نافية (تعلمون) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها صلة موصول وجملة إني أعلم الاسمية في محل نصب مقول القول^(٢٩).

وان الفعل (نُسبح) على زنة (نُفعل) أحد أوزان الفعل المضارع الدال على الاستمرارية ومن هذا نستطيع ان نتوصل إلى أن^(٣٠) غاية الله عز وجل من ايرا الفعل (نُسبح) في النص الكريم هو استمرارية تسبيح العباد وحمدهم لله تعالى على نعمائه^(٣١).

أما البلاغة والتشكيلات البلاغية في هذه الآية الكريمة فهي كما يأتي مما ذكره العلماء والمفسرين: في الاستفهام الوارد في قوله: أتجعل، خروج لمعناه الأصلي عن موضوعه فهو للتعجب كما اخترنا في الاعراب وقيل: هي للاسترشاد اي أتجعل فيها من يفسد كمن كان فيها من قبل، وقيل استفهموا عن احوال أنفسهم اي أتجعل فيها مفسداً ونحن مقيمون على طاعتك لا نفتر عنها طرفة عين، وقال آخرون هي للايجاب، والواقع ان كل لفظ استفهام ورد في كتاب الله تعالى لا يخلو من أحد هذه الوجوه الستة الآتية:

- ١- التوبيخ ٢- التعجب ٣- التسوية ٤- الايجاب ٥- الأمر ٦- التقرير

أما الاستفهام الصريح فلا يقع من الله تعالى في القرآن لأن المستفهم متعلم ما ليس عنده والله عالم بالأشياء قبل كونها، فالتوبيخ نحو: (أذهبتم طيباتكم) والتقرير (أأنت قلت للناس)، والتسوية نحو: (سواء عليهم أأنذرتهم) والايجاب نحو: "أتجعل فيها من يفسد فيها" والأمر نحو: (أأسلمتم) فعلى هذا يعرف ما جاء في كتاب الله فأعرف مواضعه وتدبر.

هذا وقد اختلفت الأقوال كثيراً في معرفة الكيفية التي عرف الملائكة ان ذرية آدم يفسدون في الارض وأقرب ما رأيناه فيها الى المنطق أنهم علموا ذلك من لفظ خليفة قالوا: ان الخليفة هو الذي يحكم بين الخصوم والخصم إما أن يكون ظالماً أو مظلوماً وحتى حصل التظلم بينهم حصل الفساد في الارض واستشرى^(٣٢).

"وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ" (٣٣).

التحليل البياني للفظه (سبحانه) في الآية الكريمة من كلام الله عز وجل. سبحانه: مفعول مطلق لفعل محذوف والجملة المعترضة للتنزيه^(٣٤).

وهو مصدر معناه: تنزيها له وبقوله مما قالوا والقنوت في اللغة الطاعة والقنوت طول القيام فمعنى الآية ان المخلوقات تقنت لله اي تخشع وتطيع والكفار قنوتهم في ظهور الصفة عليهم وفيهم الكافر يسجد ظله وهو كاره و(بديع) مصروف من مبدع والمبدع المخترع المنشئ مخص السموات والارض بالذكر لأنها أعظم ما ترى من مخلوقاته عز وجل^(٣٥).

وفي الآية الكريمة استعارة وقصد بها التشبيه أو عدمه وقد يكون هناك من التشكيلات البلاغية مما يسمى بـ(المجاز العقلي) في إسناد الفعل أو ما في معناه الى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من الاسناد وهو يدرك بالعقل ومن أمثله البدعة في الشعر قول المتنبي^(٣٦):

كلما أثبت الزمان قناة ركب المرء في القانة سنانا

وسبحان هنا على وزن فعال وهي احدى صيغ المبالغة المتعارف عليها وهنا يكمن سر الاعجاز القرآن في هذه اللفظة لأنها وان دلت تدل على أبعاد جميع التهم الموجهة الى الله سبحانه وتعالى من قبل المشركين واصحاب العقول الضعيفة لأنها تدل على المبالغة في التنزيه والتبرئة له عز وجل من هذه الصفات لأنه واحد أحد لا شريك له^(٣٧).

"هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (٢٤)^(٣٨). إن التحليل البياني للآية الكريمة هو كما سنذكر في هذه الصورة: يُسَبِّحُ: فعل مضارع^(٣٩) وقيل ان كل تسبيح في القرآن فهو صلاة والتسبيح هو تنزيه من النجاسات والمعاصي ومعناه ان تعظم لأنها مواضع الصلوات^(٤٠).

يسبح: بفتح الباء الباقون بكسرها فمن فتح الباء وقرأ على ما لم يسم فاعله احتلم في الرفع^(٤١).

ويسبح فعل مضارع وبما أنه كذلك فهو دال على الاستمرارية ودوام الفعل وهو التسبيح أي تنزيه الباري عز وجل ويسبح على وزن (يفعل) وهو صيغة مبالغة ودال على الاستمرارية وإذا تأملنا في النص الكريم جيداً نجد أن هذه الألفاظ والصفات القرآنية الخالق والبارئ والمصور والعزیز والحكيم الدالة على المبالغة وهو أمر مشترك بينهما وقد أدت هذه الألفاظ والفعل الدال على المبالغة دورها في إيصال المعنى وبشكل واضح وسريع ودقيق إلى المتلقي والقارئ والسامع وهذا هو سر الإعجاز القرآني في هذه الآية^(٤٢).

وقد احتوت هذه الآية على التشكيل البلاغي وهي الكناية حيث كنى نفسه بهذه الأسماء والأسماء الحسنى كلها وهذا تشكيل بلاغي مهم وكان فيه سر الإعجاز القرآني المتمثل بهذه الآية الكريمة^(٤٣).

"سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (١)^(٤٤). إن التحليل البياني لهذه السورة الكريمة وبالتحديد إلى كلمة (سبح، بحسب ما ذكر: إذ إن سبح: فعل ماضي وما بعده جار ومجرور^(٤٥)) فهو تسبيح بالله (العزیز الحكيم) فكل موضع ذكر فيه فالفائدة بمعنى لا ينوب عنه غيره منبهة وإن كان مخرج الكلام على الإطلاق^(٤٦)، وإن الفعل سبح فعل ماضي على وزن (فَعَلَ)^(٤٧) الدال على الخصوصية فهي خصوصية التسبيح بالله تعالى في الماضي وحتى إلى الحاضر وفي كل الأزمان والأماكن ومعناه المنيع بأنه قادر لا يعجزه شيء العليم بوجوه الصواب في التدبير ولا تطلق صفة العليم الحكيم إلا فيه لأنه على هذا المعنى^(٤٨).

(سبح لله) أي نزهه واتى عليه بما هو أهله وبرأه من كل سوء^(٤٩).

وقد جاءت هذه الألفاظ العزیز والحكيم للدلالة على الخصوصية الدالة على الله وقد أدت هذه الألفاظ مع الفعل سبح إلى أداء المعنى المطلوب وإيصاله إلى المتلقي^(٥٠) فتسبيحه ما فيه من الأدلة الدالة على وحدانيته وعلى الصفات التي باين بها جميع خلقه وما فيه من الحجج على أنه لا يشبه خلقه وإن خلقه لا نسبه فعبّر سبحانه عن ذلك بالتسبيح^(٥١).

أما التشكيل البلاغي في هذه الآية هو^(٥٢):

١- قصد الى التعجب بغير صيغة التعجب لتعظيم الأمر في القلوب لدى السامعين ؛لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارق للعادة والنظائر.

٢- السند الى ان تقولوا ونصب مقتاً على تفسير للدلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا مشوب فيه.

٣- اندراج الخاص بالعام وقد ورد النهي العام من القول غير المؤيد بالفعل والمقصود ان أوج الأمر الخاص الذي ورد عقب ذلك وهو في الآية الكريمة.

٤- التكرار لقوله ما لا تفعلون وهو لفظ واحد في كلام واحد ومن فوائد التكرار التهويل والإعظام وإلا فقد كان الكلام مستقلاً لو قيل مقتاً عند الله ذلك فما إعادته إلا لمكان هذه الفائدة.

أما في الآية التي تحتوي على الفعل (يسبح) فليس هناك نوع من تشكيل البلاغي فيها.
"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (١) " (٥٣).

إن التحليل البياني لهذه الآية الكريمة وتحديداً بلفظه (يسبح): (يسبح) فعل مضارع مرفوع ولله متعلقان به أو اللام زائدة في المفعول (وما) فاعل وغلب الأكثر على الأقل وفي السموات متعلقان بمحذوف هو الصلة للموصول وما في الأرض على ما في السموات^(٥٤)، وما بعده صفات أو يدل^(٥٥) ويسبح هنا فعل المضارعة على وزن الفعل وهي لفظة المضارعة الدالة على الاستمرارية واستمرارية الحدوث وهي حدوث الفعل وهو فعل التسبيح الدال على تنزيه الله تعالى^(٥٦) و(يسبح) وما فيها من الأدلة الدالة على توحيده وصفاته التي بآبنا بها خلقه به والنفع لهم فاستحق بذلك التسبيح.

وقد جاء الله سبحانه بهذه الصفات الدالة على الله وعظمته وقد اجتمعت هذه مع الفعل الدال على التسبيح لإيصال المعنى من مراد الله تعالى الى السامع والمتلقي^(٥٧).

إذ ان هذه الأفعال الدالة على دلائل الخاصة حيث ان (المالك) معناه انه المالك لجميع ذلك والمتصرف فيه بما شاء ولا أحد يمنعه منه وانه المالك للإشارة عليها ليس لأحد منعه منها والقدوس هو المستحق لهذه الملكية^(٥٨).

إذ أن (التسبيح) هنا جاء بالصيغة الفعلية؛ لأنه يتحدث ويتجدد ولأنه يصح في كل وقت والادال على الادامة لهذا الفعل ومدام التسبيح لشكر الله على نعمائه^(٥٩).

ان البلاغة والتشكيل البلاغي في هذه الآية الكريمة هو التشبيه وهو التشبيه التمثيلي حيث شبه الله بهذه الصفات لتعريف الخلق عليه وحق يبين لجميع خلقه أنه له الاسماء الحسنى وبالتالي يأخذ بهم الى معرفة الله تعالى بأنه هو كل شيء ويحمل كل هذه الصفات حيث يقول ان اللغة في لفظة القدوس بضم القاف وتشديد الدال من أمساء الله تعالى ويفتح اي الطاهر او المبارك وكل فعول مفتوح غير قدوس وسبوح وذروح ورخوج فبالضم وبفتحه^(٦٠).

"قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨)" ^(٦١). التحليل البياني لهذه الآية الكريمة هو على النمط التالي:

(تسبحون): فعل مضارع وفاعل ومفعوله محذوف اي الله وذلك بالتوبة له^(٦٢)، وتسبحون من الأفعال الخمسة على وزن (تفعلون) وتدل هذه الافعال على الاستمرارية واذا وقعت في جملة فإنها تدل على الاستثناء وهي لغة لبعض اهل اليمن ولا وجه للكلام غيره وقال: المبرد: لا يعرف إلا من الخبر الذي روي "لو لا ذلك لأحرقت سبحات وجهه" بمعنى نور وجهه الذي إذا رأى الرائي قال سبحان الله^(٦٣). (لولا تسبحون): اي هلا ستنثون والتسبيح التنزيه لله عما لا يجوز عليه من صفة وهو التنزيه عن كل صفة ذم ونقص فلذلك جاز ان يسمى الاستثناء بأن يشاء الله تسبيحاً وقيل معناه لو لا تصلون^(٦٤).

وقد احتوت هذه الآية على الاستفهام الإنكاري، ووجود الاستفهام الإنكاري في الجملة دال على التعجب وهذا يعني أنه استعارة الاستفهام للوصول الى التعجب وهذا هو التشكيل البلاغي الذي اراد الله سبحانه وتعالى ايصاله الى السامع والمتلقي^(٦٥).

"وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ" (١٦)^(٦٦). إن التحليل البياني لهذه الآية هو ان سبحانك في هذه الآية واخذت موقع المبتدأ وبهتان خبر وعظيم صفة^(٦٧)، وسبحانك هنا بمعنى تنزيها لك^(٦٨) وسبحان هنا على وزن (فعال) وهي صيغة مبالغة هنا يكمن سر الاعجاز القرآني في هذه اللفظة فاذا تأملنا هذه الآية الكريمة نجد ان هذه اللفظة قد أخذت دورها في إيصال المعنى وبشكل دقيق الى السامع والمتلقي^(٦٩).

وهناك تشكيلات بلاغية احتوت عليها هذه الآية المباركة وهي (التقديم والتأخير) في قوله تعالى (ولولا إذ سمعتموه قلتم...) قدم الطرف لفائدة هامة وهي بيان انه كان من الواجب ان يقولوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم ولعبد القاهر في دلائل الاعجاز بحث عن التقديم والتأخير يقول فيه: باب التقديم والتأخير من الأبواب التي تظهر بها مزية الكلام ويعلوا بها أسلوب على اسلوب ويبدوا بها إعجاز القرآن. (وسر التعجب) في كلمة التعجب (سبحانك) سر عجيب وهو ان الأصل في ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه^(٧٠).

في بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦)^(٧١). فالتحليل البياني لهذه الآية هو ان لفظة (يسبح) جاءت هنا فعل مضارع على وزن (فعل) وهو دال على الاستمرارية في التسبيح^(٧٢) وقال ابن عباس: معناه يصلي له فيها بالغداة والعشي وهو قول الحسن والضحاك وقال ابن عباس: كل تسبيح في القرآن فهو صلاة^(٧٣).

وجاءت لفظة (سبح) عنها بصيغة الفعل المضارع الدال على الاستمرارية وهنا يكمن سر الاعجاز القرآني في هذه اللفظة وإذا تأملنا في النص الكريم نلاحظ ان الالفاظ قد أدت دورها في ايصال المعنى وبشكل دقيق الى السامع والقارئ والمتلقي في لفظة الغدو والأصال أمر مشترك وهو الاستمرار^(٧٤). وقد احتوت هذه الآية على نوعين من التشبيه وهو التشبيه البليغ في قوله (في بيوت أذن...) والتشبيه المرسل المتمثل في قوله (بالغدو والأصال)^(٧٥).

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١)"^(٧٦). إن التحليل البياني لهذه الآية هو ان لفظة يسبح في هذه الآية جاءت في موضع الخبر الذي له متعلقان يسبح ومن فاعل يسبح وفي السموات والارض صلة من وحيث ان الآية بدأت بكلام مستأنس مسوغ لتقرير هذه الحقيقة فالهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم^(٧٧). و(تسبيحه) اخذت موقع المعطوف بحرف العطف الواو، وهي مضافة والهاء مضاف اليه^(٧٨)، فالتسبيح هو التنزيه لله تعالى عن جميع ما لا يجوز عليه ولا يليق به فمن نفى عنه صاحبة الواو فقد سبحنه لأنه برأه مما لا يجوز عليه ومن نفى عنه ان يكون له شريك في ملكه او عبادته فقد سبحه لأنه برأه مما لا يجوز عليه وكذلك من نفى عنه فعل القبح فقد سبحه لأنه برأه مما لا يجوز عليه^(٧٩).

ان التشكيل البلاغي الوارد في الآية فهو التعجب وذلك باستخدام الاستفهام الاستكاري كصيغة للتعجب وهي متمثلة بقوله (ألم تر) لبيان مدى كفرهم وطغيانهم ثأنهم بروا أمامهم وينكرون هذا على الله^(٨٠). "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)"^(٨١).

ان التحليل البياني للآية هو: (سبحان) علم جنس للتنزيه والتقديس وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره أسبح الله سبحانه أو سبحت الله سبحان أي فهو مفعول مطلق ومعناه ما أبعد الذي له هذه القدرة

عن جميع النقائص ولذا لا يستعمل إلا فيه تعالى^(٨٢)، وسبحان هي مفعول مطلق لفعل محذوف وهو مضاف والذي مضاف اليه^(٨٣) وسبحان على وزن فعال وهي إحدى صيغ المبالغة^(٨٤) وقال روي عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه انه قال: سألت رسول الله (ص) عن معنى (سبحان الله) فقال تنزيها لله من كل سوء. قال ابو جعفر: شرح هذا انه بمعنى تبعيد الله جل وعز عن كل ما نسبه اليه المشركون^(٨٥). اما التشكيلات البلاغية في هذه الآية يقال ان هذه الآيات اشملت على ضروب من البلاغة ندرجها فيما يلي:

١- الذكر: ذكر الليل مع الأسرى وذلك لأمرين هما:

أ- ان الاسراء لا يكون إلا بالليل ويدل على أمرين احدهما السير والآخر كونه ليلاً اريد افراد أحدهما بالذكر تثبيتاً في نفس المخاطب وشبها على انه مقصود بالذكر^(٨٦).

ب- الإشارة بتكرير الليل الى تقليل مدته ؛لأن التذكير فيه قد دل على معنى البعضية وهذا بخلاف ما لو قيل اسرى بعبد الليل فإن التركيب مع التعريف يفيد استغراق السيد لجميع اجزاء الليل.

٢- الوصل والفصل.

٣- الالتفات.

ولا تحتوي على التشبيه والكناية والاستعارة والتورية^(٨٧).

"تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيماً غَفُوراً" (٤٤)^(٨٨). (تسبح) هنا فعل مضارع وله متعلقان به وعلى السموات والارض و(يسبح) فعل مضارع والفاعل مستتر (وتسبحهم) مفعول به^(٨٩)، وقيل إن (تسبح) على تأنيث الجماعة ويسبح على تذكير الجميع (وأن من شيء إلا يسبح بحمده) وقد تكلم العلماء في معناه فقال بعضهم: هو التسبيح

الذي يعرف وقال بعضهم: هو مخصوص وقال بعضهم: تسبيحه دلالة على تنزيه الله جل وعز وتأول^(٩٠).

وقيل (تسبيحهم) على ان مخاطبة للكفار الذين لا يستدلون: وقيل: ولكن لا تفقهون مخاطبة للناس وإذا كان فيهم من لا يفقه ذلك فلم يفقهوا^(٩١). أما البلاغة في قوله تعالى "وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم" فن التنكيت وقد تقدمت الإشارة إليه وأنه قد المتكلم الى شيء بالذكر من دون غيره مما يسد مسده لكنة في المذكور ترجح مجيئه على سواه فقد خص سبحانه تفقهون دون تعلمون لما في الفقه من الزيادة على العلم لأن التصرف في العلوم بعد علمه واستنباط الأحكام فيه والمراد الذي يقتضيه معنى الكلام التفقه في معرفة التسبيح من الحيوان البهيم والنبات والجماد وكل ما يدخل تحت لفظه شيء مما لا يعقل ولا ينطق إذ تسبيح ذلك بمجرد وجوده الدال على قدرة موحده وحكمته^(٩٢).

"أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" (١)^(٩٣) ذ. (سبحانه) هنا جاءت مفعول مطلق لفعل محذوف^(٩٤) والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة^(٩٥)، وسبحان هنا على وزن (فعال) وهي صيغة مبالغة جاءت حتى تؤدي المعنى المطلوب بشكل دقيق في النص الكريم وهنا يكمن سر الاعجاز في هذه الكلمة^(٩٦).

وقوله (سبحانه وتعالى) تنزيه منه تعالى لنفسه وتنزيه من ان يعبد معه إله أو يتخذ من دونه معبود^(٩٧). و(سبحانه وتعالى) معناه ما اعظم الله حق عظمته من اشرك في عبادته لان من تعظيمه اخلاص الإلهية له وأنه الواحد تفرد به^(٩٨) وتحتوي هذه الآية على نوعين من التشكيلات البلاغية وهي الایجاز والمجاز والمرسل ولا تحتوي على الاستعارة والكناية والتورية^(٩٩).

"إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ" (١٨)^(١٠٠). ان التحليل البياني لهذه الآية هو أن (يسبحن) وقعت هنا حالية^(١٠١) وهو فعل مضارع والنون فاعل^(١٠٢).

وانطوت هذه الآيات فنون متعددة تبهر السامعين واليك التفصيل: العدول عن الاسمية والفعلية في قوله (يسبحن) عدول عن الاسم الى الفعل والنكته فيه الدلالة على التجدد والحدوث شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال وكأن السامع حاضر تلك الحالة يسمع تسبيحها ومثله قول الأعثمى:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى الضوء باليفاع تحرق

والطباقي في قوله (بالعشي والإشراق) طباقي بديع بين صلاة العشاء وصلاة الضحى وروي عن ابن عباس انه قال: كنت أمر بهذه الآية: بالعشي والإشراق ولا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ ان رسول الله (ص) دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال: يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق وعن طاووس عن ابن عباس ايضاً: قال: هل تجدون ذكر الضحى في القرآن قالوا: لا نقراً: إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق وعنه ايضاً: ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية^(١٠٣).

ومعنى (يسبحن بالعشي والإشراق) ومعناه انها كانت تسير بأمر الله معه حيث سار بالغداة والعشي فسمى الله ذلك تسبحاً لما في ذلك من التنزيه والنبوة^(١٠٤).

"وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)" ^(١٠٥). ان التحليل البياني لهذه الآية الكريمة هو ان لفظة (يسبحون) رضا الكلام مستأنف مسوق لوصفه الملائكة المقربين في ذلك اليوم وترى الملائكة فعل مضارع^(١٠٦) وقيل ان (يسبحون) فعل مضارع والواو فاعل^(١٠٧).

(وتسبحون) من الأفعال الخمسة على وزن (تفعلون) ووقعها في الكلام يدل على الاستمرارية والخصوصية وهنا جاءت الاستمرارية لتدل على استمرار ودوام التسبيح الى الله تعالى لكونه إله الناس كافة ولي أمرهم وصاحب العرش^(١٠٨).

أما البلاغة في الآية الكريمة وهي ختام سورة الزمر التي تميز بذكر أحوال القيامة والتحميد والتسبيح كما تتميز بالجزالة في اللفظ ولسنا نعني بالجزالة ان يكون اللفظ متيناً قوياً على عذوبة في الفم وحلاوة جرسه في السمع ولو نظرنا الى قواعد القرآن عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا وما جرى هذا المجرى فإننا لا نرى شيئاً من ذلك وحشي الالفاظ ولا متوعراً موكلاً في الجساسة والنبوة وسنعمد الى ايضاح ما ورد فيها من فنون^(١٠٩).

(وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) ((٤٢))^(١١٠).

ان التحليل البياني لهذه الآية هو كالاتي ان مفردة (سبحوه) جاءت هنا على صيغة فعل الأمر وفاعل ومفعول به^(١١١) يعني على صيغة الجملة الفعلية التي تدل على الحدوث والتجدد وبما أن التسبيح يكون بكرة وأصيلاً يعني من الصباح الى المساء جاء بالصيغة الفعلية الدالة عليه وهنا يكمن سر الاعجاز حيث أدت هذه المفردة دورها في الجملة وبشكل دقيق^(١١٢).

أما البلاغة في هذا النص هو (التخصيص) خص البكرة والاصيل في قوله (وسبحوه بكرة وأصيلاً) بالذكر لإظهار فضلها والتنويه بهما لأن العبادة فيهما أكد على الانسان كما خص التسبيح وهو من انواع الذكر ليبين فصله على سائر الأذكار، روي الترمذي في خطابه (ص) لجويرية ام المؤمنين "الا أعلمك كلمات تقولينها سبحان الله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته" قال الجلال السيوطي في التعليق على هذا الحديث. "سئلت قديماً عن إعراب هذه الألفاظ ووجه النصب فيها فأجبت بأنها منصوبة على الظرف بتقدير قدر" وعليها فقدره بعضهم أعد تسبيحه بعدد خلقه وقدره آخرون: سبحته تسبيحاً يساوي خلقه عند التعداد، قال ابن حجر في المشكاة: (والأول أوضح) واعربه آخرون رضيّاً بنزع لخافض. هذا وللنووي كتاب لطيف في الانكار اسمه "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"^(١١٣).

"سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)" (١١٤). ان التحليل البياني للآية قبل ان هذه اللفظة (سبحان) مفعول مطلق وهو مضاف والذي مضاف اليه (١١٥) وقيل انها مفعول مطلق لفعل محذوف (١١٦). (وسبحان) على وزن فعال وهي صيغة مبالغة جاءت لتأدية المعنى المطلوب بشكل دقيق وايصال المعنى المطلوب الى السامع والملقي مع المفردات الواردة في النص (١١٧). ولفظة (سبحان) (١١٨) معناه براءة الله سبحانه وتنزيهه الله عز وجل من السوء (١١٩).

والبلاغة في قوله "سبحان الذي خلق الازواج كلها" الآية فن التناسب بين المعاني أو صحة التفسير وهو ان يأت المتكلم في أول كلامه بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه فإما ان يكون مجملًا يحتاج الى تفصيل او موجهًا يفتقر الى توجيه او محتملاً يحتاج المراد منه الى ترجيح لا يحصل الا بتفسيره وتنبهه ووقوع التفسير في الكلام على اتحاد تارة يأتي بعد الشرط أو بعد ما فيه معنى الشرط وطوراً بعد الجار والمجرور وآونة بعد المبتدأ الذي تعتبره خيرة وقد أتت صحة التفسير في هذه الآية مقترنة بصحة التقسيم واندماج فيهما الترتيب والتهذيب فكان فيها اربعة فنون فقد قدم سبحانه الثبات كما ذكرنا في الاعراب وانتقل على طريق البلاغة الى الاعلى فثنى بأشرف الحيوان وهو الانسان ليستلزم ذكره بقية الحيوان ثم ثلث فانقل من الخصوص الى العلوم (١٢٠).

"لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)" (١٢١).

ان التحليل البياني لهذه الآية في لفظة او جملة يسبحون: وهي جملة فعلية دالة على التجديد والاستمرار والحركة (١٢٢) وقيل ان جملة يسبحون وقعت خبراً (١٢٣) ووقعت يسبحون هنا موقع الافعال الخمسة على وزن (يفعلون) (١٢٤).

أما التشكيل البلاغي لهذه الآية الكريمة هو ان هذه الآية تحتوي على (الاستعارة) وهي استعار الادراك للشمس والسبق ليل والنهار ليبيين ما هو مقرر في علم الجغرافيا من دورات للشمس والقمر والأرض

وتكون الليل والنهار وجعل الشمس غير مدركة والقمر غير سابق لأن الشمس ثابتة لا تدور إلا دورة لم تعرف مدتها حول شيء مجهول لنا بالكلية لها ايضاً دورة على محورها كالأرض تقطعهما في خمسة وعشرين يوماً أو هي بالضبط خمسة وعشرون يوماً وست ساعات وست عشرة دقيقة وثمانية ثوان أما القمر فله حركتان: إحداها حول محوره وثانيهما حول الأرض في تسعة وعشرين يوماً ونصف تقريباً وهذا هو المسمى بالشهر القمري فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالإدراك لتباطؤ سيرها والقمر خالق بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره. أما الوجه الآخر من أوجه البلاغة هو:

(التغليب) وغلب العقلاء لانه نزل الشمس والقمر والنجوم والكواكب منزلتهم والسر فيه انه لما وصفهم بالسباحة وهي من أوصاف العقلاء ساغ له ذلك^(١٢٥).

"قُلْ لَّا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣)"^(١٢٦). ان التحليل البياني لهذه الآية هو ان لفظة مسبحين جاءت هنا خبر للدلالة على التنزيه^(١٢٧). وجاءت هنا (يسبحون) بالصيغة الوصفية بمعنى انه كان هذا وصفه الثابت وهو وصفه لنبي الله يونس (ع) والصيغة الوصفية هنا اشارة الى ان مداومة التسبيح تخلص من الكروب والمكاره وان يونس إنما نجا من هذه الشدة بمداومة التسبيح^(١٢٨).

وان البلاغة في هذه الآيات يبدو الأسلوب المكي واضح الدلالة ظاهر المفهوم مرهف العاطفة فقد تكرر فيه الاستقهام الانكاري، منكر عليهم جهلهم المفرط في الغباء القائم على ثلاث جهالات: اولها: التجسيم لأن الولادة من خصائص الأجسام وثانيهما تفضيل انفسهم على ربهم حيث جعلوا اوضح الجنسين في اصطلاحهم ومفهومهم له وارفعا لهم وتلك جهالة ما بعدها جهالة وثالثهما أنهم استهانوا بأكرم خلق الله وأقربهم اليه حيث انتوهم وقد كانوا يتعايرون بوصف الانوثة ويعتبرونه من دلائل الإهانة وسمات الخسة^(١٢٩).

" لَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) " (١٣٠). انطوت هذه الآية والآيات على أفانين من البلاغة نوجزها فيما يلي:

١- فإن أول فن فيها هو الحذف فقد حذف الموصوف وهو الله تعالى وأقام صفاته مقامه لأن الكلام مجزأ فبعضه من قولهم وبعضه من قول الله تعالى فالذي هو من قولهم خلقهم وما بعده هو من قول الله تعالى واهل الكلام أنهم قالوا خلقهم الله بدلالة قوله في آية أخرى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله.

٢- الالتفات: والفتن الثاني هو الالتفات فإنه لما وقع الانتقال من كلامهم الى كلام الله عز وجل جاء اوله على لفظة الغيبة وآخره على الانتقال منها الى التكلم في قوله فانشرنا افتناناً في أفانين البلاغة ولتسجيل المنة على عباده وقرع أسماعهم بها ومن هذا النمط في القرآن كثير .

٣- سر الحال: والسر في قوله (وإنا الى ربنا لمنقلبون) انه كم من راكب دابة عثرت به أو شملت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب بحد ذاته أمراً شديداً لخطورة مجهول المغبة والراكب مستهدف لأنواع المتالف وصنوف المخاطر (١٣١).

المبحث الثاني: جمالية الإعجاز القرآني في الآيات المسبحات ودلالاته:

ذكر ابن الأزرق "ان جمالية الاعجاز القرآني في الآيات المسبحات ودلالاته على قدرة الله عز وجل منصرف النظر عن المعجزة ذاتها يكفي عجز البشر عنها لتكون الآية والبرهان" (١٣٢).

ومن ذلك استعماله للاستغفار فإنه لما كان الاستغفار يحدث ويتجدد جاء به بالصيغة الفعلية كثيراً شأن الانفاق قال تعالى: "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧)" (١٣٣).

وقال تعالى: "تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطُّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)" (١٣٤).

ولم يرد بالصيغة الاسمية إلا في آية واحدة هي التي ورد فيها الانفاق اسماً وهي قوله تعالى: "الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧)" (١٣٥). أي اصحاب هذه الصفات.

ومثل ذلك التسبيح فإنه ورد بالصيغة كثيراً للسبب نفسه وذلك نحو قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)" (١٣٦)، وقوله تعالى "سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)" (١٣٧). ولم يرد بالصيغة الوصفية إلا في اثنين: إحداهما: في وصف نبي الله يونس (ع) (١٣٨)، قال تعالى: "قُلْ لَا أَنُفِثُ لَكُمْ رُوحًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣)" (١٣٩).

"بمعنى انه كان هذا وصفه الثابت فنجا لأنه كان من اصحاب هذا الوصف، والمجيء بالصيغة الوصفية هنا اشارة الى ان مداومة التسبيح تخلص من الكروب والمكارب وان يونس إنما نجا ن هذه الشدة بمداومة التسبيح" (١٤٠).

والثانية: في صفة الملائكة قوله عز وجل: "وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)" (١٤١). (اي صفتهم الثانية) وقد ذكر الله سبحانه ان الملائكة: "يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ (٢٠)" (١٤٢).

"إذن فالتسبيح وصف ثابت فيهم" (١٤٣). وانظر هنا الى لطيفة وهو ان ما كان من شأنه ألا يفعل إلا مجازاة وليس من شأنه ان يذكر الاتصاف به لم يأت إلا في تراكيب الافعال (١٤٤). كقوله تعالى: "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)" (١٤٥) "قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمِ تَبَشِّرُونَ (٥٤)" (١٤٦) "وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧)" (١٤٧).

وفي قوله تعالى: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)" (١٤٨). جاء في هذه الآية الكريمة لفظة تسبيح على وزن نفع وهو فعل مضارع دال على الاستمرارية اي استمرارية التسبيح الى الله وقد جاء الله سبحانه وتعالى بهذه اللفظة الكريمة لتدل على ما يريد ان يوصله الله عز وجل من معنى وقامت هذه اللفظة بإيصال المعنى المطلوب وبشكل واضح ومفهوم الى القارئ والسامع وهنا يكمن سر الاعجاز القرآني وجمالية ونوع هذه اللفظة في هذا الموقع بالذات لتدل على المطلوب (١٤٩).

وجاءت (نسبح) هنا ايضاً للدلالة على حالة مقرررة لجهة الاشكال كقولك أحسن الى أعدائك وانا الصديق، وبحمدك في موضع الحال هنا اي: متلبين بحمدك على ما ألهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك، والتسبيح بتعبد الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس (١٥٠). وقوله تعالى: "قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)" (١٥١).

جاءت لفظة (سبحانك) هنا على وزن فعلا ن وهي صيغة المبالغة لتدل على المبالغة والتكثير من تنزيه سبحانه وتعالى عن كل ما يسبب اليه من أمور وجاءت لفظة (سبحانك) هنا مناسبة مع الصفتين العزيز والحكيم لغرض تأويل المعنى المطلوب وهو إيصاله الى المتلقي والسامع وهنا يكمن سر الاعجاز القرآني (١٥٢) وجاءت هنا لدلالة على الاعتراف بالعجز والقصور (١٥٣).

وفي سورة أخرى قال تعالى: "تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفًا غَفُورًا (٤٤)" (١٥٤). نلاحظ هنا في هذه الآية ان لفظة (سبح) جاءت مرتين بصيغتين مختلفتين: الصيغة الاولى هي صيغة الفعل المضارع الدال على الاستمرارية على مرور الزمان والصيغة الثانية هي صيغة المبالغة على وزن (تفعيل) الدالة على الغلو والمبالغة في التسبيح وقد جاءت الصيغتين هنا لدلالة على أمر مشترك من الاعجاز الإلهي وحتى تكون لهم جمالية

واحدة وهي تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل شيء غير لائق في الوجود^(١٥٥) ولفظة (يسبح) دالة على تنزيه عز وجل عما هو من لوازم الإمكان توابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بإمكانها وحدثها على الصانع القديم الواجب لذاته).

"ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لإسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز إطلاق اللفظ على معنيه"^(١٥٦).

وقال جلال الدين السيوطي سمعت عن ابي يقول: سمعت علي بن ابي طالب أمير المؤمنين (ع)، يقول: إن الطير اذا اصبحت سبحت ربها وسألته قوت يومها وان هذه تسبيح ربها وتسأله قوت يومها^(١٥٧). ونرى ان في هذه المواضع جاءت لفظة تسبح بالصيغة الفعلية لدلالة على استمرارية الحدث ولملائمتها مع المقصود من التسبيح وهو الطير وهنا تكمن جمالية ونوعها في النص الكريم لمناسبتها طبيعة لحال المقصودة.

قوله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)"^(١٥٨). سبحان جاءت هذه اللفظة على وزن (فعلان) احدى صيغ المبالغة للدلالة على الكثرة والمبالغة في تنزيه الله سبحانه وتعالى^(١٥٩). وهو اسم بمعنى التسبيح الذي هو للتنزيه يستعمل علماً له فيقطع عن الاضافة ويمنع عن الصرف"، وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز^(١٦٠).

واي سبحانه وتعالى بهذه اللفظة حتى يمجّد نفسه ويعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه فلا إله غيره^(١٦١).

واتى بهذه المفردة على هذه الصيغة لدلالة على مناسبة الحديث وهو التنزيه والتعريف بقدره الباري عز وجل في جميع الاوقات والازمان وهنا تكمن سر جمالية واعجاز المفردة التي جاءت مناسبة مع الصفات

(السميع والبصير) وقد أدت معهما المعنى المطلوب للقارئ والسامع^(١٦٢). وقوله تعالى ايضاً: "وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ" (١٦)^(١٦٣). جاءت لفظة (سبحانك) هنا للدلالة على التأديب اي سبحان الله ان يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليلة خليله لأن الخطاب هنا موجه الى رسول الله (ص) وزوجته وأتى بهذه اللفظة الدالة على المبالغة للملائمة الى عظمة ما يقولون ويهتمون به الرسول وهنا كانت جمالية وقوعها لما في الأمر ما يستوجب المبالغة والتعجب لما فيه من الرزة الى الرسول (ص) وهو رسول الله وحببيه وخاتم أنبيائه^(١٦٤).

وسبحانك كما قلنا ونعت في هذا الموقع للتعجب من الإفك أو ممن يتول ذلك وأصله ان يذكر عند محل متعجب تنزيهاً لله تعالى من ان يصعب عليه فله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان تكون مرفه ثبته فاجرة فإن فجورها ينفر منه ونحل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريراً لما قبله وتمهيداً^(١٦٥).

وفي نفس السورة قوله تعالى: "فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ" (٣٦)^(١٦٦). جاءت لفظة (يسبح) هنا فعل مضارع بالصيغة الفعلية الدالة على عدم الثبوت واستمرارية الحدوث لملائمتها واقع الحال ودلالة على استمرارية التسبيح والذكر في الغدو والآصال ولمجيء كل هذه الدلالة فوجد من المناسب جداً ان يأتي بهذه المفردة على هيئة فعل مضارع في جملة فعلية لأن حدث الآية مستمر وتكون بوجودها هنا جمالية للنص الكريم واعجاز كبير وقيل ان التسبيح في هذه المواقع وحسب رأي ابن عباس يدل على الصلاة ولما انه دال على الصلاة والصلاة واجب يومي مستمر لا انقطاع له اتي بفعل مضارع يدل على الاستمرارية للمناسبة مع سياق النص^(١٦٧). ولا تسبيح هنا قيل بمعنى ينزهونه ويصلون له فيها بالغدوات والعشيات^(١٦٨).

وفي موضع آخر يقول عز وجل: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١)" (١٦٩). وردت اللفظة المصورة مرتين في هذا النص ولورودها مرتين جمالية واعجاز ؛لأن كلام الله بليغ وكل شيء له معنى وارد فيه ومعنى كبير .

ففي الصيغة الاولى التي وردت بها لفظة (سبح) هي صيغة الفعل المضارع الدال على الاستمرار وجاء سبحانه والتنزيه من قبل العباد الى الله عز وجل وجمالية وقوعها في هذا الموقع من النص لأن التسبيح عند وروده في القرآن يعني الصلاة والصلاة مستمرة غير منقطعة على طول حياة البشر نحن المناسبة ان يأتي بهذه الصيغة الدالة وقيل انها جاءت هنا للدلالة على تسبيح الطير في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح أهمها وارستها اليه وهو يعلم ما هي فاعلة ولهذا قال (كل قد علم صلاته وتسبيحه) اي كل قد أرشده الى طريقه ومسلكه في عبادة الله عز وجل (١٧٠).

وقيل في موضع آخر قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختباراً او طبعاً (١٧١).

وقال تعالى في مواضع أخرى من القرآن الكريم: " مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١)" (١٧٢). وردت لفظة (سبحان) على وزن (فعلان) وهي صيغة مبالغة تدل على المبالغة في تنزيه الله عز وجل عما يقول الظالمون المعاندون في دعواهم الولد والشريك علواً كبيراً (١٧٣). وجاءت هذه اللفظة لتأدية المعنى المطلوب من الدلالة على المبالغة لكون ما قام الكافرون بسببه الى الله شيء كبير يستحق المبالغة والتعجب وهنا تكمن سر الاعجاز والجمالية من ورودها في هذه الآية الكريمة لتنزيه عن الولد والشريك (١٧٤). وفي قوله تعالى: (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) (١٧٥).

وردت لفظة (يسبحون) بالصيغة الفعلية للدلالة على ثبوت تسبيح المؤمنون على طول الوقت بلا فتور او تهاون او ملل وينزهونه ويعظمونه دائماً (١٧٦).

وهم دائبون في العمل ليلاً ونهاراً مطيعون قصداً وعملاً قادرون عليه وهنا تكمن جمالية واعجاز ورود الصيغة في الآية المباركة لمناسبتها النص الكريم^(١٧٧). وقوله تعالى: "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦)"^(١٧٨). وردت هذه اللفظة كثيراً على صيغة (سبحان) ولكن جاءت هنا مضافة الى الضمير (الهاء) للدلالة على خصوصية أكبر لكون التسبيح خاص بالله تعالى لا بغيره وهي هنا دالة على المبالغة والتأكيد على ما ورد من الحديث لغيبته في آيات سابقة تذكر احاديث المشركين التي تشكك بوحدانية وكون له ولداً فجاءت لفظة سبحانه المخصوصة هنا لتنزيهه من الذي قاله العرب ان الملائكة بنات الله فقال سبحانه اي الملائكة عباد الله مكرمون عند الله لهم منازل عالية ومقامات سامية وهم له في غاية الطاعة قولاً وفعلاً^(١٧٩) وقالوا ان هذه الآية نزلت عندما قالوا قبيلة خزاعة ان الملائكة بنات الله. وورود هذه الآية واستعمال لفظة (سبحانه) المخصوصة له من الاعجاز والجمالية في اختيار اللفظة المناسبة ووقوعها في هذا الموقع مهم جدا في الآية اضاف لها رونق وجمال واعجاز بديع^(١٨٠). قال تعالى: "مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّهُ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"^(١٨١). فجاءت لفظة سبحان هنا كمثيلتها للدلالة على المبالغة في التنزيه له عز وجل وكند بن للنصارى وتنزيهه لله تعالى لما يهتوه وجاءت هذه اللفظة مناسبة للسياق فلم يستعمل لفظة أخرى فلو استعمل لفظة أخرى لما أعطت هذه الجمالية ولما أدت هذه المعنى الذي ادته لفظة سبحانه في هذا الموضع من النص القرآني^(١٨٢). وقيل في مواضع أخرى هو تنزيه عما يقول الجاهلون الظالمون المعتدون علواً كبيراً فإنه اذا أراد شيئاً فإنما يأمر به فيصر كما يشاء^(١٨٣). وبذلك يكون لأسلوب الاعجاز في الآيات المسبحات جمالية في النص القرآني بما يضيفه النص من دلالات سياقية وإيحائية لها أثرها في شد أذن السامع والمتلقي معاً للنص القرآني، وهذا ليس بالعجب على نص تميز بدقة في السبك وتمام في الدلالة.

الخاتمة:

توصل البحث الى ما يأتي:

(١) توصلنا الى ان الاعجاز في القرآن الكريم وبحسب آراء العلماء والمفسرين اللغويين والأصوليين أمر قديم قدم القرآن الكريم وقدم نزوله وعرفت ان الاعجاز عند المفسرين أمثال الرماني والجرجاني وغيرهم هو أمر خارق للعادة لا يتسع اليه اذرع المخلوقين ، وعرفنا ايضا ان اعجاز القرآن يكمن في فصاحته وبلاغته والايجاز الذي فيه كما قال الرازي وأغلب العلماء .

(٢) ثم وجدنا ان أسباب نزول هذه الآيات اسباب متعددة بسبب تعدد المناسبات التي نزلت فيها النصوص التي تحتوي على الآيات المسبحات البعض منها نزل على الانبياء أمثال النبي يونس (ع) والنبي محمد (ص) ونبي الله آدم (ع) ونبي الله داود وابراهيم وسليمان (ع) ومنها ما نزلت في مناسبات قد وقعت مع النبي محمد (ص).

(٣) وتوصلنا ايضاً ان هذه الآيات قد احتوت على تشكيلات بلاغية مختلفة تكمن في كيفية صياغة لفظة (سبح) فقد جاءت بصيغ مختلفة صيغ دلت على المبالغة وصيغ دلت على الاستمرارية وصيغ دلت على الكثرة في التسبيح فقد جاءت على صيغة المصدر وجاءت على صيغة فعل الامر وجاءت على صيغة فعل المضارع والماضي وجاءت على صيغة صيغ المبالغة الدالة على المبالغة والكثرة والتتزيه لله وعلى صيغة اسم فعل الامر وكل هذه الصيغ قد دلت على شيء معين وهدف معين .

(٤) ثم اعطت جمالية خاصة بحسب الموقع الذي وقعت فيه وحسب المناسبة التي نزلت فيها الآية المباركة.

(٥) وجدنا ان هذه الصيغ كلها جمعتها دلالة واحدة فضلاً عن باقي الدلائل وهي تتزيه الله عز وجل عن كل ما قيل بحقه من انه له ولد وله شريك وان الملائكة بنات الله وأن الله له البنات وغيرها .

٦) توصلنا ان جمالية الاعجاز في هذه الآيات قد جاءت في الصيغ التي وردت فيها لفظة (سبح) وما دلت عليه هذه الصيغ كما ذكرت حيث اضافت الى الآية الكريمة شيء من البلاغة وتقوية الحجة في التنزيه لله سبحانه وتعالى وقد وجدت ان لله جل جلاله الحجة البالغة والقوية والاسباب الهادفة والسامية من تنزيل هذه المفردات بهذه الصيغ في جميع القرآن الكريم عامة وفي الآيات المسبحات خصوصاً.

فهارس البحث:

فهرست الآيات التي احتوت على لفظة (سَبَّحَ) ومشتقاتها

- سورة البقرة: ٣٠ (نسبح)، ٣٢ (سبحانك)، ١١٦ (سبحانه).
- سورة آل عمران: ٤١ (سَبَّحْ)، ١٩١ (سبحانك).
- سورة النساء: ١٧١ (سبحانه).
- سورة المائدة: ١١٦ (سبحانك).
- سورة الأنعام: ١٠٠ (سبحانه).
- سورة الأعراف: ١٤٣ (سبحانك)، ٢٠٦ (يسبحونه).
- سورة التوبة: ٣١ (سبحانه).
- سورة يونس: ١٠ (سبحانك)، ١٨ (سبحانه)، ٦٨ (سبحانه).
- سورة يوسف: ١٠٨ (سبحان).
- سورة الرعد: ١٣ (يُسَبِّح).
- سورة الحجر: ٩٨ (فسبيح).
- سورة النحل: ١ (سبحانه)، ٥٧ (سبحانه).
- سورة الإسراء: ١ (سبحان)، ٤٣ (سبحانه)، ٤٤ (تسبح)، ٩٣ (سبحان)، ١٠٨ (سبحان).

- سورة مريم: ١١ (سبحوا)، ٣٥ (سبحانه).
- سورة طه: ٣٣ (نسبحك)، ١٣٠ (سبح).
- سورة الأنبياء: ٢٠ (يسبحون)، ٢٢ (سبحان)، ٢٦ (سبحانه)، ٣٣ (يسبحون)، ٧٩ (يسبحن)، ٨٧ (سبحانك).
- سورة المؤمنون: ٩١ (سبحان).
- سورة النور: ١٦ (سبحانك)، ٣٦ (يسبح)، ٤١ (يسبح).
- سورة الفرقان: ١٨ (سبحانك)، ٥٨ (سبح).
- سورة النمل: ٨ (سبحان).
- سورة القصص: ٦٨ (سبحان).
- سورة الروم: ١٧ (فسبحان)، ٤٠ (سبحانه).
- سورة السجدة: ١٥ (سبحوا).
- سورة الأحزاب: ٤٢ (سبحوه).
- سورة سبأ: ٤١ (سبحانك).
- سورة يس: ٣٦ (سبحان)، ٤٠ (يسبحون)، ٨٣ (فسبحان).
- سورة الصافات: ١٤٣ (المسبحين)، ١٥٩ (سبحان)، ١٦٦ (المسبحون)، ١٨٠ (سبحان).
- سورة ص: ١٨ (يسبحن).
- سورة الزمر: ٤ (سبحانه)، ٦٧ (سبحانه)، ٧٥ (يسبحون).
- سورة غافر: ٧ (يسبحون)، ٥٥ (سبح).
- سورة فصلت: ٣٨ (يسبحون).
- سورة الشورى: ٥ (يسبحون).

- سورة الزخرف: ١٣ (سبحان)، ٨٢ (سبحان).
 - سورة الفتح: ٩ (تسبحوه).
 - سورة ق: ٣٩ (سَبِّحْ)، ٤٠ (فسبحه).
 - سورة الطور: ٤٣ (سبحان)، ٤٨ (سَبِّحْ)، ٤٩ (فسبحه).
 - سورة الواقعة: ٧٤ (فسبحْ)، ٩٦ (فسبحْ).
 - سورة الحديد: ١ (سبحْ).
 - سورة الحشر: ١ (سبحْ)، ٢٣ (سبحان)، ٢٤ (يسبح).
 - سورة الصف: ١ (سبحْ).
 - سورة الجمعة: ١ (يسبح).
 - سورة التغابن: ١ (يسبح).
 - سورة القلم: ٢٨ (تسبحون)، ٢٩ (سبحان).
 - سورة الحاقة: ٥٢ (فسبح).
 - سورة المزمل: ٧ (سبحاً).
 - سورة الإنسان: ٢٦ (سبحه).
 - سورة الأعلى: ١ (سبح).
 - سورة النصر: ٣ (فسبحْ).
- فهرست الآيات التي بدأت بالتسبيح:
- قال تعالى: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" (سورة النحل: ١).

- قال تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ". (سورة الإسراء: ١).
 - قال تعالى: "سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ". (سورة الحديد: ١).
 - قال تعالى: "سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ". (سورة الحشر: ١).
 - قال تعالى: "سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ". (سورة الصف: ١).
 - قال تعالى: "سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ". سورة الجمعة: ١).
 - قال تعالى: "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". (سورة التغابن: ١).
 - قال تعالى: "سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى". (سورة الأعلى).
- فهرست الآيات التي انتهت بالتسبيح:
- قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ". (سورة الأعراف: ٢٠٦).
 - قال تعالى: "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ". (سورة يس: ٨٣).
 - قال تعالى: "وَنَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ". (سورة الزمر: ٧٥).
 - قال تعالى: "وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ". (سورة الطور: ٤٩).
 - قال تعالى: "يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ". (سورة الحشر: ٢٤).
 - قال تعالى: "فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ". (سورة الحاقة: ٥٢).

- قال تعالى: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا". (سورة النصر: ٣).
- الهوامش:

- (١) الحاقة: ٥٢.
- (٢) ظ: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش: ٢٠٧/١٠.
- (٣) ظ: معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، الدكتور محمد سيد طنطاوي: ٧٦٤.
- (٤) ظ: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش: ٢٠٧.
- (٥) معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٧٦٤.
- (٦) ظ. شذا العرف في فن الصرف، الشيخ الحملاوي: ٨٠.
- (٧) الانسان: ٢٦.
- (٨) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش: ٣٢٦/١٠.
- (٩) معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد طنطاوي: ٧٨٣.
- (١٠) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش: ٣٢٦/١٠.
- (١١) معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد طنطاوي: ٧٨٣.
- (١٢) المصدر نفسه.
- (١٣) ظ: شذا العرف في فن الصرف، الشيخ الحملاوي: ٨٠.
- (١٤) ظ: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش: ٣٢٧/١٠.
- (١٥) ظ: معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٧٨٣.
- (١٦) الاعلى: ١.
- (١٧) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش: ٤٤٨-٤٤٩/١٠.
- (١٨) شذا العرف في فن الصرف، الشيخ الحملاوي: ٩٢.
- (١٩) معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٨٠٣.

- (٢٠) ظ: شذا العرف في فن الصرف، الشيخ الحملاوي: ٨٠.
- (٢١) النصر: ٣.
- (٢٢) اعراب القرآن لكریم وبیانه، محي الدين الدرويش: ٦٠٦/١٠.
- (٢٣) معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٨٢٥.
- (٢٤) اعراب القرآن الكريم وبیانه، محي الدين الدرويش: ٦٠٦/١٠.
- (٢٥) اعراب القرآن الكريم وبیانه، محي الدين الدرويش: ٦٠٦/١٠-٦٠٧.
- (٢٦) البقرة: ٣٠.
- (٢٧) ظ: اعراب القرآن الكريم وبیانه، محي الدين الدرويش، المجلد الاول: ٧٧-٧٨.
- (٢٨) ظ: معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٧.
- (٢٩) ظ: اعراب القرآن الكريم وبیانه، محي الدين الدرويش، المجلد الاول: ٧٨.
- (٣٠) ظ: شذا العرف في فن الصرف، الشيخ الحملاوي: ٩٢.
- (٣١) ظ: المصدر نفسه: ٩٢.
- (٣٢) ظ: اعراب القرآن الكريم وبیانه، محي الدين درویش، المجلد الاول: ٧٨-٧٩.
- (٣٣) البقرة: ١١٦.
- (٣٤) ظ: اعراب القرآن الكريم وبیانه، محي الدين الدرويش، المجلد الأول: ١٧٣.
- (٣٥) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٣٤٩/٥.
- (٣٦) ظ: اعراب القرآن الكريم وبیانه، محي الدين الدرويش: ١٧٤.
- (٣٧) ظ: شذا العرف في فن الصرف، الشيخ الحملاوي: ١٧٠.
- (٣٨) الحشر: ٢٤.
- (٣٩) ظ: اعراب القرآن الكريم وبیانه، محي الدين درویش، المجلد العاشر: ٥٥.
- (٤٠) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٤٣٢/٧.

- (٤١) ظ:المصدر نفسه: ١٨٧/٤.
- (٤٢) ظ: شذا العرف في فن الصرف، الشيخ الحملاوي: ١٧٧.
- (٤٣) ظ:دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٣٣.
- (٤٤) الصف: ١.
- (٤٥) ظ:معجم إعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٧٣٨.
- (٤٦) ظ:التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٥٤٣/٩.
- (٤٧) ظ: شذا العرف في فن الصرف، الشيخ الحملاوي: ٧١.
- (٤٨) ظ:التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٥٣٤/٩.
- (٤٩) ظ:تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ٣٤٥/٩.
- (٥٠) ظ:دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٨٥.
- (٥١) ظ:تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ٣٤٥/٩.
- (٥٢) ظ: اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد العاشر: ٧٨.
- (٥٣) الجمعة: ١.
- (٥٤) ظ:اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد العاشر: ٨٩.
- (٥٥) ظ:معجم اعراب القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ٧٤٠.
- (٥٦) ظ:التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ١/١.
- (٥٧) ظ:دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٧٠.
- (٥٨) ظ:التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ١٦/١/١٠.
- (٥٩) ظ:التعبير القرآني، الدكتور فاضل السامرائي: ٣١.
- (٦٠) ظ: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد العاشر: ٨٨، ٩١.
- (٦١) القلم: ٢٨.

- (٦٢) ظ: اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش، المجلد العاشر، ١٧٧.
- (٦٣) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٤٣٨/٦.
- (٦٤) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٧٩/١٠.
- (٦٥) ظ: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش، المجلد العاشر: ١٧٧.
- (٦٦) النور: ١٦.
- (٦٧) ظ: اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش، المجلد السادس: ٥٨١.
- (٦٨) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٨٩/٨.
- (٦٩) ظ: شذا العرف في فن الصرف، الشيخ الحملاوي: ٩٧.
- (٧٠) ظ: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش، المجلد السادس: ٥٨٣.
- (٧١) النور: ٣٦.
- (٧٢) ظ: معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٤٦٢.
- (٧٣) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٤٣٣/٧.
- (٧٤) ظ: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٧٧.
- (٧٥) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش، المجلد السادس: ٦٠٨.
- (٧٦) النور ٤١.
- (٧٧) ظ: اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش، المجلد السادس: ٦٢٢.
- (٧٨) ظ: معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٤٦٤.
- (٧٩) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٤٣٢/٧.
- (٨٠) ظ: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٣١٧.
- (٨١) الاسراء: ١.
- (٨٢) ظ: اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش، المجلد الخامس: ٣٨٨.

- (٨٣) ظ:معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ٣٦٤.
- (٨٤) ظ:شذا العرف في فن الصرف، الشيخ الحملاوي، ٧٨.
- (٨٥) ظ:اعراب القرآن، لأبي جعفر بن اسماعيل النحاس: ٥١٣.
- (٨٦) ظ:المصدر نفسه.
- (٨٧) ظ:اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الخامس: ٣٩٤-٣٩٥.
- (٨٨) الاسراء: ٤٤.
- (٨٩) ظ:اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الخامس: ٤٤٨.
- (٩٠) ظ:اعراب القرآن، لأبي جعفر اسماعيل الغماس: ٥٢٢.
- (٩١) ظ:المصدر نفسه.
- (٩٢) ظ:اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الخامس: ٤٤٩.
- (٩٣) النحل: ١.
- (٩٤) ظ:اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الخامس: ٢٧١.
- (٩٥) ظ:معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٣٤٠.
- (٩٦) ظ: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٨٧.
- (٩٧) ظ:التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٣٤٩/٥.
- (٩٨) ظ:المصدر نفسه: ١٦١/٨.
- (٩٩) ظ:المصدر نفسه.
- (١٠٠) ص: ١٨.
- (١٠١) ظ:اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الثامن: ٣٤٢.
- (١٠٢) ظ:معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٥٩٩.
- (١٠٣) ظ:اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويشي، المجلد الثامن، ٣٤٢-٣٤٣.

- (١٠٤) ظ:التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٥٣٣/٨.
- (١٠٥) الزمر: ٧٥.
- (١٠٦) ظ:اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الثامن: ٤٤٩.
- (١٠٧) ظ:معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٦١٧.
- (١٠٨) ظ: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٧٠.
- (١٠٩) ظ:اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الثامن: ٤٥٠.
- (١١٠) الاحزاب: ٤٢.
- (١١١) ظ:اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الثامن: ٣٣.
- (١١٢) ظ: التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ٣٠.
- (١١٣) اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويشي، المجلد الثامن: ٣١-٣٢.
- (١١٤) يس: ٣٦.
- (١١٥) ظ:معجم: اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٥٨٢.
- (١١٦) ظ:اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الثامن: ١٩٧.
- (١١٧) ظ:دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٨٧.
- (١١٩) ظ:التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ١٣٢/١.
- (١٢٠) ظ:اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الثامن: ١٩٧-١٩٨.
- (١٢١) يس: ٤٠.
- (١٢٢) ظ:التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي: ٢١٥.
- (١٢٣) ظ:معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٥٨٢.
- (١٢٤) ظ:همع الهوامع، جلال الدين السيوطي: ٣٤.

- (١٢٥) ظ: اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الثامن: ٢٠٢-٢٠٣.
- (١٢٦) الصافات: ١٤٣.
- (١٢٧) ظ: اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الثامن: ٣١٢.
- (١٢٨) ظ: التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي: ٣١.
- (١٢٩) ظ: اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد الثامن: ٣١٤.
- (١٣٠) الزخرف: ١٣-١٤.
- (١٣١) اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد التاسع: ٦٩-٧٠.
- (١٣٢) الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق، الدكتورة عائشة عبد الرحمن: ١٠٧.
- (١٣٣) غافر: ٧.
- (١٣٤) سورة الشورى: ٥.
- (١٣٥) ال عمران: ١٧.
- (١٣٦) الاعراف: ٢٠٦.
- (١٣٧) الجمعة: ١.
- (١٣٨) التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي: ٣١.
- (١٣٩) الصافات: ١٤٣.
- (١٤٠) التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ٣٢.
- (١٤١) الصافات: ١٦٥-١٦٦.
- (١٤٢) الانبياء: ٢٠.
- (١٤٣) التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ٣٣.
- (١٤٤) التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ٣٢.
- (١٤٥) ابراهيم: ٢٧.

- (١٤٦) الحج: ٥٤.
- (١٤٧) الرعد: ٧.
- (١٤٨) البقرة: ٣٠.
- (١٤٩) ظ: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٧.
- (١٥٠) ظ: تفسير البيضاوي، محمد الشيرازي البيضاوي: ٥٠/١.
- (١٥١) البقرة: ٣٢.
- (١٥٢) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٩٨.
- (١٥٣) تفسير البيضاوي، محمد الشيرازي البيضاوي: ٥١/١.
- (١٥٤) الاسراء: ٤٤.
- (١٥٥) ظ: دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ١٧٦.
- (١٥٦) تفسير البيضاوي: البيضاوي: ٥٧٢/١.
- (١٥٧) تفسير القرآن الكريم: لأبي حمزة الثمالي: ٢٣٢.
- (١٥٨) الاسراء: ١.
- (١٥٩) شذا العرف في فن الصرف، الشيخ الحملاوي: ١٧٢.
- (١٦٠) تفسير البيضاوي: البيضاوي: ٥٦٣/١.
- (١٦١) مختصر تفسير ابن كثير: اسماعيل بن كثير: ٦٨٧/١.
- (١٦٢) اسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني: ١٧٢.
- (١٦٣) النور: ١٦.
- (١٦٤) ظ: مختصر تفسير ابن كثير: اسماعيل بن كثير: ١٢٧/٢.
- (١٦٥) ظ: تفسير البيضاوي: البيضاوي: ١١٨/٢.
- (١٦٦) النور: ٣٦.

(١٦٧) مختصر تفسير ابن كثير، اسماعيل ابن كثير: ١٣٥/٢.

(١٦٨) تفسير البيضاوي، البيضاوي: ١٢٥/٢.

(١٦٩) النور: ٤١.

(١٧٠) مختصر تفسير ابن كثير، اسماعيل ابن كثير: ١٣٦/٢.

(١٧١) تفسير البيضاوي، البيضاوي: ١٢٧/٢.

(١٧٢) المؤمنون: ٩١.

(١٧٣) مختصر تعبير ابن كثير، اسماعيل ابن كثير: ١١٧/٢.

(١٧٤) تفسير البيضاوي، البيضاوي: ١١١/٢.

(١٧٥) الانبياء: ٢٠.

(١٧٦) مختصر تفسير ابن كثير، اسماعيل ابن كثير: ٥٧/٢.

(١٧٧) تفسير البيضاوي، البيضاوي: ٦٧/٢.

(١٧٨) الانبياء: ٢٦.

(١٧٩) مختصر تفسير ابن كثير بن اسماعيل ابن كثير: ٥٨-٥٩/٢.

(١٨٠) تفسير البيضاوي، البيضاوي: ٦٩/٢.

(١٨١) مريم: ٣٥.

(١٨٢) تفسير البيضاوي، البيضاوي: ٣١/٢.

(١٨٣) مختصر تفسير ابن كثير، اسماعيل ابن كثير: ١٣/٢.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب:

- ١- الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: السيد محمد بدر الدين النعساني، الطبعة الثانية، دار صادر مكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ١٩٧٨م.
- ٢- أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد السلام هارون، دار صادر، بيروت.
- ٣- أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: عبد الحميد هندائي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٤- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: احمد صقر، الطبعة الأولى، دار صادر، لبنان- بيروت، ٢٠٠٤م.
- ٥- الإعجاز القرآني للقرآن ووسائل ابن الازرق، عائشة عبد الرحمن، تحقيق: احمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
- ٦- الإعجاز بين النظرية والتطبيق، السيد كمال الحيدري، بقلم محمود نعمة الجياش، دار الناشر، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- ٧- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، الناشر: كمال الملك، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ٨- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس، اعتنى به: الشيخ خالد العلي، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ.
- ٩- البرهان في تفسير القرآن، الزركشي، تحقيق: السيد بدر الدين النعساني، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٤٥٥هـ.
- ١٠- البلاغة والتطبيق، الدكتور احمد مطلوب، الطبعة الأولى، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٨٠م.
- ١١- البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (قدس سره)، للمحقق الامام الأكبر السيد ابو القاسم الخوئي، الطبعة الثانية، الناشر: دار الثقلين، قم، ١٤١٨هـ.
- ١٢- تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الناشر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق: شهاب الدين أبو عمر، ٢٠٠٣م.
- ١٣- تأملات في النص القرآني، د. عبد الأمير كاظم زاهد، تحقيق: اسماعيل بن حماد الجوهري، دار الناشر: مؤسسة العطاء للطباعة والنشر المحدودة، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥.

- ١٤- التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ.
- ١٥- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار صادر: بيروت- لبنان، دار الاحياء والتراث العربي.
- ١٦- التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهاشم المصري، تحقيق: د. أنور الدابولي، دار الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- ١٧- التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، الناشر دار عمار للنشر والتوزيع، عمان- الاردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ١٨- التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ٢٠٠٩م.
- ١٩- التفسير الأصفي والمسمى بالأصفي في تفسير القرآن، محمد محسن الكاشاني، الناشر دار اللوح المحفوظ، قم، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
- ٢٠- تفسير الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، دار الناشر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٨٠٢- ١٨٠٤م.
- ٢١- تفسير البيضاوي المسمى انوار التنزيل واسرار التأويل، أبو سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- ٢٢- التفسير الصافي، محمد محسن الملقب بـ (الفيض الكاشاني)، منشورات مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، بيروت- لبنان، صحح وقدم له وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الأولى.
- ٢٣- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني، الطبعة الأولى، الناشر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- ٢٤- تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني، تحقيق: السيد محمد بدر الدين النعساني، دار صادر لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٣٨م.

- ٢٥- تفسير القرآن الكريم، أبو حمزة ثابت بن دينار الثمالي، اعاد جمعه وتأليفه عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، الناشر: دار المفيد، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- ٢٦- تفسير مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: عبد الحميد هندواي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢م.
- ٢٧- تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي قد سره، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار الناشر مؤسسة اسماعيليان، قم، الطبعة الرابعة، ١٣٧٣م.
- ٢٨- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، احمد الهاشمي، تدقيق وتوثيق: د. يوسف الهليلي، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- ٢٩- دروس في البلاغة العربية، تأليف سعد سليمان حمودة، شرح وتحقيق: محمد فضل حق الرامفوري، الطبعة الأولى، دار الصادر، بيروت- لبنان، ١٩٨٨م.
- ٣٠- دلائل الإعجاز، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: د. محمد النتجي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- ٣١- ديوان الأخطل، غياث بن غوث بن طارقة أبو مالك الأخطل، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار صادر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، المجلد الأول، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٢- ديوان الفرزدق، أملاه محمد بن حبيب عن ابن الإعرابي، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، ١٣٨هـ.
- ٣٣- شذا العرف في فن الصوف، احمد بن محمد بن احمد الحملوي، اعتنى به: الدكتور عبد الحميد هندواي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥م.
- ٣٤- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، الطبعة الأولى، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت- لبنان.
- ٣٥- لسان العرب، ابن منظور الافريقي، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه: علي شيري، الطبعة الأولى، المجلد الاول، دار الإحياء والتراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

- ٣٦- مختصر تفسير ابن الأثير، أبو الفداء اسماعيل بن كثير، الطبعة الثانية، دار الناشر، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م.
- ٣٧- معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، راجعه: الشيخ محمد فهمي أبو عبده، الطبعة الثانية، الناشر: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، إيران- طهران، ٢٠٠٨م.
- ٣٨- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، الطبعة الثانية، مطبوعات المجتمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م.
- ٣٩- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٦١-١٣٦٢.
- ٤٠- همع الهوامع شرح جميع الجوامع في علم العربية، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: السيد محمد بدر الدين النعساني، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٩٨٤م.

دلالة النهي على فساد المعاملة شرعاً

م.د. حسام مهند جمال الدين

المقدمة:

كانت البادية العربية تزخر بأسواقٍ محلية وموسمية كثيرة ، تقع في مواقع متناثرة من جزيرة العرب ، يقصدها الناس للإتجار والامتياز ، وقد اشتهرت بعض هذه الأسواق وكانت مما يأمن فيه الناس على دمائهم وأموالهم ، فهي حرمٌ لمن دخلها ؛ ولذا كان لكل سوق قومة يقومون بأمره وبالمحافظة على الأرواح والدماء فيه ؛ لأن في العرب قوماً كانوا يستحلون المظالم ، ولا يقيمون وزناً لحرمة الحرم والحرمات ، فلا وزن عندهم لمكة ولا للأشهر الحرم ولا للأسواق كذلك ؛ ولذا أطلق عليهم اسم (المحليين) ، وهم من أباحوا لأنفسهم استحلال المظالم ، ولعل في سوق دومة الجندل ، وسوق عكاظ ، وسوق هجر ، وسوق صحار ، وسوق بدر ، مثلاً على النظام الذي تعارف عليه العرب في حياتهم التجارية ، فقد كانت سادات العرب من كلب أو من غسان تُشرف على سوق (دومة الجندل) - مثلاً - ، وذكر أن كلباً كان لهم فيها قن كثير في بيوت شعر ، فكانوا يُكرهون فتياتهم على البغاء ؛ ليأخذوا كسب أولئك الفتيات ، وربما كان يفعل ذلك غيرهم أيضاً^(١).

والحاصل أن العرب كانت تعرف النظام الذي تنتظم به الحياة ؛ ولذا كانوا يحرصون على ما تواضعوا عليه من قوانين وأعراف ؛ كل ذلك من أجل حفظ الدم والمال والعرض ، غير أن الحياة البشرية تلازم - على ما يبدو من تتبع صفحات التاريخ - الانحراف عن الاستقامة ، فتؤول الأمور الحياتية الى الصراع والافتتال ؛ لأجل البقاء والاستمرار والنفوذ ؛ ولذا كان على السماء أن تتدخل دوماً لتسن أحكاماً وقوانين إلهية تُرشد الإنسان وتنبهه على الخطأ الذي تواضع عليه ، وربما كان في الملازمة بين القوانين الوضعية والأخطاء التي تقع فيها جواباً على جدلية الاكتفاء بالقوانين البشرية أو عدمه.

لقد تدخلت الشريعة الإسلامية في بعض المفاصل الحياتية ، فشُرعت أوامر ونواهٍ كثيرة ، طالَ المعاملات التجارية منها شيءٌ كثير ، فنزل قوله تعالى : ﴿لَوْ لَا تَكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٢) ؛ لينهى عما تقدم من تعارف بعض العرب على إكراه فتياتهم على البغاء ، كما نهت الشريعة عن بعض أنواع البيوع التي كانت منتشرة عندهم ، كبيع الحصاة^(٣) ، وبيع الملامسة^(٤) ، وبيع المنابذة^(٥) ، ووضعت آدابٌ للبيع ، وقوانين لصيغه ، وأخرى للمتقاعدين والعوضين والخيارات ، وغير ذلك مما أطال فيه الفقهاء الكلام ، وكل ذلك لأجل ما تقدم من ضرورة درء المشاكل والمفاسد التي تطرأ على الناس بسبب معاملاتهم هذه.

ثم إنَّ الارتكازان العقلانيَّة لتشكل أحد أهمِّ العوامل في فهم النصوص الشرعية ؛ فإنَّ النصَّ الشرعي المنقول عن النبي وأهل بيت النبوة عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه يحكي ما صدر عنهم من الأقوال والأفعال والإمضاءات ، ولم يكن ذلك الصادرُ منهم في الجانب العملي الحياتي بغريبٍ عما كان يعيشه الناس في تلك الأزمنة ؛ إذ المعصوم ابنُ لبيئته ، يشاطرُ الناسَ حياتهم ، في طرق تفاهمهم ووسائل نقلهم وزراعتهم وتجارتهم وكل ما له دخلٌ في استمرار الحياة البشرية ، إلا أنَّ تلكم النصوص وردتنا نحن المتأخرين عن عصرها بنقل الرواة والحفظة ، فكانت مجردةً عن كثيرٍ مما يورث اليقين بمراد قائلها المعصومين عليهم السلام ؛ ولذا اختلف الفقهاء في إدراكها ، واختلفت تبعاً لذلك فتاواهم في مؤدياتها.

وربما كان هذا البحثُ مجالاً لذلك الاختلاف ؛ إذ اختلاف الأعلام في استظهار ما يريده المعصوم (ع) كان ذا أثرٍ في تظهِرِ بحثٍ أصوليٍّ في أحد جزئيات البحث في النهي عن المعاملة ؛ لأنَّ القول بفساد المعاملة المنهي عنها تجذّر من فهم بعض الروايات الشريفة ، التي أصبحت بسبب الأفهام المتغايرة لها مورداً للبحث والنقاش الأصوليين.

المطلب الأول: رسم شيءٍ من حدود مسألة دلالة النهي على الفساد:

أولاً : عقلية المسألة أو لفظيتها ..

قد اختلف الأصوليون في محل نزاع هذه المسألة - سواءً كان المنهي عنه عبادةً أم معاملة - على رأيين , يتجه أحدهما الى أنه عقلي , فيما يذهب آخر الى أنه يمكن أن يكون لفظياً , أما من ذهب الى عقلية المسألة فلأجل أنَّ النزاع إنما هو في حكم العقل بالملازمة بين الحرمة والفساد أو عدمها بصرف النظر عن كون الحرمة مدلولة لصيغة النهي أو مدلولة لدليل غير لفظي كالإجماع والعقل ونحوهما , وبذلك تكون المسألة عقلية , من غير أن يكون لمباحث الألفاظ مساسٌ بها , وهذا المعنى يظهر جلياً من التقريرات المنسوبة للشيخ الأعظم (قدس سره) : " ومن هنا يظهر أنَّ المسألة لا ينبغي أن تُعدَّ من مباحث الألفاظ ؛ فإنَّ هذه الملازمة على تقدير ثبوتها إنما هي موجودةٌ بين مفاد النهي المتعلق بشيءٍ وإن لم يكن ذلك النهي مدلولاً عليه بالصيغة اللفظية , وعلى تقدير عدمها إنما يحكم بانتفائها بين المعنيين ^(٦) .

وقد ذهب المحقق النائيني (قدس سره) الى عقلية المسألة كذلك , وأنها ليست من مباحث الألفاظ خصوصاً على المبنى الذي سلكه في تفسير الفساد , فإن الفساد - بحسب ذلك المبنى - يدور مدار عدم الأمر الذي هو مدلول للنهي وعدم الملاك معاً , ولا يكفي فيه عدم الأمر ؛ إذ لا دخل للفظ بالملاك ؛ فإنَّ الملاك أمر واقعي تكويني لا دخل للألفاظ فيه , ولو تنزلنا وقلنا بدوران الفساد مدار اللفظ فقط دون الملاك , فإنه لا دخل للفظ كذلك ؛ لأنَّ النهي الواقعي يدل على عدم الأمر سواءً كان الدال على النهي لفظاً أم عقلاً أم إجماعاً , فلا موجب لعد المسألة من مباحث الألفاظ , وإنما هي من مباحث المستقلات العقلية , لكن لما لم يعقد الأعلام بحثاً خاصاً بالمستقلات العقلية أدرجوا هذه المسألة وأمثالها في مباحث الألفاظ ^(٧) , ولعل بعضهم ارتأى بناءً على هذه الملاحظة وأمثالها أن يعقد باباً خاصاً بالمستقلات العقلية , أدرج فيه هذه المسألة وأمثالها ^(٨) .

لكن في مقابل ذلك يرى بعض كبار الأعلام إمكان إدراج هذه المسألة في مباحث الألفاظ ؛ لاعتراف بعض الأصوليين بدلالة النهي على فساد المعاملات مع إنكارهم الملازمة بين الحرمة والفساد ، قال صاحب الكفاية (قدس سره) : " الثاني : أنه لا يخفى أنّ عدّ هذه المسألة من مباحث الألفاظ ، إنما هو لأجل أنه في الأقوال قولٌ بدلالته على الفساد في المعاملات ، مع إنكار الملازمة بينه وبين الحرمة التي هي مفاده فيها " (٩) ، ويظهر من ذلك أنّ النزاع إنما هو في دلالة اللفظ لا في الملازمة العقلية ، وكل ذلك لأجل التحفظ على إدراج ذلك القول في حريم النزاع (١٠).

غير أنّ هذا الرأي جوبه بمجموعة من الاعتراضات ، كاعتراضهم بأنّ مجرد وجود قولٍ من الأقوال ينكر الملازمة العقلية ويقول بدلالة النهي على الفساد لا يفضي الى كون النزاع نزاعاً لفظياً ، وإن كان يُستظهر منه كون النزاع في ذلك القول بالخصوص لفظياً (١١) ، واعتراضهم بأنّ النزاع في مرحلة الدلالة اللفظية هو في مرحلة الإثبات المتأخرة على مرحلة الثبوت ، فلا بد لمن يقول بلفظية النزاع أن يثبت عدم الملازمة بين الحرمة والفساد في مرحلة الثبوت أولاً ، وإلا فلا فائدة لمن ينكر الدلالة في مرحلة الإثبات ، حيث تثبت الملازمة في مرحلة الثبوت (١٢) ، وقريب من ذلك ما عن بعضهم من أن النزاع في المسألة عقلي وإن قيل بأنّ الملازمة بين الحرمة والفساد - على تقدير ثبوتها - من نوع الملازمات البينة بالمعنى الأخص ، والتي تعني أنّ اللفظ دالٌّ بالدلالة المطابقة على النهي وبالدلالة الالتزامية على فساد المنهي عنه ، فيصح أن يراد من الدلالة ما هو أعم من الدلالة العقلية واللفظية ، غير أنّ النزاع رغم هذا التعميم في عنوان المسألة يبقى عقلياً ؛ لأنه في الملازمة العقلية قبل فرض الدلالة الالتزامية ، فالبحت مع هذا الإدعاء يرجع أيضاً الى الاقتضاء العقلي (١٣).

ولعله لأجل رأي الكفاية المتقدم ارتأى بعض الأعلام أنّ المسألة ليست عقلية محضة ولا لفظية محضة ؛ إذ لو كانت عقلية محضة لبقيت الدلالة اللفظية بحاجة الى بحث والعكس صحيح كذلك ، فالأولى أن يُعمم العنوان الى ما يشمل عقلية المسألة ولفظيتها (١٤).

ثانياً : مفهوم المعاملة بالمعنى الأعم ..

إنَّ المراد من المنهي عنه في مسألة (دلالة النهي عن شيء على الفساد) هو ما كان قابلاً للاتصاف بالصحة أو الفساد , أي الاتصاف بكونه مما يترتب عليه الأثر الشرعي أو مما لا يترتب عليه الأثر الشرعي , فإنَّ فعلاً ما ربما كان واحداً لجميع الأجزاء والشرائط فيترتب عليه الأثر الشرعي المترقب منه ويُحكم بصحته , وربما كان فاقداً لشرطٍ أو جزءٍ فلا يترتب عليه أثره الشرعي فيُحكم بفساده , كالبيع الفاقد لشرط العربية - على القول باعتباره - فإنه لا يحقق أثر النقل والانتقال المنشود منه , فيكون فاسداً. أما ما لم يكن له أثر شرعي كالنظر في الهواء والجبال , أو ما كان له أثر شرعي لا ينفك عنه كموجبات الضمان من قبيل الغصب والإتلاف للذين لا ينفك عنهما أثرهما الشرعي وهو الضمان , فإنه ليس داخلاً في محل النزاع ؛ إذ لا معنى لأن يُبحث في اقتضاء النهي لفساد ما لا يتصف بالصحة أو الفساد , أو ما لا ينفك عنه وصف الفساد^(١٥) .

وعلى ذلك فإنَّ المراد من (الشيء) الوارد في عنوان المسألة هو العبادة الذاتية أو التقديرية^(١٦), والمعاملة بالمعنى الأعم هي التي تعني ما يشمل العقود كالبيع والنكاح , والإيقاعات كالطلاق والفسق , وغيرهما كالغسل للتطهير وحياسة المباحات^(١٧).

غير أنَّ هناك رأياً يُخرج المعاملة بالمعنى الأعم عن حريم النزاع ؛ بسبب إيمانه بخروج النواهي الإرشادية عن محل النزاع ؛ إذ لا يمكن تصوير النهي المفيد للفساد في المعاملات بالمعنى الأعم إلا بالإرشادية , وحيث أن النهي الإرشادي خارج عن محل النزاع , خرجت المعاملات بالمعنى الأعم عن محل النزاع^(١٨). فالمراد من المعاملات - بحسب أحد التفسيرات لها - في المسألة كل أمر اعتباري قصدي يتوقف ترتيب الأثر عليه شرعاً أو عرفاً على قصد الإنشاء وإبرازه الى الخارج ببرز , أما ما لم يتوقف ترتيب الأثر عليه شرعاً أو عرفاً على قصد الإنشاء , بل كان يكفي فيه مطلق وجوده في الخارج كتطهير الثوب , فإنه خارج عن محل النزاع في المسألة , فيكون المراد من المعاملات ما يخص العقود والإيقاعات^(١٩) , ويتسرى الى

بقية الأمور القصدية التي تحتاج الى إيقاع كالصيد والحياسة ، نعم يخرج عن محل النزاع ما لا يُعتبر في ترتب الأثر عليه قصدٌ (٢٠).

ثالثاً : عدم الملازمة اللغوية والعرفية بين النهي وفساد المعاملة ..

جاء في كفاية الأصول: "ونخبة القول: أَنَّ النهي الدال على حرمتها لا يقتضي الفساد ؛ لعدم الملازمة فيها - لغةً ولا عرفاً - بين حرمتها وفسادها أصلاً ، كانت الحرمة متعلقةً بنفس المعاملة بما هي فعل مباشر ، أو بمضمونها بما هو فعل بالتسبيب أو بالتسبب بها إليه ، وإن لم يكن السبب ولا المسبب - بما هو فعل من الأفعال - بحرامٍ" (٢١).

وتوضيح ذلك :

إنَّ دلالة الحرمة على فساد المعاملة مفقودة بجميع أنحاءها ، فلا الحرمة دالةٌ على الفساد بالدلالة العقلية ؛ إذ ليس المقصود من فساد المعاملة الا عدم ترتب الأثر عليها ، ومن المعلوم عدم الملازمة بين حرمة معاملة وبين عدم ترتب الأثر عليها ، فقد تكون محرمة ومع ذلك يترتب عليها الأثر من الملكية والزوجية ونحوهما ، وهذا بخلاف العبادة ، فإنها حينما تكون محرمة ، تدل الحرمة على فساد تلك العبادة ؛ لأنَّ الحرمة لا تجتمع مع الصحة ؛ لعدم صلاحية التقرب بما هو مبغوضٌ شرعاً .

ولا يدل النهي على فساد المعاملة لغةً وعرفاً كذلك ؛ أما لغةً فلأنَّ مدلول النهي هو التحريم ، وليس الفساد الا مدلولاً التزامياً للنهي (٢٢)، كما أنَّ العرف لا يرى الملازمة بين حرمة المعاملة وعدم ترتب الأثر عليها ؛ فإنَّ الظهار على سبيل المثال محرم ، ومع ذلك يترتب عليه أثره وهو الفرقة بين الزوجين ، والعرف لا يرى ملازمة بين تحريم الظهار وعدم حصول أثره منه (٢٣).

وما تقدم من عدم الملازمة بين النهي والفساد يعم جميع صور تعلق الحرمة بمتعلقاتها ، فسواءً أكانت الحرمة متعلقةً بنفس سبب المعاملة بما هو فعل مباشري ، كتعلقه بنفس الإيجاب والقبول، أو كانت الحرمة متعلقةً بالمسبب عن السبب ، دون أن يكون السبب كالإيجاب والقبول بنفسه مبغوضاً كتمليك المسلم من

الكافر ، فإنَّ السبب وإن كان حراماً تكليفاً ؛ غير أنَّ المَبغوض شرعاً هو نفس التملك الحاصل بذلك السبب ، أو كانت الحرمة متعلقةً بالتسبب بسبب خاص ، كالنهي عن الزيادة في البيع بواسطة الربا ؛ فإنَّ المَبغوض عند الشارع هو حصول الزيادة بهذا السبب على وجه الخصوص ، دون أن يكون حصولها بسبب آخر مَبغوضاً عنده ، فكل هذه الأنحاء من تعلق الحرمة لا ملازمة فيها بين الحرمة والفساد (٢٤) .

وقد حاول بعضُ الأعلام أن يُفصل في المسألة ، فذهب الى عدم الملازمة بين الحرمة وفساد المعاملة حين تعلق النهي بنفس السبب ، وإلى فساد المعاملة حين تعلق الحرمة بالمسبب ، جاء في تقريرات الميرزا النائيني (قدس سره) : " وأما لو تعلق النهي بنفس المنشأ والموجد ، فهو يقتضي الفساد ؛ لخروج المنشأ حينئذٍ عن تحت سلطانه ، ولا قدرة عليه في عالم التشريع ، والمانع التشريعي كالمانع العقلي " (٢٥) .

وبيان ذلك يتضح من خلال مقدمات (٢٦) :

الأولى: أنَّ النهي على ضربين : أن يتعلق بالسبب ، والمراد به نفس إنشاء المعاملة من لفظ (بعث) و(قبلت) ، أو يتعلق النهي بالمسبب ، والمراد به المنشأ بالمعاملة كالملكية والزوجية ونحوهما .

الثانية: أنَّ صحة المعاملة مشروطة بشروط عدة ، أحدها هو أن لا يكون المتعاقد ممنوعاً من التصرف فيما انتقل اليه .

الثالثة : أنَّ النهي المتعلق بالمسبب وهو النقل والانتقال ، هو منع للتصرف في العين المنتقلة ؛ إذ هو رفع للسلطنة التي حدثت لأحد المتعاقدين بفعل العقد ، وهذا بخلاف النهي المتعلق بالسبب ؛ فإنه تحريم للألفاظ ، ولا دخالة له في منع التصرف .

فينتج عن هذه المقدمات أن النهي عن المسبب يؤدي الى المنع من التصرف في العين ، وبالتالي تفقد المعاملة شرطاً من شروط تقوّمها وهو شرط التمكّن من التصرف ، فيفسد العقد بسبب ذلك النهي الذي تعلق بالنقل والانتقال .

غير أنّ هذا التفصيل واجبه مجموعةً من الاعتراضات ، أحدها أنّ محل نزاع المسألة خاصٌّ بالنهي المتوجه الى معاملةٍ مستجمعة لتمام شروطها المتعلقة بالمتعاقدين أو العوضين أو العقد ، فإن كانت المعاملة متكاملة الشروط ثم توجه اليها نهى ، بُحث فيما إذا كان هذا النهي دالاً على فساد تلك المعاملة أم لا ، وحينها يقع البحث في أنّ تلك المبعوضة المتولدة من النهي هل تتنافى مع صحة المعاملة أم لا ، أما إذا كان النهي دالاً على اعتبار شيءٍ في المتعاقدين أو العوضين أو العقد ، كالنهي عن بيع المجنون أو الصغير الدال على اعتبار العقل والبلوغ في عقد البيع ، وكالنهي عن بيع الخمر والميتة الدال على اعتبار إباحة المبيع ، وكالنهي عن البيع بغير العربية الدال على اعتبارها في العقد ، فإنّ مثل هذا النهي لا يدخل محل نزاع المسألة ؛ إذ لا شك في أنّ هذا النهي دال على فساد المعاملة ؛ لأنه بداعٍ الإرشاد الى اعتبار شيءٍ فيها ، فإن افتقدت المعاملة ذلك الشيء فسدت ، ومثل هذا النهي ليس داخلاً في محل النزاع ، إنما النهي الداخل في محل النزاع هو النهي المولوي التكليفي الذي هو بداعي الزجر والردع من أجل مبعوضة ما تعلق به^(٢٧) ، وسيأتي - في الفقرة القادمة - بيان السبب في مولوية النهي الذي تشمله مسألة دلالة النهي على الفساد وعدم إرشاديته.

رابعاً: مولوية النهي في المسألة ..

تقدم أنّ النهي المشمول بمحل نزاع المسألة لا يمكن أن يكون نهياً إرشادياً ؛ لأنّ النهي الإرشادي لا شك في فساد المعاملة معه ؛ وإنما الكلام في النهي الذي يمكن تصور عدم الفساد معه ، وأنه إذا توجه الى معاملةٍ ما فهل يدل على فساده أم لا؟ ؛ ولأجل ذلك ينبغي متابعة تعريف كل من النهيين وتسلط النظر على الدعوى التي تناصر إمكان إرشادية النهي في المسألة ؛ ولأجله يُعقد البيان الآتي:

يراد من النهي المولوي ذلك النهي الذي يكون بداعي الزجر والردع ، وقد يكون تحريماً فيكون مفاده المنع الإلزامي عن متعلقه ، أو قد يكون تنزيهياً دالاً على كراهة ما تعلق به ، وقد وقع بحث في خروج النهي التزيهي عن محل نزاع المسألة أيضاً ، ولكنه ليس مما يقصد البحث النظر فيه.

وأما النهي الإرشادي فيراد منه النهي المرشد والمنبه الى شرطية أو مانعية شيء في المنهي عنه ، فليس الداعي فيه هو المنع والزجر ، إنما الداعي هو التنبيه الى دخالة شيء ما في متعلق النهي ، والمعروف أن الأصل في النواهي هو المولوية ، الا إذا خرجنا عن الأصل بقرينة تكتنف الكلام وتدل على أن ذلك النهي إرشادي وليس مولوياً^(٢٨).

وقد يدعى أن النهي المشمول بمسألة (دلالة النهي على الفساد) هو من النهي الإرشادي ، قال في الكفاية : " نعم ، لا يبعد دعوى ظهور النهي عن المعاملة في الإرشاد الى فسادها ، كما أن الأمر بها يكون ظاهراً في الإرشاد الى صحتها ، من دون دلالته على إيجابها أو استحبابها ، كما لا يخفى " ^(٢٩) ، وتوضيحه أن الغرض الأصلي في المعاملات هو بيان صحتها أو فسادها ؛ ولذا فإن الأمر بها هو إرشاد الى صحتها دون أن يكون فيه دلالة على وجوبها أو استحبابها ، وكذلك النهي ، فإنه إرشاد الى فسادها دون أن يكون ذا دلالة على تحريمها أو كراهتها ، فالمعاملات متمظهرة في إحدى الحثيتين ، أعني الصحة والفساد ، أو ترتب الأثر عليها وعدم ترتب الأثر عليها ؛ ولذا ينبغي حمل الأوامر والنواهي - بناء على هذا التمظهر - على الإرشادية .

وبعبارة أوضح ، لما كان المتوقع من المعاملات هو تحقق وترتب الآثار عليها ، وتكون الأسباب آلات صرفة لها ، فإن العرف لا يفهم من النهي عنها الا الإرشاد الى فسادها ، فإذا ورد (لا تبع ما ليس عندك) ، يفهم العرف منه الإرشاد الى عدم صحة البيع ، لا تحريم السبب ، لأن السبب ليس الا آلة لتحقيق المسبب ، وكذا لا يفهم العرف تحريم المسبب ؛ لأنه اعتبار شرعي أو عقلائي ، لا معنى لتعلق النهي به ، فيصح أن يقال أن النهي عن المعاملة مع قطع النظر عن القرائن الصارفة ظاهر في الإرشاد الى فسادها ^(٣٠) . وقريب من هذا المعنى - المساعد على كون النهي إرشادياً - ما يقال بأن المستفاد من النهي عرفاً هو الإرشاد الى الفساد في العبادات والمعاملات معاً ، وأن مفاده هو عدم ترتب الآثار المترتبة منها ، وأن الراجح هو تعلق النهي بترتيب الآثار على المعاملات ، أي التصرف فيها بالأكل والشرب ونحو ذلك من

التصرفات ، فإذا قيل: (لا تتبع ربوياً) ، كان معناه عدم ترتب الآثار المترتبة من البيع إذا كان ربوياً ، وهذا الحال ليس خاصاً بالمعاملات فحسب ، وإنما هو شامل للنهي المتوجه الى العبادات كذلك ، فإنه إذا تعلق بالعبادة كان مرشداً الى عدم فراغ الذمة بتلك العبادة المنهي عنها ، والحاكم بذلك هو العرف ، كما أن الشاهد به الوجدان (٣١).

هذا غير أن دعوى إرشادية النهي في المعاملات بالخصوص يمكن أن تواجه اعتراضاً حاصله أن الظهور في النهي الإرشادي خاص بالمعاملات بالمعنى الأخص ، دون المعاملات بالمعنى الأعم الشاملة لكل ما يقابل العبادة ، فإنها لا يُستظهر فيها النهي الإرشادي ؛ لأن العرف إنما يفهم الإرشاد الى شيء في خصوص العقود والإيقاعات دون المعاملات بالمعنى الأعم ، وحيث أن المشمول في عنوان مسألة (دلالة النهي على الفساد) هو المعاملات بالمعنى الأعم ، فلا يمكن أن يكون النهي المقصود فيها إرشادياً ، فيكون الظهور الأولي في النهي المولوي التحريمي ، وحينها لا بد من تتبع القرائن المكتتفة بالكلام للحمل على الإرشادية ، والا فإن الأصل في النهي عن المعاملات هو المولوية ، والذي جرى عليه التحقيق أن النهي المولوي لا يقتضي فساد المعاملة مطلقاً بالمعنى الأخص كانت أم الأعم (٣٢).

المطلب الثاني: تصوير الدلالة الشرعية وعدمها:

تقدم أن النهي لا يدل على فساد المعاملة لغةً ولا عرفاً لأسباب مر ذكرها في المطلب السابق ، غير أن البحث ساق الأصوليين الى النظر في بعض الروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ، والتي كانت سبباً في دعوى بعضهم لإثبات الملازمة بين النهي عن المعاملة وبين فساده؛ ولذا قالوا باستتباع النهي عن المعاملة لفسادها شرعاً ، ولأجل توضيح هذا السجال الفكري الدائر بينهم ينبغي تمركز البحث وفقاً لما يأتي :

أولاً: تقريب الاستدلال بالروايات على الاستتباع الشرعي ..

جاء في (الكافي) الصحيح الآتي: "علي بن إبراهيم، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن زرارة، عن أبي جعفر (ع) ، قال: سألته عن مملوك تزوج بغير إذن سيده فقال: ذاك إلى سيده إن شاء أجازته ، وإن شاء فرّق بينهما ، قلت: أصلحك الله إن الحكم بن عتيبة وإبراهيم النخعي وأصحابهما يقولون: إن أصل النكاح فاسد ولا تحل إجازة السيد له، فقال أبو جعفر (ع): إنه لم يعص الله إنما عصى سيده فإذا أجازته فهو له جائز " (٣٣).

وجاء قريباً منه في (من لا يحضره الفقيه) : " وروى ابن بكير ، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر (ع) عن مملوك تزوج بغير إذن سيده ، فقال: ذلك إلى السيد إن شاء أجازته وإن شاء فرق بينهما ، فقلت: أصلحك الله إن الحكم بن عتيبة وإبراهيم النخعي وأصحابها يقولون: إن أصل النكاح فاسد فلا تحل إجازة السيد له ، فقال: إنما عصى سيده ولم يعص الله فإذا أجازته له فهو جائز " (٣٤).

ووجه دلالة الروايتين المتقدمتين على استتباع النهي عن المعاملة لفسادها شرعاً هو أنَّهما دللتا على أنَّ نكاح العبد لم يفسد من الأصل وأن المولى بإمكانه إجازة ذلك العقد الذي تم من غير إذنه بسبب أنَّ العبد لم يعص الله تعالى ، وإنما عصى السيد ، وهذا يدل بالمفهوم على أنَّ عصيان الله تعالى هو ما يوجب فساد المعاملة من أصل بحيث لا تنفع معها الإجازة اللاحقة (٣٥) ، وحيث أنَّ العصيان يكون بمخالفة النهي وارتكاب المنهي عنه ، كان ذلك مؤدياً الى دلالة النهي على الفساد ، قال في الكفاية بعد استعراض رواية الكافي المتقدمة: " حيث دلَّ بظاهره على أنَّ النكاح لو كان مما حرّمه الله تعالى عليه كان فاسداً " (٣٦).

وقال صاحبُ القوانين: "وقد يُستدلُّ بما وردَ في بعض الأخبار ، من صحة عقد المملوك إذا كان بغير إذن مولاه ثم رضي به ، معللاً بأنه لم يعص الله تعالى ، بل عصى سيده ، فإنه يدل على أنه إذا كان فيه معصية بالنسبة إليه تعالى وكان منهياً عنه ، فيكون فاسداً " (٣٧).

ثم إنَّ بعضهم (٣٨) وجد أنَّ تفريع الصحة والفساد على المعصية وعدمها يحتمل أحدَ وجهين :

فإما أن تكون المعاملة معصيةً لله تعالى من حيث أنها فعل من الأفعال مع قطع النظر عن كونها موجبةً لما هو المطلوب من إيقاعها ، وإما أن تكون المعاملة معصيةً من جهة أنها منهيةٌ عنها شرعاً على أحد الوجوه المتصورة في النهي عن المعاملة ، ولا سبيل إلى الاحتمال الأول ؛ لأن عصيان السيد عصيان لله تعالى أيضاً ، فلا وجه لنفي العصيان عن الفعل الواقع على وجه الإطلاق ، فلا بد أن يرجح الاحتمال الثاني ، وهو كون المعاملة معصيةً لأنها منهيةٌ عنها ، وبذلك يثبت المطلوب ، فإنه يُستفاد من التفرع المزبور أن كل معاملة فيها معصية لله تعالى فهي فاسدة ، كما هو ظاهر الحصر بـ (إنما) ، والذي يؤيد كون المعاملة معصية من حيث كونها منهيةً عنها ما جاء من تمثيل بالنكاح في العدة في رسالة زرارة عن الإمام الباقر (ع): "سألته عن رجل تزوج عبده بغير إذنه فدخل بها ثم اطلع على ذلك مولاه، فقال: ذلك إلى مولاه إن شاء فرق بينهما وإن شاء أجاز نكاحهما ، فإن فرق بينهما فللمرأة ما أصدقها إلا أن يكون اعتدى فأصدقها صداقاً كثيراً ، وإن أجاز نكاحه فهما على نكاحهما الأول ، فقلت لابي جعفر (ع): فإن أصل النكاح كان عاصياً ، فقال أبو جعفر (ع): إنما أتى شيئاً حلالاً وليس بعاصٍ لله إنما عصى سيده ولم يعص الله ، إن ذلك ليس كإتيان ما حرم الله عز وجل عليه من نكاح في عدة وأشباهه" (٣٩) ، فإن تمثيل الإمام (ع) بالنكاح في العدة يقتضي كون المعاملة معصية من جهة كونها منهيةً عنها لا من جهة كونها فعلاً من الأفعال ، فإن النكاح في العدة محرم ومعصية من هذه الجهة ، وهي جهة كونه معصيةً لله تعالى لما فيه من المبعوضة (٤٠).

وبالجملة فالنهي التحريمي إذا تعلق بمعاملةٍ أوجب كونها معصيةً لله فتفسد ، فإذا كانت المعاملة بنفسها معصية لله تعالى وتصرفاً في سلطنته لمكان النهي عنها ، كان النهي عنها موجباً لفسادها ، فيكون المتحصل من الروايات المتقدمة أن المعاملة إذا كانت معصيةً له تعالى ولم تكن معصيةً لغيره تعالى فهي تقع فاسدةً ، وإن كانت معصيةً لغيره بأن كانت تصرفاً في سلطنة ذلك الغير عليها ، كان أمرها راجعاً إلى ذلك الغير ، فإن أجاز نفذت ولم تكن فاسدةً ابتداءً (٤١).

ويمكن بعد الذي تقدم من توضيح تقرير قاعدة كلية ، وهي أنَّ كل ما حُرِّم ونُهي عنه شرعاً على وجه يكون مخالفته عصيانياً لله تعالى فإنه يكون ملازماً للفساد^(٤٢).

ثانياً: دوران العصيان بين التكليفية والوضعية..

تقدم تصوير الاستدلال ببعض الروايات على الملازمة بين النهي عن المعاملة وفسادها ، والحقيقة أنَّ هذا الاستدلال مبني على كون العصيان المنفي في الروايات من العصيان التكليفي الذي يعني ارتكاب ما نُهي عنه ، ويقابله العصيان الوضعي الذي يعني اقتحام فعل لم يَمْضه الشارع ولم يشرعه ، والعصيان النافع في مقام الاستدلال هو العصيان التكليفي لا الوضعي ؛ لأنَّ الأخير مما لا شك في فساد المعاملة معه ، إنما الكلام في العصيان التكليفي ، فإذا ثبت أنَّ العصيان المنفي في الروايات عصيانياً تكليفي ، وقد انتهت الروايات بمفهومها الى فساد مرتكب العصيان ، ثبت أنَّ في النهي دلالة على فساد المعاملة، وأما اذا ثبت أنَّ العصيان عصيان وضعي لا تكليفي ، لم تثبت الملازمة بين النهي والفساد ؛ لما تقدم من أنَّ العصيان الوضعي مما لا بد من فساد المعاملة معه.

وإذا ما استقرت الآراء الأصولية بهذا الصدد يتبين أنَّ بعضاً الأقل مال الى كون العصيان تكليفاً ، فيما ذهب الأكثر الى كونه وضعياً لا دلالة فيه على الفساد ، وفيما يأتي خوض في هذا المعترك العلمي :

ذكر الشيخ الأنصاري في التقريرات المنسوبة إليه أنَّ الروايات دالة على أنَّ المعاملة معصية لله تعالى لا من جهة كونها فعلاً من الأفعال ، وإنما من جهة كونها منهيّاً عنها شرعاً ، من حيث كونها موجبة لترتب الآثار المطلوبة منها^(٤٣)، بمعنى أنَّ صفة العصيان التي اكتسبتها المعاملة إنما اكتسبتها بلحاظ الآثار المترتبة عليها ، فتحقق الأثر من المعاملة مبعوض وغير مراد ، ولم تكتسب المعاملة صفة العصيان بلحاظ كونها فعلاً من الأفعال دونما لحاظ للآثار المترتبة عليها.

أما لماذا لم يكن اكتساب المعاملة صفة العصيان بلحاظ كونها فعلاً من الأفعال مع قطع النظر عن الآثار المترتبة على المعاملة؟ ، فذلك لأجل أنَّ عصيان السيد الثابت بحسب منطوق الروايات المزبورة قد ثبت بما

هو فعل من الأفعال دون النظر الى ما يترتب عليه من الآثار , فلا بد أن يكون العصيان المنفي مكتسباً للمعاملة من حيث كونها منهيّاً عنها حيث أنها موجبة لترتب الآثار عليها , وبذلك يثبت المطلوب وهو دلالة النهي على الفساد ؛ إذ ثبت أنّ العصيان صفة اكتسبتها المعاملة بفعل النهي عنها وأمست توسم بالفساد مع مثل ذلك العصيان , والذي يؤيد أنّ المراد من العصيان المنفي هو العصيان لا من حيث كونه فعلاً من الأفعال دونما نظر الى الآثار المترتبة على المعاملة , هو التمثيل المذكور في ذيل رواية زرارة عن الامام الباقر (ع), حينما قال الإمام (ع) " إن ذلك ليس كإتيان ما حرم الله عز وجل عليه من نكاح في عدة وأشباهه " ؛ إذ أنّ النكاح في عدة المرأة الممثل به في الرواية الثانية هو مما يُعد عصياناً لا من حيث كونه فعلاً من الأفعال , بل من حيث كونه منهيّاً عنه من جهة ما يترتب عليه من أثر^(٤٤).

ويؤدي ما تقدم من كلام الى تفصيل حاصله: أنّ النهي المتوجه الى معاملة ما إن كان نهياً عن إيجاد السبب من حيث أنه فعل من الأفعال فإنه لا يقتضي الفساد, سواء كان المنهي عنه مبغوضاً في نفسه , أم كان مبغوضاً بسبب اقترانه بعنوان مبغوض , كالنهي عن البيع يوم الجمعة المقترن بعنوان مبغوض هو تقويت صلاة الجمعة , وأما إذا كان النهي المتوجه الى المعاملة نهياً عنها من حيث كونها سبباً ومعاملة موجبة لترتب الآثار المطلوبة منها , فإنه يكون دالاً على الفساد^(٤٥).

وقد ذهب الميرزا النائيني في التقارير المكتوبة عنه الى دلالة هذه الروايات على الفساد أيضاً ؛ إذ أنّ المعصية في المعاملة هي معصية لله تعالى ابتداءً , ولم تكن معصية له تعالى تبعاً لمعصية الغير, والمعصية ابتداءً تدل على فساد المعاملة , بخلاف ما اذا كان النهي عنها يتبع حق الغير لكونها تصرفاً في سلطان ذلك الغير فتكون بالنتيجة معصية لله تعالى ؛ لأنّ الحق والحال هذه راجع الى ذلك الغير فله إسقاط حقه وإجازة المعاملة , أيهما شاء فعل .

فالرواية بحسب المعنى المتقدم من أدلة جريان الفضولي , وهذا بخلاف ما إذا كانت المعاملة معصية له تعالى ابتداءً لمكان النهي عنها , فإن مثل هذه المعصية تدل على الفساد , ولا مجال للإجازة فيها^(٤٦).

فإن قيل : أنَّ معصية السيد هي أيضاً معصيةً لله تعالى ، فتدل الرواية على أنَّ المعصية لا توجب الفساد^(٤٧) وهو ظاهر الكفاية^(٤٨)؛ لأنَّ العصيان الثابت هو عصيان العبد لسيدِهِ وهو عصيان الله تعالى أيضاً ، فيكون العصيان الثابت هو عصيان الله تعالى تكليفاً ، وأما العصيان المنفي فهو عصيان الله وضعاً ، ويكون قوله (ع) (لم يعص الله) دالاً على أنَّ العبد فعل ما لم يَمْضِهِ الله تعالى ولم يشرعه وهو كالنكاح في العدة ، فأقصى ما تدل عليه الرواية أنَّ المعاملة إن كانت مما لم يشرعه الله تعالى فهي تقع فاسدةً ، وهذا أمر لا خلاف فيه ، فلا دلالة في الرواية على الفساد ، بل الرواية أدلُّ على الصحة من الفساد .

إذا كان ما تقدم فإنه يجابُّ عن ذلك بأنَّ معصية السيد وإن كانت معصيةً لله تعالى غيرَ أنها معصيةٌ بتبع التصرف على سلطان السيد ، وهذا يختلف عن المعصية المنفية في الرواية التي هي معصيته تعالى ابتداءً ، فمعصية السيد الثابتة وإن كانت تكليفية غيرَ أنها ليس معصية بالابتداء ، فإطلاق المعصية على معصية السيد إنما تكون بهذه العناية^(٤٩).

قال في أجود التقريرات: "وأما ما ذكر من تحقق عصيانه تعالى في المقام ؛ لاستلزام عصيان السيد له فهو وإن كان صحيحاً إلا أنَّ المنفي في الرواية ليس مطلق عصيانه تعالى ، بل خصوص عصيانه المتحقق بمخالفة نهيه الراجع الى حقه تعالى على عبيده ، مع قطع النظر عن حقوق الناس بعضهم على بعض، فيكون المتحصل من الرواية : أن عصيان العبد لسيدِهِ بنكاحه من دون إذنه لو كان ناشئاً من مخالفة نهْي متعلق بذلك النكاح من حيث هو في نفسه ، لما فيه من المفسدة المقتضية لذلك ، لأوجب ذلك فساده ، كما في النهي عن النكاح في العدة"^(٥٠).

وأيدَّ المعنى المتقدم الشيخُ حسين الحلي (قدس سره) ؛ إذ ذهب الى أنَّ المراد من العصيان المنفي في النصوص المتقدمة هو العصيان التكليفي دون الوضعي ، واستشهد لذلك بما تقدم من كلام الشيخ الأنصاري من التمثيل له في ذيل رواية زرارة عن الإمام الباقر (ع) بالنكاح في العدة ؛ فإنَّ النكاح في العدة وإن كان فاسداً وضعاً إلا أنه لا إشكال في حرمة تكليفاً ، وبذلك فإنه احتمل في كلام الكفاية عدم الملاءمة لظاهر

المورد بالنسبة الى عصيان الله تعالى؛ لأنَّ مجرد الإذن منه تعالى وعدم الإمضاء لا يوجب البطلان إلا استناداً الى أصالة الفساد^(٥١).

خاصةً أنَّ في بعض الروايات ظهوراً ربما يمكن أن يقال أنه أقوى في الدلالة على الفساد^(٥٢)، منها ما جاء وسائل الشيعة: "في مملوكٍ تزوج بغيرِ إذن مولاه أعاصٍ لله؟ قال (ع): عاصٍ لمولاه، قلتُ: حرامٌ هو؟ قال (ع): ما أزعَم أنه حرامٌ، وقل له أن لا يفعل إلا بإذن مولاه"^(٥٣).

وإذا قيل: إذا كانت هذه الروايات ذات دلالة على فساد المعاملة بتوجه النهي إليها، فكيف يمكن توجيه صحة معاملة البيع رغم توجه النهي إليها يوم الجمعة على سبيل المثال؟

فإنه يجاب عن ذلك بما تقدم من أنَّ النهي المتعلق بمثل معاملة البيع لم يتعلق بها بما أنها تصرف ومن حيث كونها تصرفاً في المال، بل إنَّ النهي تعلق بها بما هي فعل من الأفعال شاغلاً عن الصلاة كسائر الأفعال الأخرى التي تشغل عن الصلاة كالأكل والشرب ونحوهما، وإنما ذكر خصوص البيع في كلامه تعالى من جهة خصوصية المورد، أي سبب النزول كما يعطيه قوله تعالى {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا}، فلا يكون النهي عن المعاملة والحال هذه دالاً على فسادها، وإنما يكون النهي دالاً على فساد المعاملة إذا تعلق بها من الناحية الأخرى، أعني كونها تصرفاً في المال بالنقل والانتقال^(٥٤).

غير أنَّ الذي تقدم من كلامٍ في توجيه الروايات الشريفة يواجهه استظهارٌ آخر يصبُّ في صالح عدم دلالة شيءٍ منها على الفساد؛ فإنَّ جملة من كبار الأصوليين حملوا هذه الروايات على خلاف ما يُستظهر منها أولاً بسبب بعض القرائن المحيطة بها، كما حمل المحقق القمي (قدس سره) العصيان المنفي في الروايات على الوضعية؛ لأنَّ المراد منها هو مجرد عدم الإذن والرخصة من الشارع، والا فمخالفة السيد معصية أيضاً^(٥٥)، وكأنه رحمه الله تعالى ناظر الى ما تقدم من اختلال السياق بالحمل على التكليفية؛ إذ أنَّ العصيان الثابت هو عصيان العبد لمولاه وهو من العصيان التكلفي، فلا بد أن يكون العصيان المنفي مغايراً للثابت، وليس هو الا الوضعي، غير أنه قد تقدم أنَّ العصيان المنفي يمكن أن يكون تكليفاً أيضاً

بلحاظ أنه عصيان لله تعالى بالأصالة ، بخلاف عصيان السيد الذي هو عصيان له تعالى بواسطة العصيان للسيد.

وقد صور السيد الخوئي (قدس سره) عدم الدلالة على الفساد بالتفكيك بين العصيانيين الواردين في السنة الروايات ؛ بجعل العصيان الأول المنفي بمعنى الوضع وعدم الإمضاء ، وجعل الثاني تكليفاً ، فيكون معنى الرواية أنه لم يصنع ما لم يمضه الله تعالى ، وإنما عصى سيده ، وعصيان السيد عصيان لله تعالى ، واستظهر بعد ذلك أن المراد من العصيان في الفقرتين هو العصيان الوضعي لا التكليفي ، فيكون المعنى أنه لم يصنع شيئاً لم يمضه الله تعالى ، وإنما صنع شيئاً لم يمضه سيده ، فإذا أجاز السيد فالنكاح له جائز ، ويكون مفاد الرواية أن خصوص نكاح العبد بحاجة إلى إمضاء المولى إضافة إلى إمضائه تعالى لتلك المعاملة^(٥٦).

واستظهر المحقق العراقي (قدس سره) العصيان الوضعي في الفقرتين الواردين في الروايات ، أعني فقرة عدم عصيان الله تعالى وعصيان السيد ، وذلك بقرينة المقابلة بين الفقرتين ؛ فكما أن معصية السيد أريد منها عدم إجازة السيد للعبد بإجراء عقد النكاح وعدم إعطائه السلطنة في ذلك لأنه مقتضى مولوية المولى على عبده ، فكان المراد حينئذٍ من قوله (ع) (إنه لم يعص الله) هو أن النكاح ليس مما لم شرعه الله تعالى بحسب أصل الشرع حتى يقع باطلاً ، وإنما كان عدم التشريع والإمضاء من جهة سيده ، فإذا أجاز جاز ، وهذا النحو من العصيان لا خلاف في أنه مفسدٌ للمعاملة ، والذي يؤيد هذا بل يشهد عليه هو مقتضى عدم انفكاك معصية السيد عن معصية الله تعالى من حيث وجوب إطاعة السيد على العبد^(٥٧).

وقد ذكر الشهيد الصدر في تقريراته مجموعة من القرائن الدالة على عدم الفساد ، منها^(٥٨) :
أولاً : أن غاية ما فرض في سؤال الرواية هو أن العبد تزوج بلا إذن سيده ، فحتى لو فرض أن السيد كان قد منع العبد تكليفاً من النكاح ، فلا يحمل معصية السيد على العصيان التكليفي لأن ذلك خلاف الظاهر ، بل لابد من حمل معصيته لسيدته على الوضعية ، وإذا كان كذلك بقرينة المقابلة ينبغي أن تكون معصية

الله تعالى وضعية أيضاً ، وهي ذات الفكرة المزبورة التي تقدمت عن المحقق العراقي ، غاية الأمر أن عدم عصيانه لله تعالى يكون باعتبار أن الله تعالى أمضى قانون النكاح بالكلية ، وعصيانه للسيد يكون باعتبار أن السيد لم يمتض شخص هذا النكاح بالخصوص .

ثانياً: إن ظاهر الروايات أن بطلان هذا النكاح إنما هو باعتبار عصيان سيده ، ولكنه ليس بطلاناً من رأس ، فإن أجاز السيد بعد ذلك مضت إجازته وكان النكاح صحيحاً وارتفع المحذور السابق وهو عصيان السيد ، ومن الواضح أن العصيان الذي يمكن ارتفاعه وتبدله الى الإجازة هو العصيان الوضعي ؛ إذ المعاملة يمكن أن تكون قبل وقوعها غير ممضاة ثم بعد ذلك تُمضى ، أما العصيان التكليفي فإنه لا يمكن ارتفاعه وتبدله الى إجازة ، فلا بد من حمل العصيان المنفي في تلك الروايات على الوضعية.

كما وذهب السيد الحكيم (قدس سره) الى كون العصيان وضعياً أيضاً ؛ إذ لا مجال لفرض تكليفية العصيان بعد ما هو الظاهر من عدم عصيان العبد تكليفاً بمجرد إيقاع العقد ، خصوصاً إذا كان الذي أنشأ العقد غير العبد ، كما ذونه ونحوه ممن لا سلطان للسيد عليه ، كما أن العصيان التكليفي لا يناسب سياق عصيان الله تعالى بعصيان السيد ؛ لأن عصيان السيد يمكن أن يتحقق بلا فرض صدور نهى من قبله للعبد^(٥٩).

الخاتمة:

ساق النظر في بعض الروايات الواردة في شؤون العبيد الأصوليين الى تركيز البحث في مسألة دلالة النهي على فساد المعاملة ؛ إذ ذهب بعضهم الى أن النهي إن تعلق بالمعاملة أفسدها ، فيما خالفهم آخرون ، وقد تشبث القائلون بالفساد بتلك الروايات التي استظهروا منها ذلك القول ، فيما استظهر المانعون من الفساد عدم دلالتها على ذلك.

وقد اتضح أن النهي لا يدل على فساد المعاملة لغةً ولا عرفاً لأسباب تقدمت ، ولذا قال مثبتو الفساد باستتباع النهي عن المعاملة لفسادها شرعاً ، وذلك بالتشبت بتلك الروايات.

وإنَّ محور الاستظهار يحومُ حول تحديد معنى العصيان , فإن كان العصيان المنفي في الروايات من العصيان التكليفي الذي يعني ارتكاب ما نُهي عنه , كانت في الروايات دلالة على فساد المعاملة بتعلق النهي فيها , وإن ثبت أن العصيان وضعيٌّ وهو ما يعني اقتحام فعل لم يَمْضه الشارع ولم يشرعه , لم يكن في تلك الروايات دلالة على الفساد ؛ وإنما كان ذلك لأنجل أن العصيان الوضعي مما لا شك في فساد المعاملة معه , إنما الكلام في العصيان التكليفي, فإذا ثبت أن العصيان المنفي في الروايات عصيانٌ تكليفي , وقد انتهت الروايات بمفهومها الى فساد مرتكب العصيان , ثبت أنَّ في النهي دلالةً على فساد المعاملة, وأما إذا ثبت أنَّ العصيان عصيان وضعي لا تكليفي , لم تثبت الملازمة بين النهي والفساد ؛ لما تقدم من أنَّ العصيان الوضعي مما لا بد من فساد المعاملة معه.

وقد حاول هذا البحث أن يُلقِي نظرة على هذا السجال العلمي الجميل الذي تسبب به الاستظهار المختلف لتلك الروايات , على أمل أن يكون قد حدد بعض أسرار ما اتكأ عليه الفريقان المتخالفان.

الهوامش:

١ ظ: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام , جواد علي , ٣٦٩/٧-٣٧٢.

٢ النور : ٢٤.

٣ بيع الحصة , قال أهل الأخبار أنه بيع كان متبعاً في سوق (دومة الجندل) , وهو أن يقول أحد المتبايعين للآخر : ارم هذه الحصة , فعلى أي ثوبٍ أو مبيعٍ آخر وقعت فهو لك بدرهم , وله صور أخرى ذكرت في محلها . ظ: تاج العروس , الزبيدي , ٩٢/١٠ , مادة (حصا).

٤ يراد به أن يُجعل عقد البيع لمس المبيع , فيُشترى المتاع بلمسه دون النظر اليه , ظ: تاج العروس , ٣٤٠/٤ , مادة (لمس) .

٥ بيع المناذبة هو أن يُجعل النبد بيعاً , بأن ينبد الطرفان لبعضهما المبيع وثمانه , فيكون النبد والإقاء قاطعاً للخيار , ظ: تاج العروس , ٥٨١/٢ , مادة (نبد) .

٦ مطارح الأنظار (تقارير الشيخ الأعظم الأنصاري) , الميرزا أبو القاسم الكلانترى الطهراني , ١/ ٧٢٨.

- ٧ ظ: فوائد الأصول (تقارير الميرزا النائيني) ، محمد علي الكاظمي الخراساني ، ١-٢ / ٤٥٥ .
- ٨ ظ: أصول الفقه ، محمد رضا لمظفر ، ٢ / ٣٤٦ .
- ٩ كفاية الأصول ، الأخوند محمد كاظم الخراساني ، ١ / ٢٤٩ .
- ١٠ ظ: منتهى الدراية في توضيح الكفاية ، المروج ، ٣ / ٢٣٥ .
- ١١ ظ : عناية الأصول في شرح كفاية الأصول ، مرتضى الفيروزآبادي ، ٢ / ١٢٩ .
- ١٢ ظ: بداية الوصول في شرح كفاية الأصول ، محمد طاهر آل راضي ، ٣ / ٢١٧ .
- ١٣ ظ: أصول الفقه ، محمد رضا المظفر ، ٢ / ٣٤٧ .
- ١٤ ظ: تهذيب الأصول (تقارير السيد الخميني) ، جعفر السبحاني ، ٢ / ٦٨ .
- ١٥ ظ: كفاية الأصول ، ١ / ٢٥١ .
- ١٦ يراد بالعبادة الذاتية ما يكون بذاته عبادةً دون أن يُنَاطَ عباديته بتعلق الأمر به ، كالركوع والسجود ، فإذا تعلق النهي بهذا القسم لم يخرج عن العبادية ؛ لأن عباديته ذاتية ، بل إنما يخرج عن النهي بسبب المقربة ، وأما العبادة التقديرية فهي تلك التي تنطاط بتعلق الأمر بها ، ولولا تقدير تعلق الأمر بها ما كانت عبادةً كصوم العيدين ، والصلاة في أيام الحيض . ظ: منتهى الدراية ، ٣ / ٢٤٢ .
- ١٧ ظ: كفاية الأصول ، ١ / ٢٥١ .
- ١٨ ظ : مصابيح الأصول (تقارير السيد أبو القاسم الخوئي) ، علاء الدين بحر العلوم ، ١ / ٥٤٤ .
- ١٩ ظ: محاضرات في أصول الفقه (تقارير السيد الخوئي) ، محمد إسحق الفياض ، موسوعة الإمام الخوئي ٤٦ / ١٣٩ .
- ٢٠ ظ: غاية المأمول من علم الأصول (تقارير السيد الخوئي) ، محمد تقي الجواهري ، ١ / ٥٦٩ .
- ٢١ كفاية الأصول ، ١ / ٢٥٩ .
- ٢٢ ظ: منهي الدراية ، ٣ / ٢٨٥ .
- ٢٣ ظ: بداية الوصول في شرح كفاية الأصول ، ٣ / ٢٧١ .
- ٢٤ ظ: عناية الأصول في شرح كفاية الأصول ، ٢ / ١٥٤ .
- ٢٥ فوائد الأصول (تقارير الميرزا النائيني) ، ١-٢ / ٤٧٢ .

- ٢٦ ظ: المقدمات والتنبيهات في شرح أصول الفقه , محمود قانصو , ٤/٤٠٥-٤٠٦ .
- ٢٧ ظ: أصول الفقه , محمد رضا المظفر , ٢ / ٣٥٥ .
- ٢٨ ظ: المعجم الأصولي , محمد صنقور , ٩٣٩ .
- ٢٩ كفاية الأصول , ١/٢٦٠ .
- ٣٠ ظ: تهذيب الأصول (تقارير السيد الخميني) , ٢ / ٧٦ .
- ٣١ ظ: تنقيح الأصول (تقارير السيد الخميني) , حسين النقوي الأشتهاردي , ٢ / ٢٥٦ .
- ٣٢ ظ: كفاية الأصول , ٢ / ٢٦٠ + بداية الوصول في شرح كفاية الأصول , ٣ / ٢٧٥ .
- ٣٣ الكافي , محمد بن يعقوب الكليني , ٥ / ٤٧٨ .
- ٣٤ من لا يحضره الفقيه , محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق , ٣ / ٥٤١ .
- ٣٥ ظ: عناية الأصول في شرح كفاية الأصول , ٢ / ١٥٦ .
- ٣٦ كفاية الأصول , ١ / ٢٦١ .
- ٣٧ القوانين المحكمة في الأصول المتقنة , الميرزا أبو القاسم القمي , ١ / ٣٧٣ .
- ٣٨ المقصود هو الشيخ الأنصاري على ما نُقل في تقريراته .
- ٣٩ الكافي , ٥ / ٤٧٨ , ح ٢ .
- ٤٠ ظ: مطارح الأنظار , ١ / ٧٥٦ .
- ٤١ ظ: فوائد الأصول (تقارير الميرزا النائيني) , ١-٢ / ٤٧٣ .
- ٤٢ ظ: تقارير آية الله المجدد الشيرازي , علي الروزدي , ٣ / ١١٠ .
- ٤٣ ظ: مطارح الأنظار , ١ / ٧٥٦ .
- ٤٤ ظ: مطارح الأنظار , ١ / ٧٥٦ .
- ٤٥ ظ: مطارح الأنظار , ١ / ٧٥٦-٧٥٧ .
- ٤٦ ظ: فوائد الأصول , ١-٢ , ٤٧٣ .
- ٤٧ ظ: المصدر نفسه , ٤٧٣ .
- ٤٨ ظ: عناية الأصول في شرح كفاية الأصول , ٢ / ١٥٦ .

- ٤٩ ظ: فوائد الأصول ، ٢-١ ، ٤٧٤ .
- ٥٠ ظ: أجود التقريرات (تقريرات الميرزا النائيني) ، ٢/٢٣٣ .
- ٥١ ظ: أصول الفقه ،تقريرات الشيخ حسين الحلّي ، ٤/٢٥٣ .
- ٥٢ ظ: أصول الفقه ، تقريرات الشيخ حسين الحلّي ، ٤/٣٥٢ .
- ٥٣ وسائل الشيعة ، الباب ٢٣ من أبواب نكاح العبيد والإماء ، ح ٢ ، ٢١ / ١١٣ .
- ٥٤ ظ: أصول الفقه ، تقريرات الشيخ حسين الحلّي ، ٤/٣٢٨ .
- ٥٥ ظ: القوانين المحكمة في الأصول المتقنة ، ١/٢٧٣-٢٧٤ .
- ٥٦ ظ: غاية المأمول من علم الأصول (تقريرات السيد الخوئي) ، محمد تقي الجواهري ، ١/٥٨٣ .
- ٥٧ ظ: نهاية الأفكار (تقرير أبحاث المحقق العراقي) ، محمد تقي البروجردي النجفي ، ١-٢ / ٤٦١-٤٦٢ .
- ٥٨ ظ: بحوث في علم الأصول (تقريرات السيد الشهيد محمد باقر الصدر) ، محمود الهاشمي الشاهرودي ، ٣/١٣٣ .
- ٥٩ ظ: المحكم في أصول الفقه ، محمد سعيد الطباطبائي الحكيم ، ٢/ ٤٣١-٤٣٢ .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ١- أجود التقريرات (تقريرات الميرزا النائيني) ، أبو القاسم الموسوي الخوئي ، تحقيق ونشر : مؤسسة صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه ، قم المقدسة ، ط: الأولى ، ١٤١٩هـ .
- ٢- أصول الفقه ، تقريرات الشيخ حسين الحلّي ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم المقدسة .
- ٣- أصول الفقه ، محمد رضا المظفر ، مؤسسة اسماعيليان ، قم المقدسة ، ط: الخامسة .
- ٤- بحوث في علم الأصول (تقريرات السيد الشهيد محمد باقر الصدر) ، محمود الهاشمي الشاهرودي ، المجمع العلمي للشهيد الصدر ، قم المقدسة ، ط: الأولى ، ١٤٠٥هـ .
- ٥- بداية الوصول في شرح كفاية الأصول ، محمد طاهر آل راضي ، إشراف وتصحيح : محمد عبد الحكيم الموسوي البكاء
- ٦- تقارير آية الله المجدد الشيرازي ، علي الروزدرّي ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم المقدسة .
- ٧- تنقيح الأصول (تقريرات السيد الخميني) ، حسين النقوي الأشتهاردي ، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ، ط: الثانية ، ١٤٢٧هـ .

- ٨- تهذيب الأصول (تقريرات السيد الخميني) ، جعفر السبحاني ، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ، ط: الأولى ١٤٢٣هـ .
- ٩- عناية الأصول في شرح كفاية الأصول ، مرتضى الحسيني الفيروز آبادي ، مطبعة النجف ، النجف الأشرف ، ط: الأولى ، ١٣٨٥هـ .
- ١٠- غاية المأمول من علم الأصول (تقريرات السيد الخوئي) ، محمد تقي الجواهري ،
- ١١- فوائد الأصول (تقريرات الميرزا النائيني) ، محمد علي الكاظمي الخراساني ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة ، ط: السابعة ، ١٤٢١هـ .
- ١٢- القوانين المحكمة في الأصول المتقنة ، الميرزا أبو القاسم القمي ، تعليق : رضا حسين صبح ، دار المرتضى ، بيروت ، ط: الاولى ، ١٤٣٠هـ .
- ١٣- الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ط: الثالثة ١٣٨٨هـ .
- ١٤- كفاية الأصول ، الآخوند محمد كاظم الخراساني ، تحقيق ونشر : مجمع الفكر الاسلامي ، قم المقدسة ، ط: السادسة ، ١٤٣٧هـ .
- ١٥- محاضرات في أصول الفقه (تقريرات السيد الخوئي) ، محمد إسحق الفياض ، موسوعة الإمام الخوئي ، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي ، قم المقدسة ، ١٤٢٢هـ .
- ١٦- المحكم في أصول الفقه ، محمد سعيد الطباطبائي الحكيم ، مؤسسة المنار ، قم المقدسة ، ط: الاولى ، ١٩٩٤م .
- ١٧- مصابيح الأصول (تقريرات السيد أبو القاسم الخوئي) ، علاء الدين بحر العلوم ، تحقيق : محمد علي بحر العلوم ، دار الزهراء ، بيروت ، ط: الثالثة ، ١٤٣١هـ .
- ١٨- مطارح الأنظار (تقريرات الشيخ الأعظم الأنصاري) ، الميرزا أبو القاسم الكلانترى الطهراني ، مجمع الفكر الاسلامي ، قم المقدسة ، ط: الثالثة ، ١٤٣٢هـ .
- ١٩- المعجم الأصولي ، محمد صنفور ، الناشر : المؤلف ، ط: الاولى ، ١٤٢١هـ .
- ٢٠- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط: الاولى ، ١٩٧١م .
- ٢١- المقدمات والتنبيهات في شرح أصول الفقه ، محمود قانصو ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ط: الاولى ، ١٩٩٨م .

- ٢٢- من لا يحضره الفقيه ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة ، ط: الثانية.
- ٢٣- منتهى الدراية في توضيح الكفاية ، محمد جعفر الجزائري المروج ، مؤسسة دار الكتاب ، قم المقدسة ، ط: السادسة ، ١٤١٥هـ.
- ٢٤- نهاية الأفكار (تقرير أبحاث المحقق العراقي) ، محمد تقي البروجردي النجفي ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة ، ط: الخامسة ، ١٤٣١هـ.
- ٢٥- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم المقدسة ، ط: الاولى ، ١٤٠٩هـ.

جماليات الاختزال اللوني في رسوم الطبيعة

م.د. علي أمين الجبوري
كلية التربية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

لقد تناول البحث (جماليات الاختزال اللوني في رسوم الطبيعة) بما تحويه هذه الرسوم من قيم جمالية باعتماد تقنية الاختزال والتبسيط والتغيير اللوني. وقد تلخصت مشكلة البحث الحالي بالسؤال الآتي: ما جماليات الاختزال اللوني في رسوم الطبيعة؟ إذ تم تقسيم البحث على أربعة فصول، تضمن الفصل الأول، التعريف بمشكلة البحث وأهميته والحاجة إليه، وهدف البحث الذي تم تلخيصه (بتعرّف جماليات الاختزال اللوني في رسوم الطبيعة). كما تضمن الفصل الأول تعريفاً بحدود البحث، وتحديد وتعريف أهم المصطلحات الواردة فيه. أما الفصل الثاني، وهو الإطار النظري للبحث، فقد تم تقسيمه الى محورين:

١. المحور الأول عُني بـ (مفهوم الجمال عند الفلاسفة).

٢. المحور الثاني عُني بـ (جماليات رسوم الطبيعة).

كما تضمن مؤشرات الإطار النظري والدراسات السابقة .

بينما تضمن الفصل الثالث إجراءات البحث، من مجتمع البحث، وعينة البحث، ومنهجية البحث وتحليل عينة البحث، وقد اشتمل الفصل الرابع على نتائج البحث.

الفصل الأول: مشكلة البحث وأهميته والحاجة إليه:

أولاً: - مشكلة البحث:

تأخذ الطبيعة دور مهم وفعال في حياة الإنسان كونه يتأثر بها ويؤثر فيها لذا حاول منذ القدم فهمها بما تضمه من تنوع شكلي ولوني، فكانت له محاولات بسيطة في محاكاتها، ثم ظهرت لاحقاً تحولات بنائية وتقنية في الرسم أكثر نضجاً تتمثل في صنع الفنان لأدواته وتوظيفها في تجسيد الطبيعة بأعماله، خاصة

في عصر النهضة الذي شهد تطوراً ملحوظاً في جميع المجالات الفنية، بعد ذلك حدثت ثورة في الفن التشكيلي عندما اتخذ مجموعة من الفنانين الطبيعة مصدراً لأعمالهم فأخذت مساحة كبيرة في أعمالهم عندما أخذوا يصورون ما تقع عليه أعينهم في الطبيعة مسجلين انعكاس الضوء على الأشكال وما تصدر عنه من تضادات لونية معتمدين بذلك على الرؤى الفلسفية والاكتشافات العلمية - كتحليل الضوء وصناعة أدوات الرسم - مكونين مجموعة فنية سميت بالانطباعية كان لها أثر كبير في قلب موازين الرسوم التي صورت الطبيعة واستثمرتها برؤى جمالية. وبما إن الرسم الأوربي المعاصر قد مر بتحولات عديدة في إظهار الشكل واللون فيه لذا سيتناول الباحث موضوع الاختزال اللوني في رسوم الطبيعة، كون الاختزال يمثل قيمة جمالية في الرسم. ومما سبق تتلخص مشكلة البحث الحالي بالتساؤل الآتي: ما جماليات الاختزال في رسوم الطبيعة ؟

ثانياً: أهمية البحث والحاجة إليه:

١- تأتي أهمية البحث الحالي في تسليط الضوء على الطبيعة وتناولها في الأعمال الفنية لما لها من أهمية وتأثير نفسي وجمالي وكيفية استثمار تقنية الاختزال في رسوم الطبيعة. ويوفر البحث الحالي لدارسي الفن بما سيخرج من نتائج معرفة الأساليب والتقنيات المستعملة في رسوم الطبيعة، ويعد أرشيفاً فنياً يسهم في إرفاد المكتبة الفنية خاصة فيما يخص اللوحات الأوربية التي مثلت الطبيعة.

ثالثاً: هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى: تعرف جماليات الاختزال في رسوم الطبيعة.

رابعاً: حدود البحث:

الحدود الزمانية:- يتحدد البحث الحالي بالمدة الزمنية من (١٨٤٥ - ١٩١٠).

الحدود المكانية:- أوروبا

الحدود الموضوعية:- يتحدد البحث بدراسة موضوعة جماليات الاختزال في الرسوم الزيتية التي جسدت الطبيعة.

خامساً: تحديد وتعريف المصطلحات:

الجمال (Aesthetic)

الجمال لغة:- الجَمال: مصدر الجميل، والفعل جَمَلَ. والجمال يقع على الصور والمعاني؛ ومنه الحديث: (إن الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ) أي حسن الأفعال كامل الأوصاف.^١

الجمال اصطلاحاً:- هو البحث في القيم المتعلقة بالآثار الفنية والصفات المشتركة بين الأشياء الجميلة التي تولد شعوراً بالجمال، فيفسر طبيعة الجمال تفسيراً فلسفياً ويذكر السمات التي يتميز بها الجميل، ويبحث في مختلف صور الفن، وينقد نماذجها.^٢

الاختزال (Reduction)

الاختزال لغة:- الحَزَل: القطع، يقال خزلته فانخزل أي قطعته فانقطع، وقول الشاعر:

يكاد الخصرُ ينخزلُ بمعنى ينقطع لُصمره. والاختزال: الاقتطاع، وفي حديث الأنصار: يريدون أن يختزلونا من أصلنا، أي يريدون أن يقتطعونا ويذهبوا بنا منفردين. ومنه الحديث الآخر: أرادوا أن يختزلوه دوننا أي أن ينفردوا به.^٣

الاختزال اصطلاحاً:- تبسيط الأشكال الداخلة في العملية التصميمية. أي استبعاد الأشكال والألوان الزائدة التي إذا ما حذفت من العمل الفني لا يتأثر وظيفياً أو دلالياً أو جمالياً.^٤

جماليات الاختزال إجرائياً:- هي تقنية تبسيط الألوان في رسوم الطبيعة من خلال الحذف والتشذيب والتحوير والإضافة، لإنجاز عمل يسمو جمالياً عن الواقع من خلال حمله قيماً فنية تخضع لذاتية الفنان.

الفصل الثاني: الإطار النظري للبحث:

المبحث الأول:- مفهوم الجمال عند الفلاسفة

إن مفهوم الجمال هو مجمل آراء الفلاسفة في إحساس الانسان بالجمال وإطلاق الحكم الجمالي على الأشياء، إذ أن فلسفة الجمال تتناول القيم الجمالية التي تحيط بالإنسان سواء في الطبيعة أو فيما هو منتج من قبل الانسان نفسه المتمثل في ابداعه في الفنون الجميلة. فالجمال قد يدرك في الطبيعة كما يدرك في الفن ولكن إدراك الجمال الطبيعي لا يقتضي من الانسان تدريباً معيناً فهو إدراك مباشر، كما أن بإمكان الفنان أن يتناول هذا الجمال الطبيعي ويحوله الى جمال فني من خلال المحاكاة والتحوير والاختزال لما يراه في الطبيعة، كما يمكن لأي شيء سواء كان طبيعياً أو صناعياً أن يتحول إلى قيمة جمالية إذا أحسن الانسان التعبير عنه وإظهاره بصورة جمالية. وعلم الجمال معني إذن بالقيم الجمالية كما تبدو من خلال الأعمال الفنية.^٥

لذا سيتناول الباحث آراء أبرز الفلاسفة في الجمال وفق المسار التاريخي لكل منهما بدءاً بأبرز فلاسفة اليونان وانتهاء بأبرز فلاسفة الحداثة. إن مفهوم الجمال لدى الفيلسوف اليوناني (سقراط ٤٦٩-٣٩٩ ق.م) يرتبط بالنفع والفائدة، فالشيء مفيد لأنه يؤدي الغرض الذي قصد منه، ونافع وجميل لأنه حقق الهدف المرجو من وجوده وأن هناك أساساً قوياً لنظريته الجمالية، يتمثل في تأكيده على العلاقة بين ما هو أخلاقي وما هو جميل.^٦ في حين أن (أفلاطون ٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م) اخضع الجمال إلى النظرية المتألفيضية التي تلجأ إلى الحدس، فقد اقتصر أفلاطون على التأمل العقلي الذي لا شأن له بمظاهر الأشياء المحسوسة ذلك ان المحسوس وهمي، جزئي، زائل، أما المعقول فهو الحقيقة الكاملة الكامنة وراء هذا العالم المادي.^٧ كما اعتقد أن الفن مصدره الالهام، وان للفنون ربات، كل ربة منهن تختص برعاية فن من الفنون. وإن الفنان يصدر منه الجميل عن مصدر موضوعي معقول لاعن ذاتيته وفرديته. لذلك يعد افلاطون من الفلاسفة الجماليين الموضوعيين المثاليين، الذين يرون ان الفن انتاج موضوعي، وان فاعلية الفنان تأتي بالدرجة الثانية بعد الموضوع. وهو بذلك يطرد الفنانين والشعراء المحاكين من جمهوريته لانهم يقلدون الطبيعة الحسية التي تعد ظلالاً كاذبة للعالم المعقول، فيكون بذلك عمل الفنان تقليداً او محاكاة الشيء المقلد، ولهذا فان

الفن بنظره كما يقول هو (محاكاة المحاكاة) وكلما اقترب الفن من عالم المثل صعد في سلم التطهير وصولاً إلى المثل، أي من المحسوس إلى المعقول.^٨ ويعبر (أرسطو ٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) عن موقف جمالي مغاير لأفلاطون، وعنده الجمال ليس في عالم ما فوق الحس، إنما نستدل عليه فيما حولنا، وهكذا منح الجمال صيغة موضوعية.^٩ وأن للفن وظيفة مزدوجة، فهو يقلد الطبيعة أولاً ثم يتسامى عنها، فصورة الفن يمكن أن تحسن صورة الطبيعة بتطويرها واختزالها، فليس على الفن أن ينقل المظهر للأشياء بل يجب أن يتدخل الفنان لكي يبرز الواقع بصورة توحى بالكمال العقلي، فالفنان يضيف ويعدل على النموذج الفني معتمداً العقل في الكشف عن الواقع وطرح الحلول المناسبة لسلبياته ومشاكله لتقديم البديل الأكثر إقناعاً وجمالاً.^{١٠} والجمال لدى فلاسفة الحداثة بدءاً بالفيلسوف الفرنسي (رينيه ديكرت ١٥٩٦-١٦٥٠) الذي اعتمد منهجاً عقلياً مُنطلقاً من الشك في المبادئ والحقائق فجعله طريقاً للبحث والتفكير، وبهذا توصل إلى مقولته الشهيرة (أنا أفكر إذن أنا موجود).^{١١} كما أنه ميز في اللذة الجمالية بين مرحلتين (مرحلة الحس) و(مرحلة الذهن) والتي لا يمكن تصورها بدون المرحلة الأولى، فالجميل لديه يرجع إلى عالمين في آن واحد عالم الحس وعالم الذهن، والشعور بالجمال إذن يرجع إلى مشاركة الحسي والعقلي معاً.^{١٢} في حين أن الألماني (إيمانويل كانت ١٧٢٤-١٨٠٤) فقد ميز بين الجمال الخالص والجمال غير الخالص، وعدّ الجمال الخالص متمثلاً في الشكل الذي لا يثير فكرة ما أو تعبيراً ولا يحوي مضموناً، وأنه يولد لدينا شعوراً بالرضا الكلي دون أي منفعة، أما إذا اقترن بفكرة أو منفعة أو بما هو لذيق حسيّاً فإنه يكون جمالاً غير خالص.^{١٣} أما مفهوم الجمال لدى الفيلسوف الألماني (فريدريك هيغل ١٧٧٠ - ١٨٣١) فهو التجلي المحسوس للفكرة. إذ أن مضمون الفن ليس شيئاً سوى الأفكار، أما الصورة التي يظهر عليها الأثر الفني فإنها تستمد بنيتها من المحسوسات والخيالات، ولابد أن يلتقي المضمون مع الصورة في الأثر الفني، إذن فالفن في مذهب هيغل هو وضع الفكرة أو المضمون في مادة أو صورة ما.^{١٤}

ويرتبط مفهوم الجمال لدى الفيلسوف الألماني (آرثر شوبنهاور ١٧٨٨-١٨٦٠) بميتافيزيقاه المثالية، عندما يقرر أن العالم إرادة وتمثل، وإن غايته في الفن هي الوصول إلى نوع من الفناء التام، والتي تُحقق إرادة الفنان من خلال إبداعه الفني.^{١٥} في حين أن الفيلسوف الفرنسي (هنري برجسون ١٨٥٩-١٩٤١) أشار إلى أن جمال الطبيعة سابق لجمال الفن وأن عوامل الفن لا تصبح وسائط إلا حين تساعد الفنان على التعبير عن الجمال في حين أن جوهر الجمال يبقى سراً من الأسرار، لذا فإنه يهتم بتحديد السياق النفسي الذي ينشأ فيه الجمال وهو الحدس، فالحدس هو الذي يوصل إلى الجمال، وهو الذي يسبق التصور الجميل والفنان لديه تصور واضح عن الجمال كونه يتشكل في أثناء صناعة العمل الفني.^{١٦} أي أن إدراك الجمال لا يتم إلا عن طريق الحدس أي إدراك الديمومة الخلاقة إدراكاً مباشراً.^{١٧} وينتقل الفيلسوف الأمريكي (جون ديوي ١٨٥٩-١٩٥٢) بمفهوم الفن والجمال من الرؤية الحدسية إلى ميدان الممارسة والعمل. وقد أشار إلى أهمية الخبرة العامة في الفن والتذوق الجمالي.^{١٨} والجمال عند الفيلسوف الأمريكي من أصل أسباني (جورج سانتيانا ١٨٦٣-١٩٥٢) هو ليس إدراك لحقيقة واقعة أو لعلاقة وإنما هو انفعال، فلا يكون الموضوع جميلاً إذا لم يولد اللذة في نفس أحد. وأن الحواس الخمس والإحساس والذاكرة والمخيلة هي العناصر التي تخلق الإحساس بالجمال، وهي التي تؤلف الوعي الإنساني، فالنشاط الفكري يرتبط بهذه العناصر ويحيلها إلى موضوعات ذات وجود خارجي، مدركة جمالياً تنتقل من الذات إلى الموضوع، فيبدو المدرك الجمالي كصفة مرتبطة بالأشياء الموضوعية أكثر من كونها ناتجة من الوعي، لذا عرف الجمال بأنه قيمة إيجابية نابعة من طبيعة الشيء إذا أوجدنا عليه وجوداً موضوعياً.^{١٩} أما الموضوع الرئيس الذي يكون محور علم الجمال لدى الفيلسوف الإيطالي (بندتو كروتشه ١٨٦٦-١٩٥٢) فهو الحدس، ويشرح كروتشه فكرته عن الحدس فيؤكد أن الحدس ليس إحساساً تطبعه الأشياء على العقل كما لو كان سطحياً خالياً، وإنما الحدس نشاط وفاعلية تجري في العقل الإنساني. وهو المنتج للصور أي أنه ليس مجرد تسجيل بل يتكون في وعي

الإنسان كثمرة للانفعالات والصور الخيالية، وبفضل الانفعالات تتحول الصور إلى تعبير غنائي هو قوام كل الفنون.^{٢٠}

وترى الفيلسوفة الأمريكية (سوزان لانجر ١٨٩٥-١٩٨٥) أن الجمال في الفن هو إبداع أشكال قابلة للإدراك الحسي حيث تكون معبرة عن الوجدان البشري. وتعتقد بأن الفن ليس محاكاةً فهي تركز على أهمية الشكل الذي يحمل رموزاً معبرة ذات معنى ليمتلك قيمةً جمالية.^{٢١}

المبحث الثاني: جماليات رسوم الطبيعة

إننا نعني بكلمة "الطبيعة" عالم الظواهر المرئي ولكننا بوضعنا هذا التعريف لها، فإننا لا نبسط مشكلة علاقة الفنان بالطبيعة. فهناك مشكلتان لا بد من التفكير فيهما، أولهما، ما هو الفرق بين الفن والطبيعة؟ هل يوجد أي اختلاف، بين الجمال الطبيعي، وبين ذلك الجمال كما يظهر في عمل الفنان؟ اننا اذا ما اجبنا على هذا السؤال بالايجاب، كما يعتقد (هربرت ريد) اننا سنفعل، فسوف نواجه حينئذ بمشكلة تحديد وظيفة الفنان الذي يقف بيننا وبين الطبيعة.^{٢٢} ليصورها بأبهى وأجمل صورة، مختزلاً إياها بمشهد فني تمتزج فيه المحاكاة الموضوعية مع رؤية الفنان الذاتية. فعندما ذهب الفنانون الى الطبيعة، أخذوا باحترام الاشكال معبرين عنها بقوة وعبقورية ناضجة، فمر الفنان بمرحلة الطبيعة، ثم انتقل الى الاشياء ذاتها، الى اشكالها، الى بنيتها فأنتقن التشريح والنظريات الفنية المبنية على التجربة والحس والمنطق.^{٢٣} وقد كان رسم الطبيعة عند الفنانين سابقاً يتم عن طريق عمل دراسة سريعة بالقلم عن الطبيعة ثم تنفيذها بالألوان في المرسوم، حتى الربع الثاني من القرن التاسع عشر عندما ظهر اسلوب جديد في الرسم من الطبيعة مباشرة بعد ان كان الاسلوب القديم يأخذ تخطيطات سريعة للمشاهد ليتم تصويرها في المحترفات بشكل نهائي بالاعتماد على الذاكرة والمخيلة وكان لنزوح بعض الفنانين الى قرية في باريس تعرف بقرية (الباربيزون) عند اطراف غابة (فانتنبلو) اثر كبير وواضح في رغبة رسم الطبيعة بشكل مباشر.^{٢٤} وعلى رأسهم (تيودور روسو ١٨١٢-١٨٦٩) و (جان ميليه ١٨١٤-١٨٧٥) و (كاميل كورو ١٧٩٦-١٨٧٥). الذين رسموا الطبيعة بأسلوب مباشر في تلك القرية

كما في أعمالهم (الأشكال ١، ٢، ٣) عندما خرجوا عن مراسمهم نحو الطبيعة باعتماد الرؤية المباشرة واستقاء المواضيع من الطبيعة. في حين كان للرسامين الإنكليز دور بارز في تناول الطبيعة عندما ثاروا على التقاليد الفنية التي كانت تقضي أن يرسم الفنان الطبيعة في مرسمة و ينسقها وفقاً لقواعد ثابتة. وخرجوا الى رسم الطبيعة بطريقة مباشرة ويعد (تيرنر ١٧٧٥-١٨٥١) و (كونستابل ١٧٧٦-١٨٣٧) من أبرزهم، وحاول كونستابل محاكاة الطبيعة في رسومه كما في شكل (٤) في حين ذهب تيرنر إلى تناول الطبيعة بشكل مغاير عما هي عليه وكما يراها هو بحدسه ورؤيته الذاتية ورغبته في إظهارها بصراع دائم وحركة مستمرة كما في شكل (٥)



شكل (٥) تيرنر



شكل (٤) كونستابل



شكل (٣) كورو



شكل (٢) ميليه



شكل (١) روسو

كانت الطبيعة للرسمين الانجليز مصدرا لأحلام اليقظة اللذيذة ولعواطفهم المفعمة بالرومانسية او المثل الأخلاقية الجادة. أما الانطباعيون الفرنسيون فقد كانت الطبيعة لهم مصدرا للأثارة البصرية كأفق وأفضل ما يمكن ان يوجد من تنوع.^{٢٥} فبعد أن تفتحت الحياة في باريس في منتصف القرن التاسع عشر، عن موجة من الشباب التأثر على القيم الثابتة، التي أحتلت جميع مجالات الواقع الفرنسي، وظهرت نزعة التحرر والانطلاق تجيش في نفوس هؤلاء الشباب، فتتصرف مدوية في كهوف المقاهي المنتشرة على الضفة اليسرى من نهر السين، حيث يجتمع الأدباء والفنانون و الشعراء، أمثال شارل بودلير وتيوفيل غوته وغوستاف كوربيه و إدوار مانيه.^{٢٦} فقامت جماعة يتزعمها (كلود مونييه ١٨٤٠- 1926 - سميت لاحقا بـ(الانطباعية) نسبة إلى لوحة مونييه (انطباع شروق الشمس) شكل(٦)، إذ قامت هذه الجماعة بإدخال أسلوب ثوري في استعمال الصبغات اللونية، عندما أثار اللون والضوء في الطبيعة حماسة الرسام الانطباعي واستهواه، ورأى في الشكل والفضاء وجهين ثانويين للضوء الذي يحددهما. فكانت الموجودات بالنسبة الى الانطباعي أشياء للمشاهدة، وليست للمس. ولقد صار تمثيل هذا العالم البصري مستحيلا بالطريقة التقليدية في تمثيل الأشكال، بتفاصيلها ونسيجها، المتبعة قبل ظهور مونييه وزملائه.^{٢٧} لذا اعتمد الانطباعيون على الطبيعة كمرجع ومصدر رئيسي لأعمالهم الفنية ملاحقين تأثيرات الضوء على الأشكال، ودراسته لونياً فما كان يهم الفنان الانطباعي هو تحليل الضوء الى تلك الألوان المتضادة وما تخلفه الاشكال الساقط عليها من ظلال، إذ أن الانطباعية هي نتاج التفاعل المباشر بين الفن والطبيعة. كما ان مقصد الفنان الانطباعي يكمن في التعبير عن انطباع حسي بأسلوب جديد وبرؤيا جمالية مغايرة وخارجة عن الأساليب المألوفة مثال ذلك أن لوحة انطباع شروق الشمس عندما رسمها مونييه لم يحاكي ضوء الشمس على الاشكال أي ليس كما تراه العين وإنما بشكل انعكاسات لونية، اذ لا توجد ألوان ثابتة للأشياء بل ان الأشياء تكتسب ألوانها من انعكاسات الجو المحيطة بها، فالضلال ليست معتمدة وإنما مجموعة ألوان.^{٢٨} ف"الفنان الحديث يلجأ الى الطبيعة لكنه لا ينتج شيئاً مطابقاً لها. فهو يسعى باستمرار لكشف رؤية جديدة تحمل طابعه الابتكاري.^{٢٩} وقد يستطيع



شكل (٦) مونييه - انطباع شروق الشمس

المرء أن يستنتج من تاريخ الفن، أن الحقيقة بهذا المفهوم ماهي إلا سراب، نستطيع النظر الية دون الإمساك به. فالطبيعة شيء والفن شيء آخر، الا ان (بول سيزان ١٨٣٩-١٩٠٦) الذي يآلف فن المتاحف ويحترم محاولات أسلافه للانسجام مع الطبيعة، لم يتملكه اليأس من النجاح. وهذا يعني أدراكه لأحاسيسه بحضور الطبيعة.^{٣٠} لذا رسمها برؤيته الخاصة موظفاً إياها وخارجاً عنها، كما في شكل (٧). كما أن سيزان قد أشار إلى أن الانطباعية:

"تفكيك للألوان على اللوحة، ثم إعادة تركيبها في العين، وإن اللوحة لا تمثل شيئاً، ولا ينبغي لها أن تمثل شيئاً، غير اللون".^{٣١} إضافة إلى أن هذه الألوان توضع على سطح اللوحة بتقنية الاختزال لذا فهي لاتشبه الطبيعة وإنما تصور الطبيعة بأسلوب فني يحمل قيم جمالية أعلى من الواقع. ثم طور (جورج سورا ١٨٥٩-١٨٩١) تقنية وضع اللون على سطح اللوحة الذي عرف بعدئذ بالتقنية، رغم أنه كان يفضل شخصياً أسم التوزيعية. شمل ذلك تكسير الألوان في الطبيعة الى عناصرها الاساسية واختزالها، ونقلها الى (الكانفاس) بحالتها الخالصة او الاولى، بضربات فرشاة صغيرة او بنقط، تاركاً لعين المشاهد واجب إعادة تكوين الالوان ومزجها بصرياً، وغرضه من ذلك كان إظهار جمالية ألوان الطبيعة بحيوية.^{٣٢} كما في شكل (٨). في حين أن الفنان الهولندي (فان كوخ ١٨٥٣-١٨٩٠) الذي سبق التنقيطيين قد تناول الطبيعة بتعبيرية عالية موظفاً اللون كعنصر له السيادة من بين عناصر التكوين الأخرى حتى أنه كتب إلى أخيه (ثيو) يقول: "الرسم كما هو عليه الآن يبشّر بأن يصبح أكثر رقة، وأقرب إلى الموسيقى، وأقل شبهاً بالنحت، إنه يُبشّر باللون".^{٣٣} لذا قلب معايير الرسم السابقة له رسم بعاطفة وتعبير عالي فظهرت الطبيعة في اعماله مفعمة بالحركة والتعبير ولا تشبه الواقع، فقد أصبح أكثر اختزالاً وأبعد عن محاكاة الواقع. كما في شكل (٩) ثم اتجهت الطبيعة بعد ذلك لتكون أقرب إلى الأسلوب التجريدي كما في رسوم الفنان الروسي (فازيلي كاندنسكي

١٨٦٦-١٩٤٤) خاصة في بداية أعماله، إذ "ركز كاندنسكي على اللون في رسومه، اللون الذي رآه عنصراً محرراً بطاقته التعبيرية الخاصة. فرسم مناظر طبيعية للريف... في عام ١٩٠٩، مثل (منظر مع بيوت)^{٣٤}. شكل (١٠) فقد اعتمد تحليل بنية اللون وتجسيده بتضادات مبالغ فيها فأعطى بذلك اللون قيمته العليا.



شكل (١٠) كاندنسكي: منظر مع بيوت



شكل (٧) سيزان



شكل (٩) فان كوخ



شكل (٨) سورا

- المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري
١. إن مفهوم الجمال هو إحساس الانسان بالجمال وإطلاق الحكم الجمالي على الأشياء، فهو معني بالقيم الجمالية كما تبدو من خلال الأعمال الفنية.
 ٢. رأى سقراط أن الجمال يرتبط بالنفع والفائدة، فالشيء مفيد لأنه يؤدي الغرض الذي قصد منه، ونافع وجميل لأنه حقق الهدف المرجو من وجوده.
 ٣. أما أفلاطون فقد اخضع الجمال إلى النظرية المتألف من المتألفات التي تلجأ إلى الحدس، فقد اقتصر أفلاطون على التأمل العقلي الذي لا شأن له بمظاهر الأشياء المحسوسة ذلك ان المحسوس وهمي، جزئي، زائل، أما المعقول فهو الحقيقة الكاملة الكامنة وراء هذا العالم المادي.
 ٤. رأى أرسطو أن الجمال نستدل عليه فيما حولنا، وهكذا منح الجمال صيغة موضوعية. وأن للفن وظيفة مزدوجة، فهو يقلد الطبيعة أولاً ثم يتسامى عنها، فصورة الفن يمكن ان تحسن صورة الطبيعة.
 ٥. أما ديكارت فالجميل لديه يرجع الى عالمين في آن واحد عالم الحس وعالم الذهن، والشعور بالجمال يرجع الى مشاركة الحسي والعقلي معاً.
 ٦. في حين أن كانت قد ميز بين الجمال الخالص والجمال غير الخالص، وعدّ الجمال الخالص متمثلاً في الشكل الذي لا يثير فكرة ما أو تعبيراً ولا يحوي مضموناً، وأنه يولد لدينا شعوراً بالرضا الكلي دون أي منفعة.
 ٧. أما مفهوم الجمال لدى هيغل فهو وضع الفكرة أو المضمون في مادة أو صورة ما.
 ٨. ويرتبط مفهوم الجمال لدى شوبنهاور في التخلص من الإرادة والوصول إلى نوع من الفناء التام والتي تُحقق إرادة الفنان في التسامي نحو الجمال في إبداعه الفني.
 ٩. في حين أن برجسون أشار إلى أن جمال الطبيعة سابق لجمال الفن وأن عوامل الفن لا تصبح وسائط إلا حين تساعد الفنان على التعبير عن وإن إدراك الجمال لا يتم إلا عن طريق الحدس.

١٠. ورأى جون ديوي أن مفهوم الفن والجمال يرتبط بالخبرة العامة في الفن والتذوق الجمالي.
١١. والجمال لدى سانتيانا انفعال، فلا يكون الموضوع جميلاً إذا لم يولد اللذة في نفس أحد. وأن الحواس الخمس والإحساس والذاكرة والمخيلة هي العناصر التي تخلق الإحساس بالجمال.
١٢. أما كروتشه فيربط الجمال بالحدس، باعتباره هو المنتج للصور أي أنه ليس مجرد تسجيل بل يتكون في وعي الإنسان كثمرة للانفعالات والصور الخيالية، وبفضل الانفعالات تتحول الصور إلى تعبير.
١٣. ترى سوزان لانجر أن الجمال في الفن هو إبداع أشكال قابلة للإدراك الحسي حيث تكون معبرة عن الوجدان البشري. وتعتقد بأن الفن ليس محاكاةً.
١٤. يعد الاختزال أحد أهم التقنيات التي اعتمدها الفنان في إخراج أعماله سواء من ناحية الشكل أو اللون.
١٥. إن الاختزال اللوني هو التبسيط في مقدار الألوان في اللوحة أو تغيير تلك الألوان بما يخدم القيمة الفنية والجمالية لها.
١٦. للطبيعة دور كبير على الفنان إذ تعد إحدى أهم مناهل فن الرسم حيث يستقي منها الفنان مواضيعه التي يرسمها.
١٧. مرت رسوم الطبيعة بعدة تحولات تقنية وشكلية ولونية، واتسمت باختلاف تناولها من قبل الفنانين سواء من الجانب الفردي لكل فنان أو من خلال الاتجاهات الفنية.
١٨. أصبح الفنان مواجهاً للطبيعة بأسلوب مباشرة بدءاً بجماعة الباربيزون والانطباعيين، بعد أن كانت رسوم الطبيعة تنتج داخل المحترفات الفنية .
١٩. كانت الطبيعة للرسمين الإنكليز مصدراً العاطفة والرومانسية والمثل الأخلاقية الجادة. أما الانطباعيون الفرنسيون فقد كانت الطبيعة لهم مصدراً للإثارة البصرية.

الدراسات السابقة ومناقشتها: -بعد تقصي الباحث وإطلاعه على ما متوفر من دراسات بحثية في مجال الفنون، لم يجد دراسات سابقة تقترب أو تتشابه مع موضوع البحث الحالي الذي يتناول جماليات الاختزال في رسوم الطبيعة.

الفصل الثالث: إجراءات البحث:

أولاً : مجتمع البحث: تضمن مجتمع البحث الحالي المنجزات الفنية (الرسوم الزيتية التي صورت الطبيعة في الفن الأوروبي المعاصر) في المدة الزمنية (١٩١٠-١٨٤٥)م تبعاً لما ورد في حدود البحث الحالي، وبالاعتماد على ما متوفر من مصادر ومصورات تحوي هذه الرسوم ، قام الباحث بجمع ما يستطيع من الكتب وشبكة الانترنت للإفادة منها والحصول على أغلب منجزات الفنانين بما يغطي حدود البحث وتحقيق هدفه حيث ضم مجتمع البحث (٥٧) عملاً فنياً.

ثانياً : عينة البحث: قام الباحث باختيار عينة بحثه والبالغ عددها (٥) نماذج فنية، بشكل قصدي وفقاً لزمناً إنتاجياً لتغطية الحدود الزمانية للبحث وتحديد ما يصلح من نماذج لدراساتها كعينة.

ثالثاً : منهجية البحث: اعتمد الباحث، المنهج الوصفي لتحليل نماذج عينة البحث الحالي، لتعرف جماليات الاختزال اللوني في رسوم الطبيعة.



رابعاً: تحليل عينة البحث

أنموذج (١)

عنوان العمل: شروق الشمس على

قلعة نورهام **Norham Castle**

Sunrise

اسم الفنان: جوزيف مالورد ويليام

تيرنر **Joseph Mallord**

William Turner

المادة: زيت على كانفاس

تاريخ الانتاج: ١٨٤٥ م

القياس: ٩١ × ٢٢ سم

العائدية: متحف تيت - لندن **Tate Britain**

يمثل المشهد منظراً طبيعياً صور الفنان فيه مجموعة من المساحات والأشكال التي مثلت مساحة زرقاء في الجزء العلوي من اللوحة و الذي أحتل نصف اللوحة تقريبا في حين أن المياه قد غطت المساحة الأكبر من الجزء السفلي و قد أضاف الفنان مجموعة من الأشكال التي ظهرت في اللوحة و منها المساحة الخضراء التي غطت جانبي اللوحة التي تبدو متصلة مع خط الافق إضافة الى المساحة الزرقاء في وسط اللوحة و التي أخذت المركزية في العمل بهيئتها التي تبدو كأنها بناية غير واضحة المعاني محاكيا بها قلعة نورهام بعد ان غيب عنها التفاصيل و أختزل ألوانها الى اللون الأزرق بتدرجاته.

لقد أعتمد الفنان تقنية الاختزال اللوني حيث أن الألوان الموجودة في هذا العمل لا تتعدى (الأزرق ، الأصفر ، الأخضر ، البني) بتدرجاتها ، كما أنه أعتمد مبدأ التماثل في انعكاس الألوان كما يبدو في انعكاس الوان

السماء المضئنة على سطح الماء ، وقد حافظ الفنان على التناغم اللوني و إظهار اللوحة بجو عام موحد (جو نهاري) كما يبدو من اللون الأصفر المضيء في وسط اللوحة في الجزء العلوي الذي يمثل (شروق الشمس) إضافة الى اللون الأزرق الفاتح للسماء .

رغم أن الفنان لم يعتمد المحاكاة الدقيقة في نقل المشهد فقد هيمنت المساحات اللونية على أغلب أجزائه إذ لا يوجد في الواقع هكذا طبيعة عبارة عن مساحات لونية مختزلة ومرتبطة بطريقة جمالية مراعيها الحفاظ على وجود منظراً طبيعياً.

مال الفنان فيه من المحاكاة الموضوعية إلى الأبداع الذاتي إضافة الى أن الطبيعة تحتوي ألواناً كثيرة لم يتقيد بها الفنان واتجه الى اختزالها لإخراج لوحة ذو قيم جمالية عالية، توجهها هذا الاختزال اللوني. لذا فإن تيرنر لم يعتمد تسجيل المشهد بأسلوب واقعي بل حاول إظهاره بأسلوب اختزالي معتمداً على تحريف وتغيير وتجريد الواقع بألوانه وتفصيله للوصول الى هذه القيم الجمالية.

كما أنه أعتمد التلاعب بالقيم الضوئية للألوان وعلى التضاد اللوني ما بين الألوان الحارة و الباردة كما نلاحظ في انعكاس اللون الأصفر على الماء وبجانبه اللون الأزرق البارد في سبيل اعطاء أعلى قيمة للونين كما أنه أعتمد وضع اللمسات الخشنة للفرشاة رغبة منه في الإحياء بملامح الأشكال و تفاصيلها خاصة في رسمه للمساحات الخضراء وتموجات المياه . ولغرض أضفاء الحركة للمشهد وجعله حيويًا أضاف بعض الحيوانات باللون البني التي وزعها بالقرب من المياه وقد رسمها باختزال لوني و شكلي.

ان هذا الاختزال الذي أعتمده الفنان تيرنر قد فسح المجال للمشاهد في التأويل وتعدد القراءات وتخيل الأشكال والمساهمة في اكمالها فلم تكن غايته النقل المباشر للمشهد الطبيعي لإظهاره بوضوح مما يضعه في جانب احادي من التلقي والقراءة وإنما فتح المشهد امام المتلقي واستثمار مخيلته في بناء الصورة الكلية لنص جمالي.

أنموذج (٢)

عنوان العمل: حقل الخشخاش Poppy

Field

اسم الفنان: كلود مونيه Claude

Monet

المادة: زيت على كانفاس

تاريخ الانتاج: ١٨٧٣ م

القياس: ٦٥×٥٠ سم

العائدية: متحف أورسيه - فرنسا

Museum d'Orsay



صور الفنان في عمله هذا منظراً طبيعياً يحتضن مجموعة من الشخصيات تمثل امرأة وطفلاً في مقدمة المشهد قريباً من يمين المشاهد أسفل اللوحة، وامرأة أخرى مع طفل في الخلف بالقرب من خط الأفق الذي قسم اللوحة الى قسمين (السماء) و(الأرض). ورسم السماء وهي ملبدة بالغيوم ما بين اللونين الأبيض والازرق مع اللون البني، وربط بين السماء والأرض بمجموعة من الأشجار الموزعة بطريقة غير منتظمة على خط الأفق باللون الأخضر الغامق والذي يعد لوناً فاصلاً لغرض التأكيد وإضفاء الجمالية للمشهد ما بين لون السماء الفاتح ولوان الأرض الفاتحة أيضاً. ووزع الفنان مجموعة من الشجيرات والأعشاب والزهور الحمراء على أرضية المشهد بطريقة اللمسة السريعة التي تبدو باختزال عالي، إضافة الى استثماره لقيم الألوان من التضاد حيث رسم المساحات العشبية باللون الأخضر الفاتح مع تدرجاته وميله الى اللون الرمادي ومن ثم وضع اللون الأحمر الذي يعد لوناً مضاداً للون الأخضر وهذا ما جعل اللونين يمتلكان قيمة عالية، إضافة الى مراعاته الجو العام للمشهد الكلي حيث رسم الأزهار والأشجار تتناغم مع تواجد الغيوم في السماء

فلم يظهر انعكاس حاد لضوء الشمس مما يغير في وحدة المشهد رغم أن المشهد نهاري، ويظهر من المشهد أن اللوحة رسمت بأسلوب ربما يبدو للوهلة الأولى بأنه أسلوب واقعي، إلا أن الفنان هنا استثمر تقنية الاختزال اللوني بشكل مباشر بتلك اللمسات الصغيرة التي غيرت من اللون الواقعي، واستبداله بألوان يهيمن عليها التضاد وسيادة المساحات اللونية التي تشكل التفاصيل العامة وتوحي بوجودها. لذا ظهر العمل بإخراج جمالي امتزجت فيه ذاتية الفنان أقرب مما كونه تسجيلاً واقعياً لمشهد ما. كما أن الفنان حاول أن يجعل توزيع الاشكال والمساحات اللونية بطريقة متسقة مع بعضها مع الحفاظ على الوحدة العامة، وعدم



شكل (أ) تفصيل

التكلف والابتعاد عن التعقيد في التكوين العام، فظهر العمل بتلقائية وجمالية أقرب الى المشاهد، خاصة في تناول الفنان ألواناً متوهجة وبراقة ومتناغمة مع المشهد العام. ورغم أن الفنان قد أضاف عدة شخصيات للمشهد إلا أن الشخصيات لم يكن لها الدور الرئيس الذي تتمحور حوله اللوحة، بل حافظت الطبيعة على السيادة والجزء المهيمن في الموضوع العام، وقد أضاف الفنان تلك الشخصيات لغرض جعل المشهد مفعم بالحياة والحركة والواقعية. أما من الجانب التقني والأداء التنفيذي فقد اعتمد الفنان على اللمسات الواضحة والسريعة في كثير من أجزاء اللوحة وعدم التكلف في نوع اللمسة وشكلها، كما في شكل (أ) إذ تظهر اللمسات اللونية موضوعة باختزال وانفعال وتلقائية فقد رسم الفنان شخصية الطفل بمساحات لونية بسيطة خالية من التفاصيل إضافة الى رسمه للزهور الحمراء التي تتسم بضربات فرشاة غير منتظمة، وغير واضحة التفاصيل، إلا أنها تبدو للمشاهد بأنها زهور متوزعة في المرج الأخضر الذي يحيط بمساحة الأرض. كما أن الفنان قد عمم تقنية الاختزال اللوني في كافة أرجاء اللوحة، فهو لم يكثر التفاصيل الدقيقة بقدر اكثراته للقيم اللونية وإظهار المشهد واضحاً من خلال تلك اللمسات اللونية المفعمة بالحركة والانفعال.

لذا ظهر العمل بقيمة جمالية مرتكزاً بصورة أساسية على تقنية الاختزال والتبسيط والتغيير والتضاد اللوني. وهي السمة المميزة للاتجاه الانطباعي.

أنموذج (٣)

عنوان العمل: طقس رمادي غرائت جات **Gray weather, Grande Jatte**

اسم الفنان: جورج سورا **Georges Seurat**

المادة: زيت على كانفاس

تاريخ الانتاج: ١٨٨٨

القياس: ٦٤×٨٩ سم

العائدية: متحف فيلادفيا للفن - الولايات المتحدة / **Philadelphia Museum of Art - USA**

يصور الفنان سورا في عمله هذا أحد

المشاهد الطبيعية الذي يضم مجموعة

من الاشكال والمساحات التي تمثل

اليابسة في أسفل يسار المشاهد والنهر

الظاهر من الأسفل وصولاً الى خط

الأفق الظاهر في وسط اللوحة والقارب

المتمركز وسط العمل والذي يظهر ساكناً

على سطح المياه. وجزء من المدينة

الظاهرة خلف النهر. ومساحة مضيئة

باللون الأبيض والاصفر والازرق الفاتح

تمثل السماء الغائمة اعلى المشهد



وبعض الأشجار في جوانب اللوحة. رسمت اللوحة بالأسلوب التتقيطي الذي امتاز به الفنان جورج سورا والذي يعتمد على عين المشاهد في مزج الألوان. إذ يتم تكامل الألوان بدرجاتها وتناغمها وتضادها من خلال المزج البصري لمن يتلقى العمل مما يجعل المتلقي مشاركاً فيه. وهيمنت مجموعة من اللمسات اللونية بالأسلوب التتقيطي الذي يتكون من وضع لمسات الفرشاة بشكل مجموعة من النقاط اللونية المجاورة لبعضها البعض لتوحي المساحة التي تضم هذه النقاط بمساحة لونية موحدة رغم تجزء الصبغات اللونية على السطح التصويري وعدم اعتماد صبغات لونية مستمرة متصلة مع بعضها من خلال سحب الفرشاة باتجاه معين. بل انتشرت الصبغات على شكل نقاط وشكلت المشهد الكلي بتنوع درجات اللون وقيمه الضوئية إضافة إلى أن تلك النقاط قد أعطت إحساساً بخشونة الملمس والذي أدى بدوره إلى خلق إحساس بالتناغم مع المنظر الطبيعي الذي يحمل سمة الخشونة والتنوع الملمسي. رغم التنوع اللوني في المشهد بصورة عامة مع الحفاظ على الوحدة اللونية للجو العام فقد هيمن اللون الرمادي المائل للزرقة على النص البصري، للإيحاء بوقت كأن يكون أقرب إلى وقت صباحي مبكر تكون فيه الألوان بهذه القيمة. لقد اعتمد الفنان تقنية الاختزال هنا من خلال المغايرة والتحريف والتحوير والتبسيط بجانبين. الأول هو عدم اعتماده لون ممتد يغطي مساحة الكانفاس كما في الواقع بل قسم اللون إلى مجموعة من النقاط التي تكملها عين المشاهد. والثاني عدم اعتماد ألوان واقعية رغم أن المشهد بصورة عامة يبدو كأنه مشهداً واقعياً. إذ اعتمد الفنان على التضاد اللوني واستثمار قيم الألوان مع تضاداتها. لذا لم يكن العمل محاكاة طبق الأصل للواقع بل خرج من التسجيل الواقعي إلى استثمار الواقع وإعادة صياغتها لونياً لإظهار جمالية الاختزال في لوحته هذه.

أنموذج (٤)



عنوان العمل: حقول القمح مع شجرة السرو

Wheat Field with Cypresses

اسم الفنان: فنسنت فان كوخ

vincent van gogh

المادة: زيت على كانفاس

تاريخ الانتاج: ١٨٨٩

القياس: ٧٣ × ٩٣.٥ سم

العائدية: متحف المتروبوليتان للفنون -

نيويورك / **Metropolitan Museum of**

Art, New York

يمثل العمل منظراً طبيعياً مكون من السماء الملبدة بالغيوم والتي تنوعت ما بين اللون الأزرق، الأبيض، الأصفر والرمادي، والأرض التي تحتوي شجرة السرو باللون الأخضر الغامق يمين المشاهد وبعض الأشجار المتوزعة على خط الأفق ما بين السماء والأرض والتي تراوحت ألوانها ما بين درجات اللون الأخضر الغامق والفاتح. وهيمن اللون الأصفر مع اللون الاوكر على مساحة كبيرة من أرضية العمل وصولاً الى أسفل اللوحة التي ظهرت فيها بعض الأعشاب خضراء اللون وتوسطت صخرة في أسفل المشهد باللون الرمادي المخضر. اتسم العمل كباقي اغلب اعمال الفنان فان كوخ بانفعال عالي وعاطفة هياجة تصل الى الإحساس بحركة الاشكال المرسومة، فالسما هنا ظهرت كأنها في دينامية مستمرة لم تنقطع إضافة الى ان باقي الاشكال المتمثلة بالأشجار والاعشاب المرسومة قد أعطت ايحاءاً للمشاهد بأن المشهد لم يتوقف من حيث الزمان والمكان بل هو في تغير دائم. ومن الجانب اللوني فقد اعتمد الفنان بصورة عامة في المشهد

على لونين رئيسيين يهيمنان على الجو العام هما اللون الأزرق الفاتح واللون الأصفر المخضر ، وهذا التضاد ما بين هذين اللونين البارد والحر قد أضاف جمالية وحركة لونية ايضاً. ورغم أن المشهد يضم أكثر من هذين اللونين الا أنهما هيمنوا على الطابع الكلي للعمل. فظهرت تقنية الاختزال من خلال سيادة هذين اللونين. إضافة الى أن الفنان قد أظهر جمالية واضحة من خلال أسلوبه المميز الذي لم يعتمد على ما رآه بل على ما يشعر به من انفعال لذا ظهر العمل خارج عن الإطار الواقعي وحاملاً للعاطفة والتعبير العالي. إذ أن ما يميز هذا العمل هو تبسيط الفنان فان كوخ للألوان واختزالها بلونين يهيمنان على المشهد الكلي. واعتماده أسلوب اللمسات الخشنة التي تظهر اللون غير ممزوج مع اللون المجاور له. فأظهر في العمل قيمة جمالية أساسها الاختزال اللوني.

أنموذج (٥)



عنوان العمل: طبيعة خريفية مع زورق

Autumn Landscape with Boats

اسم الفنان: فازيلي كاندينسكي

wassily kandinsky

المادة: زيت على لوح خشب

تاريخ الانتاج: ١٩٠٨

القياس: ٧١ × ٩٦.٥ سم

العائدية: سويسرا. مجموعة ميرزباشر

Switzerland. The Merzbacher

collection

يمثل العمل مشهداً لمنظراً طبيعياً مجاوراً لأحد ضفاف الأنهار قد رسمه الفنان كاندنسكي بأسلوبه المميز الذي يميل فيه الى التبسيط والاختزال وصولاً الى تجريد الأشكال لتصبح مساحات لونية متوزعة بطريقة جمالية في ارجاء اللوحة. يضم العمل مجموعة من الزوارق على سطح الماء وفي الأعلى مجموعة من الأشجار التي تتواجد خلفها مساحة لونية زرقاء تبدو كأنها امتداد لجبال، تعلوها سماء مرسومة باللون الأزرق الفاتح والاخضر ومن ثم الأزرق الغامق في اعلى يمين المشاهد. إن ما يميز المشهد مجموعة من المساحات اللونية الخالية بصورة كبيرة من التفاصيل الدقيقة. وتبدو اللوحة مفعمة باللون ومشبعة به فقد اعتمد الفنان على ألوان عديدة في تكوين المشهد إلا أن الاختزال اللوني واضحاً فيه من خلال التغير والمبالغة في سمة التضاد اللوني لإظهار اعلى قيم لونية. ففي الواقع لا يوجد هكذا مشهد ساهمت مخيلة الفنان وخبرته على تكوينه. أما من ناحية الأداء الفني فقد أظهر الفنان جرأة كبيرة في وضع اللون وإهمال التفاصيل فقد كان يبحث عن القيم اللونية وعلاقتها مع بعضاً أكثر من إظهار التشخيص للأشكال. فالعمل يبتعد كثيراً عن الواقع ويقرب من التجريد والاختزال في اللون خاصة.

ظهرت جمالية الاختزال اللوني في هذا العمل من خلال بعدين الأول منهما هو اعتماده عنصر الاستبدال اللوني فقد استثمر ألواناً غير موجودة في الواقع موظفاً إياها بطريقة جمالية. والثاني طريقة وضع الصبغة اللونية على الكانفاس والتي اختزال بها العديد من التفاصيل وأظهر بها مساحات تجريدية تحمل قيماً جمالية كبيرة.

الفصل الرابع: نتائج البحث:

توصل الباحث الى عدد من النتائج بما يتناسب وهدف بحثه وهي كما يأتي:-

١. اعتمد فنانون الطبيعة على الحدس والتأمل العقلي الذي لا شأن له بمظاهر الأشياء المحسوسة فابتعدوا عن التسجيل المباشر والمحاكاة النصية للمناظر الطبيعية من ناحية الشكل واللون وهم بذلك حققوا مفهوم الجمال لدى أفلاطون وظهر هذا في نماذج العينة (١، ٣، ٤، ٥).

٢. استثمر فنانو الطبيعة المشاهد الطبيعية في أعمالهم بعد أن أعادوا صياغتها برؤاهم الذاتية وخبرتهم الجمالية متفقين على أن الفن يقلد الطبيعة أولاً ثم يتسامى عنها، للوصول بها قيم جمالية أعلى من الواقع عند إخراجهم لنص بصري متناسق ومنسجم. وهم بذلك حققوا مفهوم الجمال لدى أرسطو، وظهر هذا في نماذج العينة (١، ٢، ٣، ٤، ٥).

٣. ظهرت رسوم الطبيعة نتيجة مزج العالم الحسي بالعالم العقلي فهم اعتمدوا المناظر الطبيعية في الواقع وأخضعوها للتفكير والتأمل وإعادة الإنتاج بإخراج فني لا يشبه الطبيعة نفسها وهم بهذا حققوا مفهوم الجمال لدى ديكارت الذي يرجع الجمال الى مشاركة الحسي والعقلي معاً. وظهر هذا في نماذج العينة (١، ٣، ٤، ٥).

٤. حملت رسوم الطبيعة قيمةً جمالية ترتبط بمفهوم الجمال لدى (كانت) الذي يرى ان الجميل ما يولد شعوراً بالرضا والمتعة، وظهر هذا في نماذج العينة (١، ٢، ٣، ٤، ٥).

٥. اتسمت رسوم الطبيعة بجذلية ما بين الشكل والمضمون، والواقعي والمجرد (الاختزال) للوصول الى المنجز النهائي وهنا يتحقق شرط هيجل للجمال.

٦. ابتعدت رسوم الطبيعة عن التقيد بالشكل الواقعي المألوف للنزوع نحو اللامألوف وتخلصت من شوائب المادة الواقعية نحو عالم مجرد يتسم بالاختزال والتي تُحقق إرادة الفنان في التسامي نحو الجمال في إبداعه الفني بحسب رؤية شوبنهاور لمفهوم الجمال، وظهر هذا في نماذج العينة (١، ٣، ٤، ٥).

٧. تناول فنانو الطبيعة مشاهدهم عن طريق الحدس للتعبير وإدراك الجمال وهنا تحققت رؤية برجسون لتحقيق الجمال، وظهر هذا في نماذج العينة (١، ٤، ٥).

٨. ظهرت رسوم الطبيعة غير مطابقة للواقع الأصلي لتلك المشاهد الفنية وظهر هذا نتيجةً لخبرة الفنان وهنا يتحقق شرط جون ديوي للجمال، وظهر هذا في نماذج العينة (١، ٣، ٤، ٥).

٩. اتسمت رسوم الطبيعة بالانفعال وهذا ما استوجبه سانتينا في تحقيق الجمال فلا يكون الموضوع جميلاً إذا لم يولد اللذة في نفس أحد، وظهر هذا في نماذج العينة (١، ٤، ٥).
 ١٠. امتزجت الصور الخيالية مع الانفعالات في رسوم الطبيعة وهذا ما استوجبه كروتشه في اظهار التعبير للوصول الى الجمال. كما ظهر في نماذج العينة (١، ٤، ٥).
 ١١. عبرت رسوم الطبيعة عن الوجدان البشري وذلك عندما ابتعدت عن المحاكاة النصية وبهذا تحقق شرط لانجر في مفهومها عن الجمال، وظهر هذا في نماذج العينة (١، ٤، ٥).
 ١٢. ظهر الاختزال اللوني في كل رسوم الطبيعة فلا بد للفنان مهما كان أسلوبه وأدواته الفنية أن يعتمد الاختزال في اللون. وظهر هذا في نماذج العينة (١، ٢، ٣، ٤، ٥).
 ١٣. للاختزال اللوني عدة أنواع، منها:-
 - أ. عندما يعتمد الفنان على التبسيط والتجريد كما في النماذج (١، ٥).
 - ب. ما يعتمد التغيير والتحريف والاستبدال اللوني كما في النماذج (٣، ٤، ٥).
 - ج. ما يعتمد على تجزئة اللون وتقسيم المساحات اللونية في المشهد كما في النماذج (٣، ٤).
 ١٤. أعطى الاختزال اللوني قيمة جمالية للمنظر الطبيعي كونه قد أخرجه من الشكل المألوف للعين والمتعارف عليه لدى عامة الناس الى شكل فني يحمل قيمة جمالية. وظهر هذا في جميع نماذج العينة.
 ١٥. ان التنوع في الأساليب الفنية في رسوم الطبيعة رافقه تنوعاً في قيمة الاختزال اللوني فكل فنان أسلوبه الخاص في اعتماد تقنية الاختزال في اللون.
- الاستنتاجات:**
١. ان الاختزال اللوني يعطي للفنان حرية التعامل في تناول الطبيعة في رسومه فهو يخرج من إطار التقييد الحرفي والمحاكاة النصية.

٢. يرتبط الاختزال اللوني بخبرة الفنان ورؤيته الذاتية في تناول رسوم الطبيعة مما يضع مشاهد الطبيعة في تصرفه وفق أسلوبه الذاتي.

٣. تعد الطبيعة مصدراً يعتمد عليه الفنان بشكل أساسي إلا أنه يخرج عنه في أغلب الأحيان ليصنع عملاً جمالياً مغايراً عنه.

٤. كل الأعمال الفنية تحتوي اختزالاً من نوع ما ولو لم تمتلك هذا لكانت صورة فوتوغرافية أقرب منها لوحة فنية. وهذا ما يميز الرسوم الفنية.

٥. الاختزال اللوني كان له دور كبير في ظهور أساليب وتيارات فنية مختلفة عما سبقتها منها الاتجاه التجريدي.

التوصيات:

يوصي الباحث بما يأتي:

الاهتمام بتناول الطبيعة في رسوم طلبة الفنون الجميلة واقسام التربية الفنية، وتخصيص أماكن خضراء تحاكي المناظر الطبيعية لدراساتها في مادة التخطيط والألوان ومادة الانشاء التصويري من قبل الطلبة.

المقترحات: استكمالاً لمتطلبات البحث يقترح الباحث إجراء البحوث الآتية:

١. اللون بين النظريات العلمية والقيم الجمالية في رسوم الانطباعة.

٢.جماليات الاختزال اللوني في الرسم العراقي المعاصر.

٣. الطبيعة ودورها في الرسم العراقي المعاصر.

الهوامش:

١ المصري، جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري الافريقي: لسان العرب، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢٣٥.

٢ صليبيا، جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ج١، ص٤٠٨-٤٠٩

- ٣ ابن منظور: لسان العرب، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩، ج ٤ ، ص ٨٤.
- ٤ السعيدى، أكرم جرجيس نعمة: الاختزال والتكثيف الشكلي في تصاميم أغلفة الكتب العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، قسم التصميم الطباعي، بغداد، ٢٠٠٥ ، ص ٨.
- ٥ مطر، أميرة حلمي: مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٨.
- ٦ علوان، انوار علي: جماليات الانساق البنائية في رسوم الطبيعة العراقية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، ٢٠١٦، المجلد ٦: العدد ٢، ص ١١٧.
- ٧ اوفسيانيكوف ، م. ز : موجز تاريخ النظريات الجمالية، تر: باسم السقا، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٥، ص ٢٠
- ٨ ابو ريان ، محمد علي: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٠-١١ .
- ٩ عباس ، راوية عبد المنعم : القيم الجمالية . الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧ ، ص ٦٠
- ١٠ أبو ريان ، محمد علي : فلسفة ونشأة الفنون الجميلة ، مصدر سابق، ص ١٥-١٨.
- ١١ عباس ، راوية عبد المنعم : القيم الجمالية ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .
- ١٢ أبو ريان ، محمد علي : فلسفة ونشأة الفنون الجميلة ، مصدر سابق، ص ٢٥.
- ١٣ زكارنة، هديل بسام: المدخل في علم الجمال، المعهد الدبلوماسي الأردني - المكتبة الوطنية، عمان-الأردن، ١٩٩٨، ص ٤٢.
- ١٤ مطر، أميرة حلمي: علم الجمال وفلسفة الفن، مصدر سابق، ص ١٢٣.
- ١٥ أبو ريان، محمد علي: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مصدر سابق، ص ٤٩.
- ١٦ المبارك ، عدنان : مفهوم الجمال عند برجسون . مجلة آفاق عربية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العدد ٥ ، ١٩٨٩ ، ص ٩٥ - ٩٦ .
- ١٧ أبو ريان، محمد علي: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مصدر سابق، ص ١٢٣.
- ١٨ عباس ، راوية عبد المنعم : القيم الجمالية ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨.
- ١٩ سانتيانا : الإحساس بالجمال، تر: محمد مصطفى بدوي، مشروع النشر المشترك، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة-نيويورك ، د ت ، ص ٧٠ - ٧٤.
- ٢٠ مطر، أميرة حلمي: علم الجمال وفلسفة الفن، مصدر سابق، ص ١٢٣.

- ٢١ حكيم، راضي: فلسفة الفن عند سوزان لانجر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٠٢.
- ٢٢ ريد ، هربرت :معنى الفن ،تر :سامي خشبة ، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة و الأعلام ،د.ت.، ص١٩٢.
- ٢٣ بهنسي،عفيف: الفن عبر التاريخ، دار الفن الحديث العالمي، دمشق، د.ت، ص١٠٧
- ٢٤ نيومير، سارة: قصة الفن الحديث، تر: رمسيس يونان، لجنة التأليف والنشر، سلسلة الفكر المعاصر، د.ت، ص٢٧.
- ٢٥ ليماري، جان: الأنطباعية ، تر: فخري خليل ،دار المأمون للترجمة و النشر، بغداد ،١٩٨٧، ص١٠٣.
- ٢٦ بهنسي،عفيف: الفن عبر التاريخ دار الفن الحديث العالمي ،دمشق، د.ت. ص١٦٥.
- ٢٧ نوبلر، ناثن: حوار الرؤية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،١٩٩٢، ص١٦١.
- ٢٨ اسماعيل، عز الدين: الفن والانسان، دار القلم، بيروت، لبنان ١٩٧٤ ، ص١٤٦.
- ٢٩ البسيوني، محمود: الفن الحديث - رجاله - مدارسه - اثاره التربوية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥، ص٢٠.
- ٣٠ ريد، هربرت: الموجز في تاريخ الرسم الحديث، تر: لمعان البكري، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،١٩٨٩، ص ١٣.
- ٣١ إسماعيل، عز الدين: الفن والإنسان ، مصدر سابق ، ص ١٤٦ .
- ٣٢ هربت ، ريد : الموجز في تاريخ الرسم الحديث، مصدر سابق، ص٢٢
- ٣٣ مولر ، جوزيف أميل : الفن في القرن العشرين ، تر: مهةا فرح الخوري ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٨٨، ص ٩٨ - ٩٩ .
- ٣٤ باونيس، آلان: الفن الأوروبي الحديث: تر:فخري خليل، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠، ص١٩٨.

المصادر والمراجع:

القران الكريم.

١. ابن منظور: لسان العرب، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩، ج ٤ .
٢. ابو ريان ، محمد علي: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
٣. اسماعيل، عز الدين: الفن والانسان، دار القلم، بيروت، لبنان ١٩٧٤ .
٤. اوفسيانيكوف ، م. ز : موجز تاريخ النظريات الجمالية، تر: باسم السقا، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٥.
٥. باونيس، آلان: الفن الأوروبي الحديث: تر:فخري خليل، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠.
٦. البسيوني، محمود: الفن الحديث - رجاله - مدارسه - اثاره التربوية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.

٧. بهنسي، عفيف: الفن عبر التاريخ دار الفن الحديث العالمي، دمشق، د.ت.
٨. حكيم، راضي: فلسفة الفن عند سوزان لانجر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.
٩. ريد، هيربرت: معنى الفن، تر: سامي خشبة، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة و الإعلام، د.ت.
١٠. ريد، هيربرت: الموجز في تاريخ الرسم الحديث، تر: لمعان البكري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩.
١١. زكارنة، هديل بسام: المدخل في علم الجمال، المعهد الدبلوماسي الأردني - المكتبة الوطنية، عمان-الأردن، ١٩٩٨.
١٢. سانتنيانا: الإحساس بالجمال، تر: محمد مصطفى بدوي، مشروع النشر المشترك، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة-نيويورك، د.ت.
١٣. صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ج ١.
١٤. عباس، راوية عبد المنعم: القيم الجمالية. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧.
١٥. علوان، انوار علي: جماليات الانساق البنائية في رسوم الطبيعة العراقية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، ٢٠١٦، المجلد ٦، العدد ٢.
١٦. ليماري، جان: الانطباعة، تر: فخري خليل، دار المأمون للترجمة و النشر، بغداد، ١٩٨٧.
١٧. المبارك، عدنان: مفهوم الجمال عند برجسون. مجلة آفاق عربية، دار الشؤون الثقافية العامة، العدد ٥، ١٩٨٩.
١٨. المصري، جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري الافريقي: لسان العرب، ج ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.
١٩. مطر، أميرة حلمي: مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩.
٢٠. مولر، جوزيف أميل: الفن في القرن العشرين، تر: مهاة فرح الخوري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٨.
٢١. نوبلر، ناثن: حوار الرؤية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٢.
٢٢. نيومير، سارة: قصة الفن الحديث، تر: رمسيس يونان، لجنة التأليف والنشر، سلسلة الفكر المعاصر، د.ت.
٢٣. السعيد، أكرم جرجيس نعمة: الاختزال والتكثيف الشكلي في تصاميم أغلفة الكتب العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، قسم التصميم الطباعي، بغداد، ٢٠٠٥.

العقدة وآلياتها في بعض من قصص (ما قاله يوسف) لصباح عباس عنوز

م.م. أنوار عبد الأمير الخاقاني

المديرية العامة للتربية/ النجف الأشرف

المقدمة:

اقتصر الدارسون العرب على تبني ما قدمه المنظرون الغربيون في دراسة العقدة (الحبكة) ، وخاصة تنظيرات البنيوية، إن عقدة القصة هي سلسلة الحوادث التي تجري فيها أحداث القصة ، ترتبط بالبيئة التي يلعب فيها الشخصيات دوراً رئيسياً ، فيعرض القاص شخصياتها وتفاعلاتها مع الأحداث ، وتتقدم الحبكة بالنظر إلى المواد الأولية التي قدمها القاص ، وذلك لأن القصص لها قيم خاصة ومعاني نبيلة ، لابد أن تُغنى بما يطفو على سطح الحياة من زبد الحوادث والشخصيات ، وتتنعم إلى مختلف المواطن وتستبطن ألوان المشكلات وتعكس صور الصراع الحيوي الذي تتصل عراه بين أعضاء هذه المجموعة الإنسانية الصغيرة ، التي عزلها الكاتب عن تيار الحياة المتدفق لتصفها لنا في دقة أمانة.

ويقوم هذا البحث على دراسة مفهوم العقدة (الحبكة) كما ظهرت في التنظيرات الغربية، لذا عمدنا إلى عرض أهم الآراء التي حاولت تعريف الحبكة، ثم تقديم نموذج منهجي لدراسة الحبكة يمكن تطبيقه على مجموعة (ما قاله يوسف) لصباح عباس عنوز .

وقد اتبعت المنهج التكاملي استناداً للمنهج الاجتماعي والمنهج النفسي والمنهج الفلسفي الجمالي والمنهج الاستقرائي، واستفدت بكل هذه المناهج تحقيقاً للمنهج التكاملي قدر الإمكان، إذ لم يوضع لدراسة الأدب منهج واحد معين فهو أعقد من أن يخضع لمثل هذا المنهج ، وذلك حتى تتكشف كل الأبعاد أو جُلّها . وسوف أتطرق في هذه الدراسة لموضوع العقدة وآلياتها من خلال (العرض. الحدث الصاعد. الحدث النازل. الذروة. الحل والخاتمة).

التعريف بالكاتب:

صباح عباس عنوز شاعر وناقد عراقي، من النجف الأشرف، عمل في الثقافة العراقية، وقد شغل منصب رئيس لمنتدى الادباء الشباب في النجف وعضوا فاعلا في الهيئة الادارية للاتحاد العام للادباء والكتاب في النجف.

أكمل دراسته الاعدادية في اعدادية النجف الاشرف ثم حصل على دبلوم التربية وعلم النفس ١٩٧٩ وبكالوريوس لغة عربية كلية التربية القادسية ١٩٩٤ وماجستير كلية الآداب جامعة الكوفة ١٩٩٨ باسم (الاداء البياني في شعر الشيخ علي الشرقي) ونال الدكتوراه ٢٠٠١ من الكلية نفسها عن رسالته (أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية) .

له مجاميع شعرية (ساعير عينيك انتظاري، ثلاث اوقات للمطر الارضي ١٩٩٣، ما دونته نور على خد العذراء ٢٠٠٧، عندما تتمتم عيون المغفرة ٢٠١٢، ومن يحتسي الشوق ٢٠١٢، وصدر له أحد عشر كتابا في الدراسات القرآنية والحديث والنقد.

شاعر وناقد حصل على درع الابداع لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي ٢٠١٠ نال ودرع الابداع والتميز لعدة مرات منها واخرها درع التميز لرموز النجف الثقافية ٢٠١٥ وردت عنه ترجمة في ١٢ كتابا وكتب عنه كتابا عالميون وعرب وعراقيون وقدم دراسات نقدية وبحوث كثيرة تجاوزت الستين دراسة وبحثا^(١).

مدخل:

إن مصطلح الأدب لا يزال محط جدال بين الأدباء والنقاد، إلا أن الأدب تأتي أهميته من أنه يركز على إبراز جماليات المتلقي للقراء، كما أنه يبحث كمنظومة متعددة النظريات التي تواجهه، فهو يحاول أن يخرج من دائرته الأدبية إلى دائرة فنية أوسع، وأن يجمع كل ما هو إنساني ممزوج باللمسات الأدبية والفنية، هو الذي يعالج العلاقات الأدبية بين كل ثقافات وآداب المعمورة.

فهو يتشكل من معطياتها التي تحيط بالأديب، حتى يستوي على سوقه، ثم ما يلبث أن يشبّ غضا فتيا، ليسهم بدوره في إضاءة الطريق لمجتمعه، ليصير واحدا من أهم العناصر الأصلية التي تسهم في بناء المجتمع، فتجده - أي الأدب وسائر فنونه - وهو على طريقه لتلمس ملامح أبيه البيولوجي الأول - وهو مجتمعه - بصفته أحد روافد المعرفة التي يتوصل بها الإنسان لفهم ما يحيط به، تجده يتناول مشكلات مجتمعه وعوامل تأخره وضعفه، فيحللها ويناقشها، فيحذر من بعضها إن كان خطرا، ويبحث عن دوائها إن كان مرضا، ويوجه في بعضها الآخر، كي لا تكون منحدرًا لسقوط المجتمع وترديه، لا سيما أن الأديب "سرعان ما يحس أن مشكلاته الخاصة لا تتفصل عن مشكلات الناس، بل إنه لحري أن يدرك أن مشكلات الناس هي المحور الحقيقي لكل معاناته" (٢)، إضافة إلى أن "الأدب الصادق - مهما كان تعبيرًا ذاتيًا عن صاحبه - إنما يمس من قريب أو بعيد ظروف الحياة التي تعيشها الجماعة" (٣).

يؤثر الأدب في كل الميادين له دور بناء ، ويد طولى ، طالما كانت له الكلمة الفاصلة، والحكم النافذ في إرساء دعائم الأخلاق الحميدة و السلوكات النبيلة ، خاصة إذا كان صاحب رسالة، أو حامل فكرة ، وقد كان الخلفاء والملوك والحكام _على اختلاف مذاهبهم ، وتباين وجهاتهم_ يولون الأدباء مكانة عالية ، ومنزلة بارزة في قصورهم ، فكان منهم الوزراء والكتاب والسفراء ورجال القصر .إن الأدب نتاج فكري إنساني، فهو من الظواهر الإنسانية، التي تؤثر وتتأثر بالبيئة المحيطة - والظروف والمناسبات والأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية وغيرها- حول الانسان.

لقد لعبت القصة دوراً كبيراً في شغف العرب بالتاريخ والأساطير والقصص ووقائعهم وحروبهم (يقطعون بذلك أوقات سمرهم في الليل وحول خيامهم، وقد دارت بينهم أطراف من أخبار الأمم المجاورة لهم ممتزجة بالخرافات والأساطير، ففي السيرة النبوية أن النضر بن الحارث المكي، كان يقص على قريش أحاديث عن أبطال الفرس أمثال رستم وإسفنديار، وأكثر ما كان يستهويهم من القصص أحاديث قصاصهم عن أيامهم وحروبهم في قبل الاسلام ، مما يصوره لنا كتاب شرح النقائض لأبي عبيدة، وكتاب الأغاني لأبي

الفرج الأصهباني، وقد تلاهما اللغويون والأدباء يعنون بتلك الأيام والحروب عناية واسعة^(٤). ولقد سمي القرآن الكريم الأحداث والوقائع قصصا، وهذا يتلاقى مع المفهوم الذي قام عليه أصل التسمية للقصص. ولقد احتلت القصة مع القرآن الكريم دورا بارزا، في تبليغ الرسالة السماوية، ومن ثم كان للقصص أبلغ الأثر في إقرار العقيدة وإشاعة الإيمان، فهو بعيد من الوهم الزائف أو إثارة الغرائز.

قد يكون في فنية القصة وقوتها التمثيلية ودقة رسم شخصياتها وفي سخريتها وفكاهتها، ما يكفي لجعلها في المقام الأول من الأدب القصصي، والعظمة الحقيقية في القصة تعتمد على عظمة موضوعها، أو القيمة الحقيقية لموادها الأولية، ولكن عظمة الموضوع وحدها لا تكفي لجعل القصة عظيمة، تبنى القصة من النوع الأول، على سلسلة الحوادث أو المواقف المنفصلة التي تكاد لا ترتبط برباط ما ووحدة العمل القصصي فيها لا تعتمد على تسلسل الحوادث، ولكن على البيئة التي تتحرك فيها القصة أو على الشخصية الأولى فيها أو على النتيجة العامة التي تنظم الحوادث والشخصيات جميعاً، والقصة ذات الحبكة المتناسكة فهي على العكس من ذلك، إذ تقوم على حوادث مترابطة، يأخذ بعضها برقاب بعض وتسير في خط مستقيم حتى تبلغ مستقرها.

إنّ القصة عبارة عن "قوالب تعبير ليعتمد فيه الكاتب على سرد أحداث معينة، تجري بين شخصية أو السامع إلى نقطة معينة، تجري بين شخصية وأخرى، أو شخصيات متعددة، تتأزم فيها الأحداث وتسمى العقدة ويتطلع المرء معها إلى الحل حتى يأتي في النهاية القصة والرواية"^(٥).

إن موضوع الأدب الذي يناسب بهذه الطبقة الوحيدة المسيطرة على الأوضاع الأدبية والمعنوية "يرتكز على الهروب من الواقع ويعتمد على الإيهام والتخيل وتقوم العلاقات فيه على المصادفة والسحر والقدر ويتضاءل فيه دور العمل الإنساني أمام الدور الذي يقوم به الجن والشياطين والسحرة... وكانت الرومانسية" Romance أو الرواية الخيالية هي الفن الروائي السائد والمسيطر الذي يعبر عن طبيعة

المجتمع الإقطاعي ومزاجه وأقرب الفنون الرواية العربية التي تشبه هذا الفن في البناء الروائي هو السيرة الشعبية^(٦).

العقدة:

لأن الأدب في حقيقته ليس إلا تفسيراً عميقاً للحياة ، والمعيار الحقيقي لعظمة القصة ، وخلود أى أثر أدبي ، لتجعل الحياة الإنسانية أكثر عمقاً وأوسع شمولاً ، ولقدرة الكاتب رسم صفاته الأدبية بميسم القوة والاستمرار فى اكتشاف قيمه الخاصة "يعتمد فيه الكاتب على سرد أحداث معينة تجري بين شخصية وأخرى أو شخصيات متعددة، يستند في قصها وسردها على الوصف مع عنصر التشويق حتى يصل بالقارئ أو السامع إلى نقطة معينة تتأزم فيها الأحداث وتسمى "العقدة"، ويتطلع المرء معها إلى الحل حتى يأتي في النهاية. ويرى بعض النقاد أن العقدة والحل غير لازمين لفن القصة^(٧).

وغاية الكاتب في قصصه يدرس الشخصية الإنسانية ، ويعرضها على الملاءم برسم قطاع داخلي لحياتها العقلية الطبيعية العفوية ، الحبكة (العقدة) : وهي المشكلة الكبرى التي يواجهها بطل الرواية ويسعى لحلها ، وتعد الحبكة جزءاً أساسياً في جسد الرواية ، حيث من خلالها يبدأ البطل باكتشاف حل العقدة. إن حبكة القصة هي سلسلة الحوادث التي تجري فيها، مرتبطة عادة برابط البيئة، وهي لا تفصل عن الشخصيات إلا فصلاً مصطنعاً مؤقتاً، وذلك لتسهيل الدراسة، فالقاص يعرض شخصياته دائماً وهي متفاعلة مع الحوادث متأثرة بها، ولا يفصلها عنها بوجه من الوجوه.

لكل ظاهرة بناء خاص تعرف به وخارج ذلك البناء تتغير الظاهرة وتكون غير أصلية ، وتستفيد الظاهرة من مواد ومكونات تغذيها وتحافظ على حياتها ، لا تستثني القصة من هذه القاعدة وتتكون بعناصر تعد أصلها الوجودي وتشمل هذه العناصر على الموضوع ، والحبكة وبداية القصة وتشابك المكونات والحوار والزمان والمكان والمضمون والرؤية ولغة الرواية والفضاء وتكوينه وأسلوب الكتابة والرموز والمشاهد حيث تترابط وتتواصل هذه المكونات مع بعضها بعض . قد يكون حالات استخدام عناصر القصة مختلفاً عن

الماضي وقد يغض بعض الكتاب عن مجموعة من العناصر في أعمالها الأدبية ، وقد يؤكد بعض آخر على استخدام جميع العناصر أو يستبدل بعضها ببعض آخر لكن يمكن القول بالموجز أن عناصر القصة حافظت على قوتها وحياتها في أدب العصر الراهن^(٨).

إن الحبكة هي الترتيب الزمني لأحداث الرواية في مسار محدد وهي العنصر الذي ينظم الأحداث ويربط بين الأحداث بعلاقة سببية ، الحبكة تثير استقهامات جديدة في ذهن المتلقي عن أسباب وقوع الأحداث وبعبارة أخرى إنها العنصر الذي يسمى الحافز والسبب وهي أساس عمل الكاتب حيث إن هناك سبباً لكل حدث ، فهي الترتيب الذي يعطيه الكاتب إلى الأحداث لتؤدي إلى الأحداث المنشودة^(٩).

العرض:

وهو المقدمة التي يعرض فيها الكاتب معلومات الأساسية عن الشخصيات وعن المكان والبداءة والزمان ، ويقوم بسرد الأحداث من خلال البناء المتنامي لها . وهو الفكرة التي اعتمد عليها الكاتب في كتابة روايته ، حيث قام بإحاطة هذه الفكرة بأحداث الرواية ، ومهمة القارئ اكتشاف الموضوع الرئيسي للرواية بعد أن يقوم بقراءتها.

يستعرض الكاتب في قصة (بين الجبل والسفح) قصة أبو حميد وزوجته ، يستعدان للسفر ، ويعدان أمتعتهما ، (لقد أنهيت كل شيء .. ولم يبق سوى أن ألبس (حميدا) حلتة ثم أودعه عند بيت جارنا أبي (سهيلة) ، وأوصيهم به خيراً ، فهم دوماً يوصدون حديقة بيتهم حتى لا يسمحوا للأطفال الآخرين بتقطيع شجيرات الحديقة وبهزة رأسه أجابها بالقبول والرضا ، لكنه تراجع فأخذه معهم^(١٠)).

في قصة (ظماً الوفاء) يعرض لنا الكاتب الطبيعة ومظهرها الخلاب ، مع اختلاط الماء العذب والبيوت القديمة الطينية في القرية التي يلعب أطفالها ببراءة واختيال ، نجد مؤيد واخوته وأهمهم (سكينة) التي تعمل من أجلهم (تعال وإخوتك إلى البيت واحذر اللعب في الطريق .. كلمات تنساب من شفقتها اللتين ترجفهما

أحداث القدر ، وتتموج بين ثناياهما حكايات الزمن الضبابي والحروب...وعلى الرغم من عناءاتها فلا تدع الابتسامة تفارق شفثتها .. الآن انسابت ذكرياتها بتسلسل مرئي (١١).

إن الأدب نتاج فكري إنساني، فهو من الظواهر الإنسانية، التي تؤثر وتتأثر بالبيئة المحيطة - والظروف والمناسبات والأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية وغيرها- حول الانسان ،يلوح الكاتب في قصصه على أحداث واقعية بادرنا فيها بتلاوة قصتين من أعظم التضحيات الإنسانية ، ونراه يشع نوراً بحروف الإنسانية وقيمها ومدلولاتها في قصة (سجود النخيل) التي تحكى عن ثنائي متضادين (أشرس) الرجل الفظ الخشن الطباع ، سيء المعاملة ، لا يعرف إلا اللوم والأذى ، جاهلاً وسارقاً ، ومكابراً ومعانداً و(أشوس) الشجاع الطيب الذي يحبه أهل القرية ، وكأن القصة تتناص مع قابيل وهابيل في أول السرد .

ومن بين قصص الحب الشيقة يستعرض الشاعر نموذجاً عاطفياً (سعيد) في قصة (دموع على ضفاف الابتسامة) ذلك الشاب الذي يتعلم في المدينة تاركاً القرية ، التي لم تنحل ذكرياته فيها ، وها هو يأتي القرية في زيارة مع والدته ، ليقوم فن الاسترجاع- إن المفارقة الزمنية تتولد حين لا يتطابق نظام السرد مع نظام الحكاية ، وهي: انحراف زمن السرد حيث يتوقف استرسال الراوي في سرده المتنامي ؛ليفصح المجال أمام القفز باتجاه الخلف أو الأمام على محور السرد فينطلق من النقطة التي وصلتها الحكاية (١٢).

- يعرض قصته مع (عفراء) كانا يسافران معاً لرعى الأغنام. (عندما سافرا معاً لرعى الأغنام في مواسم الجفاف في روايى البادية فقد كانت العادة أن ترعى الأغنام منذ أن يبتسم ثغر الصباح ، فتستيقظ همم الناس ، ثم يتناولون فطورهم ، ولا يعودون إلا عندما تطأ أولى الأقدام الليل المعمورة..) (١٣). اتسمت الحكاية بالقدرة على تعرية الذات الإنسانية، وتخلل مواضع القصور، وما يشمله من نقد الذات، كما نجحت في عرض آراء الشخصيات الروائية في القضايا محل النقاش، وهو بقوة فيها.

تنوعت موضوعات الكاتب الاجتماعية، وتطرق للأسرة وهناءة العيش فيها ، وهدم الخيانة لصرح الزوجية الكبير ، فامتدت قصة (شبح الوهم ينطفيء) بالبطل دكتور (فيصل) الذي أحب مريم منذ زمن بعيد ، من قبل دخوله كلية الطب ، وسرعان ما تجاذبا وطلب منها الزواج ووافقت في المرة الثانية ، وعاشا حياة سعيدة هائلة.

ومن بين القصص التي تحاكي نوع الظلم الواقعي اجتماعياً قصة (الذنب الأخرس) لتستعرض حياة سعيد الرجل العجوز ، التي زخرت لحيته الشيب ، وهو يعرض قصته لامرأة وقورة قد تعانق الكمال والجمال مع طولها الوسيم ، وقد دخل سعيد بيتها يلقي حكايته على مسامعها ، قائلاً : (إن حكايتي قيثاره الحزن التي غدت تعزف لحن أيامي الخوالي .. فبقيت ذكرى أمتص أريجها ساعة الاشتياق للذكريات، فقد كان أبي يعشق الشر فيحفر كلماته من نار في أحشائي ، فاحترقت مشاعري .. كنت أنظر إليه وهو يؤدي الناس الفقراء ، إذ يقطع الطريق أمامهم ويصب نار غضبه عليهم .. فيطلب مني حينها أن أعذب معه هؤلاء الناس). (٤). ليؤكد أن الله -عز وجل- قد ابتلى سعيد بظروف الحياة، وكثرة المعوقات ، يكشف به قوة إرادته، ومضاء عزيمته، وثبات خطوه في طريق العبادة ، وأن الله - عز وجل- منحه وسائل المعرفة التي يتعرف بها على الأدلة التي بثها الله في كونه فيزداد بها إيمانا ويقينا بالله، كما سنعرف في نهاية القصة.

ومن بين قضايا الضمير الذي لا يبرح أن يندمل جرحه حتى يتكأ من جديد على صاحبه يقدم لنا الكاتب (جرس الضمير) من خلال شخصية حاتم الرجل الثري ، المتعجرف في تعامله من كثرة الثراء الفاحش، يسترجع أيام ما كان فلاحاً ، فقيراً ، متلاعباً ، يبدأ قصته باحتيال على رجل طيب يدعى (الحاج ثامر) أبا الفتاة الجميلة (فاطمة) التي صاحبت والدها وأغلقت عليه أبواب الوحشة بعد موت والدتها ، وكان بيت الحاج ثامر مفتوحاً للفلاحين ، يكرمهم بالطعام ، ويعطف على الجميع فاستغل (عريان) طيبة الحاج ثامر ، وقال أنه يتيم ، ومات والديه في الفيضانات، ورق الحاج ثامر لحاله وأنزله منزلة الابن ، ووثق فيه ، إلا أن تلك الثقة لم تكن في مكانها ، فكان خادعاً شريراً ينظر لابنة الحاج ثامر، ولماله .

ومن بين تلويحات الفقر المزعجة للإنسان وخاصة الأطفال نجد الطفل (باسم) في قصة (سأهديه إلى ابني) يقوم فن الاسترجاع بقص ذكريات مؤلمة على خيوط العقل وشبكة العين المبصرة في خيال حزين ، أمام شورته الرياضي ، فقد ذكره هذا الشورت ببعض الذكريات المؤلمة ، في بيئة مجدبة تجد كل الأطفال عراة ، ثيابهم ممزقة ، لا تعرف كيف يتحملون البرد القاسي ، يقطعون المسافات من أجل الذهاب إلى المدرسة ، ونجد المعلم حازم القاسي في معاملته مع الطلاب ، وخاصة باسم. مما يدعو النص القصصي لأهمية تعليم المدرس طرق التربية الصحيحة (١٥)

وفي قصة (دمعة عطر) يتذكر البطل أبطال الأمة ممن ضحوا من أجل هذا الوطن (عادل) الذي قبل خد ابنته الصغيرة (رقية) وذهب للحرب، في وسط حزن عميق من زوجته (بينما راحت زوجته تعد أمتعته .. وثمت حبات رقيقة من الدمع تلمع في عينيها وتنزل متعثرة ، وبكلمات يفوح منها شذى المحبة والوئام : لقد أتممت كل شيء) (١٦) ، وذهب عادل للحرب ، وفي فيه تفاؤلاً بالعودة (إن شاء الله سأتي قبل الموعد؛ لأن السيد الأمر قد وعدني بإجازة .. كان يتكلم بحنين يتوهج من صوته وعيناه تدوران حول زوايا البيت ، تحديقان في كل شيء ، كأنهما تبحثان عن أمر مجهول) (١٧) وبعد أن غادر عزيز وأخوه عادل ، نزل عادل واحتضن أخاه ، وودعه بقبلات عميقة وهو يوصيه .. لا تنساه .. إنه العطر الذي عشق عبقه (١٨)

الحدث الصاعد:

يرتبط الحدث بالشخصية في الأعمال القصصية ارتباط العلة بالمعلول وعلى هذا فإن الرواية = فعل (حدث) + فاعل (شخصية)، فالحدث إذن شيء هلامي إلى أن تشكله الشخصية بحسب حركتها نحو مسار محدد يهدف إليه الكاتب ومعنى ذلك أن الحدث هو "الفعل القصصي" أو هو الحادثة "event" التي تشكلها حركة الشخصيات، لتقدم في النهاية تجربة إنسانية ذات دلالات معينة (١٩).

يشكل الحدث الصاعد الصراعات الداخلية في القصة وهو بداية العقدة (إدخال الصراعات الثانوية ذات الصلة، بما في ذلك العقبات المختلفة التي تعطل محاولات بطل الرواية لتحقيق هدفه).

في قصة بين الجبل والسفح نرى الحدث الصاعد في القصة من خلال قيادة أبو حميد لسيارته وهو قلق يفكر في أحداث لبنان التي مضت - هي أزمة بنيوية حقيقية بسبب نظام المحاصصة الطائفية . التي ربما لا يكون هناك بديل عنها حتى الآن. وبسبب ما يمكن أن نسميه الجمود السياسي اللبناني الذي يجعل كل طائفة مريضة لعائلات معينة، تتوارث النفوذ والثروة والسلطة، ويصعب اختراقها جداً، وهؤلاء الزعماء التقليديون شاركوا في كل شيء، في الخطأ والصواب؛ شاركوا في جعل لبنان مجرد شركة اقتصادية وليست دولة، شاركوا في بناء ميليشيات، شاركوا حتى في النساء والسرقات والرشوة والمحسوبية، التي عادة ما يهاجمونها^(٢٠) ويقع بداخله ما يقع بداخل الناس من عناء أرهق كواهلهم وفجأة (تشق سيارتهم عباب الريح الزاخر بأنفاس الناس وآهاتهم ، وفجأة انفجر إطار السيارة ، فتدحرجت السيارة ثم توقفت بين ربوتين) (٢١)

في قصة (ظماً الوفاء) نرى فن الاسترجاع الداخلي لسكينة التي تنتظر زوجها (فارس) في الحرب ، وكأنها تغازل الطريق ، وترى صورته في كل مكان تحلق بذاكرتها التي لم تنساه أبداً ، وبعد غياب فارس عن زوجته (سكينة) أتى يحتضن شوقاً مزق صوت زوجته ، لتستعيد البسمة من جديد (ويختلط القلبان ، وتتعانق الروحان في ملحمة روحية صادقة ، فراحا يسبحان في حوض الحنين^(٢٢)) ثم بدأت مجريات الأحداث في تغيير عندما طالبوا بعودة فارس للحرب ، ودعم زوجته له ، رغم معاناتها الداخلية وخوفها مما سيحدث فيما بعد ، وكأن دور الاستباق - وهو عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقاً ، وفيه تتابع السرد بتسلسل الأحداث ثم التوقف عند التبصرة للأحداث ، ويبدأ في التوقع ، فتتسم الأحداث المتوقعة بكونها معلومات لا تتصف باليقينية - لقلب حزين لم يملؤه إلا عودة الزوج ، توقف عند

الدفاع عن الوطن فقالت: (الصمت وعمل الحقل ، الحب والوطن .. كلمات تمتتها مع نفسها... كانت تقول مع نفسها ما أعز الأرض التي نذهب لعناقتها صباحاً وما أجمل فضاءات حقولنا)(^{٢٣}).

في قصة (سجود النخيل) يترصد أشرس الظالم حركات أشوس المحبوب من أهل القرية ويجمع القوم ويقذف في عقولهم أفكاراً مغلوطه عنه ، ليوغر قلوبهم عليه ، ويصنع الاشاعات الحقودة حوله .

يسترجع سعيد في قصة (دموع على ضفاف الابتسامة) ما حدث له مع عفراء في تلك الليلة المشؤومة ، حيث سمعا صوت عيار ناري ، وبدأت عفراء في الخوف على والدها ، فلقد تأخر كثيراً على غير عادة .

ويبدأ الحدث الصاعد في قصة (شبح الوهم ينطفيء) بعودة دكتور فيصل من سفره ، وغياب زوجه في العمل ، (ذهب إلى دائرته وهو يسرح بأفكار ويعود بأخرى) (^{٢٤}) ومن ثم جاء له اتصال تليفوني من زميل عمل يدعى (مجدي) . مما أوغر قلب الزوج وبدأ يتغير .

يبدأ سعيد بقص الحكاية في قصة (الذنب الأخرس) وبدأها بوالده الذي كان يأوي الفقراء ، ويطلب منه أن يعذب الناس ، لكي يكون قوياً ، على عكس أمه المسكينة الراضية لأفعال أبيه.

وبعد أن تسلل عريان لقلب الحاج ثامر ، وطمع في ابنته ، بدأت فاطمة تعرف نواياه منها إلا أنها لم تتحدث مع والدها في شيء، وبدأ يخطط لأخذ محصول الأرز ، وبدأ يعد الحيلة بالرياء والكذب وأقنع الحاج ثامر بأن يبيع الأرز ، لئلا يحدث فيضان ويغرقه كل شيء، وبالفعل باع الحاج الأرز ووضع المال تحت فراشه .

طلب المعلم حازم من الطالب باسم أن يستحم ويأتي بلباس الرياضة: (إن جئتي بتلك الحال سأكسرك ضرباً بالعصا.. ولا تنس لباس الرياضة .. اجابه معك ...ويتمتع مع نفسه : كيف يتم الاستحمام ، النهر بعيد ، بارد جداً ، وكيف أسخن الماء، وأين أجلب لباس الرياضة)(^{٢٥})

ذهب عزيز إلى البصرة بعد شرائه لسيارته الجديدة ، وقد مرت الأيام ، وبدأ في العودة ، لكنه وجد حزناً ما يطرق أبواب صدره ، لا يعلم من أين أتى ، وهنا نجد جندياً يقف على حافة الطريق ينتظر سيارة أجرة

جديدة ، لأنه لا يريد لها قديمة (كأنه يخشى الركوب في السيارات القديمة لأمر يخص بعد الطريق وضرورة إيصال من هو مكلف بإيصاله .. فلمح سيارة حديثة فنحى نحوها سائلاً سائقها .. هل تذهب لبابل ؟

نعم .

معي شهيد .. أطلب ما شئت وسنفعل خيراً حيث أريد أن أوصله لأهله بأسرع وقت لأنني في مأموريه .. وتبدو علامات الفزع على السائق ، ويعتذر لأن الناس تتحرر لسياراتهم الذبائح وهو يحمل بها شهيد !.. ولكن كان القدر عكس إرادته ، وركبا الجندي مع السائق بحوزتهما جثة الشهيد .

الذروة:

بمعنى الصعود التدريجي والوصول إلى أعلى السلم وفي مصطلح الأدب القصصي تعني وصول الصراع في الحبكة إلى أكثر حالاتها تفاقمًا ووصول إلى نقطة يتخذ البطل قراره ويجعل مسار الرواية نحو الانحدار والوصول إلى النتيجة ، فالذروة هي النتيجة الطبيعية للصراع في الرواية (٢٦).

وهي تلك المشاهد التي تحول الأحداث لقمة العقدة والتغيير في مجريات الأحداث ، التي تحدد تغير في شؤون البطل سواء للأفضل أو الأسوأ إذا كانت القصة كوميدية، فإن الأمور قد سارت بشكل سيء بالنسبة لبطل القصة حتى هذه اللحظة، والآن، المد والجزر - إن صح التعبير - سوف يتحول، وستبدأ الأمور بالسير على ما يرام بالنسبة له أو لها. إذا كانت القصة مأساوية، فإن حالة الأمور سوف تنعكس، بتحولها من جيدة إلى سيئة بالنسبة لبطل القصة، ببساطة، هذا هو الجزء الذي يحدث فيه الجزء الرئيسي أو الجزء الأكثر إثارة.

وتمت الذروة في موت أبو حميد وزوجته في حادث السيارة ، وتركوا من خلفهم (حميد) ، وذهب به الناس إلى أقرب دائرة للشرطة .

إن الأساس الفني الذي تركز عليه هذه القصص هو عرض الناحية الفكرية من حياة البطلة ، بدلاً من الناحية الخارجية العملية وما يتصل بها من وقائع وأحداث ، تكون كل نص أدبي وخاصة كل نص قصصي من هيكلية متماسكة ومترابطة تتواصل فيها جميع العناصر والأجزاء ولا يمكن تصور أي قصة دون وجود أجزاء وعناصر مكونة لها، وتبدأ الذروة في قصة (ظماً الوفاء) من سفر فارس للدفاع عن الوطن ، وعودته ملفوفاً في العلم العراقي ، فانطلقت من أعماق سكينه صرخة ألم ووداع .. انها مآسي الحروب) لتمثل الذروة ما يحدث في البلدان العربية من دفاع عن الوطن ومن حروب يفدى فيها الجندي وطنه بروحه، ويمتص معنى قول الله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ﴾^(٢٧) فالمعنى متساوٍ مع السياق القرآني فهو إعادة عرض له بصيغة قد تبدو جديدة بعد أن غير في بنيته الأصلية، مضيفاً عليه ما يتسق ومعناه، فالموت ليس فقط طريق الحياة الأبدية طبقاً للنص القرآني ولكنه تاج تشريف للشهيد بين الأحياء .

في قصة (سجود النخيل) نرى أشرس وقد ذهب بفأسه باحثاً عن أشوس ، ويفعل عادته المقيتة في قطع نخل أشوس ، وكانت النخلة عالية الطول جميلة الثمر . ، وبعد أن رأى آلهة الحادة مدماة بالزيتون ، وفي تلك اللحظة يتمهل القارئ صراعاً كما حدث بين قوتي الخير والشر لكن تتقلب الأمور لشيء خفي . وفي قصة (دموع على خد ابتسامة) نرى سعيداً وهو يتوجه للبحث عن أبو عفراء ليصدم بالخبر ، وبموت الأب برصاصة طائشة على يد اللصوص . وقد عانى (سعيد) كثيراً عند معرفته بقتل أبو عفراء ، لكنه لم يستطع أن يخفي الخبر وقاله لعفراء ،(مات أبوك .. انه مات .. مات ثم أجهشت بالبكاء ، وبصوت عال تصرخ عفراء ثم تهوى على الأرض كطير ذبيح يرفرف من الألم ، وهي تصرخ: مات ... مات!! أحس ببراكين تنفجر في رأسي ألماً .. انقذوني ...) (٢٨)

وبعد ان أوغر قلب فيصل في (شبح الوهم ينطفيء) بدأ بسؤال زوجته عن العمل ولم هي بالذات تتأخر في العمل ، ولم ؟ ولم ؟ ثم تقدم له الزوجة استبيان عن أهميتها ونزاهتها في العمل ؛لذا اختارها المدير

لهذا العمل خصيصاً ، وتبدأ الأحداث في ذروتها ، عندما ترفض الزوجة مريم توصيل زوجها لها للعمل ، وتكذب بأن صديقتها في انتظارها، ويكتشف فيصل أنه مجدي كان منتظراً بالخارج في سيارته. وبعد أن أوغر قلب د- فيصل مما رأى ، ذهب إلى زوجته في العمل ، وأخذها للبيت وطلب منها عودة بيت أبيها بلا رجعة: (أنت لا ترجعي) ،وبدأ بدخول حالة نفسية سيئة (واستمر في معاناته هذه كل يوم يأتي وزوجته غير حاضرة) (٢٩)

وفي قصة (بين) كانت الذروة في مصير حميد ، هل سيودعه أهله بعد موت والديه في دور الرعاية الاجتماعية ، أو يأخذه عمه (سعد) ليقوم بمهمة التربية ، رغم ما كان لزوجته من طباع سيئة ، وكانت قاسية الملامح . وأفضى الحل في قصة (بين الجبل والسفح ، في تولي سعيد رعاية حميدا ،(إني أتحمّل معيشة ابن أخي ولا أدعه يعيش بعيداً عني ، ..إنه ابني كيف أدعه يعيش هناك؟ وفي البيت الذي لم يدخله حميدا من زمن بعيد ، خبأ له القدر حكايا) (٣٠)

لقد أحب سعيد بنت الحائك حباً شديداً ولم يرض والده ، واعتبرها فضيحة وزوجوها رغماً عنها، فبدأت النار تشتعل داخل سعيد عندما تذكر حبيبته ، حتى بدأ امتداد الحنين لقلب أم أحمد التي تسمع قصته وتتحسر على نفسها إذ زوجها كراهية منها ، وهي تتذكر حبيبها سعيد .

وبدأ عريان الغادر في تنفيذ جريمته وقتل الحاج سامر ، وأخذ المال من تحت فراشه ، واغتصب ابنته فاطمة ، وهرب على الفور ، ولم يمسه الناس (استطاع الهروب إلى مكان بعيد ، قطن المدينة ، وسمى نفسه حازماً ، وأصبح تاجراً كبيراً ، نقشت على هوامش حياته عبارات الشر وشين الأفعال (٣١)

مع برودة الماء لم يستطع باسم الاستحمام ، ومع برودة الحياة وفقرها لم يجد لباس الرياضة ، وبعد معاناة من البكاء والحزن حاكت له أمه لباساً من شتات اقمشة قديمة ، لكنه خائفاً من نظرة الزملاء له ، ولكن أتى فجراً جديداً ، وهم الأطفال بالذهاب للمدرسة ، إلا أن باسم كان يتخلله الخوف من أستاذ حازم ، حتى شاء القدر أن يفرحه قليلاً بغياب الأستاذ ، لكن سرعان ما جاء أستاذ حاتم ، وطلب من التلاميذ أن

يلبسوا ملابس الرياضة ، (خرج باسم مسرعاً ، وحسب بأنه في جريه السريع لم يميزوا زملاؤه لباسه الذي جلبت كثرة ألوانه أنظار الطلاب حتى من انغمس في لذة اللعب .. تزايدت ضحكات الأطفال وصراخاتهم عليه ، فكانت اللحظات مرة لم يتذوقها طيلة حياته حتى في خوفه من معلمه حاتم) (٣٢)

بعد أن ركب الجندي مع عزيز ، بدأ بسماع أصوات الشهداء داخل الذاكرة ، وتخليهم في ساحة الدفاع ، وسمع أرواحهم ، وتذكر أخيه عادل ، وما بجودته من العطر الذي جلبه معه له كما وصاه ، ونزلاً في الطريق ليأكلاً بعض الطعام لجوع عزيز (توقفت السيارة فقد عجزت هي الأخرى من كثرة الطهي ، أكلاً طعامهما ... ولكن الجندي يمسك ورقة ويخرج من جيبه النقود ليدفع الثمن .. فتسقط ورقة من بين النقود فيلتقطها عزيز :

تلك ورقة سقطت منك ..

فعلت خيراً غنها ورقة الشهيد (رحمه الله) .

وبتدخل فضولي تدفعه جوارحه يفتح عزيز الورقة ويشهق، ثم يصيح صيحة ملأت فضاء المطعم .. استغرب الجندي والحضور ، وظن الجميع أن أمراً صحيحاً أم به) (ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٩٧.

الحدث النازل:

وعبر الحدث النازل تتكشف العقدة وينسدل الستار على الخسارة للبطل أو الفوز، باكتشاف كل ما هو معقد ، وتعتبر بداية الحل (الحدث النازل قد يحتوي على لحظة تشويق نهائية، حيث تكون النتيجة النهائية للصراع محلاً للشك).

يبدأ الحدث النازل في معرفة حميد واكتشافه للمجتمع القاسي ، واكتشاف عمه وزوجته ، وان لا ملاذ له إلا هذه الذكريات الموجودة داخل بيت ابيه (تحرك نحو الأبواب المفتوحة .. حيث ملابسهم المبعثرة في أرجاء الغرفة ، وصورة والديه المعلقة أمامه على سلم الدرج ، فاحتضنها وراح يبكي الذكريات المرة) (٣٣) تمثل المفارقة بالخيطة الوهمي المسيطر على كل التصورات والأنشطة والأفكار ولا ينبغي له أن يجاوز

ثلاثة امتدادات كبرى: الامتداد الأول ينصرف إلى الماضي والثاني تمحّض للحاضر والثالث يتّصل بالمستقبل وربما كان الحاضر أضيق الامتدادات وأشدّها انحصاراً بحكم قوة الأشياء؛ إذ كان هذا الحاضر مجرد فترة انتقالية تربط بين مرحلتين اثنتين لا حدود لهما: هما الماضي والمستقبل. (٣٤)

ويبدأ الحدث النازل في ظمأ الوفاء بسكوت سكيّنة وصمتها رغم ما تعانیه من ألم الفقد، وقد كانت هي المشجعة لزوجها على خوض الحرب، ولم تتوان في تشجيعه (اغتم بالدفاع عنه ، ألم تشم عطره في كل أكتار وجودنا ، ولا تهتم بشأن أطفالك ، فأنا أهم وأبوهـم)(٣٥) ، فقد وضعت على كاهلها المسؤولية كاملة تجاه الوطن والأسرة.

وفي قصة سجود النخيل نرى استباق أشوس بكيفية تعليم أشرس ودعوته للخير، وتعديل عوجه (فالإناء لا يظهر بمنظره الجميل حتى يجلى من درنه، وكذلك الألفة بين الناس يجب أن تُحمى من الأشرار)(٣٦)

استمد الحدث النازل قوته بين البادية والحضر، الريف والمدينة، عفراء وسعيد، الذي قابل عفراء بعد غياب طويل غير من ملامحهما، ليجد أن كل منهما له صفاته الخاصة، رغم حب سعيد لها، إلا أنها قوية لم يهتز لها قلب، وهو يضعنا تحت قوة البادية وعنفها وصرامتها أمام المدينة .

سرعان ما كشف دكتور فيصل براءة زوجته من خيالاته ، وأوهامه وذلك بمرض مجدي) يهرع إليه فمهمته الإنسانية خارج مرور مشاكله الخاصة .. ففاق (فيصل) من غيبوبته الفكرية وماتت أوهامه، فهرع إلى بيت مريم حال انتهاء العملية) (٣٧)

يضطرب الشوق في كلمات سعيد في (الذنب الأخرس) ، وهو يحكى شتاته في البلاد ، ويحثه عن المجهول حتى انهزمت إرادته ، ولم يعد له إلا الذكريات ، وهنا تذرف أم أحمد الدمع من أجل سعيد ، وتسأله ما اسم زوج الفتاة ، فيقول لها سالم ، ومن هنا تأتي الدهشة .

لم تمت فاطمة كما تخيل عريان المدعو(حازم) وتزوجت من أحد شباب القرية، وأصيب بآخر عمره بمرض نفسي ، كان يتذكر الحاج (ثامر) وابنته وما فعله بهم ، ويتأوه ويصرخ ليل نهار ،حتى جاءت إليه

الشرطة ذات يوم ، وأتت بعدة دلائل على سرقة القديمة وهي قطعة قماش وخنجر وأوراقه التي نسيها في مسرح الجريمة .

عرف باسم معنى الفقر النفسي بسوط الضحكات من حوله، وما كان منه إلا العودة داخل الفصل بدموعه المتناثرة على خده .

بعد ان استوطنت الوحشة قلب عزيز ، ساق سيارته بحزن عميق ، وفتح صندوق سيارته وأتى بالعطر ليضخ به جسد أخيه (وهو يئن ويبكي غارقاً بين غصة الفراق وبين الندامة على هاجس الرفض الذي اعتراه قبل القبول بحمل النعش أول مرة ، قاد سيارته بسرعة جنونية ، ووصل البيت (كشفت زوجة عادل عن إصابته فوجدت بعض الطلقات نقشت على جبينه مصيره ، أما الجسد فلا تغيير فيه ، وشم الحضور العطر يفوح من جثمانه) (٣٨)

حلّ العقدة أو النهاية أو الفاجعة:

حل العقدة هو إزالة الغموض من الأحداث المعقدة طوال القصة أو الرواية (٣٩) ، وهي نتيجة الموقف والأحداث المتسلسلة في حل العقدة يتم تقرير مصير الشخصية أو الشخصيات وهي الخاتمة ، وتعتبر مشهد النهاية الأخير ، إما أن يكون درامياً تراجيدياً ، أو يكون بداية لقصة ألم أخرى ، أو سعادة، يخلقه الشخصيات ويستبق به الكاتب على حسب القصة ، فيكون نهاية العقدة وتقكيها .

ولم تنتهي قصة حميد بعد وقد سمع زوجة عمه وهي تنهي عمه عن إعطاء حميد بعض من معاش والده ، وبكى كثيراً من جراء هذا ؛ إذ كانت النهاية بداية جديدة في معاناة اليتيم بين عم وزوجة لا يعرفان الرحمة ، وغادرهما لبيت والده يحتضن صورهما القديمة ، (يبحث عن كهف أمان وملأه دماء . وامتنطى دروب الضباب دافعاً وجهه نحو منافي الحرمان، فأطلق الضياح صيحة صاعقة غضب البراءة) (٤٠) فمثلت القصة حياة طفل في حضن أمه وأبيه ، يتحول لطفل يتيم يفقد كل مشاعر الحنان ، فكان التمثيل

واضحاً بحالة لبنان السابقة وهي مزهرة ومتألقة ، وبعد أن عمها الخراب لتصبح مثل حميداً غريبة وتائهة تبحث عن الأمن فلا تجده.

وتأتي قصة (ظماً الوفاء) لتتلو على مسامعنا وفاءً لأرض الوطن الغالي الذي يفقده الإنسان بأعلى ما عنده ، ويقدم له نفسه ، فداءً وتعزية ، وصبر سكينه على خبر استشهاد زوجها في الحرب ، واستمرارية الحياة في تربية أبنائه الصغار ، رغم ما داخلها من ظماً وحنين .

تتحل العقدة في قصة (سجود النخيل) بين أشوس الباحث عن أشرس ووجده تحت نخلة مهزوم ، مندحرت قواه مستلق على الأرض ، وقد علمته النخلة درساً لن ينساه ، طالباً العفو من أشوس . لتبين القصة هزيمة الباطل امام الحق وإن طالت ليلاليه وظلامه ، ورمز للحق بسعف النخيل (لأن النخيل يقدم لنا نبض عطائه ، يقف لله ساجداً بدعائه) (٤١)

وبعد معرفة عفراء موت والدها في قصة (دموع على خد ابتسامة) تألمت كثيراً من فقدانه ، وذهب سعيد ليتعلم وأصبحت عفراء ابنة البادية التي لم ينساها ذلك الجزء المظلم من ذاكرته.

لم تتحسن حالة د/ فيصل إلا بعد استدعائه للحضور للمشفى عاجلاً، لمريض مصاب بالزائدة الدودية ، ويكتشف أنه مجدى الذي حطم حياته بالشك ، وماتت أوهامه وأفكاره وعاد إلى زوجته (ورجعت الشيطان كما أرجم هذا العود في الأرض ، وقذف العود على الأرض . فانشدا إلى بعضهما بعد انطفاء الوهم وذوبان شبحه ثم أكملوا مشوار الحياة) (٤٢)

انكشفت العقدة أخيراً حينما كانت أم أحمد هي ابنة الحائك في (الذنب الأخرس) واجتمع شمل المحبين بعد مرور كبير من الزمن، (ويخفق القلبان بنعمة اللقاء بعد فراق دام أكثر من نصف قرن ، ويعودان إلى كليهما، فتسأله :

ما ذنبنا؟ إنها عادات القبيلة، أفضت بنا إلى قدرنا المحتوم الذي ليس بوسع أحد أن يعرفه أو له قدرة عليه ، فنحن بين يديه يأخذنا أنى شاء بمشيئته الله سبحانه ؟ فكم ترك سجيناً في دنياه الواسعة؟ وكم قتل حياة

في غمرة ايناعها؟ وكم فرق الأحباب وغيبهم عن ذاكرة السعادة؟ فلم يبق لنا إلا رماد الذكريات! فما أتعسه من ذنب مباح) (٤٣) وبلغة جذابة وأساليب بلاغية نجد فلسفة الكاتب من خلال قول بطل القصة ، ليعبر عن التقاليد التي تفرق بين القلوب، وما هي إلا مشيئة القدر النافذ ، ولا محالة منه ، فهو المفروق والمجمع ، وسبحان الله أن جمعهما بعد كل هذا الغياب.

وأخيراً تم سجن عريان القاتل ، واكتشف أن فاطمة لم تمت وشهدت على جريمته الشنعاء، جريمة الضمير قبل أي شيء، الضمير الذي لم يتركه يهنأ بالمال والثراء، الضمير الذي هتف له بفعلته بعد أن آواه الحاج ، وأنزله منزلة الولد ، يقتله بدم بارد ، الضمير وجه الإنسان الذي لا يمل عن الصراخ أبداً. لم يكثر لباسم العالم من حوله لفقره معنوياً ومادياً ، بل تركوه يبكي وحده ، ولم ينهالوا إلا بمتعة الضحك على منظره ، فما كان منه إلا أن يقدم هذا الشورت لولده عندما يكبر ليعلمه القسوة في المجتمع ، والحياة البائسة الحقيرة من حوله.

وأجرت مراسيم الموتى لعادل الشهيد ، وناداه أخوه عزيز بأنه قد نفذ الوصية ، قائلاً: ((دعوني أقبله واذكره بأنني لبيت الوصية ، فدنا منه وقبل جبينه ، وتمتم معه بشفاه جف عليهما الأسى فتييسا ، ... لبيت الوصية ، لبيت الوصية ، لبيت الوصية) (٤٤) وهنا ظن المشيعين أن عزيزاً قد جن ، وقد عبر الكاتب عن أسمى معاني الإنسانية في حب الانسان لأخيه الإنسان ، وكيف يلعب القدر لعبته في تفرقة الأحياء ، وفي جمعهم في العودة ، وكيف لعزيز أن ينقل جثمان عادل من غير علم ، وكيف له بتنفيذ الوصية ، وكأنها استباق قد عرفه الشهيد من قبل الموت.

الخاتمة:

إن مضمون القصص الأصلي هو القيم الإنسانية، وتبينها في السياق الجزئي وحكي هذه القصص وجهاً كامناً للحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية للشعب العراقي واللبناني في عقد الثمانينات بالقرن الماضي

في بغداد حيث يروي الكاتب مشاكل حياة الشعوب ومعاناتهم في الظروف المتوترة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

يتمتع أسلوب الكاتب بمزيج من الواقعية والخيالية حيث يستخدم الكاتب تقنيات سرد خاصة وأسلوب حكاية يسيطران على عناصر القصة وبالتالي تفتح آفاق جديدة من الأحداث للمتلقي. نجحت الرواية في التقاط صورة للبلدان العربية وما يحدث فيها من تطورات كما في لبنان والعراق، ورسمت صورة ليست بعيدة ، بل صورة واقعية مزجها الكاتب في إطار الخيال المحلق بالصور الحقيقية الملوثة بالحرب والدماء ، والقتل والوداع ، واليتم .

استطاع الكاتب الوقوف على قضايا وموضوعات كثيرة من خلال عرض الأحداث، وبداية من العرض حتى الحدث الصاعد إلى الذروة والحدث النازل والحل، نجدها قد تشبعت بالحدوتة القصصية التي استوعبت الماضي والحاضر عبر مقامات الذاكرة للاسترجاع التي شكلت حيزاً هاماً من حياة كل بطل في كل قصة مقدمة وبث الحيوية في النص السردى، وجعله أكثر حركة وفاعلية، بما كفل خلخلة الزمن وشد انتباه المتلقى وجذبه عبر آهات ودموع وأفراح قدمته وأنهتها على غرار حكائي اقشعرت له الأبدان وتعاطفت معه القلوب.

استوى على عرش الكتابة الفنية شامخاً في الجودة والإتقان والجمال والاكتمال والبراعة والاعتدال. وتلمس طريقة جديدة للقصة من خلال الواقعية، التي تناصت عبر الحكى، بصراع ومذاهب كل قصة قدمها الكاتب.

ارتبطت القصص بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً لكونها تعبر عن قضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية فهي تشكل للحياة في بناء عضوي يتفق وروح الحياة ذاتها، ويعتمد هذا التشكيل على الحدث الناس الذي يتشكل داخل إطار وجهة نظر الروائي وذلك من خلال شخصيات متفاعلة مع الأحداث والوسط الذي تدور فيه هذه الأحداث، على نحو يجسد في النهاية صراعاً درامياً داخلية متفاعلة.

الهوامش:

- (١) الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور صباح عباس عنوز نسخة محفوظة ٠٢ فبراير ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.
- (٢) عز الدين إسماعيل: الشعر في إطار العصر الثوري، بيروت: دار الحداثة، ط٢، ١٣-
- (٣) (السابق - ٩)
- (٤) مبارك، زكي: النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢، ص ٣٥.
- (٥) عزيزة، مريدن، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م. ص ١٢).
- (٦) أحمد هيكمل، تطور الأدب الحديث تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٩٤.
- (٧) عزيزة مريدن: القصة والرواية، ص ١٢
- (٨) مير صادقي: عناصر داستان، طهران، ط٥، (١٣٩٠): ٢٤
- (٩) ناصر إيراني، هنر رمان، طهران، ط١، : ٤٢٠
- (١٠) صباح عباس عنوز: ما قاله يوسف: ط١، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م، مؤسسة نائر العصامي، ص ٧
- (١١) ما قاله يوسف، ٢٠٢٠ - ص ١٦
- (١٢) جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، ط٢، المجلس الأعلى للثقافة (١٩٩٧): ص ٤٧
- (١٣) ما قاله يوسف، ٢٠٢٠، ص ٣٢
- (١٤) ما قاله يوسف، ٢٠٢٠، ص ٥٧
- (١٥) ويحتاج الأخصائي الاجتماعي المدرسي إلى مزيد من الدراسات التربوية في إعداد، ويحسن أن يكون لديه خبرة في التعليم، ويقترح البعض، تحقيقا لاتصاله بالعملية التربوية، أن يقوم الأخصائي الاجتماعي بتدريس ولو حصة واحدة في الأسبوع عن "الأحداث الجارية" مثلا لكل فصل بالمدرسة حامد عبدالسلام زهران: توجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، ط٣: ٥٣٩
- (١٦) ما قاله يوسف، ٢٠٢٠، ص ٩٠
- (١٧) ما قاله يوسف، ٢٠٢٠، ص ٩١.

- (١٨) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٩٢.
- (١٩) طه، الوادي، دراسة في نقد الرواية، الطبعة الثالثة، دار المعارف القاهرة، ١٩٩٤م: ص ٢٨
- (٢٠) مجلة البيان : ج ٢١٤- ص ١٨.
- (٢١) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٨.
- (٢٢) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ١٩
- (٢٣) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٢٠.
- (٢٤) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٤٦.
- (٢٥) (ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٨١-٨٢.
- (٢٦) داد، سيما : اصطلاحات أدبي ، ط ٢، : ص ٤٩٤
- (٢٧) (سورة آل عمران)، الآية: (١٦٩).
- (٢٨) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٤٠.
- (٢٩) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٥١.
- (٣٠) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ١٠.
- (٣١) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٧٦.
- (٣٢) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٨٦.
- (٣٣) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ١٢.
- (٣٤) عبدالمك مرتاض: في نظرية الرواية، (بحث في تقنيات السرد) ، طبعة الكويت، عالم المعرفة، ، ص ١٧٤.
- (٣٥) ما قاله يوسف :ص ٢١
- (٣٦) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٢٨.
- (٣٧) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٥٣
- (٣٨) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠، ص ٩٧-٩٨.
- (٣٩) رضايي ، عربلي (١٣٨٢) : وازكان توصيفي ادبيات طهران ، نشر فرهن معاصر ، ط ١، ص ٥٧

(٤٠) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠ ، ص ١٢/١٣ .

(٤١) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠ ، ص ٢٩ .

(٤٢) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠ ، ص ٥٤ .

(٤٣) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠ ، ص ٦٤-٦٥ .

(٤٤) ما قاله يوسف ، ٢٠٢٠ ، ص ٩٩ .

المراجع:

١. صباح عباس عنوز : ما قاله يوسف: ط١ ، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م ، مؤسسة نائر العصامي .
٢. الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور صباح عباس عنوز نسخة محفوظة ٠٢ فبراير ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين .
٣. عز الدين إسماعيل: الشعر في إطار العصر الثوري، بيروت : دار الحداثة ، ط٢ .
٤. مبارك، زكي: النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٢ .
٥. عزيزة، مريدن، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م .
٦. أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م .
٧. مير صادقي: عناصر داستان ، طهران ، ط٥ ، (١٣٩٠)
٨. ناصر إيراني، هنر رمان ، طهران ، ط١ .
٩. جبرار جينيت: خطاب الحكاية ، ترجمة : محمد معتصم وآخرون ، ط٢ ، المجلس الأعلى للثقافة (١٩٩٧
١٠. عبدالسلام زهران: توجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب ، ط٣
١١. طه، الوادي، دراسة في نقد الرواية، الطبعة الثالثة، دار المعارف القاهرة، ١٩٩٤م
١٢. مجلة البيان (٢٣٨ عددا) المؤلف: تصدر عن المنتدى الإسلامي ج٢١٤-: ج٢١٤
١٣. داد، سيما : اصطلاحات أدبي ، ط٢ .
١٤. عبدالمك مرتاض: في نظرية الرواية، (بحث في تقنيات السرد) ، طبعة الكويت، عالم المعرفة،
١٥. رضايي ، عربعلي (١٣٨٢) : وازكان توصيفي ادبيات طهران ، نشر فرهن معاصر ، ط١

المرجعيات الأسطورية في ديوان فراديس إينانا للشاعر يحيى السماوي

م.م. مرتضى رزاق هبل

كلية التربية المفتوحة

المقدمة:

إن الصورة الشعرية عماد الشعر وقوامه، من خلالها يعبر الشاعر عن أفكاره ومعانيه، فهي وسيلة الشاعر في تجسيد الفكرة والعاطفة في آن واحد، فالألفاظ والعبارات قوالب للمعاني، يصوغها فيها الشاعر، وفيها تظهر صنعة الشاعر وتمكنه^(١).

فمن خلال الصورة الشعرية تظهر ملكة الشاعر وقدرته على استعمال اللغة لإظهار براعته ومهارته الإبداعية، فالصورة الشعرية تعكس حياة الشاعر وبيئته وملكته اللغوية والفكرية، فهي تعبر عن شاعرية الشاعر، وصلته ببيئته^(٢).

وقد كانت لطبيعة الحياة في العراق أثرها الواضح على الشعراء، فمنهم من أثر الحياة السياسية في شعره، ومنهم من اتخذ من القناع الأسطوري والرمزية طريقاً للتعبير عن حرية الرأي، وقد سلط هذا البحث الضوء على المرجعيات الأسطورية في ديوان فراديس إينانا للشاعر يحيى السماوي، واستنتاج ما تميز به الشعر من المرجعيات الأسطورية عند الشاعر "يحيى السماوي" في ديوانه "فراديس أيانا" وما توفيقه إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول: التعريف بالمرجعيات الأسطورية في ديوان (فراديس إينانا) للشاعر يحيى السماوي:

لقد كانت المرجعيات الأسطورية جزءاً من الأدب من قديم الأزل، فقد بدأ الأمر مع الروايات العجائبية والخيالية عن الروايات الواقعية في إلغاء إمكانية الحصول، فالأصل أن الرواية الواقعية أو القصص الواقعية إنما هي مبينة في الأصل على إمكانية الحدث، أما القصص العجائبية فمبينة في المقام الأول

على انتهاك هذه الاحتمالية ، وكسر قاعدة " إمكانية الحدث " التي تمثل العنصر الرئيس في النصوص السردية المحاكية للواقع ^(٣) .

ويجدر بنا القول أنها تنطوي على مخالفة الواقع ومخالفة إمكانية الحدث .
ومن ثم انتقل الأمر إلى الشعر ، فلم يكن حصراً على الرواية وحدها ، بل بدأ بنمط القصص الأسطوري ، ثم انتقل إلى الشعر ، ولم يكن الأمر عربياً فقط ، بل توسع الأمر إلى انتقال المرجعيات الأسطورية إلى الأدب الغربي من شعر ونثر وغيره ^(٤) .

ولقد ألقت الخيالات والأساطير بأستارها على الإنسان الأول بشكل كبير ، مما دفع محمد غنيمي هلال أن يقول: "إن الخيال الجامح كان يعيش في وفاق تام مع العقل ، إذ إن سهولة الاعتقاد ظلت توفق بين العقل وبين ظهور الأرواح والجن وتأثير الملائكة أو الشياطين في شئون الناس تأثيراً مباشراً" ^(٥) .
ولكن أكثر من الأدباء والنقاد اعتبر أن ظاهرة الأساطير التي اشتمل عليها الشعر ما هي إلا رموز وأقنعة يستتر خلفها الشاعر فقد احتل الرمز مكانة بارزة في نتاج الشعراء العرب المعاصرين بوصفه " رؤيا يتحقق فيها التفاعل بين الذات والموضوع" ^(٦) .

لم يكن الأدب العربي بعيداً عن حركة التحول إلى المدرسة الرمزية التي غزت وطغت على الأدب العالمي والفكر الغربي ، فانطلقت الرمزية إلى الأدب العربي على يد أدباء ورواد ، وإن مصطلح الرمز كغيره من المصطلحات تعددت مفاهيمه ، واختلفت مناهج وأراء الباحثين والدارسين في تحديد ماهيته ، فكل دارس تناوله حسب زاوية تخصصه ، فأرسطو يعرفه كما يلي: "إن الكلمات رموز لمعاني الأشياء ، أي رموز لمفاهيم الأشياء الحسية أولاً ثم التجريبية" ^(٧) .

فأخذ الشاعر في تسطير تلك الحالة من الرمزية في مرجعيات أسطورية ، يبدأ فيها الشاعر من لحظة تقنت العالم الخارجي ، وتهشيمه وتحوله إلى رموز وإشارات تجريدية ، لأنه كان يحس بأن الحياة غامضة

وكئيبة، لا يمكنه الاستقرار باستمرارها، من أجل ذلك نراه يلجأ إلى الرمز الأسطوري أو القناع في المرجعيات الأسطورية "لتكثيف الصورة الشعرية ومفعولها في القارئ" (٨) .

حيث إن في أدب كل أمة رموزاً تقليدية، ففي العربية يوجد القمر والسيف والهلال، والصليب، وهذه جميعاً تحمل معاني يعرفها الجميع، لكن الأديب الرمزي لديه رموزه الأسطورية التي تخصه دون غيره، وهذه بالطبع أكثر صعوبة في التأويل، ولكنها أكثر إثارة وجدوى (٩) .

ولهذا "فالصورة الرمزية الأسطورية ذاتية وهي تجريدية تنتقل بالأشياء من المحسوس إلى عالم العقل والوعي الباطني" (١٠) .

ففي الأدب العربي لم تظهر الرمزية مذهباً محدوداً كما ظهرت المذاهب الأخرى بل دخلت أعمال أدباء العرب من خلال اطلاعهم على الثقافة الغربية، وتجد أمثلة كثيرة للمذهب الرمزي في قصائد الشعر الحر الذي مال إليه معظم الشعراء المعاصرين، مثل محمود درويش، وعبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة، وفدوى طوقان، وبدر شاكر السياب وغيرهم (١١) .

كان للأسطورة نصيب في ديوان "فراديس أيانا" وقد عبر بها عن خلجات نفسه مستخدماً منها قناعاً؛ حتى لا يحرم الجمهور من إبداعه ومن استدعاء الصورة الأسطورية حيث يقيم الكاتب نوعاً من التوافق بين اقتران بالمجاز واعتمادها على مكنونات حسية ويضيفي على الصورة أبعاداً رمزية، من حيث أنّ الصورة رمز يتأثر بحالة روحية، فهي صورة تعبيرية وليست صورة سببية (١٢) .

والشاعر لا يخلق صورة من عدم، وإنما يختار من الإمكانيات المتاحة في اللغة ويستعين بمدركاته الحسية المختزنة ويقيم تفاعلاً من نوع خاص، ليشكل نظاماً لغوياً قادراً على إبراز الدلالات التي تحتويها التجربة الشعرية والفنية (١٣) .

ذلك لأنّ "اللغة في أصلها رموز اصطلاح عليها لتثير في النفس المعاني والعواطف" (١٤) .

وإنّما يلجأ المبدع لها لأنه يمكن التعبير عنها إلا بالصورة الرمزية دون غيرها، فهي " ذات احياء جمّ ، ومظهر ايجاز واضح" (١٥)

أمثلة الأسطورة عند الشاعر يحيى السماوي في ديوانه "فراديس إينانا" (١٦) :

هبطت من برجها العلويّ إينانا

احتجاجا

ضد أنليل وما يكتنز من تبرٍ

ومالٍ وقيانٍ

ورياش في رحاب المعبد الأخضر

في وادي اليتامى

ومن المعروف أن أينايا هي من الأساطير اليونانية، وهي عند اليونانيين القدماء إلهة المطر في ملحمة كلكامش، أما أنليل فهو رئيس مجمع الآلهة في ملحمة كلكامش، ولا شك أن سرد الأسطورة هنا يعني منه الشاعر الكثير والكثير من الأغراض، وعلى رأسها هذا القناع السياسي الذي يشير إليه من خلال السلطات المتحكمة في زمام الأمور والتي تكتنز الذهب والفضة، ومن أبرز الظواهر الفنية التي تلفت النظر في تجربة الشعر الجديدة عند "يحيى السماوي" الإكثار من استخدام الرمز والاسطورة أداة للتعبير، وليس غريباً أن يستعمل الشاعر الرموز والأساطير في شعره، فالعلاقة القديمة بينهما وبين الشعر ترشح لهذا الاستخدام، وتدل عندئذٍ على بصيرة كافية بطبيعة الشعر والتعبير الشعري (١٧) .

ومن هذا أيضاً قوله (١٨) :

لا يغرنك أن انت قتلت الوحش خمبايا

فما زلت ضعيفا

أنت لا تملك أن تمسك خيطاً من دخانٍ

وخمبايا هنا هو اسم لوحش غابة الأرز القوي وكان يرعب سكان أوروك، واستخدم الشاعر هنا هذا الوحش كرمز، وهو يختبئ خلفه كقناع، ولا شك ان المراد ليس الوحش وليس الآلهة كما هو معروف عن الشاعر، ولكنه أراد أن يخلق صورة شعرية تمتزج مع وحي الخيال الذي أتاه، وليس غريباً ان يلتقي الدارس بتعريفات شتى متعددة للصورة حتى صار غموض مفهومها شائعاً بين قسم كبير من الدارسين . (١٩)

ولم يقتصر الاختلاف حول مفهومها، بل يطال كذلك محاولة تأصيلها وتتبع تطورها إذ يؤكد عدد من الدارسين إصالة مفهوم الصورة وعمق تجذره في التراث وينفي آخرون هذه الصلة ويعدون الصورة مصطلحاً وافداً من الحضارة الغربية ، ويبدو أنَّ وظيفة الشعر، آنذاك التي كانت تتمحور حول التعليم والإمتاع والدعوة والامتناع، قد ساهمت في إغفال دور المبدع وتجربته الشعورية، ومدى ملاءمة العمل الأدبي لها وتعبيره عنها .

ومنه قوله أيضاً (٢٠) :

قلت

يا مولاتي المعصومة الذاتِ

سمعا وامتنانُ

فأنا أتعبني اللهو

فلا شامات تغويني كما في الأمس

والمقصود من الأسطورة السابقة "مولاتي المعصومة" و "شامات" هي تلك الحسناء التي أغوت الوحش أنكيديو فأنسنته بعد ممارسة الجنس معها، فتراه يخاطب مولاته وهي إلهة المطر، وكعادته يوظف تلك الأساطير لخدمة نوع من الرمز في الشعر، وبهذا خضع استخدام الرموز التاريخية والدينية لمقاييس العلاقة بين دلالاتها والموقف الشعري نفسه لأثارة الذكريات والمعاني المرتبطة بها بإعطائها أبعاداً مميزة ،

وهذا يصدق على استخدامه الرمز الاسطوري في كونه عودة إلى الجذور مسترشداً بمعينه الثقافي ، وقد ظهرت المرأة في رمزه الاسطوري ضرورة حيوية فأدرك العلاقات والابعاد القديمة لهذا الرمز .
ومن امثلة الأسطورة أيضا قوله يحكي عن شهرزاد (٢١) :

"شهرزاد"

سنعود لو أن الدموع المذرفات

إلى محاجرها تعود

وللصدور تعود آهات المراثي

والمباد من الكروم إلى عرائشه يعاد

نحن انتهينا في كتاب العشق

وقد عبر شاعرنا هنا بأسطورة شهرزاد وهي من الأساطير المعروفة، ليوظفها في حال من السرد لبيان تلك الحالة من السهر والتسامر، وأنها قد نسيت ان تتشد له ألف أغنية وأغنية، وقد لجأ الشاعر إلى الأسطورة، الرمز كمادة لشعره، فالذي دعا إلى ذلك، سبب محض، فالشعر عنده ليس كما قيل الكلام الموزون المقفى، وإنما لا بُدَّ من الاستفادة من كنوز التراث الأسطوري، في محاولة منه لنقد الواقع المعاصر المتهاوي بجوانبه كافة، واستنهاضه من خلال استحضار الشخوص التاريخية لتأصيل الهوية ومواجهة تيار التغريب والأحداث التي عصفت بالواقع .

فضلاً عن أبعاده الجديدة التي تنسب إلى كشفه الخاص للتعبير عن تجربته الشعرية بأسلوب فني محاولاً الارتقاء بالقصيدة من ذاتيتها إلى إنسانيتها الاشمل وإكسابها مجالاً أوسع وتأثيراً أكبر، فكانت الاسطورة لديه " وسيلة بناء ولغة رمزية للتعبير عن افكاره ومواقفه إزاء تحديات العصر والحضارة المادية، وتعبيراً عن رؤاه للمستقبل "(١) .

ومن ذلك أيضا قوله في قصيدة اعترافات أنكيديو في القوت الضائع(٢٢) :

شامات

ما كانت ستطرحني سرير غواية

لو كنت ذا أمر على نزقي

وكننت قويا

وهنا وظف الشاعر "أنكيدو" وهو أسطورة سومرية معروفة، ليبث تلك الحالة من المرجعيات الأسطورية المتلاحقة، بين أساطير يونانية وسومرية وغيرها، ليبهرن عن سعة ثقافته وحسن اطلاعه على تلك الأساطير وغيرها.

ومن المرجعيات الأسطورية أيضا توظيفه لشخصية "إنليل" كما في قوله (٢٣):

إنليل جمعا صار في أوروک

يفعل ما يشاء

وكان فردا

وهنا وظف المرجعية الملحمية في أسطورة ملحمة كلكامش في شخصية إنليل وهو كبير الآلهة.

ومن ذلك توظيف الأسطورة نرسييس وهو من الشخصيات الأسطورية اليونانية في قوله (٢٤):

كيف أغواني بفأس الطيش نرسييس

فأصبحت كديك الجن أستجدي المناديل لدمعي

وهنا سطر الأسطورة "نرسييس" وهي أسطورة يونانية لشخصية صياد جامح.

المبحث الثاني: القناع الرمزي في المرجعيات الأسطورية في ديوان "فراديس إينانا للشاعر يحيى السماوي"

القناع هو تقنية شعرية استخدمها الشعراء؛ للهروب من الصراحة الواقعية ولأغراض أخرى. ٢٥

والقناع في اللغة : " مَا تَتَقَنَّعُ بِهِ الْمَرْأَةُ مِنْ ثَوْبٍ تُعْطِي رَأْسَهَا وَمَحَاسِنَهَا . وَأَلْقَى عَنْ وَجْهِهِ قِنَاعَ الْحَيَاءِ ، عَلَى الْمَثَلِ . وَقَفَّعَهُ الشَّيْبُ خِمَارَهُ إِذَا عَلَاهُ الشَّيْبُ " (٢٦)

ويعدّ القناع في الشعر العربي الحديث إحدى أدوات الشاعر في العصر الحديث التي يستعين بها - أحياناً - في تشكيل نصه الشعري، من خلال النظر إلى التراث العربي واستحضار شخصية تاريخية قادرة بما ارتبط بها من دلالات ومواقف، أن تضيء تجربة الشاعر وتمكّنه من التعبير عن المواقف المختلفة التي يعيشها في عصره، فهو يربط بين الماضي والحاضر، ويجعل الشخصية تتطرق بلسانه .^{٢٧} كما تعد ظاهرة استدعاء التراث هي تقنية حديثة يستخدمها الشعراء حين يؤصلون لموقف ما، تكرر في التراث أو كان له جذور فيه، ومن هذه الاستدعاءات ، هناك بناء مشهدي في الشعر العربي المعاصر، يعتمد على الالتفات والالتكاء على نموذج ملتحم مع حدث تاريخي، فيقوم الشاعر بتوظيفه ضمناً كمحور أو إشارة أو دلالة مستغلاً ما تعنيه تلك الشخصية من إحياء وما تصنعه من أجواء تعمق الفهم للقصيدة وتشبعها بالخصوبة وتتحول من خلالها إلى فعل شعري متصاعد، على أن تكون تلك الشخصية مبهرة ومضيئة ومدهشة أو صاخبة ومتفجرة ذات نزوع تأثيري واضح ولن يتأتى ذلك إلا بتوظيف الشخصيات من التعبير عنها إلى التعبير بها، كما يقول الدكتور علي عشري والذي حدد مصادر الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر والتي يستمد منها الشاعر طاقاته ويجسد تجربته وهي : " الموروث الديني - الصوفي - التاريخي - الأدبي - الفلكلوري - الأسطوري " ^{٢٨} .

ومن ذلك قوله (٢٩) :

وأضافت

يذكر الآباء الأجدادُ

أن الناس في أوروك كانوا

"عروة بن الورد" في الغنم

وصحنا واحدا في القحط
كل الناس كانوا واحدا في رزق بيت المال
راعي الشاة والوالي
ونجل الراهب القسّ
ونجل الزبرقان

وقد استدعى الشاعر التراث من خلال عدة شخصيات وعلى رأسها "عروة بن الورد" وهو أحد الصعاليك في الجاهلية الذين اشتهروا بالغزو والسطو، وكان يلقب بأبي الصعاليك، من ثم عبر بالزبرقان، وهو احد الصحابة عمّرَ زمنا طويلا، فقد عبر الشاعر عن القناع بصورة ملفتة وقد أحسن الشاعر في ذلك ، حين جعل معظم استدعاءاته من التراث الديني والتراث العربي الجاهلي، سواء أكان ذلك عن طريق التناص ببعض المواقف أو أم كان تناصا لغويا وتعبيريا .

من هذا العرض يتبين أثر الصورة الشعرية التي رسمها يحيى السماوي من خلال المرجعيات الأسطورية العربية السابقة، وما لها من أبعاد فنية ، أصاب الشاعر فيها وأخطأ ، ولكن الصورة كانت قريبة من البيئة التي عاش فيها الشاعر، وقد أتت معجونة بمفردات الطبيعة - كما ذكر . كما كانت بعض الصور، غير مناسبة لمقابلها في الحديث، فلم يوفق الشاعر فيها. كما غلبت الصورة الأسطورية المستدعاة من خلال الأساطير اليونانية، فقد كانت أكثر من غيرها من الصور الأخرى؛ مما يؤكد ثقافته العالمية التي بدت من خلال دقة استدعاءاته في المجموعات الشعرية . ومن ذلك أيضا قوله (٢٠) :

فجلست مفترشا بساطا من نديّ العشب
مستترا ببردة من ظلمة
وغفوت

أيقظني هديل حمامة

فتلبستني رغبة الحلاج يستجدي الهلاك

والحلاج هو أحد المتصوفة والفلاسفة المعروفين في القرن الثالث، وقد اثر عنه نوع من الفلسفة في التصوف والخط بينهما، فنتج عن ذلك نظريات مماثلة لوحدة الوجود والحلول والاتحاد، وما لبث أن ادعى الألوهية، فصلب وقتل، وكان الحلاج يردد عبارة وهو مصلوب، يا أيها الناس اقتلوني تؤجروا، فيمكن القول من خلال أشعار السماوي أن الشاعر لم يكن راضيا عن الواقع المعاش لا من حيث تعامل المواطنين ولا في حرية التعبير عن الرأي، ولا من حيث تعامل الدولة مع المثقفين، وما يعاينيه هو ذاته من السيطرة على الفكر وكبت الحرية .

فالشاعر لا يخلق صورة من عدم، وإنما يختار من الإمكانيات المتاحة في اللغة ويستعين بمدرجاته الحسية المخترنة ويقيم تفاعلاً من نوع خاص، ليشكل نظاماً لغوياً قادراً على إبراز الدلالات التي تحتويها التجربة الشعورية والفنية . (٣١)

ذلك لأنّ : "اللغة في أصلها رموز اصطلح عليها لتثير في النفس المعاني والعواطف" . (٣٢)

وقد استدعى الشاعر الحلاج مرة أخرى في العارة ذاتها، وهو يعبر عما مر به من ضيق في حرية الرأي قائلا (٣٣) :

رعد ولا مطر

أراني آثما من دون آثام سوى وزر الهوى

متوسدا حجر الصبابة

يسأل الساعين

هل من راغب في الأجر ينقذه من الموت البطيء

ليقتله

فدل ذلك على المرجعية الأسطورية العربية، وهي تضرب مثلاً الآن في التضييق في حرية الرأي، ومن أبرز الظواهر الفنية التي تلفت النظر في تجربة الشعر الجديدة الإكثار من استعمال الرمز والاسطورة أداة للتعبير، وليس غريباً أن يستعمل الشاعر الرموز والأساطير في شعره، فالعلاقة القديمة بينهما وبين الشعر ترشح لهذا الاستعمال، وتدل عندئذٍ على بصيرة كافية بطبيعة الشعر والتعبير الشعري . (٣٤)

ومن المرجعيات الأسطورية أيضاً قوله (٣٥):

وقصة من ألف أغنية وأغنية

سهت عن شذوها في ليل أورك الجديدة

"شهرزاد"

ولا شك أن رواية ألف ليلة وليلة هي من القصص العجائبي الأسطوري، فالشاعر يوظفها في شعره دلالة على أفقه الواسع ، وتفكيره العميق ، ونضج تجربته الشعرية ، فلا بد للشاعر الذي يرغب في توظيف الرمز في شعره من ثقافة وتجربة واسعة لأن الرمز مرتبط ارتباطاً مباشراً بالتجربة الشعورية التي يعانها الشاعر والتي تمنح الأشياء مغزى خاصاً . (٣٦) والتي تمنح الأشياء سياقها الخاص ، ذلك لأن " الرموز تلقي أضواءً كاشفة على جوانب من التجربة الإنسانية " (٣٧) ، فتمنحها بعداً أعمق ومدى أوسع ، لذا فالشاعر المعاصر قد وجد في الرمز وسيلة مثلى للتعبير عن الأفكار والاحساسات الخاصة التي تعترى النفس الإنسانية ، فبالرمز نستطيع أن نستنبط من أعمالنا وجوداً خاصاً كامناً بها ، وبه نطلق العنان للأفكار في التعبير عن المشاعر وأن نقول ما لا يقال علناً (٣٨) .

ومن أمثلة ذلك شخصية أتونابشتم في قوله (٣٩) :

لا أتونابشتم العارف

يدري أين عشب العشق

والعشاق في أورك عنقاء

لكن لا أثر

وهنا وظف الشاعر شخصية أتونابشتم، وهو شخصية أسطورية، ليتخذ منها قناعا، فشخصية أتونابشتم عرفت بأنها من شخصيات ملحمة كلكامش وهو الذي أخبر عن مكان عشب الخلود، فالأصل أن الشاعر يتخذ من ذلك قناعا ليبين أن خبير وليس عرافا.

ومن ذلك أيضا شخصية سيدوري في قوله (٤٠) :

أوروك ما عادت كما في الأمس

سيدوري اختقت

واختار أنكيو الرجوع

فاتخذ الشاعر من شخصية سيدوري قناعا في تلك الأبيات مع اتخاذ الأسطورة السومرية أنكيو، أما شخصية "سيدوري" فهي من شخصية ملحمة كلكامش، وهي معروفة بالحكمة، والأصلب ان القناع هنا ليبين أثر اختفاء الحكمة من عالمهم.

ومن المرجعيات للقناع أيضا توظيفه لأقوال السابقين كرمز قناعني في قوله (٤١):

فاز بالذات "من مد فما للثم"

وهو إشارة لقول سلم الخاسر "فاز بالذات من كان جسورا.

ومن الأفعنة التي وظفها في الرمز أيضا قوله (٤٢) :

فأنا وأوروك

الوفاء والسموئل

والوضوء من الصلاة

وهنا وظف القناع الرمزية لشخصية السموأل وهو اسم لشاعر جاهلي وظف الشاعر شخصيته ليسوق القناع الرمزي الدال على الوفاء، فقد عرف السموأل بالوفاء لقومه وقد ضرب مثلاً بالوفاء لانه أسلم ابنه للقتل على أن يسلم دروعاً قد رهنها عنده امرئ القيس أمانة عنده، وهي قصة اشتهرت كثيراً (٤٣) .

النتائج:

من خلال استقراء التجربة الشعرية للسماوي، والوقوف على ضفاف اغانيه، وإلقاء الضوء على أهم جوانب وجماليات الابداع في شعره وفيما يلي نذكرها بإيجاز:

١- أصبح المنفى امتداداً للاغتراب في الوطن، وتحول إلى ساحة صراع بين الذاكرة والواقع؛ لأن الهجرة من الوطن وحلم العودة سهم يتحرك في اتجاهين متعاكسين ، ولكن من فرضية واحدة وهي الوطن ونحو هدف واحد وهو التماثل فيه ، لأن الاغتراب عن الأرض سبيل للانتماء على الصعيد النفسي والاجتماعي ، بحيث يظهر الوطن على صورة النهر ، أشجار النخيل . والقرية والمدينة ، وهما رمزان معادلان للوطن العظيم ، ورغبة جامحة في العودة إليه والالتزام به . السماوة ، بحسب يحيى السماوي ، اتخذت شكل حلم أو رمز . بالنسبة له ، المدينة ليست نقلاً للرؤى الاجتماعية والتفاصيل اليومية ، بل هي ارتفاع إلى مستوى الرمز الأسطوري الذي يعطي القصيدة نغمة عاطفية خاصة . لا شيء أحلى منه .

٢- اعتمد تقنية القناع والرمز الأسطوري على محاولة التعرف على النصوص والتفاعل معها ومزجها بدلاً من محاولة حل الحدود التي تفصل بينها ، حيث يتم توظيف هذه النصوص وحلها في نصه الشعري كعمل فني يجسد فرداً مميزاً . لحظة في أوجها وثنائها ، وهذه اللحظة مرتبطة رغم تفردا بتيار لحظات فردية أخرى .

٣- تميزت قصائد السماوي بأنها أشعار مركبة ، أي أنها تحتوي على أكثر من هدف في وقت كان للقصيدة بعد شعري واحد . كحالة النفي والشكوى من الموقف والزمن ، ولم تكن أشعاره الدينية سوى

مفارقة مجازية بين الماضي والحاضر ، وتشكلت وطنيته لنا في أكثر من شكل ، ولم يكن معالجته لمشاكل المجتمع إلا صورة . متنفسا لمشاعره الغائمة في ضميره العميق.

٤-حضرت المرجعية الأسطورية في شعر السماوي بكثرة، على اختلاف تلك المرجعية، فتارة تكون من الادب اليوناني، وتارة من الإغريقي، وتارة أخرى من الأدب العربي الجاهلي، وتارة من الإسلامي، وتارة من الادب الفارسي، فدل ذلك على كثرة اطلاعه وسعة ثقافته .

٥-اتخذ الشاعر من الأسطورة حالة من القناع والرمز للتعبير عن حالة من التضيق على المثقفين، وكبت حرية الرأي، وحالة من الظلم والقهر والاستبداد الاجتماعي.

الهوامش:

(١) ينظر : دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى : ٤٧١ هـ)، المحقق : محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر : مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة : الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م، (١/٢٥٤، ٢٥٥) .

(٢) ينظر : في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، الناشر : مكتبة دار التراث، الطبعة : طبعة دار التراث الأول، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م (ص ٤٤٩)، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، علي علي صبح، الناشر : دار إحياء الكتب العربية (ب ط) (ب ت) (ص ٥٤، ٥٥) .

(٣) ينظر : الرواية السياسية، طه وادي، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان . القاهرة ٢٠٠٣ . ص ٥٥

(٤) ينظر : دراسات في الرواية العربية، سمعان، إنجيل بطرس، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٧ . (ص ٨) .

(٥) ينظر : النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، (ص ٤٩٨) .

(٦) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د . محمد فتوح أحمد، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢، ١٩٧٨م، ص ٣٠٨ .

(٧) جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل ، مركز البحث والانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر عاصمة للثقافة العربية، ص ١١٧ .

- ٨ (الواقعية، عدنان صادق، مجلة الآداب، مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر العدد الثامن ، اب (اغسطس) ، السنة الثالثة عشر، ١٩٦٥ ، ص ٧٠ .
- (٩) ينظر : سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة، د . عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠١، ص ٧٨٢: .
- (١٠) النقد الأدبي الحديث، د . محمد غنيمي هلال، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د . ت، ص ٣٩٥ .
- (١١) (مجاني الشعر العربي الحديث ومدارسه، د .صادق خورشيا . مؤسسة سمت ، ط١ ، ٢٠٠٣ ص ٢١٠
- (١٢) (ينظر : الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك والبياتي) ، محمد علي الكندي، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ ص ٢٢
- (١٣) ينظر : في البحث عن لؤلؤة المستحيل، سيد البحراوي، دار الفارابي ، ط١ ، ١٩٨٨، ص ٤٧
- (١٤) (الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د .محمد فتوح احمد، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٤، ص ١٠٣
- (١٥) (الصورة الأدبية، د . مصطفى ناصف ، دار الاندلس ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص ١٥٧
- (١٦) (فراديس إينانا، (ص : ٥) .
- (١٧) (الشعر العربي المعاصر، د . عزالدين اسماعيل، دار العودة، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٣ . ص ١٩٥
- (١٨) (فراديس إينانا، (ص : ٩) .
- (١٩) (الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د . جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣، ص ١٢١
- (٢٠) (فراديس إينانا، (ص : ١٠) .
- (٢١) (فراديس إينانا، (ص : ٤٧) .
- (٢٢) (فراديس إينانا، (ص : ٥٣)
- (٢٣) (فراديس إينانا، (ص : ٩١)
- (٢٤) (فراديس إينانا، (ص : ١٠٢) .
- (٢٥) (القناع في الشعر العربي الحديث دراسة في النظرية والتطبيق ، د . سامح الرواشدة ، مطبعة كنعان، إربد - الأردن، جامعة مؤتة، ط١ ، ٥٩٩١م ، ص ٧

- (٢٦) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى : ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٣ - ١٤١٤ هـ، ج ٨، ص ٣٠٠ .
- (٢٧) القناع في الشعر العربي الحديث، دراسة في النظرية والتطبيق ، ص ٧
- (٢٨) استدعاء الشخصيات الدراسية في الشعر العربي المعاصر ، د .علي عشري زايد ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٧ ، ص ٣٧
- (٢٩) فراديس إينانا، (ص : ١١ - ١٢) .
- (٣٠) فراديس إينانا، (ص : ٢٤) .
- (٣١) ينظر : في البحث عن لؤلؤة المستحيل، سيد البحراني : ٤٧
- (٣٢) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح احمد : ١٠٣
- (٣٣) فراديس إينانا، (ص : ٣٩) .
- (٣٤) الشعر العربي المعاصر، عزالدين اسماعيل : ١٩٥
- (٣٥) فراديس إينانا، (ص : ٤٧) .
- (٣٦) ينظر : الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل : ١٩٨
- (٣٧) الصورة الأدبية ، د . مصطفى ناصف : ١٧٠
- (٣٨) ينظر : الشعر والدين فاعلية الرمز الديني المقدس في الشعر العربي، كامل فرحان صالح : ٢٤
- (٣٩) فراديس إينانا، (ص : ٦٨) .
- (٤٠) فراديس إينانا، (ص : ٨٦) .
- (٤١) فراديس إينانا، (ص : ٩٩) .
- (٤٢) فراديس إينانا، (ص : ١٣٨) .
- (٤٣) ينظر: مجمع الامثال، الميداني، تحقيق: محمد محي الدين، دار المعرفة، بيروت، (٣٧٤/٢).

المراجع:

- ١ - أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد بدوي، مصر : نهضة مصر، (١٩٩٦) . (ط ١) .
- ٢ - الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي، طرابلس الغرب : الدار العربية للكتاب، (لا ت .) . (ط ٣) .

- ٣ - الأسلوبية، مولينيه، جورج تر . بسام بركة . بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (١٩٩٩) . (ط ١) .
- ٤ - الأسلوبية في النقد العربي الحديث : دراسة في تحليل الخطاب، فرحان بدري الحربي، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (٢٠٠٣) . (ط ١) .
- ٥ - الأسلوبية ببير جبرو، تر : منذر عياشي . حلب، سوريا : مركز الإنماء الحضاري، (١٩٩٤) . (ط ١) .
- ٦ - الأصول الدرامية في الشعر العربي، جلال الخياط، بغداد : دار رشيد للنشر، (١٩٨٢) .
- ٧ - البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها . عبد الله الميداني، دمشق : دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع (١٩٩٦) .
- ٨ - بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكويني البديعي، محمد عبد المطلب، القاهرة : دار المعارف، (١٩٩٥) . (ط ٢)
- ٩ - البناء الدرامي، عبد العزيز حمودة، الإسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٩٨) . (لا ط .) .
- ١٠ - دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١ هـ)، المحقق : محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر : مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة : الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- ١١ - في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، الناشر : مكتبة دار التراث، الطبعة : طبعة دار التراث الأول، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م
- ١٢ - الصورة الأدبية تاريخ ونقد، علي علي صبح، الناشر : دار إحياء الكتب العربية (ب ط) (ب ت) .
- ١٣ - الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د . محمد فتوح أحمد، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٨م، ص٣٠٨ .
- ١٤ - الأدب الجزائري الجديد، جعفر يايوش، التجربة والمآل ، مركز البحث والانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر عاصمة للثقافة العربية، ص ١١٧ .
- الواقعية، عدنان صادق، مجلة الآداب، مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر العدد الثامن ، اب (اغسطس) ، السنة الثالثة عشر، ١٩٦٥ .
- ١٥ - سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة، د . عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠١، ص: ٧٨٢
- ١٦ - النقد الأدبي الحديث، د . محمد غنيمي هلال، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د . ت، ص٣٩٥ .
- ١٧ - مجاني الشعر العربي الحديث ومدارسه، د . صادق خورشيا . مؤسسة سمت ، ط١ ، ٢٠٠٣ ص ٢١٠

- ١٨ - الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك والبياتي) ، محمد علي الكندي، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٠ .
- ١٩ - في البحث عن لؤلؤة المستحيل، سيد البحراوي، دار الفارابي ، ط١ ، ١٩٨٨، ص ٤٧
- ٢٠ - الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د .محمد فتوح احمد، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٤ .
- ٢١ - الصورة الأدبية، د . مصطفى ناصف ، دار الاندلس ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص ١٥٧
- ٢٢ - الشعر العربي المعاصر، د . عزالدين اسماعيل، دار العودة، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٣ . ص ١٩٥
- ٢٣ - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د . جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١٩٨٣، ٢، ص ١٢١
- ٢٤ - قصيدة الحرب الحديثة في العراق، طراد الكبيسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٧ .
- ٢٥ - القناع في الشعر العربي الحديث دراسة في النظرية والتطبيق ، د . سامح الرواشدة ، مطبعة كنعان، إربد - الأردن، جامعة مؤتة، ط١ ، ٥٩٩١ م .
- ٢٦ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى : ٧١١ هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣ - ١٤١٤ هـ .
- ٢٧ - القناع في الشعر العربي الحديث، دراسة في النظرية والتطبيق ، ص ٧
- ٢٨ - استدعاء الشخصيات الدرامية في الشعر العربي المعاصر ، د .علي عشري زايد ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٧ .
- ٢٩ - الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل : ١٩٨٠
- ٣٠ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)
- ٣١ - الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، الشيخ يوسف البديعي (ت ١٠٧٣ هـ) ، تحقيق وتعليق : مصطفى السقا و محمد شتا وعبد زياده عبده ، دار المعارف بمصر ، ذخائر العرب (٣٦) ، ١٩٦٣ م .
- ٣٢ - الرواية السياسية، طه وادي، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان . القاهرة ٢٠٠٣ .
- ٣٣ - دراسات في الرواية العربية، سمعان، إنجيل بطرس، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٧ .
- ٣٤ - النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، (ص ٤٩٨) .
- ٣٥ - الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د . محمد فتوح أحمد، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٨ م .

- ٣٦- قراءة الآخر _ قراءة الأنا : حسن البنا عزّ الدين ، نظرية التلقّي وتطبيقاتها في النقد العربي المعاصر ، ط١ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ .
- ٣٧- مفهوم القارئ وفعل القراءة في النقد الأدبي الحديث محمد خرماش ، : مجلة الأقلام ، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، عدد (٥) ، ١٩٩٩م.
- ٣٨- هانس روبرت يابوس ، جمالية التلقي ، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي ، تر : رشيد بنحدو ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .
- ٣٩- جماليات التلقّي ، سامي إسماعيل ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٢ .
- ٤٠- من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، عبد الكريم شرفي ، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة ، ط١ ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠٠٧ .
- ٤١- الشعرية ، تزفيتان تودوروف ، تر : شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، ط٢ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٠ .
- ٤٢- نظرية التلقّي: روبرت هولب ، مقدّمة نقدية ، تر : عزّ الدين إسماعيل ، ط١ ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
- ٤٣- دور الكلمة في اللغة: أولمان ، ترجمة : كمال محمد بشر ، مكتبة الشاب ، ط : ١ .

دور الدعاوى القضائية في حل النزاعات التعويضية

بحث تطبيقي في شركة التأمين العراقية العامة

م.د. وفاء حسين الحيدري

الباحث عمر عدنان محمود

المعهد العالي للدراسات المحاسبية والمالية/ جامعة بغداد

المقدمة:

إن التعويض منها تعددت صور تطبيقه واجراءاته هو المحصلة النهائية للعملية التأمينية بعد تحقق الخطر المؤمن منه وتنشأ الخلافات بين المؤمن له والمؤمن (شركة التأمين) عند وقوع الخطر وعدم تعويض المؤمن له وتتطور هذه الخلافات التعويضية الى دعاوى قضائية يرفعها المؤمن له ضد شركة التأمين. ويهدف البحث الى التعرف على دور الدعاوى القضائية على شركات التأمين في حل النزاعات التعويضية , إذ يفترض البحث وجود دور بين الدعاوى القضائية كمتغير مستقل وبين النزاعات التعويضية (التعويضات) كمتغير تابع , واتخذ الباحث من شركة التأمين العراقية العامة عينة البحث كونها تعد شركة تأمين حكومية تم تأسيسها في خمسينيات القرن الماضي, ولديها باع طويل في ممارسة نشاط التأمين , وتم تحديد مدة البحث بالمدة (٢٠٠٩-٢٠١٩) واعتمد الباحث على البيانات المستخرجة من السجلات. أولاً: منهجية البحث:

١- مشكلة البحث:

تعد شركات التأمين واحدة من اهم المؤسسات المالية التي يكون نشاطها الاساسي هو تقديم الخدمة التأمينية بمختلف اشكالها الى جمهور المؤمن لهم اذ يمثل الهدف الاساس من العملية التأمينية هو التعويض لكن تحصل هناك بعض الاشكالات بين الطرفين وتحديدًا عند التعويض اذ يلجأ فيها المؤمن له

او المستفيد الى اقامة الدعاوى القضائية ضد شركة التأمين وهذا الامر هو بحد ذاته مشكلة فضلا عن ذلك قلة الدراسات النظرية في ذلك المجال وبالإمكان صياغة المشكلة بالتساؤلات الآتية :

١. هل للقسم القانوني دور في كسب وخسارة الدعاوى القضائية ؟

٢. للكشف الاولي والنهائي دور في كسب او خسارة الدعاوى القضائية ؟

٢- أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على الدعاوى القضائية المقامة ضد شركات التأمين من قبل المؤمن لهم او المستفيدين

٣- أهداف البحث:

يهدف البحث الى تحقيق الآتي :

١. التعرف على الدعاوى القضائية المقامة ضد شركات التأمين.

٢. التعرف على الاسباب التي تؤدي بالمؤمن له اللجوء الى المحاكم.

٣. افادة الباحثين والدارسين في مجال التأمين التعويضات وكسب الدعاوى القضائية.

٤. تشخيص الرؤية القانونية لدى الشركة ومدى انسجامها مع الواقع العملي.

١-٤- فرضيات البحث:

استنادا الى مشكلة البحث بالإمكان صياغة الفرضيات الرئيسة الآتية:

١. اعتماد شركة التأمين على الوساطة و المفاوضات لتلافي الدعاوى القضائية.

٢. اعتماد شركة التأمين على التحكيم لتلافي الدعاوى القضائية .

٣. دور القسم القانوني في كسب الدعاوى القضائية وتحقيق الوفورات مقابل خسارة الدعاوى القضائية .

١-٥- حدود البحث:

١. الحدود المكانية: تتمثل عينة البحث بشركة التأمين العراقية العامة .

٢. الحدود الزمانية : من العام ٢٠٠٩ ولغاية العام ٢٠١٩.

ثانياً: الإطار النظري للبحث:

١- مفهوم مبدأ التعويض

يعد مبدأ التعويض من أهم مبادئ التأمين القانونية وهو الهدف الاساس من التأمين والذي يقضي بوضع المؤمن له بعد وقوع الحادث المؤمن منه في المركز المالي نفسه الذي كان عليه قبل وقوع الضرر مباشرة بشرط ان لا يتعارض ذلك مع الشروط والقيود الواردة في عقد التأمين (نيشوري, ٢٠٠٥: ٦) ويرى (Campbell, 2000,42) بأن مبدأ التعويض يسعى الى جبر الضرر الذي يصيب المؤمن له وينبغي ان يؤخذ بحذر، وان يكون هناك ثمة ضمانات حتى لا يتحول التأمين الى اداة للأثراء فهناك قاعدة يجب ان يضعها مسوي التعويض نصب عينه "لا ثراء على حساب التأمين" كما يرى (Tetten born, 2003: 3) انه في القانون الانكليزي يمثل التعويض مبلغ من النقود تحكم فيه المحكمة للمتضرر فيما يتعلق بالخطأ المرتكب ضد المدعي عن طريق المدعي عليه لغرض تعويض المدعي عن ذلك الضرر بعد ان يقيم الحجة بالضرر الذي لحقه .

الجدول (١) تعريف التعويض

ت	المصدر	التعريف	الجانب
١	(ابن منظور, ١٩٩٣: ١٩٢)	" البذل وجمعها اعواض نقول: عضت فلانا أو عوضته واعظته اي اعطيته بدل ما ذهب منه "	اللغة
٢	(داغي, ٢٠٠٩: ٨)	" دفع ما هو واجب من بدل مالي بسبب إلحاق ضرر بالغير وبذلك فهو اشم من الديات التي هي دفع الزاما مقدراً عند الاعتداء على النفس أو على الإنسان "	اصطلاحاً
٣	(ادورانتى, ٢٠٠٦: ١٥)	" العوض المالي او العيني الذي يؤدي مقابل ضرر يصيب الانسان في جسمه او ماله "	

٤	القانون المدني العراقي المادة (٩٨٩)	" يلتزم المؤمن بتعويض المستفيد عن الضرر الناشئ من وقوع الخطر المؤمن ضده على الا يتجاوز ذلك قيمة التأمين "	القانون
٥	(عبد الباقي البكري واخرون, ٢٠١٥: ٢٤٤)	" وسيلة القضاء لجبر الضرر , محوا او تخفيفا "	
٦	(23:2000, Mishra)	" تتعهد شركة التأمين بوضع المؤمن له في حالة الخسارة في المركز المالي نفسه الذي كان يشغله قبل حدوث الخسارة "	
٧	(جورج ريجدا, ٢٠٠٦: ١٤٦)	" اقرار المؤمن على دفع مبلغ لا يتعدى المبلغ الفعلي للخسارة , بشكل مختلف , ولا يجب ان يحقق المؤمن له ربحا من الخسارة . "	التأمين
٨	(علوان واخرون, ٢٠١٥: ٩٥)	" دفع مبلغ التأمين او قيمة الخسارة وقت وقوع الضرر ايها اقل من قبل المؤمن الى المؤمن له او المستفيد وبالتالي محاولة اعادة المؤمن له الى الحالة التي كان عليها قبل وقوع الضرر على ان لا يكون هناك اثر على حساب التأمين "	

المصدر : اعداد الباحث بالاستناد الى المصادر المؤشرة ازاء كل منهم

٢- تسوية الخسائر

تعد تسوية الخسائر والبت في موضوع التعويض من اهم المخاطر التي تتعرض لها شركات التأمين اذ تشكل ابرز منافذ النفقات في تلك الشركة والعامل الاكثر تأثرا في معدل الخسارة (bessi,2009:55) ومن الجدير بالذكر ان جميع الاجراءات التي تقوم بها شركات التأمين في تسوية الخسائر لا يعد اقراراً منها او اعترافاً باستحقاق المؤمن له للتعويض فان اجراءات الكشف الموقعي على الحادث وتحديد الخسائر يفيد في استكمال ظروف الحادث وبعدها تخضع الى دراسة ومطابقة الظروف المحيطة بالحادث ومقارنتها مع الشروط والاحكام والنصوص والاستثناءات المثبتة في وثيقة التأمين واية تظاهرات تم الالحاق بها (البلداوي و العنبيكي ٢٠٢٠: ٤١٠) ان شركات التأمين تواجه العديد من المعوقات في

الجانب العملي عند تسوية الخسائر وتقدير حجم التعويض في وثائق التأمين اذ أن تطبيق مبدأ التعويض على العقود التأمينية ذات الصلة التعويضية ليس بالأمر الهين واليسير لكون شركة التأمين تتعامل في أكثر الاحيان مع مؤمن لهم يميلون الى المبالغة في تقدير قيمة الخسائر والاضرار واحيانا اخرى تصل الى تقديم طلبات تعويضية تأخذ أبعادا وأساليباً متنوعة (عريقات وعقل , ٢٠١٠ : ٨٨).

٣- نشوء الخلافات التعويضية

ان هناك عدة اسباب تؤدي الى نشوء خلافات في مرحلة التعويض وكما مبين في ادناه (حسنه ٢٠١١ : ٣٥) , (عبد العزيز ٢٠٠٦ : ٤) , (فالح ٢٠١٣ : ٧٩) , (الجبوري ٢٠١٣ : ٩٧) :

١. يكون سلوك الافراد الزبائن المؤمنين على ممتلكاتهم ليس بنفس الدرجة من الحرص والاهتمام مقارنة بالأفراد غير المؤمنين على ممتلكاتهم وهو ما يطلق عليه مصطلح الخطر المعنوي وهذا الاجراء او التصرف قد يخلق خلاف عند احتساب التعويض بين شركة التأمين والمؤمن له عند تحقق الخطر.

٢. التواطؤ مع صاحب العمل عندما تحدث الاصابة خارج نطاق العمل وفي غير ساعات العمل الرسمية فعادة ما يقوم صاحب العمل او من ينوب عنه باستخراج كتاب يفيد ان العامل كان في مهمة رسمية تخص العمل وبتكليف مسبق من صاحب العمل مما يولد خلاف كبير بين الشركة والمؤمن له.

٣. الغش والاحتيال تتعرض شركة التأمين إلى درجة خطورة عالية من الغش ويرجع هذا إلى طبيعة التأمين كخدمة فضلا عن العوامل الأخلاقية كعنصر هام في التأمين اذ قد يساء استخدام التأمين وقد يكون الغش في طلب التأمين , قيمة المطالبة , استحقاق المطالبة من عدمه.

٤. طرق الاحتيال الشائعة في التأمين الصحي مثل ادعاء الاعاقة.

٥. عند الاكتتاب يزور المؤمن له القيمة الحقيقية للشيء المؤمن عليه وتقديم معلومات خاطئة عنه.

٦. الوكلاء : يعد الوكيل حلقة الوصل بين الزبون وشركة التأمين فعادة ما تباع الخدمة ولا تشتري وعلى الوكيل ان يبين ما قد يتعرض له الزبون من اخطار في نفسه او ممتلكاته وتحمل شركة التأمين المتمثلة

بالوكيل او المنتج توصيل هذه الخدمة وبأسلوب يقنع الزبون بأهمية ما يعرض عليه من منتجات التأمين تجعله يثق فيه وبالخدمة المقدمة.

٧. قيام موظفي التعويضات ببعض الممارسات السلبية في التعامل مع المؤمن له عند اجراء عملية التسوية مما يترك اثرا سيئا لدى المؤمن له واحيانا قد لا يفهم موظفي التعويضات الحقوق والالتزامات لحامل الوثيقة وهذه مسؤولية الادارة العليا في توضيح مسؤوليات وواجبات كل طرف من اطراف العملية التأمينية.

٨. قيام شركات التأمين في بعض الاحيان بالمغامرة في التأمين على بعض الأخطار الكوارثية وهي بذلك لا تبالي لحجم مبلغ التعويضات التي قد تكون مسؤولة عنها إذا ما حصلت بعض الأزمات المالية أو حدوث اعمال شغب .

يرى الباحثان ان العلاقة التي تشوبها بعض هذه الممارسات سوف تؤثر على العملية التعويضية حال تحققها وبالتالي سوف تؤثر بالمجمل على سمعة الشركة مما يتولد عنها خلافات في المراحل التعويضية قد تجبر الشركة بواسطة القضاء على دفع تعويضات هي غير ملزمة او غير مسؤولة عنها لذا يجب على الادارة العليا في شركات التأمين تسليط الضوء عل تلك الامور التي قد تكون صغيرة في بادئ الامر ولكن تتفاقم بشكل كارثي بالنسبة لسمعة الشركة او لمركزها المالي .

وأن تلك المعوقات والاسباب التي تواجه شركات التأمين ينجم عنها خلافات تعويضية بين شركات التأمين والمؤمن له وكما مبين ادناه (العنكي و البلداوي , ١٩٩٣ : ٧٧):

١. رفض شركة التأمين دفع مبلغ التعويض بالكامل الى المؤمن له عن الاضرار التي اصابته الاموال المؤمن عليها لاعتقادها بعدم مسؤوليته بسبب اخلال من قبل المؤمن له او ان السبب المباشر في احداث الخطر مستثنى في الوثيقة .

٢. اقرار شركة التامين بدفع مبلغ تعويض اقل من المبلغ المطالب به واستنادا الى تقديرات خبراء تسوية الخسائر .

٣. رفض المؤمن له استلام التعويض المدفوع له من قبل شركة التامين على سبيل المجاملة (الدفع دون الزام) لفنائة المؤمن (شركة التامين) بعدم احقية المؤمن له بالتعويض .

٤- الدعاوى القضائية على شركة التامين

يلجأ المؤمن له الى رفع دعوى قضائية ضد شركة التامين امام المحاكم بعد استنفاد كافة السبل في حل الخلافات التعويضية وان القانون حدد حقوق كل فرد من افراد الشعب اتجاه باقي الافراد والمؤسسات الخاصة منها والعام كما حدد السبل التي بفضلها يستطيع ان يجبر غيره على احترام تلك الحقوق اذ بين كيفية التقاضي امام المحاكم (العلام ، ٢٠٠٩ : ٧) وان الدعوى حسب المفهوم العام هي قيام شخص بمطالبة شخصا اخر بحق يدعي به (الربيعي ، ٢٠٠٦ : ٧) ومفهومها اللغوي هي اسم من الادعاء وهو المصدر أي اسم لما يدعي وتجمع دعاوى بكسر الواو وفتحها ، والادعاء من باب الافتعال وثلاثية ادعى (ادعى يدعي ادعاءً) وهو اسم لما يدعي (ادعيت الشيء :زعمته لي) حقا كان ام باطلا (النداوي ، ٢٠١٥ : ١٠٦) وان مفردة الدعوى عرفت مجلة الاحكام العدلية بانها "طلب شخص حقه من اخر امام القضاء " كما بين الفقهاء القدماء ان الدعوى هي "سلطة الالتجاء الى القضاء بقصد الحصول على تقرير حق او لحمايته " او هي " سلطة الالتجاء الى القضاء بقصد الوصول الى احترام القانون " (ابو الوفا ، ١٩٥٤ : ٥٠٧) .

كما عرفت الدعوى بانها " وسيلة قانونية يتوجه بها الشخص الى القضاء للحصول على تقرير حق له او حمايته او تمكينه من الانتفاع به او تعويضه من هذا الانتفاع " (العلام ، ٢٠٠٩ : ٣٣) .
يتضح من التعاريف اعلاه ان الدعوى تمتاز بالاتي (ابو الوفا ، ١٩٥٤ : ٥٠٨ - ٥٠٩) :
أ- وسيلة كفلها القانون يلجأ بمقتضاها صاحب الحق الى السلطة القضائية .

ب- الوسيلة الحديثة التي استعان بها للانتقام الفردي ففي العهود القديمة للمجتمعات كانت القوة تحمي الحق اما في العصور الحديثة فالأصل انه لا يجوز لأي شخص حماية حقه بنفسه الا في حالات استثنائية اباح بها المشرع بالنسبة لحق الحبس وحق الدفاع الشرعي.

ت- استعمالها امر اختياري أي رخصة لصاحب الحق فله الحرية في اللجوء الى القضاء من عدمه للمطالبة بحقه.

ان المشرع العراقي اقتبس تعريف الدعوى من المادة ١٦١٣ من مجلة الاحكام العدلية حيث نصت المادة (٢) من قانون اصول المحاكمات المدنية العراقي رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ " الدعوى طلب شخص حقه من اخر امام القضاء " والدعوى حسب ما ورد في التعريف انف الذكر استندت الى ثلاثة عناصر هي (المحمود، ٢٠٠٩: ١٠) :

أ- ان تكون بطلب تحريري فلا يجوز ان يكون الطلب شفاها.

ب- ان يكون الطلب المقدم منصبا على حق ينص عليه القانون فإذا خلت الدعوى من هذا الركن ترد الدعوى أي يرفض النظر فيها.

ت- ان يكون هذا الطلب موجه الى القضاء .

وهناك ثلاثة اطراف في دعوى التعويض متمثلين بالاتي :

١. المدعي: هو من طلب اقامة الدعوى سواء كان شخصا طبيعيا واحد او اكثر او شخصية معنوية وعرفه الفقهاء هو الذي اذا ترك الخصومة لا يجبر على طلب الحق (العلام، ٢٠٠٨: ٣٥) وان المدعي او وكيله هو الذي من يطلب التعويض , فلا يجوز من غير المضرور المطالبة بالتعويض وعليه فان الدعوى بالنسبة للمدعى تعني حق عرض ادعاء قانوني على القضاء (السنهوري، ٢٠٠٠: ١٠٨٣) .

٢. المدعى عليه: هو من تقام عليه الدعوى والمطلوب الحكم عليه سواء كان شخصا طبيعيا او شخصية معنوية وعرفه الفقهاء هو الذي اذا ترك الدعوى لا يترك , وان صفة المدعى عليه لا تتغير في اصل

الدعوى حتى وإن أحدث دعوى على المدعي فإن الدعوى المقامة أصلاً لا تبطل صفتها ويطلق عليها دعاوى المدعي عليه وعليه فإن الدعوى تعني بالنسبة للمدعي عليه حق مناقشة مدى تأسيس ادعاءات المدعي (العلام، ٢٠٠٨: ٣٥).

٣. المدعى به: هو الأمر المطلوب القضاء به على المدعي عليه حيث يكون الزاماً بدفع مبلغ من النقود وعليه يترتب على المحكمة التزاماً بإصدار حكم في موضوع الادعاء بقبوله أو رفضه والادعاء هو تأكيد المدعي لحقه أو مركزه القانوني في مواجهة شخص آخر بناء على واقعة قانونية معينة ، وبذلك تختلف الدعوى القضائية عن المراكز القانونية المختلفة (العلام، ٢٠٠٨: ٣٥).

يرى الباحث بأن أطراف الدعوى المذكور في أعلاه هي من وجهة نظر القضاء والقانون ولو نظرنا إليها من وجهة نظر تأمينية نجد أن المدعي هو المؤمن له بصفته شخصاً مستقلاً بذاته أو شخصية معنوية ، والمدعى عليه يمثل المؤمن (شركة التأمين) والمدعى به هو التعويض المطالب به من قبل المؤمن له. ويلاحظ أن هناك شروط لإقامة الدعوى القضائية نصت عليها المواد (الثانية والثالثة والرابعة والسادسة) من قانون أصول المحاكمات المدنية رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ حيث نصت هذه المواد على الشروط الأساسية الواجب توافرها في كل دعوة تقام أمام القضاء وهي (وجود الحق ، اهلية التقاضي ، الخصومة ، المصلحة) وعلى المحكمة التأكد من توافرها مجتمعة في الدعوى قبل الخوض في تفاصيلها فإذا نقصت إحدى تلك الشروط فعلى المحكمة رد الدعوى شكلاً (المحمود، ٢٠٠٩: ١١) و فضلاً عن الشروط الأساسية أضاف فقهاء القانون شروط أخرى تمثل الشرط الأول بعدم صدور حكم سابق في موضوع الدعوى إذ أن هذا الشرط يأتي منسجم مع مبدأ حجية الشيء المحكوم به وأنه من موانع رفع الدعوى وجاء الشرط الثاني بضرورة الالتزام بالمدد القانونية التي حددها القانون في رفع الدعوى القضائية إذ أن المدد القانونية في رفع الدعاوى والنظر فيها من قبل القضاء يعد من الأمور المهمة حيث ترد الدعاوى في حال رفعت قبل المدة أو بعدها وإيضاً جاء في الشرط الثالث بعدم وجود تحكيم متفق عليه مسبقاً في موضوع

النزاع ان التحكيم والاتفاق عليه من قبل طرفي العقد لا ينزع الاختصاص من المحكمة الا ان موضوع التحكيم يمنع المحكمة من سماع الدعوى مادام هذا الشرط قائما الا في حالة استنفاد طرق التحكيم كافة واخيرا عدم الصلح بين اطراف الخصوم بشأن النزاع في موضوع الدعوى اذ يعد الصلح في القانون هو عقد يلغي النزاع ويقطع الخصومة وعليه اذا اتفق الخصوم على الصلح فلا وجود للدعوى ويكون المدعي قد اثبت مديونية المدعي عليه بنفس الصفة التي ثبت له في مبلغ التعويض المثبت في العقد موضوع المصالحة (العبودي, ٢٠٠٧ : ٢٠٠ - ٢٠١).

يرى الباحثان ان الشروط الاساسية لإقامة الدعوى القضائية كأصل عام تنطبق على كافة الخلافات التي تحصل بين اطراف النزاع وعند تطبيق تلك الشروط على التأمين نجد تطابق تفاصيلها وكالاتي :

- أ- لا يجوز للمؤمن له رفع دعوى قضائية على المؤمن في حال وجود حكم سابق .
- ب- الالتزام بالمدد القانونية المنصوص عليها قانونا فيما يخص الخلافات التعويضية فلا يسمح للمؤمن له بإقامة الدعوى القضائية بعد انقضاء المدد القانونية .
- ت- تحرص المحاكم بعدم اصدار حكم قبل استكمال اجراءات التحكيم .
- ث- في حال تصالح الطرفين وتم توثيق الصلح فان المحكمة ترفض النظر في الدعوى .

٥- انواع دعاوى التعويض

تعرف دعاوى التعويض بأنها " وسيلة قضائية يستطيع بها المتضرر الحصول على التعويض الذي اصابه اذا لم يسلم به قانونا عن طريق دعوى ضد شركة التأمين " (الطباخ, ٢٠٠٧ : ١٣) ان التقادم في معناه العام هو مضي فترة زمنية يحددها القانون على امر ما يترتب عليه فقدان صاحب الحق الحماية القانونية لحقه وان تلك الحماية للحقوق تتمثل في المباشرة بإقامة الدعوى القضائية (هارون , ٢٠١٥ : ٢١٥) وهنا يوجد نوعان من دعاوى التعويض وكما يأتي :

أولاً: دعاوى التعويض الناشئة عن عقد التأمين ويقصد تلك الدعاوى التي وجد سببها في العلاقات العقدية بين المؤمن والمؤمن له وتعد دعاوى المؤمن له بالمطالبة بمبلغ التأمين او مبلغ التعويض من الدعاوى الناشئة عن عقد التأمين (جلال , ١٩٩٤ : ٩٣١) اذ ان اخلال المؤمن بالتزامه في سداد مبلغ التأمين من خلال التأخر في السداد او انكار حق المؤمن له في مبلغ التأمين فيكفي ان يقوم المؤمن له باللجوء للقضاء لأثبات حقه في مبلغ التأمين فاذا اثبت ذلك كان له الحصول على مبلغ التأمين (لطفى , ٢٠١١ : ٣١٦) وان المعيار المطبق للفرقة بين الدعاوى موضوع النزاع او المطالبة القضائية هو المعيار الواجب النظر اليه للتعرف على طبيعة النزاع وهل يعتبر ناشئاً عن عقد التأمين من عدمه فكلما كان النزاع مرتبطاً بتنفيذ التزامات الاطراف التعاقدية فتكون منازعة تأمينية تخضع للتقادم ويبقى النظر في اثبات وجود تلك العلاقة من عدمه مكفولاً لجهة التقاضي لما لها من سلطة تقديرية في المنازعات المعروضة عليها (ابو السعود , ٢٠٠٨ : ٣٢٩) اما بخصوص تقادماها فان المحكمة تمتنع من سماع الدعوى الناشئة عن عقد التأمين بعد مضي فترة من الزمن وذلك حرصاً على استقرار المعاملات وتثبيت المراكز القانونية المتولدة عنها فمن غير المعقول ترك المجال مفتوحاً الى الابد للمطالبة بحق تولد عن هذا العقد بل انه من غير المستحسن اطالة المدة التي يجوز فيها المطالبة بذلك الحق (المصاروة , ٢٠١٠ : ٢٨٩).

حدد المشرع العراقي مدة التقادم من سماع الدعوى الناشئة عن عقد التأمين في الفقرة (١) من المادة (٩٩٠) من القانون المدني العراقي ونصه (تسقط بالتقادم الدعاوى الناشئة عن عقد التأمين بانقضاء ثلاثة سنوات من وقت حدوث الواقعة التي تولد عنها هذه الدعوى) لكن استثنى المشرع في الفقرة (٢) (أ) و (ب) من نفس المادة ونص ما استثناه في الفقرة (أ) (في حال اخفاء بيانات خاصة بالخطر المؤمن منه , او تقديم بيانات غير صحيحة او غير دقيقة عن هذا الخطر الا من اليوم الذي علم فيه المؤمن بذلك) وفي الفقرة (ب) استثنى (في حال وقوع الحادث المؤمن منه الا من اليوم الذي علم فيه ذوو الشأن

بوقوعه) و اضاف المشرع العراقي في المادة (٤٣٧) من نفس القانون ونصه (تتقطع مدة التقادم بالمطالبة القضائية ولو رفعت الدعوى الى محكمة غير مختصة عن غلط مغتفر)

ثانيا : دعاوى التعويض غير الناشئة عن عقد التأمين ويقصد هي تلك الدعاوى التي لا تجد في عقد التأمين مصدرا لها فضلا عن ذلك لا توجد أي رابطة سببية بينها وبين عقد التأمين وتشمل دعاوى المسؤولية المدنية التي يرفعها المضرور على المسؤول (المؤمن له) (ابو عرابي , ٢٠١٦ : ٤٠٧) ويرى (النعيمات , ٢٠٠٥ : ٣١٢) ان المتضرر باستطاعته اقامة دعوى مباشرة على المؤمن في حدود المؤمن عليه ويستمددها من العقد ذاته ويرفعها باسمه ولمصلحته ويستأثر بحصيلتها فلا يزاحمه احد من باقي دائني المؤمن له وذلك لعدم مرورها بذمة المؤمن له وانما تذهب مباشرة الى ذمة المضرور رافع الدعوى وعليه اطلق عليها تسمية الدعوى المباشرة ولها شروط وهي :

١. وجود مدعي من خارج العلاقة العقدية في تأمين المسؤولية وهذا المدعي هو المضرور .
٢. تحقق مسؤولية المؤمن له عن الضرر الذي اصاب المدعي المضرور من مصدر المسؤولية المؤمن

منها

٣. الا يكون هذا المضرور قد حصل على تعويض عما اصابه من ضرر .

ثالثا: الجانب العملي

١- الدعاوى القضائية على شركة التأمين العراقية العامة

يبين الجدول (٢) عدد الدعاوى القضائية المقامة على شركة التأمين العراقية للمدة ٢٠٠٩-٢٠١٩ من قبل المؤمن له وحسب محافظ التأمين.

الجدول (٢) اعداد الدعاوى المقامة على شركة التأمين العراقية

السنة	نوع محفظة التأمين	العدد	عدد القضايا المقامة على شركة التأمين العراقية و المحسومة
-------	-------------------	-------	--

دور الدعاوى القضائية في حل النزاعات التعويضية

٢٠٠٩	حريق	١	٢
	حياة	١	
٢٠١٠	سرقة	١	٣
	حياة	١	
	هندسي	١	
٢٠١١	سرقة	١	٢
	حياة	١	
٢٠١٢	حريق	١	٢
	حياة	١	
٢٠١٣	حريق	١	٢
	هندسي	١	
٢٠١٤	حياة	١	٢
	حريق	١	
٢٠١٥	حريق	٢	٥
	حياة	٢	
	سرقة	١	
٢٠١٦	حياة	٢	٣
	سيارات	١	
٢٠١٧	حياة	٦	٧
	سرقة	١	
٢٠١٨	حياة	٤	٤
٢٠١٩	حياة	٦	٨
	سيارات	١	

دور الدعاوى القضائية في حل النزاعات التعويضية

حريق	١	
المجموع		٤٠

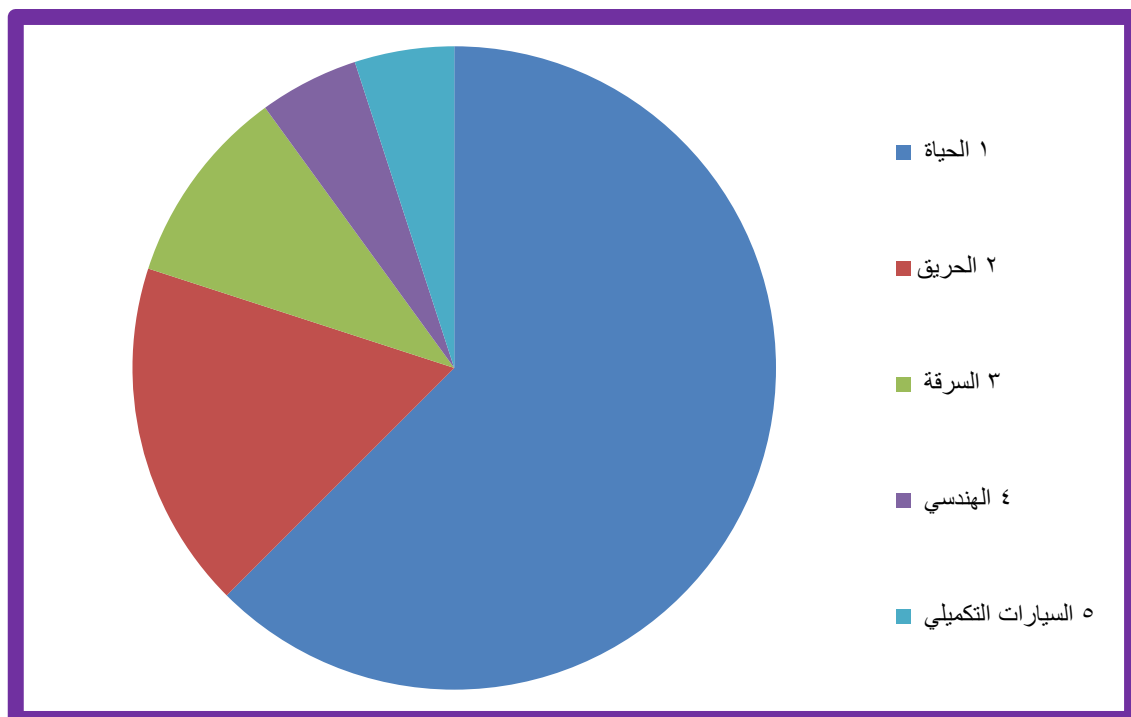
المصدر : اعداد الباحث استنادا الى سجلات الشركة التامين العراقية

كان مجموع الدعاوى القضائية (٤٠) اربعون دعوى وكان نصيب محافظة تامين الحياة في الدعاوى القضائية اعلى من بقية المحافظ وبواقع (٢٥) خمسة وعشرون دعوى قضائية ويبين الجدول (١١) نسبة الدعاوى القضائية لكل محافظة الى مجموع الدعاوى القضائية اذ كانت نسبة محافظة الحياة اعلى جميع المحافظة وبنسبة تمثلت (٦٢,٥%) تليها محافظة الحريق بنسبة (١٧,٥%) .

الجدول (٣) النسبة المئوية لمحافظ التامين

ت	نوع المحافظة	عدد القضايا	النسبة %
١	الحياة	٢٥	٦٢,٥%
٢	الحريق	٧	١٧,٥%
٣	السرقه	٤	١٠%
٤	الهندسي	٢	٥%
٥	السيارات التكميلي	٢	٥%
	المجموع	٤٠	١٠٠%

المصدر : اعداد الباحث



الشكل (١) توزيع النسب المئوية على محافظ التامين

ان احتلال محفظة الحياة اعلى نسبة يعود الى ان النشاط الاساسي لشركة التأمين العراقية هو تأمين الحياة فضلا عن ان محفظة الحياة يكون الاقبال عليها بالتامين كبير نوعا ما اذ لوحظ ان شركة التامين العراقية تقوم بالتامين على حياة المقترضين من المصارف الحكومية لذا فعند وقوع الحادث يلجأ المؤمن له او المستفيد مباشرة الى الشركة للمطالبة بالتعويض لكن عندما يفاجئ بعدم شموله بالتعويض لأسباب مختلفة او عندما يكون مبلغ التعويض اقل من مبلغ التامين يلجأ بحل النزاع التعويضي الى القضاء ومن خلال الزيارات الميدانية المتكررة للشركة تبين ان شركة التامين العراقية لا تعتمد نظام الوساطة في حل الخلافات التعويضية على الرغم من اقراره ضمن قانون التامين رقم ١٠ لسنة ٢٠٠٥ والمنشور في

جريدة الوقائع العراقية اما المفاوضات لا تعتمد على الشركة بصورة اساسية وعليه نثبت الفرضية الفرعية الاولى والتي تنص على (اعتماد شركات التأمين على الوساطة والمفاوضات لتلافي الدعاوى القضائية) لو كانت الشركة تعتمد على الوساطة او المفاوضات عند وقوع الخلافات التعويضية بين طرفي عقد التأمين لكان بالإمكان تجنب الدعاوى القضائية والتقليل من عددها كما بينت الزيارات الميدانية والمقابلات الشخصية للباحث عدم اعتماد الشركة لنظام التحكيم في حل النزاعات التعويضية واللجوء الى القضاء مباشرة مع ملاحظة ان القضاء يعتمد على التحكيم وبذلك يتم اثبات الفرضية الفرعية الثانية (اعتماد شركات التأمين على التحكيم لتلافي الدعاوى القضائية).

لا ينتهي الامر بإقامة دعوى قضائية ضد شركة التأمين وعليه لابد من الوقوف على الدعاوى التي كسبتها والتي خسرتها شركة التأمين ويبين الجدول (٤) عدد الدعاوى القضائية التي كسبتها شركة التأمين العراقية العامة وكانت (٢٤) اربعة وعشرون دعوى من اصل (٤٠) اربعون دعوى قضائية مقامة ضد شركة التأمين العراقية وكان مجموع مبالغها (١,٤١٥,١٣١,٩٩١) دينار وقد حظي عام ٢٠١٥ بأعلى مبلغ (٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دينار اذ شكل نسبة (٤٩٪) من مجموع مبالغ الدعاوى القضائية التي كسبتها الشركة وهذا يرجع الى قوة الحجج والاثباتات القانونية المقدمة الى المحكمة عن الواقعة فضلا عن سلامة الاجراءات التعاقدية مما افضى بعدم ترك اي ثغرة قانونية ينفذ منها الخصم في اثبات عكس ما تم طرحه امام المحكمة وهذا كله يثبت الفرضية الفرعية الثالثة "دور القسم القانوني في كسب الدعاوى القضائية وتحقيق الوفورات"

الجدول (٤) اعداد الدعاوى الرابحة ومبالغها لشركة التأمين العراقية

السنة	مجموع الدعاوى في تلك السنة	عدد الدعاوى الرابحة	مجموع المبالغ الموفرة للشركة	النسبة
٢٠٠٩	٢	٢	٢٢٥,٠٠٠,٠٠٠	١٦٪
٢٠١٠	٣	٢	٣٦,٠٠٠,٠٠٠	٢,٥٪

دور الدعاوى القضائية في حل النزاعات التعويضية

٢٠١١	٢	١	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	% ٢,٣
٢٠١٢	٢	١	٢٠,٠٠٠,٠٠٠	% ١,٥
٢٠١٣	٢	١	٥٠,٠٠٠,٠٠٠	% ٣,٥
٢٠١٤	٢	٢	١٣١,٠٠٠,٠٠٠	% ٩,٣
٢٠١٥	٥	٢	٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠	% ٤٩
٢٠١٦	٣	٢	٣٥,٠٠٠,٠٠٠	% ٢,٤
٢٠١٧	٧	٦	١٠٢,٠٠٠,٠٠٠	% ٧,٣
٢٠١٨	٤	٢	١٥,٥١٣,٣٣٥	% ١,٢
٢٠١٩	٨	٣	٧٠,٦١٨,٦٥٦	% ٥
المجموع	٤٠	٢٤	١,٤١٥,١٣١,٩٩١	% ١٠٠

المصدر : اعداد الباحث استنادا الى سجلات الشركة التامين العراقية

كما يبين الجدول (٥) الدعاوى القضائية التي خسرتها شركة التامين العراقية العامة :

الجدول (٥) اعداد الدعاوى الخاسرة

السنة	مجموع الدعاوى في تلك السنة	عدد الدعاوى الخاسرة	مجموع المبالغ المدفوعة للمؤمن لهم	النسبة
٢٠٠٩	٢	—	—	—
٢٠١٠	٣	١	١٥,٠٠٠,٠٠٠	% ١,٢
٢٠١١	٢	١	٧,٦٥٠,٠٠٠	% ٠,٦
٢٠١٢	٢	١	٧٠,٠٠٠,٠٠٠	% ٥,٨
٢٠١٣	٢	١	١٥٣,٠٠٠,٠٠٠	% ١٣
٢٠١٤	٢	—	—	—
٢٠١٥	٥	٣	٧٤٩,٠١٠,٠٠٠	% ٦٢

دور الدعاوى القضائية في حل النزاعات التعويضية

٢٠١٦	٣	١	٦٢,٥٠٠,٠٠٠	٥,٢ %
٢٠١٧	٧	١	١٧,٠٠٠,٠٠٠	١,٤ %
٢٠١٨	٤	٢	٣٤,٧٨٠,٠٠٠	٢,٨ %
٢٠١٩	٨	٥	٩٥,٣٩٣,١٢٨	٨ %
المجموع	٤٠	١٦	١,٢٠٤,٣٣٣,١٢٨	١٠٠ %

المصدر : اعداد الباحث استنادا لسجلات الشركة

اذ كان مجموع تلك الدعاوى (١٦) ستة عشر دعوى مجموع مبالغها (١,٢٠٤,٣٣٣,١٢٨) دينار وكان اكبر مبلغ تعويض في عام (٢٠١٥) بلغ (٧٤٩,٠١٠,٠٠٠) دينار وشكل نسبة (٦٢%) من مجموع التعويضات التي الزمت المحكمة شركة التأمين بدفعها بناءً على حكم محكمة بعد ان اكتسب درجة البتات واستنفاد القسم القانوني في الشركة كافة طرق الطعن المنصوص عليها قانونا وبالرجوع الى الشركة اذ يتبين ومن خلال المقابلات مع مسؤولي القسم القانوني في شركة التأمين العراقية ان خسارة هذه الدعاوى يرجع الى قصور في الاجراءات التعاقدية المتمثلة بالكشف الاولي والنهائي مما يولد ضعف في الحجج الثبوتية المقدمة الى المحكمة , فضلا عن عدم استخدام شركة التأمين العراقية الى طرق حل النزاع داخل الشركة والمتمثلة بطريقة التفاوض , التحكيم , الوساطة اذ ان اي خلاف ينشأ بين المؤمن له او المستفيد وبين الشركة بخصوص التعويض يلجأ الى القضاء مباشرة .

ويبرز هنا دور القسم القانوني داخل شركة التأمين في كسب الدعاوى القضائية او خسارتها وذلك منذ اللحظة الاولى لإقامة الدعوى القضائية مرورا بجلساتها والدفع التي تقدم من قبل الممثل القانوني والتي تستند الى دراسة حيثيات الحادث الذي تسبب بالخسارة من خلال الاوراق والمستندات ومنها الكشف الاولي والكشف النهائي والتقارير الصادرة من الجهات ذات العلاقة وانتهاءً بالطعون القانونية واكتساب القرار الدرجة القطعية والتي تسمى درجة البتات ويبين الجدول (٦) الفرق بين مجموع مبالغ الدعاوى التي خسرتها الشركة والبالغة (١,٢٠٤,٣٣٣,١٢٨) دينار وبين مجموع مبالغ الدعاوى القضائية التي كسبتها

الشركة (وفورات) بلغ (١,٤١٥,١٣١,٩٩١) دينار وهنا ايضا لا بد من النظر الى مبالغ الدعاوى وطبيعتها وليس الى العدد فقط بالرغم من ان الشركة قد كسبت (٢٤) اربعة وعشرون دعوى مقابل خسارتها (١٦) ستة عشر دعوى

الجدول (٦) الفرق بين مبالغ الدعاوى الرابحة والخاسرة لشركة التامين العراقية

السنة	عدد الدعاوى الرابحة	مجموع المبلغ الموفر للشركة	عدد الدعاوى الخاسرة	مجموع المبالغ المصروفة	الفرق
٢٠٠٩	٢	٢٢٥,٠٠٠,٠٠٠	—	—	٢٢٥,٠٠٠,٠٠٠
٢٠١٠	٢	٣٦,٠٠٠,٠٠٠	١	١٥,٠٠٠,٠٠٠	٢١,٠٠٠,٠٠٠
٢٠١١	١	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	١	٧,٦٥٠,٠٠٠	٢٢,٣٥٠,٠٠٠
٢٠١٢	١	٢٠,٠٠٠,٠٠٠	١	٧٠,٠٠٠,٠٠٠	(٥٠,٠٠٠,٠٠٠)
٢٠١٣	١	٥٠,٠٠٠,٠٠٠	١	١٥٣,٠٠٠,٠٠٠	(١٠٣,٠٠٠,٠٠٠)
٢٠١٤	٢	١٣١,٠٠٠,٠٠٠	—	—	١٣١,٠٠٠,٠٠٠
٢٠١٥	٢	٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٣	٧٤٩,٠١٠,٠٠٠	(٤٩,٠١٠,٠٠٠)
٢٠١٦	٢	٣٥,٠٠٠,٠٠٠	١	٦٢,٥٠٠,٠٠٠	(٢٧,٥٠٠,٠٠٠)
٢٠١٧	٦	١٠٢,٠٠٠,٠٠٠	١	١٧,٠٠٠,٠٠٠	٨٥,٠٠٠,٠٠٠
٢٠١٨	٢	١٥,٥١٣,٣٣٥	٢	٣٤,٧٨٠,٠٠٠	(١٩,٢٦٦,٦٦٥)
٢٠١٩	٣	٧٠,٦١٨,٦٥٦	٥	٩٥,٣٩٣,١٢٨	(٢٤,٧٧٤,٤٧٢)
المجموع	٢٤	١,٤١٥,١٣١,٩٩١	١٦	١,٢٠٤,٣٣٣,١٢٨	٢١٠,٧٩٨,٨٦٣

المصدر : اعداد الباحث استنادا الى سجلات الشركة التامين العراقية

يتضح مما سبق ان القسم القانوني لشركة التامين العراقية وفر للشركة من خلال الفرق بين مجموع المبالغ الدعاوى القضائية التي كسبتها الشركة وبين مجموع مبالغ الدعاوى التي خسرها (٢١٠,٧٩٨,٨٦٣) دينار

وهذا يثبت الفرضية الفرعية الثالثة (دور القسم القانوني في كسب الدعاوى القضائية وتحقيق الوفورات مقابل خسارة الدعاوى القضائية) كما يثبت للباحث بان خسارة الدعاوى القضائية يرجع الى القصور في اجراءات الكشف الاولي والنهائي وفي ذات الوقت كان سببا في كسب دعاوى اخرى الى جانب العوامل المؤثرة الاخرى , ان للكشف الاولي اهمية بالغة والذي يتم عند التعاقد بمعنى ان تقييم موضوع التأمين قد لا يكون صحيحا فضلا عن ان الكشف النهائي عند وقوع الحادث المؤمن ضده قد يكون غير سليم وهذا ما ادى الى الخلافات او النزاعات التعويضية وبذلك يتم اثبات الفرضية الفرعية الرابعة " للكشف الاولي والنهائي في مراحل العملية التأمينية دور في كسب وخسارة الدعاوى القضائية".

الاستنتاجات:

١. وجود دور واضح ومؤثر للكشف الاولي والنهائي في كسب او خسارة الدعاوى القضائية المقامة على شركة التأمين العراقية العامة .
٢. لا يوجد دور لأعداد الدعاوى القضائية في مجمل التعويضات في شركة التأمين الوطنية وشركة التأمين العراقية العامة اذ يجب النظر الى نوع الدعاوى من حيث (كبر حجم مبلغ التأمين ونوع التأمين) فلا يعني اقامة الدعوى دفع مبلغ التعويض.
٣. عدم اعتماد شركة التأمين العراقية العامة على المفاوضات , الوساطة , التحكيم داخل الشركة لحل النزاعات والخلافات التعويضية .

التوصيات:

١. اشراك القسم القانوني في اي خلاف تعويضي لكي تكتمل الصورة من الناحيتين الفنية والقانونية وذلك من شأنه تقليل اللجوء للقضاء .
٢. بناءً على عدم وجود دور لأعداد الدعاوى القضائية في مجمل التعويضات في شركة التأمين العراقية العامة فعلى الادارة العليا الاهتمام بالدعاوى القضائية من حيث (حجم مبلغ التأمين ونوع التأمين) .

٣. اشراك الموظفين في القسم القانوني والاقسام الفنية وتحديدًا من هم يمارسون وظيفة الكاشف في دورات تدريبية قانونية تخص التامين.

٤. ضرورة العمل بنظام التحكيم في شركة التامين العراقية العامة في حال نشوء خلافات تعويضية بين المؤمن له وشركة التامين للتقليل من الدعاوى القضائية فضلاً عن نشوء علاقة تسودها الثقة بين طرفي العقد وهذا بدوره سوف يؤثر على سمعة الشركة بشكل عام.

المراجع:

١. قانون اصول المحاكمات المدنية العراقي رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩.
٢. القانون المدني العراقي المعدل رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١.
٣. ابن منظور، ابو الفضل جواد الدين محمد بن مكرم ، (٢٠٠٥) ، " لسان العرب " ، دار الصادر للنشر، بيروت . لبنان.
٤. ابو الوفا ، احمد ، (١٩٥٤) ، " نظرية الدفوع في قانون المرافعات " ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، الاسكندرية - مصر.
٥. ابو عرابي ، غازي خالد ، (٢٠١٦) ، (ط٢) ، "احكام التامين وفق اخر التعديلات التشريعية دراسة مقارنة " ، دار وائل للنشر ، الاردن-عمان.
٦. البكري ، عبد الباقي والبشير ، محمد طه والحكيم ، عبد المجيد ، (٢٠١٥) ، "الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي " ، الجزء الاول ، دار السنهوري للنشر و التوزيع ، بغداد - العراق.
٧. جورج ريجدا ، (٢٠٠٦) ، "مبادئ ادارة الخطر والتامين- تعريب ومراجعة ٢٠٠١ محمد توفيق البلقيني و ٢٠٠١ ابراهيم محمد مهدي- مطبعة المريخ.
٨. حسونة ، فيصل، (٢٠١١) ، "ادارة الموارد البشرية " ، دار الميسر للنشر والتوزيع .عمان- الاردن
٩. خطاب ، ضياء شيت ، (١٩٧٣) ، " الوجيز في شرح قانون المرافعات المدنية " ، مطبعة العاني ، بغداد - العراق .
١٠. علوان ، طلال ناظم والخناق ، نبيل محمد و الخفاجي ، علاء الدين محمود ، (١٩٩٣) "النظرية العامة للتامين " هيئة المعاهد الفنية ، بغداد-العراق.

١١. السنهوري ، عبد الرزاق احمد ، (٢٠٠٠) (ط٣) ، "مصادر الالتزام " ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت-لبنان.
١٢. الطباخ ، شريف ، (٢٠٠٧) ، " التعويض في حوادث السيارات في ضوء القضاء والفقه " ، دار الفكر الجامعي ، الاسكندرية - مصر
١٣. العبودي ، عباس ، (٢٠٠٧) ، (ط.٢) ، " شرح احكام قانون اصول المحاكمات المدنية " ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن .
١٤. عريقات ، حربي محمد و عقل ، سعيد جمعة ، (٢٠١٠) ، (ط٢) ، " ادارة الخطر (النظرية والتطبيق) " ، دار وائل للنشر ، الاردن - عمان .
١٥. العلام، عبد الرحمن ، (٢٠٠٨) ، (ط.٢) ، " شرح قانون المرافعات المدنية مع المبادئ القانونية " ، العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة - مصر
١٦. علوان ، طلال ناظم و عبود ، سالم محمد و محمد، فائزة عبد الكريم ، (٢٠١٧)، " ادارة الخطر والتأمين " ، دار الدكتور للعلوم الادارية والاقتصادية ، بغداد - العراق .
١٧. العنكي ، جبار صبري و البلداوي ، علاي عبد الكريم ، (١٩٩٣) ، "النظرية العامة للتأمين " هيئة المعاهد الفنية ، بغداد-العراق
١٨. فرانك ادورانتى ، (٢٠٠٦) ، " ادارة التعويضات "، الترجمة د. خالد العامري ، ، دار الفاروق : ٢٠٠٦.
١٩. لطفي ، محمد حسام محمود ، (٢٠١٢) ، (ط٦) ، " الاحكام العامة لعقد التأمين دراسة مقارنة بين القانونين المصري والفرنسي " دار الكيان للنشر والتوزيع ، القاهرة-مصر .
٢٠. المحمود ، مدحت ، (٢٠٠٩) ، "شرح قانون المرافعات المدنية رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ وتطبيقاته العملية " ، الطبعة الثالثة ، المكتبة القانونية ،بغداد - العراق.
٢١. المصاروة ، هيثم حامد ، (٢٠١٠) ، "المنتقى في شرح عقد التأمين" دار اثراء للنشر والتوزيع، الاردن-عمان.
٢٢. هارون ، نصر جمعة ، (٢٠١٥) ، " المبادئ العامة للتأمين " دار امجد للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن
٢٣. الجبوري ، هدى ياسين ، (٢٠١٣) ، " تأثير صدقية شركة التأمين في مجال التعويض " ، بحث تطبيقي ، المعهد العالي للدراسات المحاسبية والمالية ، جامعة بغداد

٢٤. عبد العزيز , عمر عبد الجواد , (٢٠٠٦) , " اخلاقيات صناعة التأمين في العالم العربي " , قسم العلوم المالية والمصرفية , جامعة الزيتونة , عمان .
٢٥. فالج , سهاد كاظم , (٢٠١٢) , " الحوافز واثرها في صناعة التأمين " , بحث تطبيقي , المعهد العالي للدراسات المحاسبية والمالية , جامعة بغداد .

26. besiss .jobl. (2009) , risk management second edition ,john wile.
27. Tetten , borne "the law of damages" , edition , 2003.
28. Mishra , Dr . S. B. ,Insurance Principles and Practice ,S.Company LTD , India , 2000.

صراع الأحزاب السياسية العراقية على قيادة الحركة الطلابية (تشرين الأول ١٩٥٩-آذار ١٩٦١)

م.م. تحسين عبد الإله سالم

المديرية العامة للتربية/ النجف الأشرف

المقدمة:

تتبع أهمية دراسة الموضوع التنافس الأحزاب السياسية حول قيادة الحركة الطلابية، بسبب ما تمتاز به هذه الحركة من امتلاكها هذه الحركة من نشاطاً شبابياً تتمثل في مكان مهم في مؤسسات الدولة وهو التعليم، وإن الدراسة لا تقتصر على دراسته الأنشطة الطلابية، السياسية فقط، بل شملت الأدوار التي مارستها الأحزاب السياسية من خلال الطلاب في المدارس والكليات والمعاهد، من تأسيس منظمات طلابية تمثل تلك الأحزاب السياسية بطابع طلابي، وتغلغت هذه الحركات والتنظيمات الطلابية إلى مختلف فئات المجتمع والقوميات والمذاهب.

ولتسهيل الدراسة قسم الموضوع إلى ثلاثة محاور وخاتمة التي تمثل أبرز الاستنتاجات التي تصل إليها البحث، وتطرق في المحور الأول إلى أولاً: (الصراع على انتخابات الطلابية في السادس والعشرين من كانون الأول عام ١٩٥٩) وخلال هذه الفترة، كانت بداية الصراعات الطلابية بعد إجراء الانتخابات وفوز الطلاب الشيوعيين لقادة الاتحاد العام لطلبة العراق، وكذلك تصاعدت حدة الصراعات بين الطلبة القوميين والبعثيين والطلبة الشيوعيين، وحاول كل طرف أن يخون الطرف الآخر. أما المحور الثاني فكانت الدراسة عن (موقف الأحزاب السياسية من انعقاد المؤتمر الثالث لاتحاد الطلبة العام في كانون الثاني عام ١٩٦٠) أيضاً الصراعات بين الطلاب التي رافق هذا الانعقاد وإصرار الحكومة على عقده، والمحور الثالث (موقف الحكومة من المطالبة بإجراء الانتخابات الطلابية في تشرين الثاني عام ١٩٦٠) والوعود الحكومة له والرفض مره أخرى إلى حين رفض إجراء أي انتخابات بسبب العنف الذي جرى في المدارس والكليات مما دعا الحكومة إلى اتخاذ ذيعه بعد إجراء الانتخابات.

واعتمدت الدراسة على مجموعة مهمة من المصادر والوثائق المنشورة وغير المنشورة، فضلاً عن الكتب العربية والاجنبية، وفي مقدمة الوثائق الغير منشورة التي تم الاعتماد عليها هي وثائق وزارة الداخلية العراقية، وكذلك ملف الحركة الشيوعية في العراق، والنشاط البعثي في العراق، ونشاط الطليعة الطلابية، ووثائق وزارة التربية والتعليم، وكذلك ملف البلاط الملكي وملفات مجلس السيادة وملفات وزارة الداخلية، وبعض الكتب والنشرات السرية الصادرة من القيادات العسكرية والاستخباراتية. كما اعتمدت الدراسة على كافة محاورها على مجموعة كبيرة من الصحف المحلية التي كانت تصدر عنها الاخبار منها، صحيفة اتحاد الشعب، وصحيفة الاهالي، وصحيفة الحرية، وصحيفة الزمان. كذلك اعتمد البحث على مجموعة من الكتب ومنها الى كتاب الى نوري عبد الحميد العاني وعلاء جاسم محمد حربي، تاريخ الوزارات العراقية، في العهد الجمهوري ١٩٥٨-١٩٦٣، وكذلك كتاب غازي فيصل، لمحات خالدة من تاريخ الاتحاد الوطني لطلبة العراق، وكتاب عبد الفتاح علي البوتاني، العراق دراسة في التطورات السياسية الداخلية. وغيرها العديد من المصادر والمراجع الاساسية والثانوية لرفد هذا البحث للوصول الى المعلومة التاريخية.

أولاً: الصراع على انتخابات الطلابية في السادس والعشرين من كانون الأول عام ١٩٥٩.

قبل فترة من موعد الانتخابات الطلابية المحدد اجرائها في تاريخ السادس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٥٩م، حيث تطورت الاحداث السياسية على الساحة العراقية التي ادى الى محاولة حزب البعث وتنظيماته في داخل العراق، الى اغتيال الرئيس العراقي آنذاك، عبد الكريم قاسم، وكان له صدى كبير في الانتخابات الطلابية، حيث ان فكرة الاغتيال ليس جديدة في اذهان قادة حزب البعث العربي الاشتراكي، حيث منذ شباط من نفس العام بعد استقالة الوزراء القوميين، واعدوا الخطة وحددوا العناصر للقيام بتنفيذ العملية^(١). لكن في نفس الوقت الذي صمم فيه البعثيين تنفيذ الخطة حيث قام عبد الكريم قاسم بمهاجمة وملاحقة الشيوعيين من اجل خلق توازن بين القوى والاحزاب السياسية، الامر الذي ادى الى تأجيل

العملية تنفيذ الاغتيال، ولكن بعد ان قامت السلطات العراقية بحملة من الاعدامات في صفوف القوميين المشاركين في حركة الشواف في يوم التاسع والعشرين من ايلول وهم كل من رفعت الحاج سري، وناظم الطبقجلي، وعلى اثرها تحفز حزب البعث للقيام بتنفيذ العملية في يوم السابع من تشرين الأول عام ١٩٥٩م، بعد مغادرة وزارة الدفاع، ولكن المحاولة فشلت ولم تؤدي الى قتله، لكن احدثت اصابة عبد الكريم، بجروح ودخل على اثرها الى المستشفى في بغداد^(٢). حيث انقسم الطلاب بين مؤيد ومناهض لهذه العملية ومن الامثلة على ذلك حيث قامت مجموعة من الطالبات الشيوعيات في ثانوية الكرخ بتوزيع الحلوى في الثانوية فرحاً وابتهاجاً بنجاة عبد الكريم قاسم، وهذا لم يرضى به الطالبات البعثيات في نفس المدرسة الامر الذي ادى الى اعتداء على موزعات الحلوى من الشيوعيات من قبل الطالبات البعثيات وقد حدثت فوضى داخل المدرسة الامر الذي تطلب الى تدخل ادارة المدرسة من اجل احتواء الموقف وفض النزاع داخل المدرسة وتمكنت من ذلك^(٣). وفي ظل هذه الاحداث كان الاوضاع في اغلب الكليات والمعاهد في هذه الفترة كانت يسودها الهدوء ولكن كانت بعض الضغائن في نفوس الطلاب القوميين والبعثيين من جانب والشيوعيين من جانب ثاني، وبشكل عام لم تحدث اي صدامات بين الجانبين داخل الكليات والمعاهد، وكان هم الطرفين هو التركيز على العمل التنظيمي، داخل الحركات الطلابية من اجل الكسب الجديد، لكلا الطرفين، دون احداث اي خلل بالنظام والامن الداخلي، وفي كليتي الحقوق والتجارة، اذا ان طلبة الاتحاد العام للحركة الشيوعية علقوا على جدران الكليتين لافتات جاء فيها كلمات وعبارات (الموت لعصابات البعث) مما جعل هذا ان تحدث اضطرابات وخاصة بعد ظهور نتائج التحقيقات عن محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم^(٤). وفي نفس السياق وبهدف الحرص على النظام العام ومساندة الحكم القائم حيث أصدرت اللجنة التنفيذية لأتحاد الطلبة العام في تشرين الاول عام ١٩٥٩، بياناً بعنوان (مرحبا بالعام الدراسي الجديد) حيث اشار الى ان اتحاد الطلبة العام هو منظمة وطنية ذات صفة ديمقراطية، وهي بعيدة عن الصراعات السياسية، والاتحاد لا يميل الى اي جهة سياسية او دينية، وانما

يجمع كل الطلبة بمختلف اطيافهم وتوجهاتهم السياسية والقومية والدينية، وان الاتحاد العام للطلاب، هو متعاون مع الادارات المدارس وعمادات الكليات، والاساتذة والمدرسين، واختتم البيان، الى الاشارة بالالتزام الطلاب بالتوجهات والارشادات التي تصدر من المراكز التربوية لإشاعة جو من الهدوء بين الطلبة^(٥). حيث دفع سيطرة الطلاب الشيوعيين من داخل الاتحاد الطلبة العام للطلاب، على المطالبة من قبل الطلبة البعثيين والقوميين على حل الاتحاد من اجل اجراء انتخابات جديدة في جو تسوده الديمقراطية والحرية^(٦). وعلى اثر ذلك قدموا مجموعة من الطلاب طلباً بهذا الخصوص الى مجلس الجامعة بغداد، في اوائل تشرين الثاني عام ١٩٥٩، فوافق المجلس على اجراء الانتخابات العامة لجميع الاتحادات في العراق وشمل الكليات والمعاهد العالية وحدد يوم السادس والعشرين، من تشرين الثاني عام ١٩٥٩م، في الساعة التاسعة صباحاً^(٧). ونفس السياق حيث اعلن وزير التربية والتعليم في الجمهورية العراقية محي الدين عبد الحميد في السابع عشر من تشرين الثاني، ان الانتخابات في الاتحاد العام للطلاب ستجري بصورة ديمقراطية^(٨). كما واصل الوزير بأن الانتخابات ستجري فقط في الكليات والمعاهد وكذلك دور المعلمين، ولم تشمل طلاب المرحلة المتوسطة، فهم غير مشمولين بالانتخابات، لانهم قد خلق مشاكل كثيرة وخاصة في انتخابات عام ١٩٥٨، بسبب صغر سنهم بالدرجة الاولى، والسبب الاخر هو عدم نضوجهم، كما طالب الوزير كذلك الطلاب الذين يشاركون في هذه الانتخابات ان يتحلوا بروح الاخوة والزمالة والصدقة، وان جميع المسؤولين عن الانتخابات لن ينحازوا لأي جهة سياسية كانت^(٩).

وكانت المنافسة في هذه الانتخابات ثلاث قوائم انتخابية^(١٠).

- ١- الجبهة الطلابية الموحدة وتمثل الطلاب من البعثيين والقوميين.
- ٢- الجبهة الديمقراطية الموحدة وتمثل الطلبة من الشيوعيين.
- ٣- القائمة الديمقراطية المستقلة وتمثل الطلبة المستقلين ومن ضمنهم الحزب الوطني الديمقراطي.

وهذه القوائم الثلاثة لم يرق للحزب الشيوعي العراقي حيث وصف هذا الانقسام في صفوف الطلاب عبر جريدته (اتحاد الشعب)، بمثابة انقسام وتفرقة للصف الوطني، لأنه يفسح المجال الى لتكتل تخريبي وهذا مخالف للديمقراطية، ويكون باسم اتحاد الطلبة الجمهوري^(١١).

حيث اصدرت الجبهة الطلابية الموحدة بياناً في السابع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٥٩م، اشارت فيه الى قرب موعد الانتخابات ونص البيان ((وان على الطلبة ان ينفذوا مجتمعهم الطلابي من التحلل والفوضى الحزبية الهدامة التي شوهت معالم الحياة الطلابية ووصمتها بوصمة الخزي والعار، بسبب سيطرة اتحاد الطلبة العالم التابع للحزب الشيوعي الذي عمل على جعل الطلبة عنصر هدم لا عنصر بناء))^(١٢). كما ذكر ايضاً، ان الجبهة بعيدة كل البعد عن الاتجاهات والميول الحزبية وليس لها علاقة مع اي جهة او منظمة سياسية بل انها تعمل لمصالح الطلاب، وكما طلبت من المسؤولين بأن تعطى للطلبة حرية التعبير عن الرأي من تهديد او مضايقة، حتى يتم رفع شأن الطلاب الى مستوى بعيد عن التحزب السياسي^(١٣).

ومن جهة اخرى حاول الطلبة الشيوعيون النقا هم مع الطلبة من الحزب الوطني الديمقراطي من اجل توحيد جبهتهم لخوض الانتخابات، لكن الوطنيين رفضوا ذلك المقترح^(١٤). وفي نهاية تشرين الثاني وقبل موعد اجراء الانتخابات وجهة الطلبة العرب في جامعة بغداد كتاباً الى رئيس مجلس الوزراء حول قرار منع الطلبة العرب من المشاركة في الانتخابات الاتحاد الذي سبق ان اتخذته الحكومة قبل اجراء الانتخابات الاولى عام ١٩٥٨، مبينين ان هذا القرار المنع هو مخالف للقانون والانظمة الواجبة الاتباع، وذكروا عدة اسباب للاعتراض، منها قرار كان مخالف ومتناقض للقرار الصادر من جامعة بغداد المرقم (٨٨٧٢) والمؤرخ في السابع من تشرين الثاني عام ١٩٥٩، الذي اعطى فيه الحق لجميع الطلاب الذين يدرسون في جمهورية العراق الاشتراك في الانتخابات الطلبة، (عدا الطلاب المدارس المتوسطة، والطلاب المدارس العسكرية، وطلاب مدارس الابتدائية) وان القرار لم يقتصر حق الانتخاب على الطلاب العراقيين فحسب

ولم يستثني غير العراقيين، وبحسب القانون فإن الحق مطلقاً والمطلق يجري على اطلاقه، وكما بين الطلبة العرب ان العضوية في الاتحاد لم تخصص الطلبة العراقيين فقط^(١٥). وانضم عدد من الطلبة التركمان الى الجبهة الطلابية الموحدة وعبروا في هذا عبر بيان في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٥٩، اشاروا فيه ان الجبهة الطلابية بعيدة عن الميول والاتجاهات الحزبية واختتم البيان بدعم الطلاب التركمان الى الجبهة واتحاد الطلاب العام ودعوا الطلاب التركمان الى الانضمام الى الاتحاد وتأييد مرشحهم^(١٦). اما موقف الطلبة الكرد فقد وجهوا نداءً في الخامس والعشرين تشرين الثاني، اعلنوا فيه تأييدهم للجبهة الطلابية الموحدة، وطلبوا تأييد مرشحهم في الجبهة الديمقراطية وشاروا بأن الاتحاد يمثل جميع الطلاب بمختلف اتجاهاتهم وعقائدهم ولأتمثل حزب سياسي^(١٧). اما الحزب الوطني التقدمي الذي لم يشترك في الانتخابات كان يرى بأن اجراء الانتخابات يعني فوز مجمع من المتحزبين ويبعد الكفاءة والاخلاص، وكذلك تؤدي الانتخابات الى الانقسام بين الطلبة ويدفع هذا الى اتخاذ موقف سلبي على جميع اعمال التي تقوم بها هذه الفئة الفائزة في الانتخابات على اساس سياسي لذلك اقترح الحزب بأن تكون جميع المرشحين غير متحزبين من تتوفر فيهم صفة الاستقلال السياسي^(١٨).

وجرت الانتخابات واسفرت النتائج هذه الانتخابات عن فوز الجبهة الديمقراطية التي تمثل الطلبة الشيوعيين بحصولهم على ٧٥٪ من الاصوات، بينما نالت قائمة الجبهة الطلابية الموحدة التابعة للبعثيين والقوميين ٢٢,٥٪، وفاز اربعة من مرشحيها بعضوية اللجنة التنفيذية وهم كل من فهمي روفة من كلية الهندسة ولطفي عبد الرحيم من كلية الحقوق ومحمد جعفر من كلية الصيدلة، بينما حصل الوطنيون الديمقراطيون على ٢,٥ من الاصوات^(١٩). وبعد انتهاء الانتخابات خرجت مظاهرات في بغداد في الثامن والعشرين من تشرين الثاني هاجمت بعض المدارس واجبار الطلاب على الخروج معهم، لكن تدخل قوى الامن ومنع هذه الحالات^(٢٠). دفع فوز القائمة الديمقراطية الموحدة الطلبة التابعين الى القائمة الطلابية الموحدة الى افتعال الصراعات مع الطلاب الشيوعيين، وبدء الصراعات بين الطلاب تظهر في داخل

مدارس الثانوية في بغداد وكانت هناك هتافات مؤيدة للقومية ضد الشيوعية في المدارس الذي كانت فيها مناصرين من البعثيين والقوميين على الرغم ان ادارة المدارس اخبر الطلاب بعدم زج المدارس بالصراعات الحزبية، وعلى اثرها نبهت وزارة المعارف الطلاب وارسلت لجان للتحقيق لمنع نشر الفوضى داخل الاماكن التعليمية^(٢١). وفي هذه الاثناء كان عبد الكريم قاسم في المستشفى على اثر محاولات الاغتيال التي تعرض لها التي تم ذكرها سابقاً، وقبل مغادرته للمستشفى عقد مؤتمر صحفي في الثاني من كانون الأول، تطرق فيه الى الصراع بين الطلاب حيث اشار ان العراق يتعرض للتآمر من قبل دول لا تريد للعراق الخير، وتحاول التفرقة بين الطلاب، واتهم الطلاب العرب وسوريا بالتآمر ضد العراق من خلال ارسال الطلبة كان ظاهريهم طلاب علم لكن كانوا يريدون تقويض سلطة الدولة^(٢٢). وفي الثالث من كانون الأول عام ١٩٥٩ خرج عبد الكريم قاسم من المستشفى وعلى اثرها نظم الحزب الشيوعي مسيرات طلابية بهذه المناسبة، وقد حصل اعتداء من قبل الطلاب القوميين والبعثيين على الطلاب الشيوعيين بسبب مشاركتهم في المسيرات^(٢٣). وكذلك وصل الصراع في بعض الجامعات ومنها جامعة الموصل حيث حصل صراع في التاسع والعشرين من كانون الأول عام ١٩٥٩، وكان الانقسام بين تيارين هم مجموعة من الطلاب يمثلون التيار القومي والبعثي ومجموعة من الطلاب يمثلون التيار الشيوعي وعلى اثرها اصيب بعض الطلاب ونقلوا الى المستشفى نتيجة هذه المشاجرة بين الطرفين، ومن ابرز الهتافات التي تم رفعها من قبل الطلبة الشيوعيون هي (مكو زعيم الاكريم) و (لا بعثية بعد اليوم)^(٢٤).

ثانياً: موقف الاحزاب السياسية من انعقاد المؤتمر الثالث لاتحاد الطلبة العام في كانون الثاني عام ١٩٦٠:

وفي يوم الاول من كانون الثاني عام ١٩٦٠م، وصل العديد من الوفود الى بغداد للمشاركة في المؤتمر الثالث لاتحاد العام، ومن الوفود مندوب اتحاد الطلبة في تونس، وممثل اتحاد الطلبة في الجزائر والعديد من الوفود العربية والاجنبية^(٢٥).

عقد المؤتمر في قاعة الشعب ببغداد في الثاني من كانون الثاني عام ١٩٦٠م، وقد حضره حوالي ٤٠٠ مندوب من مختلف مناطق العراق يمثلون الوزراء وكبار رجال التعليم وكان من ضمن الحاضرين وزير التربية والتعليم محي الدين عبد الحميد، والعديد من الطلبة ورفعت شعارات وهتافات اثناء المؤتمر تدعوا الى الوحدة الطلابية والابتعاد عن النفرقة بين الطلاب (٢٦). حيث افتتح المؤتمر عبد الكريم قاسم، بخطاب ذكر فيه انه مع الطلبة دون تفريق او تمييز واصفاً اياهم كتلة واحدة لاقى هذا الخطاب ترحيب من جانب الطلبة الشوعيين الحضور عبر عنها في هتافات داخل المؤتمر (٢٧). كذلك القى وزير التربية محي الدين حميد كلمة حيا فيها الطلبة، كما اعرب رئيس اتحاد الطلبة في كلمته عن فرحة لرعاية رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم المؤتمر وقد استمر المؤتمر جلساته لمدة ثلاثة ايام وفي الثالث من جلسته اقيمت حفلة للمؤتمرين في معد الفنون الجميلة ببغداد (٢٨). وقد اتخذ المؤتمر الثالث عدد من القرارات حيث اكد فيها على وحدة الطلبة الحركة الطلابية في العراق، كما ثمن جهود الحكومة العراقية المتمثلة بقيادة عبد الكريم قاسم، وكذلك ايد السياسة الوطنية التي يتبناها، كما اتخذ قراراً ادان فيه الطلبة اتحاد الجمهوري التابع الى البعثيين (٢٩). وفي يوم الخامس من كانون الثاني عام ١٩٦٠م، تم انتخاب مهدي الحافظ (٣٠) رئيساً لاتحاد الطلبة العام، بعد الاجتماع بعد الاجتماع الذي دام حوالي ثلاث ساعات للجنة التنفيذية للاتحاد، وفاروق رضاعة نائب للرئيس، وماجد عبد الرضا سكرتيراً عاماً، وهم الشيوعيين، وكامل نامدار سكرتير للشؤون المالية عن الطلبة الاكراد (٣١). ولكن بعد فترة وجيزة وقع خلاف بين الطلاب من الحزب الشيوعي ووصل الخلاف الى بعض المدارس في بغداد واتهم بعضهم البعض الاخر بالخيانة للحزب لكن سعى الشيوعيين الى الحفاظ على موقعهم كرئيس الاتحاد حيث قام وفي الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٩٦٠، بمقابلة رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم، عرض عليه فكرة عقد مؤتمر سادس للاتحاد الطلبة العالمي في بغداد، وقد طلب مساعدة قاسم بهذا الشأن، فوافق الاخير على الفكرة ووعد بتقديم التسهيلات لعقد المؤتمر، واوصى اعضاء المكتب ان يعلنوا في اجتماع اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلبة العالمي، الذي

يعقد في تونس للفترة ٢٣-٢٧ شباط موافقة عبد الكريم قاسم على ذلك وقد ذلك انه يوفر المكان الذي يختارونه ليكون مقراً لاتحاد الطلبة العام^(٣٢). وبناءً على ذلك اتخذ مكتب سكرتارية اتحاد الطلبة العام في اجتماعه المنعقد بتاريخ الخامس عشر من كانون الثاني حيث قرر بأرسال وفد من الطلاب كل من فاروق رضاعة نائب الاتحاد، وماجد عبد الرضا (السكرتير العام)، عن الطلبة الشيوعيين وعبد الجبار عطوي (رئيس لجنة العلاقات الخارجية لاتحاد الطلبة العام) عن الطلبة الاكراد، وتقرر ان يحمل الوفد رسالة من عبد الكريم قاسم موجهة الى طلبة العالم تحتوي الرسالة على موافقة الحكومة العراقية على عقد المؤتمر السادس لاتحاد العالمي في بغداد، ورسالة اخرى من وزير التربية محي الدين عبد الحميد، كذلك من رئيس جامعة بغداد، عبد الجبار عبد الله، تتضمن ترحيبهم بعقد المؤتمر في بغداد وتقديم الدعم له^(٣٣). غادر وفد اتحاد الطلبة الى تونس في الثالث عشر من شباط، وصرح فاروق رضاعة قبل مغادرته ان الوفد يحمل عدة مقترحات تتعلق بتطوير الحركة الطلابية في البلاد العربية وتوحيد حركة الطلبة في العالم اجمع، ومقترحات اخرى حول مساعدة الشعوب العربية، مثل الشعب الفلسطيني^(٣٤). وفي الحادي والعشرين من نيسان عام ١٩٦٠، تعرض الطلبة البعثيون في ثانوية الصناعة في منطقة الوزيرية الى اعتداء من قبل اعضاء اتحاد الطلبة العام في معهد الهندسة العالي، حيث اعتداء ثلاثة من الطلاب الشيوعيين في المعهد على طالبين بعثيين في الثانوية، وقد تم اطلاق العيارات النارية اثناء الاعتداء، وقد تدخل الطلاب في الثانوية والمدرسين الامر الذي ادى الى تدخل الشرطة، وتم اعتقال الطلاب الشيوعيين وقد وعثر معهم مطبوعات تعود الى الحزب ال شيوعي وقد ضبت معهم مسدساً، وقد اعترف هؤلاء الطلاب الى انتمائهم الى اتحاد العام للطلاب، وفي نهاية شهر نيسان رد مجموعة من الطلاب البعثيين من نفس الثانوية على طلاب معهد الهندسة العالي على الطلاب الشيوعيين، جاء ذلك انتقاماً ما حصل سابقاً، وادى هذا الصراع ايضاً الى جرح احد الطلاب الشيوعيين، وفي نهاية المطاف تدخلت السلطات للسيطرة على الامر^(٣٥). واما عقد المؤتمر في بغداد من قبل اتحاد الطلبة العالمي، فقد بدء الصراع ظاهر

للعلن بين مختلف الاحزاب السياسية حول عقد المؤتمر, حيث اصدر الحزب الاسلامي العراقي^(٣٦), قسم الطلاب في اواخر ايلول عام ١٩٦٠, بياناً اشار فيه الى عقد المؤتمر في بغداد يمثل غزواً عقائداً عنيفاً^(٣٧). وقد اشار في نفس البيان الى هذا المؤتمر يمثل النشاط الحزبي السري والعلني من قبل زمرة اتحاد الشعب على الرغم من عدم وجود اجازة لهم في التأسيس, ووصف البيان ان الشيوعية كفراً والحاد بحسب وصفهم, كما حمل البيان اتحاد الطلبة العام المسؤولية عما يحدث نتيجة عقد هذا المؤتمر في العراق, لان الشعب العراقي رافض لهذا المؤتمر وهو مخالف للرأي العام العراقي^(٣٨). واشتد الصراع الفكري بين الطلاب, حيث كانت تمر الحركة الطلابية في داخل المدارس والكليات اختلاف كبير بين الطلاب الشيوعيين والطلاب البعثيين والقوميين, من جهة اخرى, وتصاعدت الاصوات بعدم انعقاد المؤتمر في بغداد, وعلى اثر ذلك شكل وجدت منشورات في مدينة الموصل تدعو الطلاب الى الاضراب, وكانت هذه المنشورات بعنوان الرابطة الاسلامية لطلبة جمهوري العراق, وجدت ملقة على جدران المدارس محده يوم السادس من تشرين الأول عام ١٩٦٠ موعداً للأضراب^(٣٩). كما بادر الطلبة القوميون والبعثيون في هذه المرة التعبير عن رفضهم بعدم الاقتصار على المواقف بل بتباعد طرق من الاسلوب المنظم من خلال تأسيس منظمة سرية تعمل على مواجهة الاتحاد العام للطلاب باسم (الطليلة الطلابية التقدمية) وذلك في تشرين الأول عام ١٩٦٠, وكان هدف هذه المنظمة عبارة عن تنظيم يضم عدد من الخلايا الحزبية يصل عدد اعضاء الخلية الواحدة الى عشرة, وتهدف هذه الى استقطاب الطلاب القوميين والبعثيين وتحشيدهم ضد الشيوعيين^(٤٠). كما اعلنت هذه المنظمة عن تمسكها بالمبادئ الديمقراطية للتنظيم النقابي, وضرورة السماح للطلبة بمزاولة حقهم المشروع في اختيار ممثليهم, كما استنكر تدخل السلطة بشكل كبير لتحريف الديمقراطية^(٤١). واستنكرت مجموعة من الطلاب التركمان الميالين الى التيار القومي بشدة عقد المؤتمر في بغداد, وعدوا هذا دعاية الحزب الشيوعي العراقي وطلبوا ابعاد الاتحاد عن الحزبية لان الاتحاد هو المنظمة الطلابية صرفة بعيدة عن التحزب^(٤٢). اما موقف حزب التقدمي من انعقاد المؤتمر السادس

لاتحاد الطلبة العالمي في بغداد، فإن الحزب لم يرحب بعلاقة الحزب الشيوعي المتينة مع اتحاد الطلبة العالمي، واران تجاوز ذلك عن طريق تأسيس منظمة اسبوية - افريقية ، وارانها ان تكون وسيلة لتجاوز الانقسامات القائمة في المحيط الطلابي، وتضامن الدول الاسبوية والافريقية، والتعاون بينها لحل مشاكلها القومية التي تضمن مصالحها ، وتحقق اهدافها في الوحدة والاستقلال بمعزل عن التيارات القائمة في المجتمع^(٤٣). وقد عثر على نشرات بعثية في يوم الخامس من تشرين الاول، ملصقة على جدران المدارس والاماكن القريبة منها في مدينة الموصل الصقها الطلاب البعثيون في اثناء توجههم للمدرسة وجاء في النشرات حزب البعث العربي الاشتراكي- مكتب الطلبة، وامة عربية واحدة، وبعض الشعارات التي تهدف الى اعلان اضراب طلابي في يوم السادس من تشرين الأول، وترفض عقد مؤتمر في بغداد واعتبروا هذا يمثل الاستعمار وكذلك دعوا الى ثورة طلابية للوقوف ضد هذا المؤتمر المؤمل عقدة في العاصمة العراقية بغداد^(٤٤). وعلى الرغم من كل الاعتراضات على عقد المؤتمر فقد انعقد في يومه المحدد يوم السابع، من تشرين الأول في بغداد بحضور حوالي، (٧٣) وفداً يمثلون الطلاب في (٧٣) دولة مختلفة من ضمنها دولاً عربية وعالمية، وكان عبد الكريم قاسم قد افتتح المؤتمر والقي فيه خطاباً رحب بالحضور والضيوف المشاركة في المؤتمر القادمة الى بغداد، كما اعلن عن سعادته بهذا الاجتماع التي ضم طلاب من مختلف بلدان العالم تجمعهم اهداف مشتركة وهي مكافحة الاستعمار^(٤٥). واعتبر المؤتمر اشبه بالتظاهرة الطلابية العالمية عززت فيه دعم اتحاد الطلبة جمهورية العراق^(٤٦). كما ناقش المؤتمر موضوعات كثيرة ومنها ما يتعلق بالسلم العالمي، والاستعمار، واكد على التعاون المستمر بين الطلبة في مختلف بلدان العالم من اجل الوقوف ضد الاستعمار، والعمل على اصلاح التعليم وتنقيف الطلبة من خلال السفر والمشاركات الرياضية ، كما تم مناقشة تعديل الدستور اتحاد الطلاب^(٤٧). وفي اثناء انعقاد المؤتمر كانت الصراعات الطلاب العراقيين حاضرة، حيث اصطدم الطلبة البعثيون مع الطلبة الشيوعيون في اول ايام انعقاد المؤتمر، وكان من المقرر ان يستمر (١٠) ايام، فقد نظم الطلبة البعثيون

مظاهرات استنكار لهذا المؤتمر ورفعوا شعارات تمجد للوحدة العربية كما رفعوا هتافات (ايها الضيوف كونوا مع الطلبة العراقيين وليس مع الاتحاد المزيّف والانتخابات المزيّفة التي تكون منها هذا الاتحاد) وفي مقابل ذلك قابل الطلبة الشيوعيين بهتافات معادية للوحدة العربية الامر الذي ادى الى تدخل قوات الشرطة (٤٨). وقد اصدرت الطليعة الطلابية التقدمية، بياناً في الثامن تشرين الأول عام ١٩٦٠، اشارت فيه عن موقفها من انعقاد المؤتمر ، كما اعلنت ترحيبها بالوفود القادمة ، لكنها تعلن عن معارضتها لأتّحاد الطلبة العالمي، وتشجب الدخول فيه ، وتضمن البيان الى الوقوف بجانب الطلبة في العراق، وان اتّحاد الطلبة لا يمثل الطلبة العراقيين لأنّه انحرف عن اهدافه المرسومة له وتحول الى اتّجاه سياسي معين، واختتم البيان بأن الموقف من اتّحاد طلبة العالمي لا يمنع من قيام علاقات وثيقة مع الاتّحاد الطلبة في اسيا وافريقيا (٤٩). وفي اليوم الثالث من انعقاد المؤتمر حصلت تظاهرات من قبل الطلاب البعثيون في ثانوية تكريت للبنين في يوم التاسع من تشرين الأول عام ١٩٦٠، وكانت شعارتهم (فلسطين عربي فلتسقط الصهيونية والشيوعية)، وطالبوا بالأفراج عن المعتقلين البعثيين في السجون ، وفي نفس الوقت اعلن الطلاب ان السبب الرئيسي للتظاهرات هو انعقاد المؤتمر (٥٠). وبانتهاء مؤتمر اتّحاد الطلبة العالمي في العشرين من تشرين الأول عام ١٩٦٠، اخذت الطليعة الطلابية النّقدمة تستثمر المناسبات لألقاء الخطب القومية ، ورفع هتافات التي تتادي بالوحدة العربي والقومية (٥١). وكما كان لبيع الصحف نصيب من الصراعات الحزبية حيث كان الطلاب الشيوعيين في الكليات، يروحون الى جريدة اتّحاد الشعب، وكان هذا لاقى معارضة من الطلبة البعثيون ووصل الصراع الى ذروته بين الطلاب من مختلف الاتّجاهات (٥٢). وكان الطلاب يعولون على الانتخابات القادمة المقرر اجرائها في تشرين الثاني عام ١٩٦٠، للتخلص من هيمنت الشيوعيين على الاتّحاد، وفي مقابل ذلك كان هناك رفض حكومي مطلق لأجراء الانتخابات بعد ان وجد فيها الباعث على الفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار، مما يؤثّر سلباً عن الحياة الطلابية داخل البيئة التعليمية (٥٣).

ثالثاً: موقف الحكومة من المطالبة بأجراء الانتخابات الطلابية في تشرين الثاني عام ١٩٦٠.

وفي تشرين الثاني ١٩٦٠ بدء الطلاب المنتمون للحزب الوطني الديمقراطي يستعدون, بسبب اقتراب موعد الانتخابات في هذا الشهر, حيث قاموا بجولات ومحاولات قبل حوالي شهر من موعد الانتخابات, من اجل تكوين قائمة موحدة للوقوف ضد الطلبة التابعين للحزب الشيوعي, من اجل التخلص من الفوضى والصراعات التي كان يعيشها الجو الطلابي داخل المدارس والجامعات, لكن هذه المحاولات بائت بالفشل لان بعض الطلبة لم يؤيد هذه الفكرة معترضين على تكون قائمة موحدة, إلا بعد استبعاد بعض العناصر منها, ورداً على ذلك قدم الطلبة المنتمون الى الحزب الوطني الديمقراطي, دعوة الى السلطات التربوية للعمل بجد لتحقيق مبدأ سيادة القانون والنظام من دون تمييز بين الطلاب بحسب انتمائهم السياسي او الحزبي, وازالة الجو المشحون بين الطلاب بالصراعات والحزبية, من اجل تهيئة جو تعليمي يسوده الهدوء^(٥٤). وقد اعترضت السلطات على اجراء انتخابات عام ١٩٦٠, من اجل منع نشوب حرب وصراعات بين الطلاب في الجامعات والمدارس قد يشمل جميع البلاد^(٥٥). اما موقف الحزب الشيوعي فقد اعتبر هذا الاجراء كان موجه ضده للحد من سعة نفوذه المتزايد في الاتحاد العام للطلبة في العراق, وتقليل من دوره, ومنعه من الحصول على الاغلبية من الاصوات^(٥٦). اما موقف الطليعة الطلابية المتقدمة, (المنظمة البعثية) عارضت هذا القرار ايضاً, واعتبرته انه موجه ضدها^(٥٧). وقد اصرت في هذا الخصوص بياناً في السابع والعشرين, من تشرين الثاني عام ١٩٦٠, بعنوان (بيان الى الطلبة) اشارة فيه ان هناك تأمر يجري ضد الطلاب ويهدف هذا الى تجميد التنظيم الطلابي, من خلال عدم اجراء الانتخابات والابقاء على الاتحاد الذي يسيطر عليه الطلبة الشيوعيين, وهذه المجموعة لا تمثل كل الطلبة, واختتم البيان بتحذير الطلبة وان لا مجال للحياد بين حرية الانسان واضطهاده وبين صيانه حقوق الطلبة واحترام كرامتهم وبين الهدر هذه الحقوق والتعدي على الحرمات^(٥٨). وعلى أثر ذلك خرج الطلبة البعثيين في مظاهرات في تشرين الثاني عام ١٩٦٠, ورفعت هتافات وشعارات مؤيد للوحدة العربية ولحزب

البعث^(٥٩). ومن وجهة نظرنا ان الحكومة كانت ذو ميل الى فئة الطلبة الشيوعيين في ذلك الوقت لأنه كانت الغالبة من الطلبة والاتحاد هم من الاتجاه السياسي القريب من الحكومة, لكن الاحزاب القومية والبعثية لم تكن تدرك بأن حتى لو حدثت الانتخابات فأنها لا تفوز على الشيوعيين.

على الرغم من اعلان الحكومة بعدم اجراء الانتخابات في تشرين الثاني عام ١٩٦٠, لم يستقر الوضع الطلابي والصراعات بينهم, فقد استغل الطلاب البعثيون المتمثلين بالطلبة الطلابية, المناسبات القومية منها ذكرى قرار تقسيم فلسطين ووجهوا نداءً الى الطلبة, من اجل الخروج في مظاهرات, تهدف بحياة الشعب الفلسطيني, وشعارات اخرى بالصد من الشيوعية , وخرج عدد من الطلبة من المدارس والجامعات , ورفعوا شعارات (فلسطين عربية فلتسقط الصهيونية) وانتهت المظاهرات دون حدوث اي صراعات مع الطلبة الشيوعيين^(٦٠). وفي غضون ذلك, بالرغم من الدور الذي كان يؤديه المدرسين في المدارس واساتذة الجامعات, حيث اصدر وزير التربية والتعليم اسماعيل العارف, بيان في الرابع عشر من كانون الاول, عام ١٩٦٠, اشارة فيه ان معظم القضايا والاحداث التي جرت تعود الى خلافات عقائدية بين الهيئات التدريسية قائلاً ((ان هناك تساهلاً من بعض الادارات لممارسة تلك النشاطات الامر الذي يعكس اثرها في الطلاب, فتتوتر العلاقات بينهم وبين مدرسمهم, وبالتالي فقد يؤدي ذلك الى التظافر والتطاحن والصراعات في ميادين يجب ان لا تكون لمثل تلك الحوادث محل الصراع فيها, لذا يجب على رجال التعليم ان يطالبوا من الطلبة الانصراف الى الدراسة والابتعاد عن الصراعات السياسية والحزبية التي تحدث بينهم))^(٦١). كما اشار وزير التربية في بيانه الى اتخاذ اشد العقوبات بحق اي طالب يعمل على تأجيج الصراعات والاحتقان بين الطلاب في داخل الحرم التعليمي كما دعا الى ابعاد التعليم عن الممارسات السياسية وان تكون المكان التعليمي مقدس للتعليم فقط وكما دعا المدرسين والاساتذة الجامعيين الى العمل والانصاف بين الطلبة وعدم التفریق بينهم^(٦٢). ورد الطلبة الوطنيون الديمقراطيون على ذلك بإصدارهم بياناً في الخامس من كانون الأول اشاروا فيه انهم يرفضون اسلون التهديد والوعيد

وانهم يدركون واجباتهم ومسؤولياتهم في توحيد الصف الطلابي، وسيادة القانون، وإن التنافس الطلابي يكون في المشاريع الثقافية، أو الصحية، أو الاجتماعية، حتى يعود بالنفع على الطلاب والوطن بصورة عامة، لأن المكان التعليمي هو مكان للعلم وله حرمة^(٦٣). بينما كان رد الطليعة الطلابية على بيان وزير التربية، بالقول في بيان ذكروا فيه (سنمارس بعزم ونضالية حقوقنا الديمقراطية) وذلك في السابع عشر من كانون الأول ١٩٦٠، كما وأشاروا إلى الإسراع في إجراء الانتخابات وعدن تأجيلها لأي سبب كان، لأنه هذا سوف يخدم الشيوعية، والتي لا تمثل الأغلبية من الطلاب، ودعوا إلى تمثيل حقيقي للطلاب من خلال إجراء انتخابات عادلة للتعبير عن إرادة الطلبة، وفي الختام دعوا إلى الالتفاف الطلبة حول القوى الطلابية القومية التقدمية ضد الشيوعية^(٦٤). وتحت ضغوط الأحزاب السياسية والمطالبات المتكررة لأجراء الانتخابات الطلابية حيث صرح وزير التربية اسماعيل العارف، في كانون الأول ١٩٦٠، رداً على سؤال إحدى الصحف المحلية، عن موعد الانتخابات موضحاً أنها سوف تجري فور انتهاء اللجنة المكلفة بدراسة نظام الاتحاد الطلبة من عملها، وبعد أن ترفع التوصيات، لكن كان لوزير التربية تصرّح ثاني بعد مقابلة سكرتارية اتحاد الطلبة العام، وضح أن الانتخابات لن تجري ما لم يسود الهدوء في المعاهد والكلّيات العلمية، وأكد على ضرورة اتفاق جميع الفئات الطلابية من أجل خلق جو ملائم لأقامه الانتخابات، وكانت هناك تفسيرات من جانب الطلاب لتصريّحات وزير التربية المتناقضة، حيث فسر الطلاب الوطنيون الديمقراطيون بأن القائمة الموحدة التي دعوا إليها سابقاً هي التي دعا إليها الوزير حتى يستقر الوضع العام داخل التعليم^(٦٥). حيث كانت أكثر المحافظات التي تمثلت فيها الصراعات في هذه المرحلة هي مدينة الموصل حيث كانت الغالبية من الطلبة المؤيدين إلى البعثين وكانوا بدافع وتحريض من بعض المعلمين والمدرسين حيث كانوا يحرضون الطلاب على الاضراب حتى يوقف التعليم، وتصبح البيئة التعليمية تعج بالصراعات السياسية، حيث اتخذت وزارة التربية بعد الاضراب من الطلاب إلى التوصل إلى الحقيقة من يقف وراء هذا التحريض، حيث قامت وزارة التربية باتخاذ الاجراءات للسيطرة على الوضع

منها إيقاف التعليم مدة شهر، وقامت بنقل المعلمين والمدرسين الى مناطق بعيدة لا يمكنهم نشر افكارهم الحزبية بشكل منظم، وكذلك ابعدت بعض ادارات المدارس من المتحزبين^(٦٦). كما اشار الطلاب الوطنيون الديمقراطيون الى ان الخروج من هذه الازمة هو التنازل كل الاطراف من الموقف المتشنج من قبل الطلاب وان الحل الحقيقي هو تأييد القائمة الموحدة التي دعا اليها الطلبة الديمقراطيون التي تشمل كل الفئات من الطلبة وجعل الاتحاد موحد بقائمة موحدة وليس حكراً على سيطرة فئة معينة للاتحاد^(٦٧). وفي غضون ذلك اضرب الطلاب المدارس في مدينة الموصل عن الدراسة في يوم الخامس والعشرون، من كانون الأول عام ١٩٦٠، احتجاجاً على التفرقة التي تقوم بها الوزارة بين الطلبة البعثيون والطلبة الشيوعيون، لاسيما في مجال النقل حيث الطلبة الشيوعيين مسموح لهم الى اي جهة يردونها، وطالبوا بسد الشواغر التي تسببها النقل المستمر للكوادر التدريسية، وقد وزعت منشورات في الموصل يوم الثامن والعشرين من كانون الأول عام ١٩٦٠، تطالب في الى الاضراب المدارس بسبب سياسية الوزارة في التفرقة بين الطلاب الشيوعيين والطلاب البعثيين، وسياسة الابعاد والنقل المستمر اتجاه بعض الاساتذة القوميين مما جعل بعض الشواغر في المدارس، وكذلك طالبوا بالأفراج عن بعض الطلبة المعتقلين والمبعدين بسبب افكارهم وتوجهاتهم السياسية والاسراع في سد الشواغر الدراسية في عموم مدينة الموصل^(٦٨). وفي غضون كان الموقف الحكومي في مدينة الموصل من هذا الاضراب، حيث تدخلت القوات الامنية واستدعت المسؤولين عن الاضراب، واندرتهم باتخاذ الاجراءات الصارمة في حال استمر الوضع الفوضي الى هذا الحال، كما ابلغت الادارات المدارس المتوسطة والاعدادية والمهنية بأن يقفوا موقف حازماً من هذه الفوضى التي تؤثر على سلامة الامن والنظام في داخل البيئة الطلابية، وهذا يفتح المجال الى المغرضين بالتدخل في سير العملية التعليمية والبلد بصورة عامة، ودعت الجهات الامنية والاستخباراتية الى انها الاضراب فوراً وضع حداً لهذه الممارسات التخريبية للعملية التعليمية^(٦٩). وقد اصدر وزير التربية والتعليم بياناً في التاسع والعشرين من كانون الأول عام ١٩٦٠، الى طلاب محافظة

الموصل وأشار فيه الى ان الاضراب والانقطاع عن الدوام في المدارس في مدينة الموصل ومعاهدها سوف يؤثر تأثير سلبي على مستقبل الطلاب والمستوى الثقافي بشكل عام، وأكد على ضرورة الاحترام للطلبة لأساتذتهم المعلمين والمدرسين لأنه هذا يدل على حسن الخلق، وعلى الطلبة الالتزام بالهدوء والابتعاد عن الصراعات الحزبية والفئوية التي لا تخدم مصالح الطلاب، واختتم البيان بدعوة الطلاب الى العودة الى مقاعدهم الدراسية وانهاء الاضراب والفوضى والصراع بين صفوف الطلاب والابتعاد عن الخلافات الحزبية والسياسية التي لا تنفع احد من الطلاب^(٧٠). كما وجه الوزير في نفس اليوم بياناً اخر حمل فيه المعلمين والمدرسين مسؤولية عما يجري في المدارس والمعاهد وحثهم الى اتخاذ الاجراءات القانونية بحق اي طالب يثير الفوضى في داخل المدرسة او المعهد، ودعا الهيئات التدريسية والتعليمية الى بث روح التعاون والاخوة بين الطلاب من اجل الاستمرار في دوام الطلبة كما اختتم البيان بأن الوزارة سوف تتخذ الاجراءات القانونية بحق اي مخالف للتعليمات الحكومة^(٧١). وفي الثلاثين من كانون الأول عثر منشورات تابعة الى حزب البعث معلقة على جدران بعض المنازل والمحلات تدعوا فيه الطلبة الى العودة الى مدارسهم وانهاء الاضراب الذي اعلن يوم الخامس والعشرين من الشهر وحدد موعد يوم السبت الحادي والثلاثين من كانون الأول هو العودة الى المدارس بعد يوم واحد من بيان وزير التربية^(٧٢). ووفق هذه التطورات شكلت الطليعة الطلابية وفداً في وائل عام ١٩٦١، لمقابلة عمادات الكليات ورئاسة جامعة بغداد، ووزير التربية، معبرة عن مطالب الحركة الطلابية التي تدعوا الى ضرورة اجراء الانتخابات الطلابية السنوية، كما وزعت هذه الوفود منشورات بين الطلاب وجهت فيها الطلاب الى الضغط على السلطة من اجل اجراء الانتخابات الطلابية^(٧٣). وقد حصل صراع بين الطلاب بسبب اختلاف توجهاتهم السياسية حيث كان هذه المرة في كلية التربية جامعة بغداد، بسبب تأجيل الانتخابات الى اجل غير مسمى، وقد كان اسباب هذا الصراع هو الاستقطاب المتزايد من الطلاب لصالح لجهات السياسية من الطلاب حيث كانت كل مجموعة تحاول التأثير على اكثر عدد ممكن من الطلاب وبلغ هذا الصراع

الصدام بين الطلبة، مما دعا الى تدخل القوى الامنية والعسكرية في المنطقة، بتاريخ الثالث من كانون الأول عام ١٩٦١، الامر الذي ادى الى حل اتحاد الطلبة العام في الكلية^(٧٤). وجاء بفرار الحل كالتالي ((لما كان اعضاء اتحاد الطلبة في كلية التربية قد قاموا بأعمال تهدف الى بث الشقاق، واحداث الفرقة بين الطلاب، قد خالف في فعالياته الاغراض التي اسس من اجلها واستناداً الى الصلاحيات المخولة لنا وفق الفقرة (٨) من المادة (١٤) من مرسوم الادارة العرفية رقم ١٨ لسنة ١٩٣٥، قررنا حل اتحاد الطلبة في كلية التربية، لمنع اي فرد من اعضائه ممارسة اي عمل له صلة باتحاد الطلبة المنحل، يرجى اليعاز باتخاذ الاجراءات اللازمة للتنفيذ))^(٧٥). وبسبب المطالبات المتزايدة من الطلاب بأجراء الانتخابات حيث صرح وزير التربية اسماعيل العارف، في الخامس من كانون الثاني، عام ١٩٦١، لمندوب وكالة الانباء العراقية بأن الانتخابات سوف تقام ، وان حقوق الطلاب والتعبير عن ارادتهم محفوظ ومؤمن ، وان وزارة التربية تجعل لها الصدارة في اعمالها المقبلة، وعلى الطلبة الالتزام بالدوام الكامل الصحيح والابتعاد عن الصراعات الحزبية بينهم، واحترام اساتذتهم^(٧٦). كما اصدرت الطليعة الطلابية التقديمية بياناً بتاريخ الخامس عشر من شباط، عام ١٩٦١، هاجمت به الطلاب الشيوعيين ، وأشارت الى ان هناك تحيز من الحكومة لهم، وكذلك اشار البيان، الى تخفيف العقوبات على بعض الطلبة الذي حكم عليهم بالإعدام وهم منتمين الى البعثيين من الطلبة بسبب الصراعات الطلابية التي حدثت ، وان الحكم عليهم كان بصورة صورية لم تستكمل ابسط الاصول القانونية لهم، وكذلك اشار البيان، الى ان الطلاب الموجودين في المعتقل قد اضربوا عن الطعام لمدة ثمانية ايام احتجاجاً على عدم المعاملة الانسانية الموجودة ضدهم، واختتم البيان الى دعوة الطلاب الى مساندة اخوانهم في السجون الذين ضحوا بحريتهم من اجل الشعب ورفاهيته^(٧٧). ومع كل الوعود التي قطعتها الحكومة لإجراء الانتخابات فضلاً عن مطالب الطلبة الذي كانت من ورائها الاحزاب السياسية المنتمية اليها ، لكن كانت الحكومة لها موقف اخر وهو مماطلتها وسوف هذه الانتخابات دون اجرائها ، حتى اصبح مطالب عام للطلاب في العراق،

ويرجع سبب مفاطرة الحكومة وعدم اجراء الانتخابات هو تخوف الصراع التي قد يحدث بسبب النتائج بعد الانتخابات ويتصاعد الصراع اكثر, كما حدث في الاعوام السابقة من عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩, الامر الذي دفع الاحزاب السياسية المعارضة الى التدخل بشكل اكبر في هذه الصراعات عن طريق تشكيل منظمات طلابية وخلق فوضى في داخل التعليم وتصبح الطلاب للتصفيات السياسية.

الخاتمة:

من خلال الدراسة تم التوصل الى مجموع استنتاجات وهي:

١- كانت الصراعات واضحة بين الطلاب وهذه ناتجة عن وضع سياسي كان متأزم مما انعكس سلباً على الواقع التربوي, وكانت الطلاب ضحية صراعات سياسية بين قطبين كبيرين في تلك المرحلة وخاصة للفترة ١٩٥٩- ١٩٦١, كان اهم قوتين هم الشيوعيين والبعثيين وكل منهما كان يستقطب مجموعة من الطلاب واصبحت المدارس والكلديات والمعاهد محل لهذه الصراعات اثر سلباً على الواقع التعليمي وكان واضح هذا من خلال الاضرابات عن الدوام.

٢- تأثر الكادر التعليمي بالوضع السياسي الذي كان يجري في البلد من خلال التنافس الطلاب , حيث اثبت ان للكادر التعليمي والاساتذة من خلال التحقيقات التي كانت تجري بعد كل احداث ان الاساتذة كان المحرض الاساس للطلبة وتشجيعهم على الاضراب وظهر هذا في الاحداث التي وقعت في الخامس والعشرون من كانون الاول عام ١٩٦٠, وتم على اثرها نقل بعض المعلمين عن اماكن عملهم الى اماكن اخرى.

٣- اما الموقف الحكومي المتمثل برئيس الوزراء عبد الكريم قاسم, كان اشبه بالقريب على الطلبة من الحزب الشيوعي وهذا واضح وخاص بعد عملية الاغتيال التي تعرض لها في السادس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٥٩, وقد اتهم بها حزب البعث, عند خروجه من المستشفى خرجت جموع المسيرات الطلابية للاحتفال بخروجه من المستشفى, وموقف الداعم للاتحاد الطلابي الذي يسيطر عليه الغالبية من

الطلبة الشيوعيين، وتمثل هذا أيضاً من خلال قبوله دعوة المؤتمر الطلابي العالمي الذي انعقد في بغداد وافتتاح عبد الكريم قاسم للمؤتمر في الثاني من كانون الثاني عام ١٩٦٠، رغم اعتراض مجموعة كبيرة من الطلاب على هذا المؤتمر وأحدث نوع من الصراع بينهم، لكن كان اصرار عبد الكريم قاسم على انعقاد هذا المؤتمر لاتحاد الطلاب العالمي يكون في العاصمة العراقية بغداد.

٤- اما موقف وزارة التربية والتعليم كان اشبه بالحيادي من الصراع بين الطلبة وتبين هذا من خلال معاقبة وتوبيخ بعض الطلبة من الجانبين سواء كان من البعثيين او الشيوعيين من اجل السيطرة على الموقف، رغم انها لم تجري الانتخابات المقرر عام ١٩٦٠، لكن كانت محقة عندما وجدت هناك انقسام طلابي متزايد وخاصة بعد دراسات عن الانتخابات التي جرت سابقاً، وادت الى هذه النتيجة من الصراع وادى الى التأثير في العملية التعليمية والاضراب عن الدوام الذي استمر بين فترة واخرى.

الهوامش:

(١) حيدر زكي عبد الكريم الكردي، الجمهورية العراقية الاولى ١٩٥٨ - ١٩٦٣، دار نينوى ،دمشق، ٢٠١١، ص٦٩-٧١.

(٢) نوري عبد الحميد العاني وعلاء جاسم محمد حربي، تاريخ الوزارات العراقية، في العهد الجمهوري ١٩٥٨ - ١٩٦٣، ج٣، ط٢، بيت الحكمة، بغداد ، ٢٠٠٥، ص٢٩٥ - ٣٠٥.

(٣) د. ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملف رقم ٤٥٦ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ٢٢١، ص٣٥٢.

(٤) جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق ١٩٥٨ - ١٩٦٨، دراسة وثائقية في ضوء التقارير الامنية الخاصة ، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٠، ص١٠٣.

(٥) د. ك. و. وزارة الدفاع، ملف رقم ٤٣٩ / ٤٢٠٦٠٦٢، خيرية محمد، ٤٢، ص٧٠.

(٦) جريد الحرية، العدد ١٤٨٣، ٥ تشرين الأول ١٩٥٩.

(٧) جريدة الحرية، العدد ١٥١٤، ١٠ تشرين الثاني ١٩٥٩.

(٨) المصدر نفسه.

- (٩) د.ك. و، وزارة الدفاع، ملف رقم ٤٣٩ / ٤٢٠٦٠٦٢، خيرية محمد ، ٤٢، ص ٥٠.
- (١٠) اوريل دان، العراق في عهد قاسم تاريخ سياسي ١٩٥٨-١٩٦٣، ترجمة جرجيس فتح الله، دار نيز للطباعة والنشر، السويد ١٩٨٩، ص ٣٠٦-٣٠٧.
- (١١) جريدة اتحاد الشعب، العدد ٢٥٥، ٢٠ تشرين الثاني، ١٩٥٩.
- (١٢) نقلاً عن: جريدة الحرية، العدد ١٥١٦، ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٩.
- (١٣) المصدر نفسه.
- (١٤) نوري عبد الحميد العاني وعلاء جاسم محمد الحربي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٨٥٨-١٩٦٣، ج ٣، المصدر السابق، ص ٣٥٤.
- (١٥) جريدة الحرية، العدد ١٥٢١، ٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٩.
- (١٦) جريدة الحرية، العدد ١٥٢٢، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٥٩.
- (١٧) المصدر نفسه.
- (١٨) عادل تقي البلداوي، الحزب الوطني التقدمي في العراق في العهد الملكي الاول، شركة الحسام للطباعة، بغداد، ٢٠٠٠، ص ١٣٤-١٣٥.
- (١٩) اوريل دان، المصدر السابق، ص ٣٠٦-٣٠٧.
- (٢٠) د.ك. و، وزارة التربية، ملف رقم ٤٥٦ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ١٣٤، ص ١٥٠.
- (٢١) المصدر نفسه، ١٧٢، ص ١٩٠.
- (٢٢) ماجد شبر، خطب الزعيم عبد الكريم قاسم ١٩٥٨-١٩٥٩، دار الورق للنشر المحدود، لندن، ٢٠٠٧، ص ٢٧٦.
- (٢٣) د.ك. و، وزارة التربية والتعليم، ملفه رقم ٤٥٦ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ٨٢، ص ٩١.
- (٢٤) د.ك. و، وزارة التربية والتعليم، ملفه رقم ٤٥٦ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ٩٠، ص ١٤٩.
- (٢٥) جريدة الزمان، العدد ٦٧٣٠، ٢ كانون الثاني ١٩٦٠.
- (٢٦) جريدة اتحاد الشعب، العدد ٢٩٣، ٣ كانون الثاني ١٩٦٠.
- (٢٧) جريد الزمان، العدد ٦٧٣١، ٣ كانون الثاني ١٩٦٠، جريدة اتحاد الشعب، العدد ٢٩٤، ٤ كانون الثاني ١٩٦٠.
- (٢٨) جريدة الزمان، العدد ٦٧٣٠، ٢ كانون الثاني، ١٩٦٠.

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) مهدي الحافظ: ولد في مدينة الديوانية عام ١٩٤٣، وكان من المحرضين الطلاب على الاضرابات الطلابية، ومنها اضراب ثانوية الشامية على أداء الامتحان يوم التاسع من شباط، عام ١٩٥٩، وتم طرده من الثانوية وكان له نشاط بتنظيم سفرات للطلاب الشيوعيين، واصبح عضو في المركزية في الحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٧٦، وقد مثل العراق كوزير مفوضاً من الامم المتحدة بجنيف بين عام ١٩٧٨-١٩٨٠، وكذلك تم تعيينه عام ٢٠٠٣ وزيراً للتخطيط في الحكومة التي تشكلت بعد سقوط نظام حكم صدام حسين. للمزيد ينظر: م. أ. ع. القيود السرية، اضرابة مهدي الحافظ، المرقمة ٢٢٤٣٦/ط/٦٦.

(٣١) جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٨، دراسة وثائقية في ضوء التقارير الامنية الخاصة، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٠، ص ١١٨.

(٣٢) جرية اتحاد الشعب، العدد ٣٠٥، ١٧ كانون الثاني ١٩٦٠.

(٣٣) جريد اتحاد الشعب، العدد ٣٠٧، ١٩ كانون الثاني ١٩٦٠.

(٣٤) جريدة اتحاد الشعب، العدد ١٩، ١٤ شباط ١٩٦٠.

(٣٥) جريدة الحرية، العدد ١٥٦١، ٢٢ نيسان، ١٩٦٠.

(٣٦) الحزب الاسلامي العراقي: وهو الحزب الذي تأسس بعد صدور قانون الجمعيات العراقية، في ١ كانون الثاني عام ١٩٦٠، اذا قدم كل ابراهيم عبد الله شهاب، ونعمان عبد الله السامرائي، وغيرهم طلباً الى وزارة الداخلية في الثامن من شباط عام ١٩٦٠، بتأليف حزب سياسي، يعد الواجهة لجماعة الاخوان المسلمين في العراق، التي غادر زعيمها محمد محمود الصواف العراق في ١ ايلول عام ١٩٥٩، بعد ان بعد ان عين قيادة جديد تمثلت في عبد الكريم زيدان، وقد رفض وزير الداخلية طلب التأسيس في نهاية اذار، واسباب الرفض هو علاقة الحزب مع جهات اجنبية، ولكن المؤسسين قدم اعتراض لدى الهيئة العام لمحكمة التمييز العراقي وفي ٢٦ من نيسان نقضت المحكمة قرار الوزير الداخلية، واجيز الحزب. للمزيد ينظر: عبد الفتاح علي البوتاني، العراق دراسة في التطورات السياسية الداخلية ١٤ تموز ١٩٥٨-٨ شباط ١٩٦٣، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٨، ص ٢٨٨-٢٩١.

(٣٧) جريدة الحرية، العدد ١٦٨٣، ٢٥ ايلول ١٩٦٠.

(٣٨) جريدة الحرية، العدد ١٦٧٩، ٢٠ ايلول ١٩٦٠.

- (٣٩) د.ك. و، وزارة التربية والتعليم، ملفه ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، نشرة بعنوان (الرابطة الاسلامية لطلبة الجمهورية العراقية)، و٤١، ص ٧٠.
- (٤٠) نوري عبد الحميد العاني وعلاء جاسم محمد حربي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨-١٩٦٨، ج ٥ (١٤-١٥-مايس ١٩٦١-٨ شباط ١٩٦٣، ط٢، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٣٠٧.
- (٤١) غازي فيصل، لمحات خالدة من تاريخ الاتحاد الوطني لطلبة العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥، ص ١١.
- (٤٢) جريدة الحرية، العدد ١٦٨١، ٢٢ ايلول ١٩٦٠.
- (٤٣) عادل تقي البلداوي، الحزب الوطني التقدمي، ص ١٣٤.
- (٤٤) د.ك. و، وزارة التربية والتعليم، ملفه رقم ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، و٤١، ص ٧٢.
- (٤٥) جريدة الاهالي، العدد ٥٨٢، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٠.
- (٤٦) المصدر نفسه.
- (٤٧) عبد الفتاح علي البوتاني، المصدر السابق، ص ٣٠٨.
- (٤٨) جريد الاهالي، العدد ٥٥٦، ٢١ تشرين الأول ١٩٦٠.
- (٤٩) م. أ. ع، ملفه رقم (١٩/٨ / أ)، ملفه بيانات الطليعة الطلابية التقدمية، بيان بعنوان (الى جميع الطلبة)، بتاريخ ٨ تشرين الأول، ١٩٦٠.
- (٥٠) د.ك. و، وزارة التربية والتعليم، ملفه رقم ٤٥٦ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ١٥٩، ص ٢١٩.
- (٥١) جريدة الاهالي، العدد ٥٥٦، ٢١ تشرين الاول عام ١٩٦٠.
- (٥٢) جريد الحرية، العدد ١٥٦٣، ٢٥ نيسان ١٩٦٠.
- (٥٣) المصدر نفسه.
- (٥٤) جريدة الاهالي، العدد ٥٨٢، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٠.
- (٥٥) د. ك. و، وزارة الدفاع، المجلس العسكري العرفي الثاني، ملفه رقم ٤٣٩ / ٤٢٠٦٠٦٢، خيرية محمد، ٤٢، ص ٥٠.
- (٥٦) اوريل دان، المصدر السابق، ص ٤٠١.

- (٥٧) مناف جاسم محمد علي خزاعي, الحزب الشيوعي العراقي ١٩٥٨-١٩٦٣, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب, جامعة ذي قار, ٢٠١١, ص ١٥٥.
- (٥٨) م. أ. ع, ملفه رقم (٨ / ١٩ / أ), ملفه بيانات الطليعة الطلابية التقديمية, بعنوان (بيان الى جماهير الطلبة) بتاريخ ٣٠ تشرين الاول ١٩٦٠.
- (٥٩) عبد الفتاح علي البوتاني, المصدر السابق, ص ٣٠٩.
- (٦٠) ميسة ثابت نعمان القسي, ثانوية الكرخ ودورها التربوي والسياسي في تاريخ العراق من عام ١٩٢٧- ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية, جامعة بغداد, ٢٠٠٢, ص ٨٨.
- (٦١) نقلاً عن: د. ك. و, وزارة التربية والتعليم, ملفه رقم ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠, الطلاب ومعاملاتهم, ١٨, ص ٣٣.
- (٦٢) المصدر نفسه.
- (٦٣) جريد الاهالي, العدد ٦٠٢, ١٥ كانون الأول ١٩٦٠.
- (٦٤) م. أ. ع, ملفه رقم (٨ / ١٩ / أ), ملفه بيانات الطليعة التقديمية, بيان بعنوان (سنمارس بعزم ونضال حقوقنا الديمقراطية), بتاريخ ١٧ كانون الأول ١٩٦٠.
- (٦٥) جريد الاهالي, العدد ٦١٤, ٢٩ كانون الأول ١٩٦٠.
- (٦٦) د. ك. و, وزارة التربية والتعليم, ملفه رقم ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠, الطلاب ومعاملاتهم, ٥, ص ١٢.
- (٦٧) جريدة الاهالي, العدد ٦٠٨, ٢٢ كانون الأول ١٩٦٠.
- (٦٨) د. ك. و, وزارة التربية والتعليم, ملفه ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠, الطلاب ومعاملاتهم, ٥, ص ١٣.
- (٦٩) د. ك. و, وزارة التربية والتعليم, ملفه ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠, الطلاب ومعاملاتهم, ٦, ص ١٤.
- (٧٠) د.ك. و, وزارة التربية والتعليم, ملفه رقم ٤٥٦ / ٤٢١٢٠٠, الطلاب ومعاملاتهم, ٤, ص ١٠.
- (٧١) د.ك. و, وزارة التربية والتعليم, ملفه رقم ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠, الطلاب ومعاملاتهم, ٤, ص ١١.
- (٧٢) د.ك. و, وزارة التربية والتعليم, ملفه رقم ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠, الطلاب ومعاملاتهم, ٢, ص ٧.
- (٧٣) م. أ. ع. ملفه رقم (٨ / ١٩ / أ) توزيع نشرات سريه , نشرة بعنوان (بيان الى جماهير الطلبة من اجل بناء وتطوير وحدة طلابية متينة) العدد ٢٥٤٣٨, بتاريخ ٣١ تشرين الأول ١٩٦١.

- (٧٤) م. أ. ع، ملفه بلا رقم، الحركة الشيوعية في العراق، عنوان الملف عنوان الملف سيادة الحاكم العسكري العام الموجة الى وزارة المعارف حول حل اتحاد الطلبة، العدد ٢٩٤ ، بتاريخ ١١ كانون الثاني ١٩٦١.
- (٧٥) جريدة الزمان، العدد ٧٠٢١، ٦ كانون الثاني ١٩٦٦.
- (٧٦) المصدر نفسه.
- (٧٧) م. و. د، ملفه بلا رقم، ملف بيانات الطليعة الطلابية التقدمية ، بيان بعنوان (الى الجماهير الطلبة) ، العدد ١٤١٧، بتاريخ ١٥ شباط ١٩٦١.

المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق:

أ- الوثائق الغير منشورة:

١- وثائق وزارة التربية والتعليم:

- ١- د. ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملف رقم ٤٥٦ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ٢٢١.
- ٢- د. ك. و. وزارة التربية ، ملف رقم ٤٥٦ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ١٣٤.
- ٣- د. ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملفه رقم ٤٥٦ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ٨٢، ص ٩١.
- ٤- د. ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملفه رقم ٤٥٦ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ٩٠، ص ١٤٩.
- ٥- د. ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملفه ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، نشرة بعنوان (الرابطة الاسلامية لطلبة الجمهورية العراقية)، و ٤١.
- ٦- د. ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملفه رقم ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ٤١.
- ٧- د. ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملفه رقم ٤٥٦ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ١٥٩.
- ٨- د. ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملفه رقم ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ١٨.
- ٩- د. ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملفه ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ٥.
- ١٠- د. ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملفه ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ٦.
- ١١- د. ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملفه رقم ٤٥٦ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ٤.
- ١٢- د. ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملفه رقم ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ٤.

١٣- د.ك. و. وزارة التربية والتعليم، ملفه رقم ٤٦٧ / ٤٢١٢٠٠، الطلاب ومعاملاتهم، ٢.

٢- وثائق وزارة الدفاع:

١- د.ك. و. وزارة الدفاع، ملف رقم ٤٣٩ / ٤٢٠٦٠٦٢، خربة محمد، ٤٢.

٢- د.ك. و. وزارة الدفاع، المجلس العسكري العرفي الثاني، ملفه رقم ٤٣٩ / ٤٢٠٦٠٦٢، خربة محمد، ٤٢.

٣- ملفات الامن العامة (م. أ. ع.):

١- ملفات الحركة الشيوعية في العراق (من دون رقم)

أ- ملفه بلا رقم، الحركة الشيوعية في العراق، عنوان الملف عنوان الملف سيادة الحاكم العسكري العام الموجه الى وزارة المعارف حول حل اتحاد الطلبة، العدد ٢٩٤، بتاريخ ١١ كانون الثاني ١٩٦١.

٢- ملفه القيود السرية (من دون رقم):

أ- اضبارة مهدي الحافظ، المرقمة ٢٢٤٣٦ / ط / ٦٦.

٣- منشورات حزب البعث العربي الاشتراكي:

أ- ملفه رقم (٨ / ١٩ / أ) توزيع نشرات سريه، نشرة بعنوان (بيان الى جماهير الطلبة من اجل بناء وتطوير وحدة طلابية متينة) العدد ٢٥٤٣٨، بتاريخ ٣١ تشرين الأول ١٩٦١.

ب- بيانات الطليعة الطلابية التقدمية (٨ / ١٩ / أ)

١. بلا رقم، ملف بيانات الطليعة الطلابية التقدمية، بيان بعنوان (الى الجماهير الطلبة)، العدد ١٤١٧، بتاريخ ١٥ شباط ١٩٦١.

٢. ملفه رقم (٨ / ١٩ / أ) توزيع نشرات سريه، نشرة بعنوان (بيان الى جماهير الطلبة من اجل بناء وتطوير وحدة طلابية متينة) العدد ٢٥٤٣٨، بتاريخ ٣١ تشرين الأول ١٩٦١.

٣. ملفه رقم (٨ / ١٩ / أ)، ملفه بيانات الطليعة التقدمية، بيان بعنوان (سمنارس بعزم ونضال حقوقنا الديمقراطية)، بتاريخ ١٧ كانون الأول ١٩٦٠.

٤. ملفه رقم (٨ / ١٩ / أ)، ملفه بيانات الطليعة الطلابية التقدمية، بيان بعنوان (بيان الى جماهير الطلبة) بتاريخ ٣٠ تشرين الاول ١٩٦٠.

٥. ملفه رقم (١٩/٨ / أ) , ملفه بيانات الطليعة الطلابية التقدمية, بيان بعنوان (الى جميع الطلبة) , بتاريخ ٨ تشرين الأول, ١٩٦٠.

ثانياً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

١- ميسة ثابت نعمان القسي, ثانوية الكرخ ودورها التربوي والسياسي في تاريخ العراق من عام ١٩٢٧- ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية , جامعة بغداد, ٢٠٠٢ .

٢- مناف جاسم محمد علي خزاعي, الحزب الشيوعي العراقي ١٩٥٨-١٩٦٣, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب, جامعة ذي قار, ٢٠١١.

رابعاً: الكتب العربية والمترجمة:

١-نوري عبد الحميد العاني وعلاء جاسم محمد حربي, تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨-١٩٦٨, (١٤-١٥-مايس ١٩٦١-٨ شباط ١٩٦٣), ج٥, ط٢, بيت الحكمة , بغداد , ٢٠٠٥.

٢- غازي فيصل, لمحات خالدة من تاريخ الاتحاد الوطني لطلبة العراق, دار الحرية للطباعة, بغداد, ١٩٧٥.

٣- عبد الفتاح علي البوتاني , العراق دراسة في التطورات السياسية الداخلية ١٤ تموز ١٩٥٨ - ٨ شباط ١٩٦٣, دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع, دمشق , ٢٠٠٨.

٤- جعفر عباس حميدي, التطورات السياسية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٨, دراسة وثائقية في ضوء التقارير الامنية الخاصة, بيت الحكمة, بغداد, ٢٠١٠.

٥- حيدر زكي عبد الكريم الكردي, الجمهورية العراقية الاولى ١٩٥٨-١٩٦٣, دار نينوى ,دمشق, ٢٠١١.

٦-نوري عبد الحميد العاني وعلاء جاسم محمد حربي, تاريخ الوزارات العراقية, في العهد الجمهوري ١٩٥٨-١٩٦٣, ج٣, ط٢, بيت الحكمة, بغداد , ٢٠٠٥.

٧- ماجد شبر, خطب الزعيم عبد الكريم قاسم ١٩٥٨-١٩٥٩, دار الورق للنشر المحدود , لندن, ٢٠٠٧.

٨- عادل تقي البلداوي, الحزب الوطني التقدمي في العراق في العهد الملكي الاول, شركة الحسام للطباعة, بغداد, ٢٠٠٠.

الخصائص المناخية وأثرها في تربية الدواجن في ناحية الحيرة

م.م. حسن عبد الزهرة محمد

المديرية العامة للتربية/ النجف الاشرف

المقدمة:

تمثل الثروة الحيوانية بما فيها تربية وإنتاج الدواجن أهمية كبيرة لأنها تشكل نسبة جيدة ما يقارب نصف الإنتاج الزراعي في حين يحتل الإنتاج النباتي النصف الثاني من تلك الثروة ، وتعد تربية الدواجن من الأنشطة الزراعية المهمة التي من شأنها ان تدعم الاقتصاد الوطني، وتعتبر تربيتها وإنتاجها في العراق ومعظم ت البلاد العربية من أهم مصادر الغذاء الحيواني، فقد بدأ الاهتمام بهذا القطاع من قبل العراق و الدول العربية في عام (١٩٧٥م) الذي ادخل المشاريع الانتاجية الناجحة لأنها تعطي مردوداً اقتصادياً كبيراً ، كما انها تمثل الغذاء الرئيس للسكان بعد ازدياد الطلب عليها في النصف الأخير من القرن الماضي بسبب الزيادة السكانية بالإضافة الى الوعي الغذائي وتحسن الحالة المعاشية والاقتصادية لأكثر بلدان العالم ، وان تربية الدواجن تساهم في الاستخدام الأمثل للأرض ويمكن الاستفادة من منتجات المحاصيل الزراعية التي لا تصلح للاستهلاك البشري وتحويلها الى منتج أخرى كاللحم والبيض من خلال استخدامها كعلف للدواجن الذي يعد من المنتجات ذات قيمة غذائية كبيرة كون تربية الدواجن جزء مهم يدخل ضمن الأنشطة الاقتصادية وبالأخص بلدان العالم الثالث وبعض الدول المتطورة كاليابان تستخدم الزراعة والصناعة في انا واحد ،كما تعد تربية الدواجن من الأنشطة الاقتصادية المهمة لبلدان العالم بصورة عامة ومنطقة الدراسة بصورة خاصة لما لها من أثر في تحقيق الاكتفاء الذاتي وتوفير كثير من فرص العمل للسكان وكذلك تعمل على كونها تحاكي جميع طبقات المجتمع في الاستهلاك ،واستخدامها بعض العاملين كمهنة ثانوية بعد النشاط الزراعي لسهولة مزاولتها واتقان تربيتها، ويمكن الاستفادة منها

في الدخل القومي والعمل على تنميتها وتطويرها واستدامتها وجعلها منافس لبقية القطاعات الانتاجية الاخرى.

فان اهميتها الاقتصادية في القطاع الزراعي وتداخله مع بقية القطاعات الاقتصادية الاخرى يعطي نوع من التكامل الاقتصادي الايجابي ولاسيما انتاج الدواجن في توفير اللحوم البيضاء، ولا يخفى على العاملين في القطاع الحيواني (الدواجن) أن نجاح التربية الدواجن يعتمد على عوامل عدة منها الظروف المناخية التي تؤثر بصورة مباشرة او غير مباشرة على بقية العوامل الأخرى وبالأخص درجة الحرارة والرطوبة النسبية ويكمن تأثيرها على الافراخ وبالأخص في الاسبوع الاول عند بداية وضعها في الحقول، وكذلك تعتمد التربية على نوعية الاعلاف ، ودرجة خصوبتها بالإضافة الى العمل على الوقاية من الأمراض الفتاكة وتحديد نوع الامراض التي تصاب بها وفي أي فصل تتركز تلك الامراض وماهي علاقتها بالمؤثرات الطبيعية وخاصة المناخية والبيئية، والتركز على اكثر العناصر تأثيرا كدرجات الحرارة سواء كانت مرتفعة او منخفضة وكذلك الرطوبة النسبية ودورها الفعال المتزامن مع بقية العناصر المناخية الاخرى في التربية الدواجن واثرها في منطقة الدراسة.

اولا: مشكلة البحث: Research problem:

لا يمكن معرفة مشكلة البحث او بيان اثره مالم يكن بحثه او دراسته قائمة على اسس ومفاهيم ونظريات تستند اليها المشكلة لذلك تعد تحديد مشكلة البحث من الخطوات المهمة في الدراسة الجغرافية وذلك من خلال طرح عدة تساؤلات وهي:-

- ١- هل للعناصر المناخية تأثير كبير على تربية الدواجن في منطقة الدراسة؟
- ٢- هل هنالك دور للعناصر المناخية في ظهور بعض الامراض التي تصيب تربية الدواجن في منطقة الدراسة وما انواعها.

٣- ما دور العناصر المناخية في تأثير التباين المكاني لمشاريع تربية الدواجن في منطقة الدراسة.

ثانيا: فرضية البحث: Research Hypothesis :

تعد الفرضية الاجابة الاولى لمشكلة الدراسة من خلال تصور الباحث العلمي في وضع اقتراح للفرضية العلمية لحل المشكلة, وان الفرضية تخضع للتحليل العلمي لغرض بيان مصداقيتها, التي يجدها الباحث في دراسته وتكون مستندة على معلومات علمية سابقة ويتخذ الباحث عن طريق دراسته وعملة الميداني بصحة المعلومات من عدمها. من خلال بعض التساؤلات:-

١- تؤثر العناصر المناخية بشكل مباشر او غير مباشر على تربية الدواجن في منطقة الدراسة.

٢- هنالك بعض الامراض المستوطنة تنشط عندما تتغير بعض العناصر المناخية في منطقة الدراسة

٣- للمناخ دور كبير في التوزيع المكاني وبالأخص عندما تكون درجة الحرارة والرطوبة النسبية متزامنة كون نشأتها ذاتيه بفعل زراعة بعض المحاصيل التي تحتاج الى المياه.

ثالثا: اهمية وهدف البحث: search objective:

تبرز اهمية البحث المتمثلة بدراسة تحليل العناصر المناخية وأثرها في تربية الدواجن لما لها من أثر كبير في تربية الدواجن في منطقة الدراسة المتمثلة في عدد إصابات المرضية الكبيرة التي تتركز في بعض أشهر السنة كدرجة الحرارة في حال ارتفاعها عن الحد المقرر وكذلك عند ارتفاع نسبة الرطوبة في أشهر معين مما يؤدي الى هلاك كثير من الدواجن.

ولأهميتها تقوم برفد الاقتصادي الوطني كثير من اللحوم والبيض المائدة فضلا عن معرفة ما مدى دور العناصر المناخية وأثرها على الثروات وانعكاسها على الواقع والتوزيع الجغرافي وتحديد نوع الامراض التي تصيب الدواجن في تلك المنطقة وبيان اسبابها.

رابعا: حدود منطقة الدراسة: search limits :

١- الحدود المكانية:-

تتمثل منطقة الدراسة ضمن الحدود الادرية لمحافظة النجف الاشرف التي تقع في منطقة السهل الرسوبي ، وهي تبعد بمسافة ١٥ كم إلى الجنوب الغربي من الكوفة، ونحو ١٠ كم جنوب شرقي من النجف الاشرف، وبلغ مساحة الحيرة الحالية مع القرى التابعة لها بحدود ١٣٣ دونم ،كما تحدها من الشمال قضاء المناذرة ومن الشرق قضاء المشخاب ومن الجنوب بادية السماوة ومن الغرب ناحية الشبكة، حيث شملت الدراسة مجموعة من الحقول الموزعة على منطقة الدراسة .ينظر خريطة (١).

٢- الحدود الزمانية:-

تمثلت الحدود الزمانية للدراسة بتحليل العناصر المناخية ودراسة الامراض التي تظهر بفعل تأثير المناخ للسنوات (٢٠١٢-٢٠١٨م)، مع رصد وتسجيل ميداني مباشر مع تسجيل الاصابات لتربية الدواجن في منطقة الدراسة لتلك السنوات

خامسا: منهجية البحث: Research Methodology :

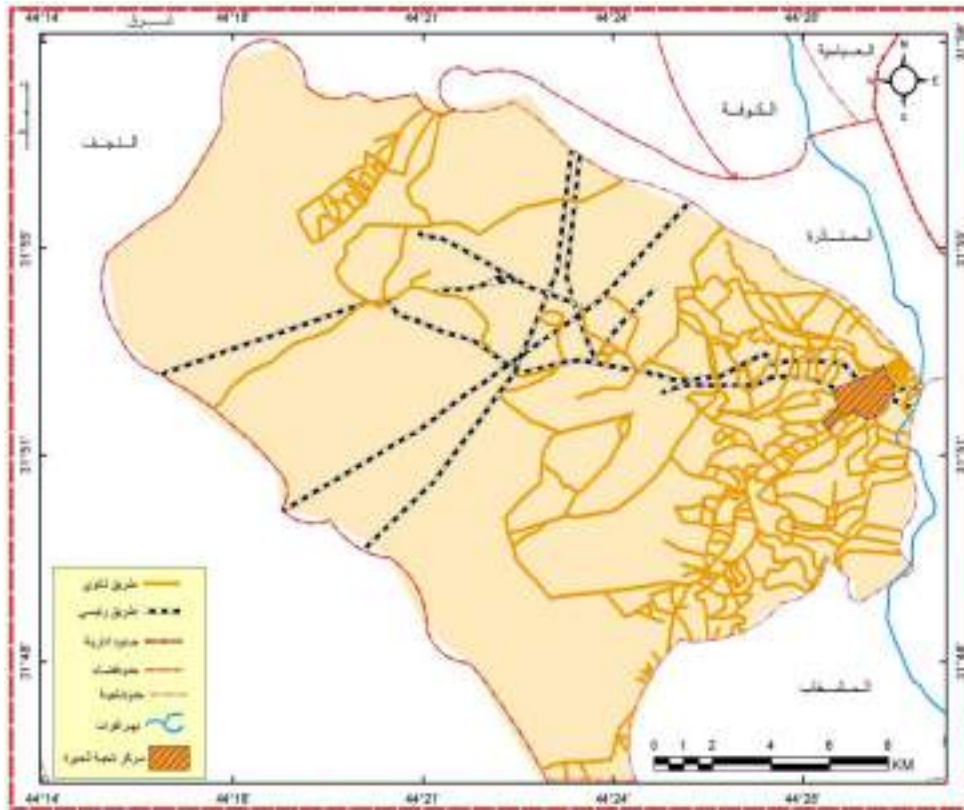
اعتمدت الدراسة البحث على عدد من المناهج في اعدادها كالمنهج الوصفي في جمع المعلومات والبيانات الاولية للدراسة البحث من خلال الدراسة الميدانية ومشاهدتها وتفسيرها، اما المنهج التحليلي فقد استخدم في الدراسة لقدرته على التحليل وربط العلاقة والافكار بين الخصائص المناخية لمنطقة الدراسة ومعرفة توزيعها الجغرافي والتباينات وتحديد نوع الامراض التي تصيب الدواجن في منطقة الدراسة.

سادسا: هيكلية البحث: search structure:

جاءت في دراسة البحث في مقدمة وثلاث مباحث فضلا عن قائمة الاستنتاجات وتضمن المبحث الاول واقع مشاريع تربية الدواجن في ناحية الحيرة اما المبحث الثاني تمثل تحليل الخصائص المناخية في

منطقة الدراسة اما المبحث الثالث تضمن امراض الدواجن الفيروسية والبكتيريا وعلاقتها بالمناخ في منطقة الدراسة.

خارطة (١) الحدود الادارية لناحية الحيرة



المصدر: بالاعتماد على الموارد المائية العامة , المساحة . النجف الاشرف, ٢٠٢١. باستخدام برنامج ArcGIS 10.7.

المبحث الاول/ واقع مشاريع تربية الدواجن في منطقة الدراسة:-

يمثل الإنتاج الحيواني العصب الرئيس للاقتصاد الوطني والامن الغذائي القومي للبلد , وأن الثروة الحيوانية لها دور بارز في مقدمتها انتاج اللحوم ومنها لحوم الدواجن وبيض المائدة , اخذة تتطور منتجات حقول الدواجن في العالم تطورا كبيرا وبالأخص في العقود الأخيرة بفضل التقنيات الحديثة المستخدمة في تنمية وتطور هذا القطاع لتحسين الأداء الإنتاجي لحقول الدواجن و منها فروج اللحم تحسنا كبيرا ضمن المعايير الإنتاجية الحديثة فأصبحت عمليات التربية و التهجين الحديثة لتربية الدواجن صالحة للجزر واصبحت عمليات التسويق بعمر لا يتجاوز الستة أسابيع أي بكفاءة تحويل (٢ كغم) من العلف الى كيلو غرام واحد من لحم الدجاج بطرق التغذية الحديثة , ومن هنا أصبحت منطقة الدراسة من بين المناطق الأخرى داخل البلد تمتاز بتطور و استثمار واسع لتقنيات الحديثة لتربية حقول الدواجن وتتميتها وطريقها الى الافضل من الناحية إنتاجية، كما تعد تربية وإنتاج الدواجن على نطاق واسع ضمن الانشطة الزراعية في العراق , وكذلك للعوامل المناخية دور مهم في الإنتاج الحيواني، إذ لا يقتصر تأثيره في التباين المكاني فحسب بل يتحكم بنوعية الإنتاج وكميته وله دور بارز في تحديد نوع الدواجن المرباة في مناطق إنتاجها وله تأثير كبير في فعاليتها المختلفة (كالنمو، التكاثر، وأصابتها بالأمراض).

فان العناصر المناخية متمثلة بـ (لإشعاع الشمسي، درجة الحرارة، والرطوبة النسبية والامطار) من اكثر العوامل تأثير في حيات الدواجن في منطقة الدراسة, ويندرج مناخ ناحية الحيرة ضمن المناخ حار(رطب) صيفا لان الرطوبة في منطقة الدراسة في فصل الصيف ذاتية لأنها تنشأ بسبب زراعة الرز, وان زراعته تحتاج الى مياه كبيرة فتزداد عملية التبخر فيكون الجو مشبعا بالرطوبة الى درجة كبيرة وهي ميزه تمتاز بها منطقة الدراسة وشتاء معتدل يتصف بأمطاره القليلة, ويقوم البحث على تقييم أثر الخصائص المناخية في تربية الدواجن، لتوضيح العلاقة وتفسيرها بين عناصر المناخ بعضها مع البعض الآخر وبيان

عناصر المناخ على تربية وإنتاج الدواجن , وبناءً على الدراسة الميدانية نجد ان تباين في منطقة الدراسة ان تربية الدواجن تسهم بنسبة لا بأس بها في اعداد ها وانتاجيتها, وكانت هذه المكانة التي تحتلها نتيجة لتوفر عوامل مشجعة للإنتاج الا ان تلك العوامل تتباين على مستوى الناحية مما أثر على صورة التوزيع المكاني لحقول الدواجن , واستنادا الى البيانات التي تم التوصل اليها للفترة (٢٠١٢ - ٢٠١٨), والدراسة الميدانية لمعرفة اكثر العناصر المناخية تأثيرا في تربية الدواجن فنجد ان درجة الحرارة والرطوبة لهما تأثير كبير كونهما احد اسباب بعض الأمراض التي تصيب الدواجن في منطقة الدراس كأففلونزا الطيور ونيوكاسل وكذلك تشخيص الامراض في أي شهر تنشط وفي أي عمر تصيب الدواجن من اجل وضع خطة لتفادي كالوقاية او للقاح او استخدام بعض العلاجات التقليدية.

يتضح من خلال جدول (١) تتمثل منطقة الدراسة في تربية الدجاج البياض الذي يتكون من ثلاث حقول ففي الحقل الاول يتكون من قاعتين فكانت الطاقة الانتاجية على النحو (١٢٦٠٠٠) طير, اما الحقل الثاني يتكون من ثلاث حقول قد بلغت الطاقة الإنتاجية على (٣٥٠٠٠) طير, اما الحقل الثالث يتكون من قاعتين بواقع (١٥٦٠٠) طير, كما يتضح ان نسبته تربية الدجاج البياض اقل من تربية دجاج لحم كما مبين في جدول (٢,١)

جدول (١) يمثل عدد الحقول للدجاج البياض في منطقة الدراسة

عدد القاعات	الطاقة الانتاجية
٢	١٢٦٠٠٠ طير
٣	٣٥٠٠٠ طير
٢	١٥٦٠٠

المصدر: شعبة زراعة الحيرة.

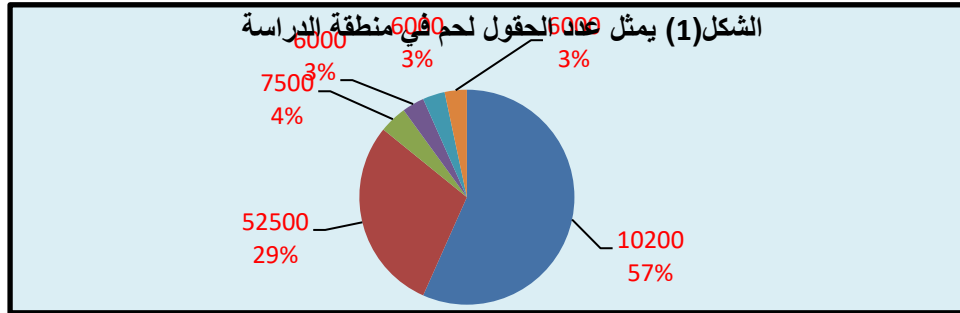
يتضح من خلال جدول رقم (٢) والشكل (١) ان تربية الدواجن في منطقة الدراسة تتمثل في تربية الدجاج لحم فكانت اعلى طاقة انتاجية في الحقل الاول الذي يتكون من قاعتين فبلغت الطاقة الانتاجية نحو (١٠٢٠٠) طير, اما ادنى الحقول في الطاقة الانتاجية فتتمثل في القاعات التي تحمل رقم واحد وكانت الطاقة كل منهما (٦٠٠٠) طير. كما نلاحظ من خلال الجدول نفسه ان هنالك تفاوت في اعداد الطيور في الحقول وهذا يرجع الى المعايير في تربية الدواجن لا يستطيع المربي ان يضع اكثر من المقرر فان تجاوز ذلك قد يصاب الحقل بالأمراض او الاختناق.

جدول (٢) يمثل عدد حقول الدجاج لحم في منطقة الدراسة.

عدد القاعات	الطاقة الانتاجية
٢	١٠٢٠٠٠ طير
٣	٥٢٥٠٠ طير
١	٧٥٠٠ طير
١	٦٠٠٠ طير
١	٦٠٠٠ طير
١	٦٠٠٠ طير

المصدر: المصدر: شعبة زراعة الحيرة

الخصائص المناخية وأثرها في تربية الدواجن في ناحية الحيرة



المصدر: بالاعتماد على جدول (٢)

يتبين من خلال جدول رقم (٣) والشكل (٢) ان التوزيع المكاني لتربية الدواجن في منطقة الدراسة يتباين موقعها حسب المقاطعة والموقع وتحديد الطاقة الانتاجية وعدد القاعات, فنجد ان اعلى طاقة انتاجية هي ضمن مقاطعة الدسم (٢٨) بواقع (١٤١٢٠) بعدد (٣) قاعات, في حين نجد ادنى طاقة انتاجية تتمثل في مقاطعة (٣٢) بساتين العجم بواقع (٦٥٠٠) بعدد (١) . ينظر خريطة (٢). صورة (١).

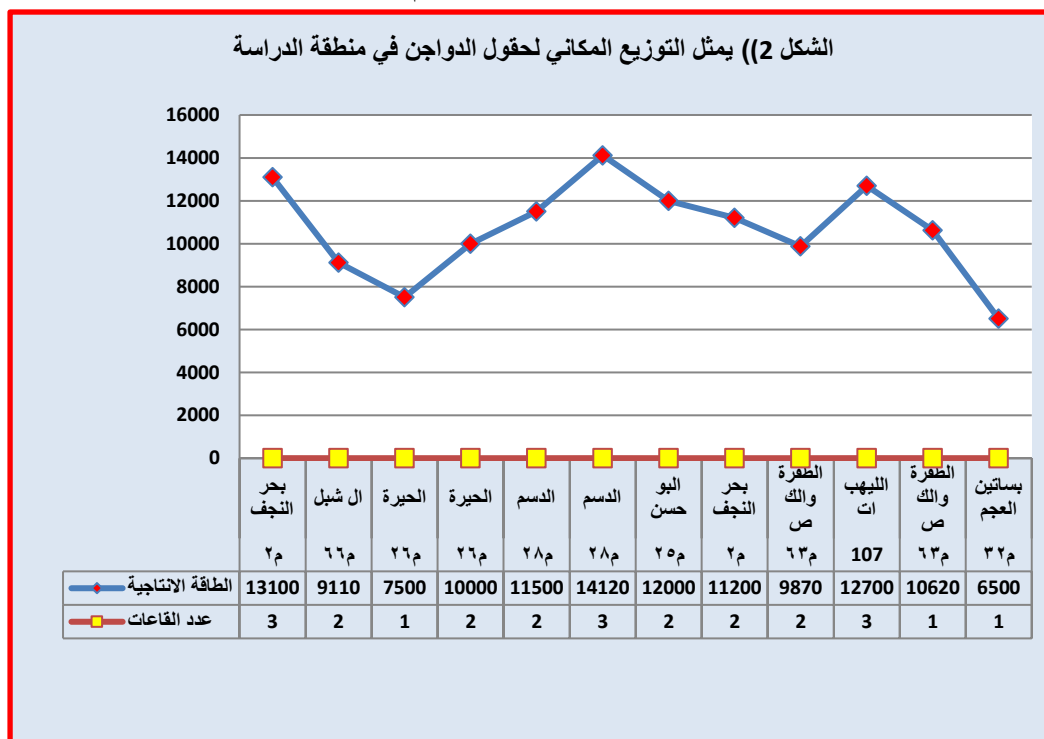
جدول (٣) التوزيع المكاني لحقول الدواجن في منطقة الدراسة.

التسلسل	المقاطعة	الموقع	الطاقة الانتاجية	عدد القاعات
١	٢م	بحر النجف	١٣١٠٠	٣
٢	٦٦م	ال شبل	٩١١٠	٢
٣	٢٦م	الحيرة	٧٥٠٠	١
٤	٢٦م	الحيرة	١٠٠٠٠	٢
٥	٢٨م	الدسم	١١٥٠٠	٢
٦	٢٨م	الدسم	١٤١٢٠	٣
٧	٢٥م	البو حسن	١٢٠٠٠	٢

الخصائص المناخية وأثرها في تربية الدواجن في ناحية الحيرة

٨	٢م	بحر النجف	١١٢٠٠	٢
٩	٦٣م	الطفرة والكص	٩٨٧٠	٢
١٠	١٠٧	الليهبات	١٢٧٠٠	٣
١١	٦٣م	الطفرة والكص	١٠٦٢٠	١
١٢	٣٢م	بساتين العجم	٦٥٠٠	١

المصدر: شعبة الزراعة الحيرة قسم الاحصاء.



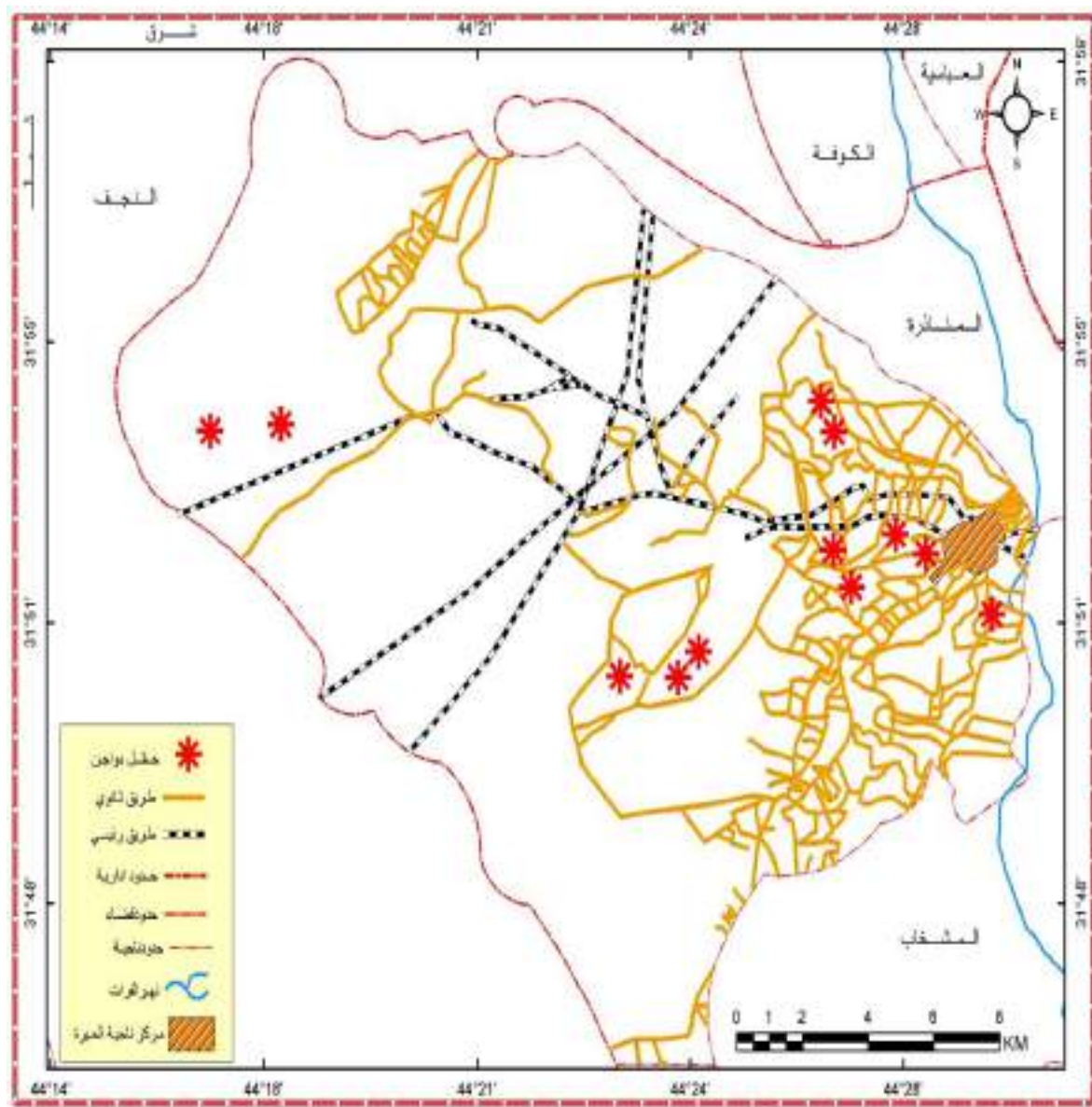
المصدر: بالاعتماد على جدول (٣)

صوره رقم (١) تمثل حقول تربية الدواجن في منطقة الدراسة.



خارطة (٢) التوزيع المكاني لحقول تربية الدواجن في ناحية الحيرة.

الخصائص المناخية وأثرها في تربية الدواجن في ناحية الحيرة



المصدر: بالاعتماد على جدول (٢)

المبحث الثاني/تحليل الخصائص المناخية في منطقة الدراسة:-

يعد المناخ من أهم الخصائص الطبيعية في علم المناخ لأنه يقوم بدراسة الظواهر الطبيعية لنشاط الزراعي بشقيه النباتي والحيواني, كما يختص علم المناخ بدراسة الظواهر الطبيعية الموجودة في الغلاف الجوي ولاسيما في جزئه الموجودة بينه وبين الأرض، وهناك التفاعلات في الغلاف الجوي تتباين في استلام أعلى قيم اشعاع ، فعندما تكون زاوية سقوط الإشعاع الشمسي عمودي او شبة عمودي يحدث تنوع في درجات الحرارة المختلفة فإن قيم الاشعاع الشمسي المستلمة تؤثر في تباين الضغط الجوي واتجاه ,في حين تكون القيم الرياح وسرعتها وكمية الأمطار الساقطة المستلمة عندما تتعامد أشعة الشمس على المدار السرطان فينعكس تأثير من منطقة إلى أخرى على سطح الأرض, لذا فإن دراسة الخصائص المناخية في منطقة الدراسة تعطي صورة عن مناخ و التأثيرات المحتملة على تربية الدواجن في ناحية الحيرة.

أولاً: الاشعاع الشمسي: "solar radiation"

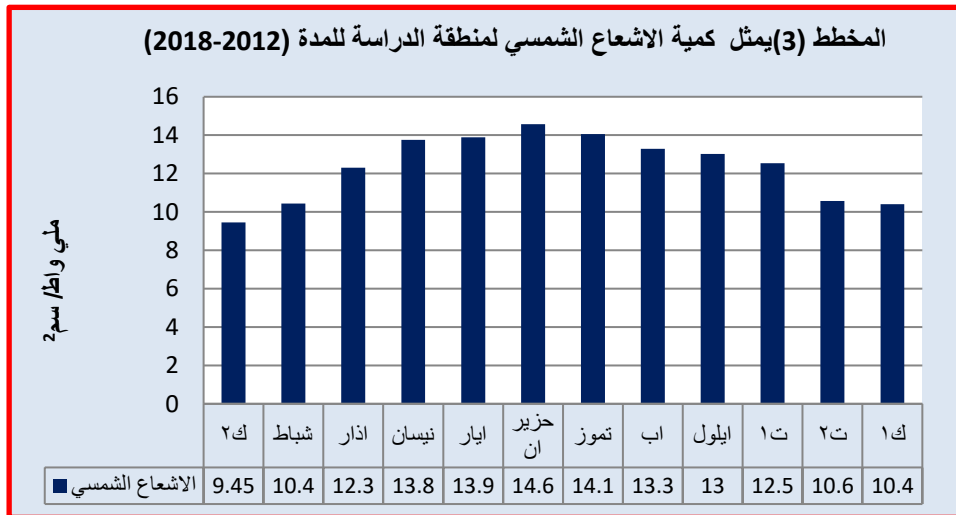
يقصد بالإشعاع الشمسي الطاقة الاشعاعية التي تطلقها الشمس في جميع الاتجاهات ويتضمن الضوء المرئي وغير المرئي من الطاقة الاشعاعية ، فيكون مصدراً للطاقة الضوئية والحرارية، فان شدة وكمية الاشعاع الشمسي المسلطة باتجاه الارض تعمل على توزيع العام لدرجات الحرارة التي تتحكم بعناصر المناخية الأخرى، ويحدد مقدار قيم الاشعاع الشمسي الواصل إليها عن طريق زوايا الاشعاع الشمسي وعدد ساعات السطوع النظرية والفعالية مما يترتب عليه تباين في درجات الحرارة شهرياً وفصلياً, وعندما تتعامد اشعة الشمس على مدار السرطان تبدأ أشعة الشمس بالنزول التي تطلقها الشمس في الاتجاهات جميعها عن مدار السرطان ثم تبدأ قيم الاشعاع الشمسي بالتوزيع العام لدرجات سعة / سم^٢ / يوم في

حين يسجل قيم الحرارة التي تتحكم بعناصر المناخ الأخرى. من خلال الجدول رقم (٤) والشكل (٣) نجد أن الاشعاع الشمسي يتباين زمانياً ومكانياً في منطقة الدراسة فان عدد ساعات السطوع النظري تكون منخفض في الاشهر {كانون الاول, كانون الثاني, شباط} سجلت قيما (١٠.٤١, ٩.٤٥, ١٠.٤٤/سا/يوم) على التوالي بسبب تناقص عدد ساعات السطوع النظري في فصل الشتاء لان اشعة الشمس عمودية على مدار الجدي في النصف الجنوبي من الكرة الارضية وتكون زاوية الاشعة الشمس مائلة في تلك الاشهر, ويرتفع معدل السطوع النظري بصورة واضحة خلال شهري (اذار, نيسان) بلغت قيمها (١٢.٣٠, ١٣.٧٥/سا/يوم) على التوالي لان السطوع النظري بدا بالارتفاع بصورة تدريجية وبعدها يتم الارتفاع بشكل متوسط خلال الاشهر (ايار, حزيران, تموز, اب, ايلول) اذا سجلت قيما بواقع (١٣.٨٩, ١٤.٥٨, ١٤.٠٦, ١٣.٢٨, ١٣.٠٢/سا/يوم) على التوالي وذلك لتعاود اشعة الشمس على مدار السرطان في النصف الشمالي من الكرة الارضية, كما يأخذ السطوع النظري بالتراجع عن الارتفاع بصورة تدريجية خلال شهري (تشرين الاول, تشرين الثاني) بواقع (١٢.٢٣, ١٠.٢٧/سا/يوم) على التوالي بسبب حركة الشمس الظاهرية مما ينتج عنها بعض التقلبات المناخية.

جدول (٤) يمثل معدل الاشعاع الشمسي في منطقة الدراسة للمدة (٢٠١٢ - ٢٠١٨)

الاشهر	ك٢	شباط	اذار	نيسان	ايار	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١
الاشعاع الشمسي	٩.٤	١٠.٤	١٢.٣	١٣.٧	١٣.٨	١٤.٥	١٤.٠	١٣.٢	١٣.٠	١٢.٥	١٠.٥	١٠.٤
	٥	٤	٠	٥	٩	٨	٦	٨	٢	٣	٧	١

المصدر: بالاعتماد على: وزارة النقل، الهيئة العامة للأمناء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بيانات غير منشورة، بغداد (٢٠١٨)



المصدر: بالاعتماد على جدول (٤)

يتضح من خلال جدول رقم (٥) على ضوء التقارير العلمية الحديثة ان خفض شدة الاضاءة له دور مهم جداً في تقليل حركة و نشاط الافراخ وتقليل نسبة ظهور حالات النقر ونتف الريش ورفع معدلات وزن الجسم وتحسين كفاءة تحويل الغذاء , تخفيض الشدة الإضاءة عن طريق تقليل عدد المصابيح بالقاعة او استبدالها بمصابيح ذات قوة اقل او عن طريق استخدام منظم قوة الاضاءة الذي يتحكم بقوة الضوء المنبعث, لاحظ بان الشدة الضوئية من الجدول المشار الية خفض بعد عمر ٢٠ يوماً الى حوالي ثلث الشدة الابتدائية , ولقد ثبت علمياً ان الشدة الضوئية العالية تقلل من معدلات الوزن الحي للطيور, ولهذا

يلاحظ في بعض دول العالم من الشائع تربية افراخ اللحم بعد عمر ثلاثة اسابيع العمل في قاعات شبة مظلمة.

جدول (٥) شدة الاضاءة الموصي بها خلال مدة التربية لأفراخ اللحم

العمر بالأيام	الشدة الضوئية (واط/ م ^٢)
١ - ٣	٣.٥
٣ - ١٠	٣
١٠ - ٢٠	١.٥
٢٠ لغاية التسويق	١ - ٠.٥

المصدر: حمدي عبد العزيز الفياض واخرزن, تكنولوجيا الدواجن, كلية الزراعة , جامعة بغداد, ط٢, ٢٠١٠, ص٢٩.

ثانيا: درجة الحرارة: temperature"

تختلف درجات الحرارة الملائمة للدواجن باختلاف اعمارها وانواعها وانتاجها وان المديات الحرارية المثلى لتربية الدواجن تتراوح بين (٢١-٢٨ م°) ويطلق عليها (Comfortable Zone), وعادة ما يصاحب ارتفاع درجات الحرارة عن هذا المدى يؤدي الى انخفاض تدريجي في معدل استهلاك الغذاء فيؤثر ذلك في سرعة النمو وانخفاض انتاجية، وعندما تحصل التغيرات الكبيرة بعد ارتفاع درجة الحرارة عن (٣٠-٣٥ م°) اذ يقل معدل استهلاك الغذاء بشكل حاد وتزداد الطاقة اللازمة للإعمال الحيوية زيادة كبيرة مما يقلل من نمو الدجاج , وعندها يبدأ الاجهاد الحراري Heat قد لا تتمكن الدواجن من فقدان الحرارة الزائدة من الاشعاع عندما تزيد درجة الحرارة عن (٣٠ م°) لذلك تلجأ الى عملية اللهاث , وتختلف الاحتياجات الحرارية للدواجن حسب انواعها وإعمارها , فدرجات الحرارة الملائمة للدجاج تقلل من الاصابات المرضية في المناطق الحارة الاجهاد الحراري : هو وضع مرضي يحدث للدجاج عندما تتعرض الى درجات حرارة

عالية ورطوبة عالية وتهوية رديئة. وتتصف منطقة الدراسة بارتفاع درجات الحرارة صيفا وقلة الامطار وانخفاض في درجات الحرارة شتاء. يتضح من خلال جدول رقم (٦) نجد ان هنالك علاقة طردية بين عمر الطائر ودرجة الحرارة وعلى المربي ان يتبع التدرج في وضع درجات الحرارة التي تتعرض لها تربية الدجاج لحين وصول العمر الذي تتحمل فيه درجات الحرارة الطبيعية في منطقة الدراسة مع مراعات وضع ترموميتر بشكل قريب من صغار الدجاج لقياس درجة الحرارة مع زيادة في العمر تقل هذه النسبة, كما نلاحظ في الجدول المشار اليه ان صغير دجاج في عمر (١-٣) ايام يحتاج الى درجة حرارة معينة (٣٤م) في المقابل نجد في الاسبوع الرابع يحتاج الى درجة حرارة التي تبدأ بالتناقص (٢٥م).

جدول (٦) متطلبات درجات الحرارة لتربية الدواجن .

العمر	درجة الحرارة (م)
١-٣ ايام	٣٤
٤-٧ ايام	٣٢
اسبوع الثاني	٣٠
اسبوع الثالث	٢٨
اسبوع الرابع	٢٥ حتى نهاية التسمين

المصدر: المديرية العامة للثروة الحيوانية, دائرة الارشاد ولإنتاج الحيواني ,دائرة الاعلام التنموي, ٢٠١٦, ص١٧.

العلاقة بين الحرارة والرطوبة ومدى تأثيرها على تربية الدواجن.

اولا: درجة الحرارة المثلى للدجاج هي ٢١ - ٢٨ م بينما يمكن للطائر أن يتلاءم مع اختلاف درجة الحرارة بعد ان يتجاوز عمر معين (البالغ).

ثانياً: إذا ارتفعت درجة الحرارة عن ٣٢م درجة مئوية سوف يؤدي ذلك إلى الإجهاد الحراري للطائر عندما يصل عمره الى الاسبوع الثالث.

ثالثاً: هناك علاقة بين الحرارة والرطوبة، فإذا ارتفعت الحرارة ارتفعت الرطوبة، وذلك يؤدي إلى الإجهاد الحراري للطيور الكبيرة.

رابعاً: يتأثر استهلاك العلف سلباً إذا زادت الحرارة داخل الحظيرة، ويكون من الضروري التخلص من الحرارة والرطوبة الزائدة، ويجب التأكيد من توفير سرعة الهواء المناسبة لمستوى الطيور للتخلص من الحرارة والرطوبة كلاهما معا^(١).

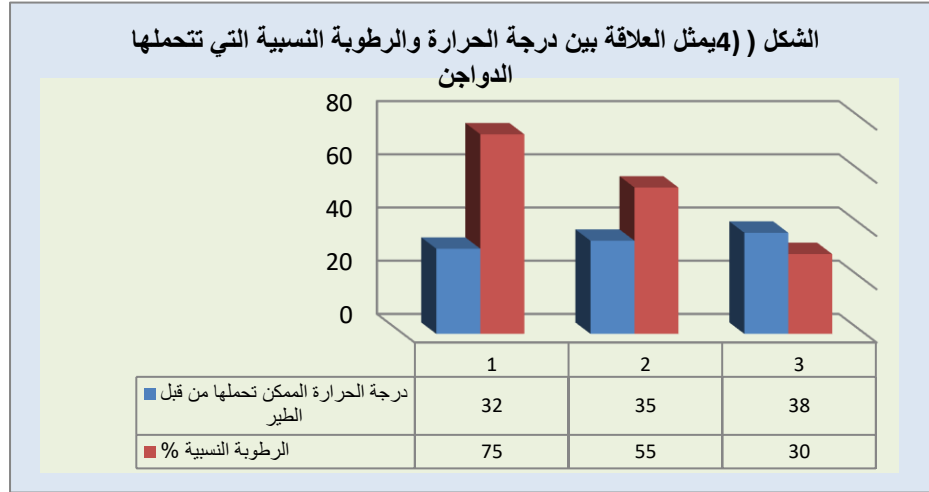
من خلال جدول رقم (٧) والشكل (٤) تقوم الدواجن بالعديد من الوسائل من أجل التخلص من الحرارة الزائدة او عندما تصبح هذه الوسائل غير كافية للتخلص من الحرارة الزائدة في الجسم يلجأ الطائر الى زيادة معدل التنفس تدريجياً بما يتناسب مع ارتفاع درجة الحرارة و تدعى هذه العملية باللهاث، و تبين التجارب انه ليس لدرجة الحرارة المحيطة حتى (٣٥ م) أي تأثير سلبي في معدل النمو وكفاءة التحويل الغذائي للطيور الفتية لغاية عمر ٦ أسابيع و ذلك عندما تكون الرطوبة النسبية بحدود ٥٠-٦٠ % وترتبط قدرة الطيور الفتية على تحمل الحرارة بقيمة الرطوبة و العكس صحيح كما يوضح الجدول التالي اذ تزداد قدرة الطير على تحمل الحرارة مع انخفاض محتوى الرطوبة، اما درجة الحرارة الممكن لطائر ان يتحملها عندما تكون درجة الحرارة (٣٢م) تكون نسبة الرطوبة (٧٥%) اما اذا كانت درجة الحرارة (٣٨ م) فتكون نسبة الرطوبة (٣٠%)، ومن خلال ذلك ان هنالك علاقة طردية بين درجة الحرارة والرطوبة النسبية كلما قلت درجة الحرارة ازدادت نسبة الرطوبة في الجو .

جدول (٧) يمثل العلاقة بين درجة الحرارة والرطوبة الممكن تحملها تربية الدواجن.

درجة الحرارة الممكن تحملها من قبل الطير	الرطوبة النسبية %
٣٢	٧٥
٣٥	٥٥
٣٨	٣٠

المصدر: عناصر المناخ الصغير في حظائر الدواجن (العوامل البيئية داخل حظائر الدواجن)

<https://almerja.net/reading.php?idm=86601>



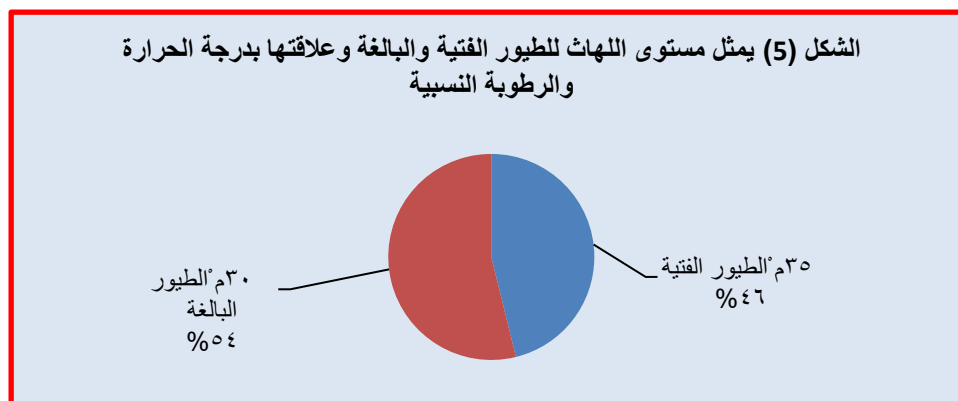
المصدر: بالاعتماد على جدول (٧)

ويبين جدول رقم (٨) والشكل (٥) ان لأعمار الطيور دور كبير في تحمل درجة الحرارة مع نسبة الرطوبة حيث تبدأ الطيور الفتية باللهاثان بعد درجة حرارة ٣٥م مع ارتفاع الرطوبة النسبية الى ٦٠٪، اما الطيور البالغة فتبدأ باللهاثان عند ارتفاع درجة الحرارة إلى أكثر من ٣٠ م والرطوبة النسبية (٧٠٪)، ويعرف

اللهثان بأنه تسريع لعملية التنفس، إذ إن سرعة التنفس في درجة الحرارة المثالية تكون بحدود ٣٥-٤٠ مرة /دقيقة وقد ترتفع إلى ١٤٠ مرة/دقيقة عندما تكون درجة حرارة كثر ٤٠م. جدول (8) يمثل مستوى اللهات للطيور الفتية والبالغة وعلاقتها بدرجة الحرارة والرطوبة النسبية.

درجة الحرارة م	الرطوبة النسبية %
٣٥ الطيور الفتية	٦٠
٣٠ الطيور البالغة	٧٠

المصدر: عيسى حسن وموسى عبود, انتاج الدواجن الجزء النظري, ٢٠١٧, ص١٥٦



المصدر: بالاعتماد على جدول (٨)

يتضح من خلال جدول رقم (٩) والشكل (6) ان درجات الحرارة الصغرى والعظمى ودرجة الحرارة العامة تتباين في منطقة الدراسة نجد ان درجة الحرارة الصغرى في فصل الشتاء خلال شهر كانون الاول وكانون الثاني وشباط وصلت (٥.٠٥, ٤.٠٦, ٤.٢٨ م) على التوالي لأنها تؤخذ في وقت مبكر من الفجر فضلاً عن الشمس تكون عمودية او شبة عمودية في النصف الجنوبي من الكرة الارض في حين نجد درجة الحرارة في فصل الربيع (اذار ونيسان) بلغت (٩.٥٤, ١٤.٩٦ م) على التوالي بسبب حركة الشمس

الظاهرية في حين نجدها ترتفع في فصل الصيف في اشهر (ايار , حزيران, تموز , واب, ايلول) بواقع (٢٠٠٩, ٢٣.٣١, ٢٧.٨٩, ٢٤.٨٨, ٢٣.٨٧ م) على التوالي بسبب اشعة الشمس عمودية على مدار السرطان في النصف الشمالي من الكرة الارضية, كما نجد ان في فصل الخريف في شهري (تشرين الاول وتشرين الثاني) تصل الى (١٥.٢١, ١٢.٢٣ م) على التوالي لان الاشعاع الشمسي ينخفض بسبب قصر فترة الإضاءة مع ميلان اشعة الشمس.

اما درجة الحرارة العظمى في فصل الشتاء لمنطقة الدراسة فتتمثل بشهر (كانون الاول و كانون, الثاني شباط) بواقع (١٧.٢٥, ١٦.٠٩, ١٩.٢٣ م) على التوالي وهي منخفضة بسبب ميلان اشعة الشمس مع قصر فترة الإضاءة, كما نجد درجة الحرارة في فصل الربيع خلال شهري (اذار , نيسان) بلغت (٢٣.٥١, ٢٨.٩٢ م) على التوالي وهي مرتفعة تقريبا لان الشمس اصبحت في مرحلة الحركة الظاهرية في حين في فصل الصيف خلال شهر (ايار, حزيران, تموز , واب, ايلول) بلغت (٣٨.٣٩, ٤١.٥٠, ٤٤.٢٤, ٤٠.٧٦, ٤٠.٣٠ م) على التوالي لان اشعة الشمس تكون عمودية او شبه عمودية على مدار السرطان في النصف الشمالي من الكرة الارضية و في فصل الخريف خلال شهري (تشرين الاول ,تشرين الثاني) وصلت (٣٤.٥٥, ٢٨.٥٩ م) على التوالي لان فترة الإضاءة قصيرة بالإضافة الى ميلان اشعة الشمس.

جدول (٩) يمثل درجات الحرارة الصغرى والعظمى والعامية في منطقة الدراسة للمدة (٢٠١٢-٢٠١٨)

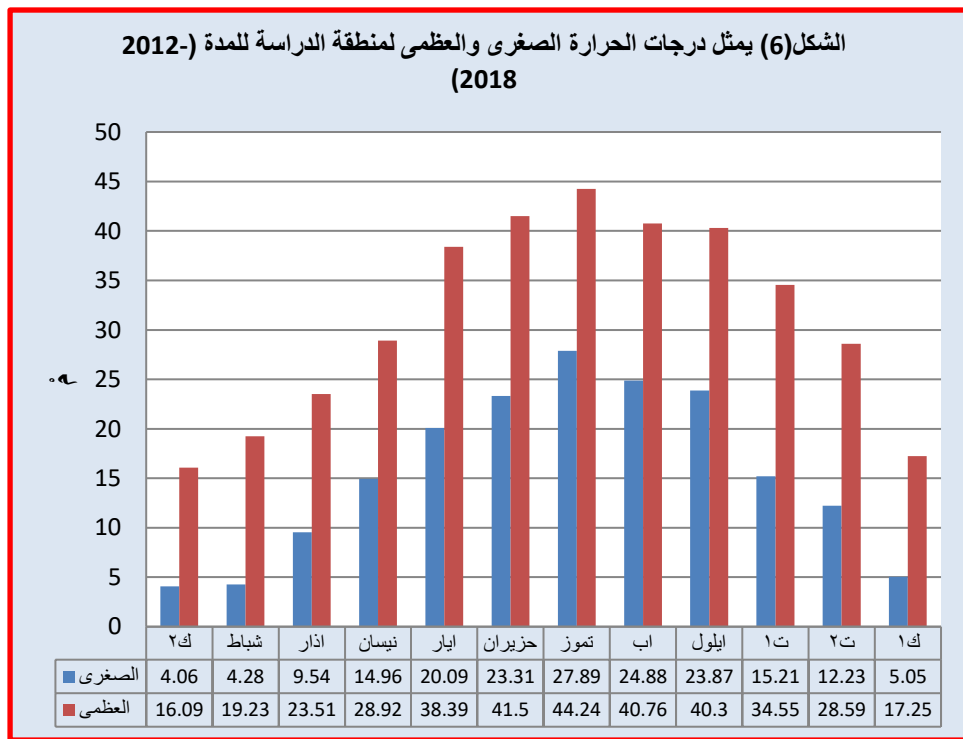
الاشهر	ك ٢	شباط	اذار	نيسان	ايار	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت ١	ت ٢	ك ١
لصغرى	٤.٠٦	4.28	9.54	14.9	20.0	23.3	27.8	24.8	23.8	15.2	12.2	5.05
ى				6	9	1	9	8	7	1	3	

الخصائص المناخية وأثرها في تربية الدواجن في ناحية الحيرة

17.2	28.5	34.5	40.3	٤٠.٧	44.2	٤١.٥	38.3	28.9	23.5	19.2	16.0	العظم
5	9	5	0	٦	4	٠	9	2	1	3	9	ى

المصدر: بالاعتماد على: وزارة النقل، الهيئة العامة للأمناء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بيانات

غير منشورة، بغداد، (٢٠١٨)



المصدر: بالاعتماد على جدول (٩)

ثالثاً: الرياح: wind

للرياح دور مهم في تنظيم وتوزيع درجة حرارة ورطوبة قاعات تربية الدواجن ، وتعمل التهوية ايضا على تجديد هواء الحقول ، كما تعد من العوامل الاساسية المهمة لنجاح تربية الدواجن مما لها أثر كبير في الصحة العامة للدجاج والعمل من اجل تجنب انخفاض درجة حرارة القاعات لان ذلك يضر بصحة الدجاج وبالتالي يؤدي الى اصابتها بالبرد وامراض الجهاز التنفسي^(٢). ان زيادة سرعة الرياح مع ارتفاع درجات الحرارة تؤثر في الحالة الفسيولوجية للدواجن وتزيد من الاجهاد الحراري عن طريق انتقال الحرارة بواسطة التلامس من الهواء الى جسم الطائر فعندما ترتفع درجة حرارة الجو الى (٣٢م) فإن حركة الهواء القوية تؤدي الى رفع درجة حرارة جسم الطائر الى (٤٣ م) مما يؤثر في عملية التحويل الغذائي والتنفس وفقدان الرطوبة من أجسامها، ويجب ان يراعي عند بناء قاعات التربية الاتجاهات العامة لهبوب الرياح ، فان الرياح السائدة في العراق هي الرياح الشمالية الغربية ، لذا يجب ان يكون اتجاه القاعة تربية الدواجن مواز لهبوب الرياح السائدة في العراق شماليه غربيه لكي تعمل الواجهة الشمالية الغربية مصدات للرياح فيقل تأثيرها في مفرغات الهواء الموجودة على جوانب تلك القاعات ولا تعوق عملية طرد الهواء الى الخارج^(٣). يتضح من خلال جدول رقم (10) والشكل (7) ان سرعة الرياح تتفاوت في منطقة الدراسة بين اشهر السنة نجد ان سرعة الرياح في خلال شهر (كانون الاول ,كانون الثاني ,شباط) وصلت (٦.٣٣ , ٦.٠٥ , ٦.٤٥ م/ثا) على التوالي بسبب وصول بعض المنظومات الضغطية المحيطة المؤثرة للعراق في حين نجد ان سرعة الرياح في فصل الربيع خلال شهري (اذار ,نيسان) بلغت (٧.١٨,٧.٥٥ م/ثا) على التوالي بسبب تداخل المنظومات الضغطية المحيطة بالعراق ,كما نجد سرعة الرياح خلال اشهر (ايار , حزيران ,تموز ,اب ايلول) اذا وصلت (٦.٦٠ , ٧.٥٥ , ٧.٣٦ , ٧.٠٢ , ٦.٠٣ م/ثا) على التوالي لأنها مسقر لاستقرار منظومات الضغطية كما نجد سرعة الرياح خلال شهري (تشرين الاول

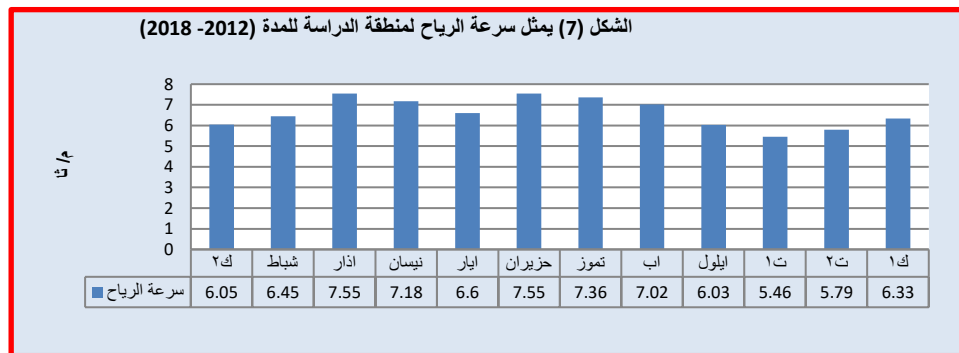
الخصائص المناخية وأثرها في تربية الدواجن في ناحية الحيرة

تشرين الثاني) بلغت (٥.٤٦, ٥.٧٩ م/ثا) على التوالي كون الرياح تتفاوت في حركتها لوصول المنخفضات الجوية للعراق في تلك الفترة مما يؤثر على المنظومات الضغطية المحلية.

جدول (10) يمثل سرعة الرياح في منطقة الدراسة للمدة (٢٠١٢-٢٠١٨).

الاشهر	ك٢	شباط	اذار	نيسان	ايار	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١
سرعة الرياح	6.05	6.45	7.55	7.18	6.60	7.55	7.36	7.02	6.03	5.46	5.79	6.33

المصدر: بالاعتماد على: وزارة النقل، الهيئة العامة للأمناء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بيانات غير منشورة، بغداد، (٢٠١٨)



المصدر: بالاعتماد على جدول (10)

يتضح من خلال جدول رقم (11) ان اثر الرياح بشكل واضح في الاشكال التي تظهر عليها قاعات الدواجن من حيث الارتفاع والاتجاه وشكل النوافذ وطريقة التهوية اذ يجب ان يراعى عند بناء القاعات الاتجاهات العامة لهبوب الرياح باتجاه مواز لهبوب الرياح السائدة لتجنب اثرها على عمل مفرغات الهواء

فانخفاض كمية الاوكسجين بنسبة ١ % داخل المفاقد بالمقارنة مع النسبة التي توجد في الهواء الطلق يترتب عليه انخفاض نسبة الفقد بحوالي ٥ % ، لذا يجب ان يراعى عند بناء القاعات الخاصة بالتربية ان يراعى اتجاهات الرياح وتزداد أهمية التهوية مع التقدم في مراحل النمو للدواجن فهي تحتاج الى الهواء النقي باستمرار وربما تفوق كثيراً من الحيوانات الزراعية في هذه الناحية ووفقاً لذلك يفضل ان يكون انشاء الحقل في منطقة مفتوحة لسهولة توفر كمية الهواء اللازمة للدواجن فضلاً عن ان المنطقة المفتوحة تكون بيئة غير ملائمة للإمراض اذ تحدد كمية الهواء المفروض توفيره بضرب حجم القاعة في عدد مرات تغيير الهواء .

جدول (11) يوضح عدد مرات تغير الهواء / ساعة حسب حجم القاعات (الطول العرض ولاارتفاع)

النوع	عدد الاقراخ / م ^٣	عدد مرات تغير الهواء / ساعة
دواجن اللحم	١٠ / م ^٢	٢٠ مرة
	١٥ / م ^٢	٣٠ مرة
	٢٠ / م ^٢	٤٠ مرة

المصدر: رقية فاضل عبد الله، اميرة محمد علي، اثر التغيرات المناخية على انتاجية لحوم الدواجن في قضاء الحلة للفترة (٢٠١٠ - ٢٠١٤) مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والاساسية / جامعة بابل، ٢٠١٧، ص ٢٤.

تهوية حظائر المغلقة لتربية الدواجن في منطقة الدراسة:-

تتم تهوية حظائر المغلقة لتربية الدواجن في الأحوال الطبيعية اصطناعياً وبشكل آلي تماماً، تصمم أنظمة متطورة تتضمن توزيع متجانس للهواء النقي والتخلص بأكبر قدر ممكن من الغازات الضارة والحرارة الفائضة التي تسبب عائقا امام تشكيل حركة هوائية نقية في حيز حظيرة الطير، ومن أجل ضمان

وجودة عمل مراوح السحب والدفع بكفاءة عالية يجب أن تكون زاوية اتجاه الحظيرة الطولي موازياً لاتجاه الرياح ويفضل أن لا يزيد عرض الحظيرة عن (١٢ م) وأن لا يزيد ارتفاعها عن (٣ م) وأن يكون مستوياً معزولاً. وتتبع في الحظائر المغلقة ثلاث طرائق وهي:-

١: التهوية بطريقة ضغط الهواء السالب:

ان عملية سحب الهواء من الحظيرة تتم بوساطة المراوح التي تشكل ضغط هواء سالب داخل الحظيرة الدواجن مما يؤدي إلى اندفاع الهواء الخارجي تلقائياً من خلال فتحات محددة إلى داخل الحظيرة، وتتوقف سرعة اندفاع الهواء المتجه إلى الداخل على ضوء سرعة وكمية الهواء المسحوب إلى الخارج، وكذلك تركيب مراوح سحب الهواء على أحد الجانبين عندما تكون عرض الحظيرة ما بين (٨-١٠ م) ويقابلها في الجدار الآخر فتحة تكون طولية على طول الحظيرة في أعلى الجدار لدخول الهواء النقي في حين إذا كان عرض الحظيرة أكثر من (١٠ م) فتركب مراوح السحب في السقف ويدخل الهواء من عدة فتحات في أعلى الجدارين الطولين للحظيرة، وتصمم فتحات لدخول الهواء بحيث لا تسمح بتشكيل تيار هوائي بارد في داخل الحظيرة لذلك عندما يدخل الهواء من الأعلى يمتزج بالهواء الدافئ في أعلى الحظيرة ويهبط بصورة تدريجية بعد أن اخفضت سرعته بشكل كبير، ويحدد عدد المراوح والفتحات اللازمة لسحب الهواء بناء على الاحتياجات المناسبة لطول وعرض الحظيرة، وليس من الضروري تشغيل كل مراوح السحب دفعة واحدة، إنما يمكن تحميلها على عدة قواطع تعمل حسب درجة حرارة الحظيرة ورطوبتها وتنظيم الهواء الداخل بشكل تلقائي خلال فتحات التحكم بها وبالتالي تحديد كمية الهواء الداخلة حسب الحاجة^(٤).

٢: التهوية بطريقة ضغط الهواء الموجب:

تعتمد هذه الطريقة عكس الطريقة السابقة، إذ يدفع الهواء النقي إلى داخل الحظيرة بوساطة مراوح جانبية محدثاً ارتفاعاً تعمل في ضغط الهواء الداخلي مما يؤدي إلى خروج الهواء الزائد المحمل بالرطوبة الناتج

من التنفس والمخلفات (الزرق) بالإضافة الى غاز الامونيا من الفتحات المخصصة لذلك, اما في الحظائر الطويلة التي يتجاوز عرضها (١٠م) يوصل ضخ الهواء بوساطة مراوح توربينية ذات قوه عالية داخل أنبوب التوزيع المثبت في السقف حيث يقوم بتوزيع الهواء من خلال فتحات بانتظام على طرفي الأنبوب. ويتبع حالياً نظام حديث التهوية في الحظائر المغلقة التي تربي فيها الطيور الأقفاص، حيث يضخ الهواء النقي خلال أنبوب مثبت في سقف الحظيرة من دون أية فتحات توزيع ونما تذهب إلى أنابيب فرعية مثبتة أسفل البطارية أو القفص. ومن ميزات هذا النظام:-

- إيصال الهواء النقي إلى حظيرة الطيور.

- تجفيف الفضلات والتخلص من الغازات الضارة.

- إمكانية تدفئة الهواء النقي في فصل الشتاء من خلال مرور الهواء بالأنبوب الرئيسي.

٣: التهوية بطريقة ضغط الهواء المتعادل:

تعتمد هذه التهوية على الجمع بين الطريقتين السابقتين حيث يتم سحب الهواء كما في طريقة الضغط السالب ودفع الهواء النقي للداخل كما في طريقة الضغط الموجب, وفي هذه الطريقة يتساوى الضغط من خلال تساوي كمية الهواء المسحوب مع الهواء المدفوع للداخل, وفي فصل الشتاء البارد يستفاد من حرارة الهواء المسحوب من الحظيرة في تدفئة الهواء البارد الداخل إلى الحظيرة وذلك بوساطة تمرير الهواء الداخل في قنوات مع إخراج الهواء الفاسد^(٥).

رابعاً: الرطوبة النسبية (Relative Humidity):-

تعرف الرطوبة النسبية بأنها النسبة المئوية لبخار الماء الموجود فعلاً في الهواء وكمية بخار الماء اللازمة حتى يكون الهواء مشبعاً عندما تكون درجة الحرارة منخفضة^(٦). فان تربية الدواجن لها القدرة على تحمل التباين في معدلات الرطوبة النسبية في اوقات قصيرة ولكن لا يمكن تجاهل اثر الرطوبة على تربية

الدواجن في مرحلة التفقيس ومراحل الأولى للنمو ويتوقف تأثير الرطوبة النسبية على الطيور بدرجة حرارة المحيط التي تعيش فيه , وان الرطوبة النسبية بين (٢٠- ٩٠ %) غير ذات تأثير على جميع الطيور طالما كانت درجة حرارة المحيط ضمن المدى الأمثل في منطقة الدراسة ^(٧). وتتطلب تربية الدواجن من الرطوبة النسبية بحدود (٥٥ - ٦٠ %). إلا إن الرطوبة النسبية المنخفضة تؤثر في تربية الدواجن وخاصة في مرحلة التفقيس والمراحل الأولية للنمو فأن أي نقص في معدل الرطوبة ينجم عنه سحب السوائل الموجودة في البيضة كما يؤثر على نسبة الفقس ويؤدي إلى إنتاج أفراخ صغيرة وعاريه غير مغطاة بزغب قصير عند التفقيس, وكذلك للرطوبة المنخفضة داخل القاعات أثارها الضارة على صحة الطيور إذ تؤدي إلى جفاف الريش كما إن ارتفاع نسبة الرطوبة في الجو الحار يؤثر على عملية اللهاث , وأن معدل الرطوبة النسبية في فصل الصيف تنخفض الى (٢٨.٤ %) في شهر ايار ومنتصف حزيران ومرتفعة في شهر كانون الثاني (٧٣.٥ %) من الموسم الشتوي وهي اعلى نسبة, فان نسبة الرطوبة يجب ألا تقل درجة عن (٧٠ %) خلال ثلاث أيام الأولى للحضنة لأنه يساعد الكتاكيت على التأقلم بسرعة مع الفرق في نسبة الرطوبة بين المفقس والعنبر, في حين انخفاض الرطوبة عن (٥٠ %) أثناء فترة التحضين يؤدي إلى جفاف الكتاكيت لذلك واجب ملء المساقى الأوتوماتيكية بالمياه ورش الجدران بالماء ورش المنطقة التي خلف ستارة بالماء مع وجود جهاز لقياس الرطوبة (هيجروميتر) ^(٨).

ويتضح من خلال الجدول رقم (١٢) والشكل (٨) ان الرطوبة العظمى ولرطوبة الصغرى في منطقة الدراسة متفاوتة بين اشهر السنة فهي ترتفع في فصل الشتاء عندما يكون سقوط امطار بشكل متكررة في حين تزداد في فصل الصيف لأسباب محلية تكون رطوبة ذاتية اي عندما يحل موسم زراعة الرز فأنها تزداد نسبتها وبالأخص في شهر (حزيران ,تموز واب ,ايلول), نجد الرطوبة العظمى في فصل الشتاء خلال شهر(كانون الاول ,كانون الثاني ,شباط) وصلت (٨٥.٣٠ , ٨٦.٣٣ , ٧٩.٢٠ %) على التوالي

لسقوط الامطار مما يؤدي الى ارتفاع نسبة الرطوبة في الجو، في حين ان الرطوبة النسبية في فصل الربيع خلال شهري (اذار، نيسان) بلغت (٧٨.٩٨، ٧٧.٩٦٪) على التوالي وهي منخفضة تقريبا لقلّة سقوط الامطار مع شدة اضاء وبالتالي يؤدي الى زيادة عملية التبخر، وفي فصل الصيف ان الرطوبة النسبية في منطقة الدراسة تتمثل خلال الاشهر (ايار، حزيران، تموز، اب ايلول) بلغت (٦٥.٧٥، ٤١.٢٥، ٤٤.٦٦، ٤٢.٢٢، ٤٤.٦٥٪) على التوالي وهي متفاوتة في نسبها، وفي فصل الخريف ان الرطوبة العظمى في منطقة الدراسة خلال شهري (تشرين الاول، تشرين الثاني) وصلت (٤٤.٥٠، ٤٩.٤١٪) على التوالي وهي ترتفع بصورة تدريجية لان نسبة التبخر اصبحت قليلة، اما درجة الرطوبة الصغرى في فصل الشتاء لمنطقة الدراسة خلال شهر (كانون الاول، كانون الثاني، شباط) بلغت (٢٩.١٥، ٢٣.٩٠، ٢٠.١٨٪) على التوالي وفي فصل الربيع ان الرطوبة الصغرى خلال شهري (اذار، نيسان) وصلت (٢١.٠٦، ٢٥.٣٠٪) على التوالي، كما نجد الرطوبة الصغرى في فصل الصيف في شهر (ايار، حزيران، تموز، اب وايلول) بلغت (١٩.٠٥، ٢٤.٠٢، ٢٨.٠٥، ٢٦.٦٥، ٢٦.٥٨٪) على التوالي، وفي فصل الخريف نجد الرطوبة الصغرى خلال شهري (تشرين الاول، تشرين الثاني) وصلت (٢٧.٠٤، ٢١.٩٥٪) على التوالي.

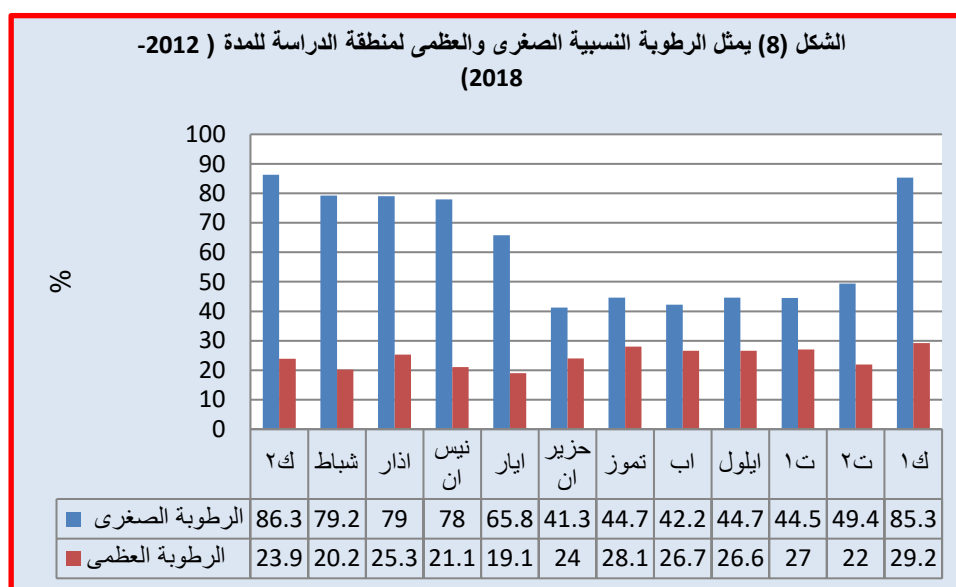
جدول (١٢) يمثل الرطوبة الصغرى والعظمى في منطقة الدراسة للمدة (٢٠١٢ - ٢٠١٨)

الاشهر	ك٢	شباط	اذار	نيسان	ايار	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١
الرطوبة العظمى	٨٦.٣ ٣	٧٩.٢ ٠	٧٨.٩ ٨	٧٧.٩ ٦	٦٥.٧ ٥	٤١.٢ ٥	٤٤.٦ ٦	٤٢.٢ ٢	٤٤.٦ ٥	٤٤.٥ ٠	٤٩.٤ ١	٨٥.٣ ٠

الخصائص المناخية وأثرها في تربية الدواجن في ناحية الحيرة

٢٩.١	٢١.٩	٢٧.٠	٢٦.٥	٢٦.٦	٢٨.٠	٢٤.٠	١٩.٠	٢١.٠	٢٥.٣	٢٠.١	٢٣.٩	الرطوبة الصغرى
٥	٥	٤	٨	٥	٥	٢	٥	٦	٠	٨	٠	ى

المصدر: وزارة النقل، الهيئة العامة للأمناء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بيانات غير منشورة، بغداد، (٢٠١٨).



المصدر: بالاعتماد على جدول (١٢)

خامسا: الأمطار (Rains) :-

تعد الأمطار من العناصر المناخية المهمة التي تؤثر في طبيعة المحاصيل الزراعية والحيوانية وتوزيعها الجغرافي على سطح الأرض ، ولا تتوقف أهمية الأمطار عند ذلك بل تتعداه كونها أساس في عملية تبادل الطاقة بين أجزاء النبات وحتى الحيوانات للحفاظ على درجة حرارته وبقائها ضمن الحدود المطلوبة لنموه ، كذلك تعد الأمطار المصدر الرئيس لتوفير مياه الري في شبكة الأنهار السطحية والجوفية في المناطق الجافة وشبه الجافة، تلعب الامطار دورا كبيرا في حياة الكائنات الحية بأشكال مختلفة ، وتسقط الأمطار في منطقة الدراسة خلال الموسم الشتوي من السنة وتتحصر في عدة اشهر ويكون تأثير الأمطار على الدواجن قليل لان تربية الدواجن تكون داخل القاعات ، الا ان سقوف حقول الدواجن تنتشع بالمياه عند سقوط الامطار مما تشيع الدفء من خلال انطلاق الحرارة الكامنة وتحافظ على التقليل نسبة التطرف لدرجات الحرارة داخل الحقول^(٩). يتبين من خلال جدول رقم (١٣) والشكل (٩) ان الامطار الساقطة تتباين كميتها في منطقة الدراسة خلال اشهر السنة وقد تم تسجيل معدل الامطار خلال الاشهر (كانون الاول ، كانون الثاني، شباط) بواقع (١٠٠.٣ ، ١٠٠.٩ ، ٩٠.٦ ملم) على التوالي لتوفر الظروف المناخية المناسبة كانهض في درجة الحرارة والزيادة الكبيرة في معدل الرطوبة النسبية في الجو وكذلك تأثرها بالمنخفضات الجوية والكتل الهوائية القادمة من البحر المتوسط وتتميز برطوبتها العالية بدورها تؤدي الى خفض درجات الحرارة، وتنخفض نسبتها حتى تصل الى مرحلة التلاشي خلال شهري (اذار، نيسان) حوالي (٩٠.٨ ، ٩٠.٠ ملم) على التوالي ثم ينعدم سقوط الامطار الا في شهر أيار (٣٠.٩ ملم) ولا توجد الامطار خلال الأشهر (حزيران ، تموز ، اب ، ايلول) عدم وصول منخفضات الجوية الى البحر المتوسط وبعد تأثرها عن العراق وسيادة الرياح الشمالية الغربية في هذا الاشهر، وتأخذ الامطار بالارتفاع بصورة تدريجية التي تم تسجيلها خلال شهري (تشرين الاول، تشرين الثاني) نحو (٦٠.٥ ، ٩٠.١ ملم) على التوالي

الخصائص المناخية وأثرها في تربية الدواجن في ناحية الحيرة

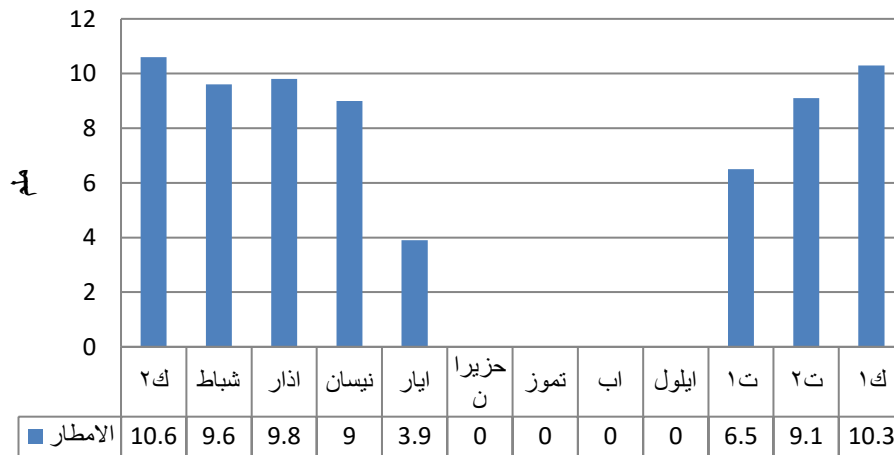
بسبب قدوم المنخفضات الجوية مرة أخرى الى منطقة البحر المتوسط وانخفاض في درجات الحرارة وزيادة الرطوبة.

جدول (١٣) يمثل كمية الامطار الساقطة في منطقة الدراسة للمدة (٢٠١٢-٢٠١٨)

الاشهر	ك٢	شباط	اذار	نيسان	ايار	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١
الامطار	١٠.٩	٩.٦	٩.٨	٩.٠	٣.٩	٠	٠	٠	٠	٦.٥	٩.١	١٠.٣

المصدر: وزارة النقل، الهيئة العامة للأمناء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بيانات غير منشورة، بغداد، ٢٠١٨.

الشكل (٩) يمثل كمية الامطار الساقطة في منطقة الدراسة للمدة (2012-2018)



المصدر: بالاعتماد على جدول (١٣)

المبحث الثالث/ امراض الدواجن الفيروسية والبكتريا وعلاقتها بالمناخ في منطقة الدراسة:-

اولا: مرض الالتهابات التنفسية (التهاب القصبات):-

يعرف ايضا بمرض الأكياس الهوائية وهو من الامراض الفيروسية التي تصيب الدواجن في فصل الشتاء مما يؤدي إلى انخفاض معدل النمو فضلا عن رداء اللحم المنتجة ، كما يصيب هذا المرض الطيور الحقل عند عمر تتراوح بين (٤ - ٨) أسابيع وان من الأسباب الرئيسية لهذا المرض الارتفاع والانخفاض المفاجئ لدرجات الحرارة خلال اليوم أو ارتفاع نسبة غاز الامونيا داخل قاعات التربية الناتجة من زيادة الرطوبة النسبة داخل القاعات والتي تعمل على تقسخ أرضية الحقل المتكونة من نشارة الخشب أو قشرة الرز مما يؤدي الى تحلل المواد البروتينية الناتجة من فضلات الدواجن وانبعاث غاز الأمونيا إذ يعمل هذا الغاز على تחדش الأغشية المبطنة للممرات التنفسية ومن ثم حدوث الإصابة ، وفي فصل الصيف ترجع ارتفاع نسبة الإصابة بهذا المرض إلى ارتفاع درجات الحرارة لفترة اطول مما يؤدي إلى إجهاد الطيور ، أما في الفصل البارد فان من أسباب الإصابة بالمرض المذكور عدم الاهتمام بالتهوية الجيدة إذ يقومون أصحاب حقول الدواجن غلق النوافذ للمحافظة على درجة الحرارة على حساب التهوية مما يؤدي إلى زيادة نسبة الرطوبة الداخلية وكذلك زيادة غاز الامونيا ^(١٠). وكذلك عند نقص الفيتامينات وبعض المواد كيميائية الضرورية لاستمرار التمثيل الغذائي التي تحتاجها الدواجن تقدر بالمليغرامات الى الكيلوا الواحد من العليقة ، وقد يتسبب أي نقص من فيتامينات (B12 , B2 , E , Bd3 , K A) و (حامض الباتومين ، والبليونين ، والنيكوتين) يؤدي الى ظهور أعراض مرضية وتغيرات خاصة ومميزة لهذا النقص وبالتالي يؤدي الى اصابة بالمرض المذكور في الفصل الحار لارتفاع درجات الحرارة التي تعمل على تقليل تناول العلف مما يؤدي إلى قلة الاستفادة من الفيتامينات المضافة إلى العليقة ، أما في

الفصل البارد فان ارتفاع الإصابة بهذا المرض ويعزى ذلك إلى كثرة أعداد الطيور المرباة وقله ما تحصل عليه من الغذاء وحرق نسبة كبيرة لتوليد الطاقة لتدفئة جسمها^(١١).
ثانياً: مرض الكوكسديا :-

هو مرض طفيلي يصيب الطيور بكافة أعمارها إذ يسبب الإسهال الشديد ، وفقدان الشهية فضلاً عن انخفاض حيوية الطائر وصعوبة حركته وهذا يتوقف على نوع الطفيلي المسبب للإصابة ، وترجع الإصابة بهذا المرض في الفصل الحار إلى ارتفاع درجات الحرارة ولاسيما درجات الحرارة العظمى في هذا الفصل و إلى ارتفاع نسبة الرطوبة داخل قاعات التربية الناتجة من طرح الدواجن للرطوبة مع الفضلات واستهلاكها لكميات كبيرة من المياه الأمر الذي يؤدي إلى حدوث الإصابة بهذا المرض ، أما في الفصل البارد فترجع الإصابة بالمرض إلى ارتفاع نسبة الرطوبة والتي تكون متزامنة مع فترة سقوط الأمطار مع استمرار هبوب الرياح الجنوبية الشرقية وكذلك الرطوبة الناتجة من عدم الاهتمام والعناية بنظافة قاعات تربية الدواجن لذا تعد كمية الفضلات داخل قاعات تربية الدواجن أحد الأسباب الرئيسية للإصابة بهذا المرض^(١٢).

ثالثاً : مرض التهاب الأمعاء :-

يعد هذا المرض أحد الأمراض البكتيرية الحادة التي تسبب خسارة اقتصادية ونسبة هلاكات عالية للدجاج المرباة ، فان سبب هذا المرض هو ارتفاع درجات الحرارة والرطوبة النسبية في فصل الصيف داخل القاعات وما لها من اثر على تنفسها وبالتالي تظهر اعراض الامراض التهاب الامعاء ويزداد في حالة عدم علاجها ، اما في الفصل البارد فيعود إلى توفر الظروف البيئية المناسبة لنمو البكتريا من درجات الحرارة ورطوبة جوية، وتحدث الإصابة عندما تتوفر الظروف الملائمة لنمو هذه البكتريا والتي تتمثل بتوفير الأجواء الرطبة والدافئة وتشير الدراسات إلى إن البكتريا المسببة للمرض المذكور تنمو وتتكاثر

على أعلاف الدواجن, وترجع الإصابة بهذا المرض في الفصل الحار إلى ارتفاع درجات الحرارة وإلى الخزن الغير جيد للعليقة يظهر مما تقدم أن هناك نسبة غير قليلة من الدجاج المربي في منطقة الدراسة تتعرض للإصابة بالأمراض المختلفة ولا سيما الامراض الفيروسية التي تصيب الدواجن , ويعد من أكثر الامراض انتشارا في منطقة الدراسة ومن الصعب السيطرة على امراض الدواجن المختلفة وذلك لضعف الخدمات البيطرية فضلاً عن رداءة الادوية المستخدمة في مكافحة الامراض التي تصيب الدواجن ومعظمها تجارية لا تخضع لمقاييس الفحص والسيطرة النوعية وذات منشئ غير رصينة ^(١٣) .

رابعاً: أنفلونزا لطيور :-

هو نوع من انواع الفيروسات المعدية والخطيرة جدا التي تصيب كل أنواع الطيور في جميع الأعمار وبالأخص الاعمار الصغيرة, كما وهو من الأمراض التنفسية وأحيانا تصاحبها أعراض أخرى كالأمراض العصبية وهضمية مسبب لمرض فايروس من عائلة (orthomyxo virus) وتزداد نسبته في فصل الخريف وفصل الشتاء وفصل الصيف عندما تنخفض درجة الحرارة وترتفع بشكل مفاجئ وسريع دون ان تكون هنالك علامات ما يؤدي الى اصابتها بشكل كبير وتقل نسبته في فصل الربيع وتتميز اعراضه بنوعين هما .

النوع الاول: الخفيف أو البسيط وهو ناتج عن مهاجمة الفايروس للخلايا المبطنة للقناة الهضمية والتنفسية ويتكاثر عندما تنخفض درجة الحرارة وبالأخص في شهري كانون الاول وكانون الثاني ويمتاز المرض بانتفاش ريش الطير لا يمكن تشخيصه بسهولة لخفة أعراضه وعدم تميزه بالذروة

النوع الثاني: الشديد وهو النوع الذي يهاجم فيه الفايروس خلايا جسم الكائن الحي ويتكاثر فيها مما يؤدي الى اتلافها ويكون تكاثره وانتشاره سريعاً جداً , حيث ينتشر في الحقل بأقصى سرعة في غضون ٤٨ ساعة حيث تبدأ الهلاكات ١٠٠٪ والأعراض الهضمية لهذا النوع تشمل الإسهال, وذلك لمهاجمة

الفايروس بطانة الأمعاء، والأعراض العصبية لهذا النوع تشمل شلل الأطراف والتواء الرقبة مثل ما يحدث في مرض النيوكاسل، لكن هذا المرض يظهر بشكل وباء وبصورة مفاجئة نسبة الإصابة فيه ١٠٠ % ونسبة الهلاكات قد تكون معدومة وقد تكون ١٠٠ %. أما طرق الوقاية والعلاج فهي لا يوجد علاج للفايروس والطريقة الوحيدة للوقاية هي التلقيح والسيطرة على الظروف المناخية من حرارة ورطوبة والمراقبة المستمرة^(١٤).

خامسا: مرض الكمبورو:

وهو مرض فايروسي يطلق عليه أيضاً اسم (Infectious Bursal Agent – IBA) يؤثر على الجهاز المناعي للدواجن وهو شديد العدوى، ويؤثر على الدجاج ذات الأعمار الصغيرة، ويتميز بدمار الأجهزة اللمفاوية، وعلى وجه الخصوص جراب فابريشيا والمرض يسببه فايروس بيرنا، ويتميز أعراض المرض على ثلاثة أشكال ١ - الشكل الحاد ٢ - الشكل العادي ٣ - الشكل المثبط للمناع، لا يوجد علاج ناجح لهذا المرض سوى السيطرة على الظروف المناخية من درجة الحرارة والرطوبة الجو والتلقيح. سادسا: التهاب السرة:-

هو مرض يصيب الدجاج بكافة الأعمار، مما يسبب هلاكات كبيرة قد تصل من (٥-٥٠%)، ينتج التهاب السرة بسبب عدم امتصاص كيس المح أو احتباسه، ففي الحالات الطبيعية يكتمل امتصاص كيس المح في أثناء ستة أيام، إن عدم حدوث الامتصاص ناتج عن سبب مناخي كارتفاع نسبة الرطوبة أو انخفاض درجات حرارة أو ارتفاعها عن المقرر فيؤدي إلى تغيرات فسلجيه في الجسم التي تؤدي بدورها الى اصابة جرثومية وبذلك يحدث التهاب كيس المح، اما الوقاية والعلاج تتم من خلال السيطرة على الظروف المناخية واستعمال المضادات الحياتية^(١٥).

سابعاً: النيوكاسل:-

ظهر هذا المرض لأول مرة عام ١٩٢٧ في ولاية نيوكاسل بإنكلترا ومنها اشتق اسم هذا المرض، ويعد من الأمراض الفيروسية الوبائية السريعة الانتشار وتنشط عندما تنخفض درجات الحرارة اقل من ٥°م التي تسبب خسائر فادحة للمربي و هو يعد من أهم الأمراض التي يحاذر منها المربين حيث أن هذا الفيروس له القدرة على إحداث الإصابة تصل إلى (٩٠ %) و كذلك تصل نسبه النفوق إلى (١٠-٣٠%)، له القدرة العالية للحفاظ على حياته لمدة ثلاثة اشهر في ذبائح الطيور المصابة والمحافظة في ثلاجة بدرجة صفر مئوية ولكن يحدث العكس عندما ترتفع درجة الحرارة لا يمكنه العيش سوى دقائق معدودة عندما ترتفع درجة الحرارة لأكثر من ٥٠°م، تظهر الأعراض على الطائر في البداية كأعراض تنفسيه حيث يفتح الطائر فمه ليحصل على أكبر قدر من الهواء مما يؤدي لسماع أصوات حشرجة نتيجة لدخول الهواء في القصبة الهوائية وتزداد تلك الحالة ليلا ينبع ذلك حدوث إسهال للطائر مع نزول لعاب بكميات كبيره من الفم مع فقد الشهية للطعام و الشراب ثم تحدث بعد ذلك الأعراض العصبية مثل الارتعاش العنيف و شلل الأطراف و انتشاء الرقبة لأعلى أو لأسفل و عدم التوازن، والوقاية او العلاج من هذا المرض يستخدم اللقاح عترة هتشنرب وعترة لا زونا واستخدام بعض المعقمات والمنظفات، والحفاظ على استقرار درجة الحرارة داخل الحقل وبالأخص في فصل الشتاء^(١٦). يتضح من خلال جدول رقم (١٤) نجد الامراض التي تصيب الدواجن في منطقة الدراسة تتفاوت انواعها وقوتها وهذا يرتبط بشكل مباشر بالتغيرات المناخية في المنطقة الدراسة بشكل خاص والعراق بشكل عام، نجد اعلى نسبها لها ترتفع في مرض انفلونزا الطيور وهو من الامراض الفيروسية وتكون قوة الاصابة عالية تصل الى (٩٠%) من بين الاصابات بسبب التغير في درجة الحرارة في اغلب الاشهر السنة، وكذلك تكون درجة الحرارة في بعض الاشهر متطرفة اي تتغير فيه درجات الحرارة بشكل مفاجئ سواء كان في الارتفاع او الانخفاض بدون تدرج حراري، أما ادنى الامراض اصابة هو مرض التهاب السرة وهو مرض جرثومي يصيب الطيور

الصغيرة التي تتراوح اعمارها من ١ - ١٠ ايام وهو متوسط الاصابة تصل الى (٣٠٪) ويتم علاجه بمادة لا كيتك اسد.

جدول (١٤) امراض التي تصيب الدواجن في منطقة الدراسة.

المرض	نوعه	قوة الاصابة	نسبة الهلاكات %	اللقاح او العلاج
١ مرض الالتهابات التنفسية	فيروسي	عالية	٨٠٪	اللقاح
٢ مرض الكوكسديا	طفيلي	متوسط	٣٥٪	امير وليوم
٣ مرض التهاب الأمعاء	بكتري	عالية	٨٥٪	لقاح
٤ أنفلونزا لطيور	فيروسي	عالية	٩٠٪	لقاح الانفلونزا
٥ مرض الكمبو	فيروسي	متوسط	٤٠٪	لقاح
٦ التهاب السرة	جرثومي	متوسط	٣٠٪	لاكتيك اسد
٧ النيو كاسل	فيروسي	عالية	٣٠-١٠٪	لقاح عترة لا زونا

المصدر : شعبة الزراعة في ناحية الحيرة.

الاستنتاجات:

توصلت الدراسة الى جملة من الاستنتاجات منها:

- ١- بينت الدراسة من خلال البيانات والدراسة الميدانية ان للمناخ دور كبير في تربية وانتاج الدواجن مما ينعكس على نسب الهلاكات في حقول الدواجن في منطقة الدراسة وهذا مما ادى الى تباين انتاج الدواجن بين فصلي الصيف والشتاء فضلا عن بقية الفصول الانتقالية.

- ٢- أكدت الدراسة ان للعوامل الحياتية (امراض الدواجن) لها تأثيرا متاخلا مع بقية العوامل الطبيعية (العناصر المناخية) سلبي على انتاج الدواجن وبالأخص في فصل الصيف عندما تقترن درجة الحرارة بالرطوبة النسبية يكون تأثيرها كبير على تربية الدواجن.
 - ٣- وجدت الدراسة من خلال المقابلات الشخصية ان اصحاب الحقول (المربين الدواجن) يتوقفون عن التربية الدواجن لمدة شهر او شهران بسبب ارتفاع في درجات الحرارة مع الارتفاع في نسبة الرطوبة المحلية (الذاتية) بسبب زراعة محصول الارز.
 - ٤- نجد ان أنفلونزا الطيور من أكثر الامراض التي تصيب الدواجن في منطقة الدراسة حسب الرصد الميداني.
 - ٥- اوجدت الدراسة ان من اهم العناصر المناخية تأثيرا في تربية الدواجن هي درجة الحرارة والرطوبة النسبية في منطقة الدراسة تتعامل على وفق علاقة الطردية أي كلما ارتفعت درجة الحرارة زادة نسبة التبخر مما ينعكس على زيادة نسبة الرطوبة النسبية في الجو وعلى العكس لان منطقة الدراسة منطقة زراعية تكون مغمورة بالمياه وهذه الخاصية تنطبق فقط في فصل الصيف.
- الهوامش:**

- ١- سعود صالح الشوا، تربية الدواجن، ط٥ ، غزة، مركز العمل التتموي معا، 2009 ، ص١٦.
- ٢- محمد جمال الدين قمر، محمد سعيد محمد سامي، الانتاج التجاري لدجاج اللحم، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥، ص١٣.
- ٣- كوثر ناصر عباس، جنان عبد الامير عباس، العوامل الجغرافية المؤثرة في تربية وانتاج الدواجن في محافظة بغداد، مجلة العلوم الانسانية / كلية التربية للعلوم الانسانية، المجلد ٢٦، العدد الاول، ٢٠١٩، ص٣٣.
- ٤- دراسة ميدانية لبعض الحقول منطقة الدراسة بتاريخ ٢٠٢٢/٧/٣.
- ٥ - عيسى حسن وموسى عبود، انتاج الدواجن، القسم الحيواني، ٢٠١٧، ص١٥٦.

- ٦ - علي كاظم جواد الخزاعي, التحليل المكاني لحقول تربية الدواجن في محافظة كربلاء, مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم الانسانية, العدد, ٥٤, المجلد, ١٣, ٢٠٢١, ص ٢٧.
- ٧ - قتيبة محمد حسن, علاقة التربة بالماء والنبات, وزارة التعليم العالي والبحث العلمي, جامعة بغداد, مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر, ١٩٩٠, ص ٨٩.
- ٨- طارق ياسين, هل يطيح الجفاف بالمناحل ومواسمها, مجلة بريد النحال, لبنان, العدد ٢٠١٤, ص ٥.
- ٩- علي صاحب طالب الموسوي, العلاقات المكانية بين الخصائص المناخية في العراق واختبار اسلوب ١٨ وطريقة الري المناسبة, اطروحة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة الى كلية الآداب, جامعة بغداد, ١٩٩٦, ص ٨٦.
- ١٠- صلاح علي حمزه حسن, المقومات الجغرافية لإنتاج الدواجن في محافظة النجف الاشرف, رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة الكوفة, ٢٠٠٩, ص ١١٦.
- ١١ - فؤاد ابراهيم الشخيلي وآخرون, امراض الدواجن, وزارة التعليم العالي والبحث العلمي, ١٩٨٥, ص ١٧.
- ١٢ - الباحث, مقابلة شخصية مع طبيب بيطري, حيدر حسن حمزه, بتاريخ ١٨/٦/٢٠٢٢.
- ١٣ - صلاح علي حمزه, التحليل الجغرافي لمشاكل الدواجن في محافظة ميسان وسبل معالجتها, مجلة ايمان ميسان, المجلد التاسع, ٢٠١٢, ص ٢٢.
- 14 -Alexander . D.J .. (2003) . Newcastle disease . other paramyxoviruses and pneumovirus infections In : Saif . Y.M .. Barnes . H.J .. Glisson . J.R .. Fadly . A.M . McDougald . D.J .. Swayne . D.E. (Eds .) . Diseases of Poultry . 11th ed Iowa State Press . Ames . IA . Pp : 63-100.
- 15 - MATHIS . G.F. and BROUSSARD . C. (2006) Increased level of Eimeria sensitivity to diclazuril after using a live coccidial vaccine . Avian Diseases 50 (3) : 321-324
- ١٦ - حمدي عبد العزيز الفياض وآخرون, تكنولوجيا الدواجن, كلية الزراعة, جامعة بغداد, ط ٢٠١٠, ص ٧٢.

المراجع:

١. لينا زهير عبد الزهرة، نسرين عواد عبدون الجصاني، الخصائص المناخية وأثرها بأمراض الدواجن، مجلة معين، العدد الثاني، ٢٠١٩.
٢. عبد الاله حميد محمد، تغذية فروج اللحم في المناطق الحارة، مجلة الزراعة العراقية، المجلد ٢، العدد ١١٩٩٧.
٣. سعود صالح الشو، تربية الدواجن، ط ٥، غزة، مركز العمل التنموي معا، ٢٠٠٩.
٤. محمد جمال الدين قمر، محمد سعيد محمد سامي، الانتاج التجاري لدجاج اللحم، ط ٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥.
٥. كوثر ناصر عباس، جنان عبد الامير عباس، العوامل الجغرافية المؤثرة في تربية وانتاج الدواجن في محافظة بغداد، مجلة العلوم الانسانية / كلية التربية للعلوم الانسانية، المجلد ٢٦، العدد الاول، ٢٠١٩.
٦. دراسة ميدانية لبعض الحقول منطقة الدراسة بتاريخ ٢٠٢٢/٧/٣.
٧. عيسى حسن وموسى عبود، انتاج الدواجن، القسم الحيواني، ٢٠١٧.
٨. علي كاظم جواد الخزاعي، التحليل المكاني لحقول تربية الدواجن في محافظة كربلاء، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم الانسانية، العدد ٥٤، المجلد ١٣، ٢٠٢١.
٩. قتيبة محمد حسن، علاقة التربة بالماء والنبات، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٠.
١٠. طارق ياسين، هل يطيح الجفاف بالمناحل ومواسمها، مجلة بريد النحال، لبنان، العدد ٢٠١٤، ٥١.
١١. علي صاحب طالب الموسوي، العلاقات المكانية بين الخصائص المناخية في العراق واختبار اسلوب ١٨ وطريقة الري المناسبة، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦.
١٢. صلاح علي حمزه حسن، المقومات الجغرافية لإنتاج الدواجن في محافظة النجف الاشرف، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٩ سابق.
١٣. فؤاد ابراهيم الشيعلي وآخرون، امراض الدواجن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٥.
١٤. الباحث، مقابلة شخصية مع طبيب بيطري، حيدر حسن حمزه بتاريخ ٢٠٢٢/٦/١٨.

١٥. صلاح علي حمزه, التحليل الجغرافي لمشاكل الدواجن في محافظة ميسان وسبل معالجتها, مجلة ايمان ميسان, المجلة ٩, ٢٠١٢.

١٦. Alexander . D.J .. (2003) . Newcastle disease . other paramyxoviruses and pneumovirus infections In : Saif . Y.M .. Barnes . H.J .. Glisson . J.R .. Fadly . A.M . McDougald . D.J .. Swayne . D.E. (Eds .) . Diseases of Poultry . 11th ed Iowa State Press . Ames.

١٧. MATHIS . G.F. and BROUSSARD . C. (2006) Increased level of Eimeria sensitivity to diclazuril after using a live coccidial vaccine.